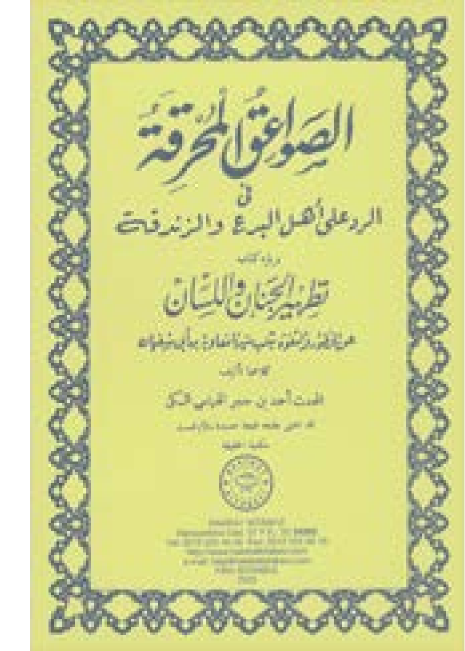

الصواعق المحرقة
في
الرد على أهل البدع والزندقة
تطهير الجنان واللسان

اَلصَّوَاعِقُ اْلمُحْرِقَةُ

فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ وَالزِنْدِقَةِ

ويليه كِتَابُ

تَطْهِيرِ اْلجِنَانِ وَاللِّسَانِ

عَنِ اْلخُطوُرِ وَالتَّفَوُّهِ بِثَلْبِ سَيِّدِنَا مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانْ

كلاهما تأليف

المحدث أحمد بن حجر الهيتمي المكي

٨٩٩ هـ. [١٤٩٤ م.] - ٩٧٤ هـ. [١٥٦٦ م.]

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول–تركيا

هجري قمري	**هجري شمسي**	**ميلادي**
١٤٣٤	**١٣٩١**	**٢٠١٣**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) وقال ايضا (**خذوا العلم من افواه الرجال**).

ومن لم تتيسّر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكّر كتبا من تأليفات عالم صالح وصاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي والسيد عبد الحكيم الارواسي الشافعي واحمد التيجاني المالكي ويتعلم الدين من هذه الكتب ويسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس ومن لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص ويدعي أنه من العلماء الحق وهو من الكاذبين من علماء السوء. واعلم انّ علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأمّا علماء السوء هم جنود الشياطين.[١]

---

(١) لاخير في تعلّم علم مالم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج: ١ ص: ٣٦٦، ٣٦٧ والمكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلّد الأوّل من المكتوبات للإمام الرّبّاني المجدّد للألف الثاني قدّس سرّه)

تنبيه: إنّ كلاّ من دعاة المسيحية يسعون إلى نشر المسيحية والصهاينة اليهود يسعون إلى نشر الادعاءات الباطلة لحاخاماتها وكهنتها ودار النشر – **الحقيقة** – في استانبول يسعى إلى نشر الدين الاسلامي وإعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإمحاء وازالة الاديان جميعا فاللبيب المنصف المتصف بالعلم والادراك يعي ويفهم الحقيقة ويسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق ويكون سببا في إنالة الناس كافة السعادة الابدية وما من خدمة اجلّ من هذه الخدمة اسديت إلى البشريّة.

Baskı: İhlâs Gazetecilik A.Ş.
Merkez Mah. 29 Ekim Cad. İhlâs Plaza No: 11 A/41
34197 Yenibosna-İSTANBUL Tel: 0.212.454 30 00

الصواعق المحرقة

بِسْـــمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله) الذي اختص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأصحاب كالنجوم، وأوجب على الكافة تعظيمهم واعتقاد حقية ما كانوا عليه لما منحوه من حقائق المعارف والعلوم (وأشهد) أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة أندرج بها في سلكهم المنظوم (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي حباه بسره المكتوم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين بدوام الحي القيوم.

(**أما بعد**) فإني سئلت قديما في تأليف كتاب يبين حقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب فأجبت إلى ذلك مسارعة في خدمة هذا الجناب فجاء بحمد الله أنموذجا لطيفا، ومنهاجا شريفا، ومسلكا منيفا؛ ثم سئلت قديما في إقرائه في رمضان سنة خمسين وتسعمائة بالمسجد الحرام لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة أشرف بلاد الإسلام فأجبت إلى ذلك رجاء لهداية بعض من زل به قدمه عن أوضح المسالك ثم سنح لي أن أزيد عليه أضعاف ما فيه وأبين حقية خلافة الأئمة الأربعة وفضائلهم وما يتبع ذلك مما يليق بقوادمه وخوافيه، فجاء كتابا في فنه حافلا. ومطلبا في حلل الرصانة والتحقيق رافلا، ومهندا قاصما لحجج المبطلين وأعناق شرار المبتدعة الضالين لما اشتمل عليه من البراهين العقلية والأدلة الواضحة المنقحة النقلية التي يعقلها العالمون ولا ينكرها إلاّ الذين هم بآيات الله يجحدون، نعوذ بالله من أحوالهم ونسأله السلامة من قبائح أقوالهم وأفعالهم إنه الجواد الكريم الرؤوف الرحيم (ورتبته) على مقدمات وعشرة أبواب وخاتمة.

(المقدمة الأولى)

إعلم أن الحامل الداعي لي على التأليف في ذلك وإن كنت قاصرا عن حقائق ما هنالك، ما أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع[١] وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال (**إذا ظهرت الفتن**) أو قال (**البدع وسب أصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا**)[٢] وما أخرجه الحاكم[٣] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**ما ظهر أهل بدعة إلاّ أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه**). وأخرج أبو نعيم[٤] (**أهل البدع شر الخلق والخليقة**) قيل هما[٥] مترادفان وقيل المراد بالأول البهائم وبالثاني الناس (وأبوحاتم) الخزاعي في جزئه[٦] (**أصحاب البدع كلاب النار**) (و الرافعي) (**عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة**)[٧] (والطبراني) (**من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام**)[٨] (والبيهقي) وابن أبي عاصم في السنة. (**أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يتوب من بدعته**)[٩] (والخطب) والديلمي (**إذا مات صاحب بدعة فقد فتح في الإسلام فتح**)[١٠] والطبراني والبيهقي والضياء. (**إن الله احتجر التوبة عن كل**

---

(١) هو كتاب (الجامع بين آداب الراوي والسامع). منه نسخة مخطوطة بمكتبة الإسكندرية

(٢) وأخرج نحوه ابن عساكر عن معاذ كما في زيادات الجامع الصغير

(٣) في تاريخه

(٤) في الحلية عن أنس مرفوعا وقال تفرد به المعافي عن الأوزاعي بهذا اللفظ وروى عيسى ابن يونس عن الأوزاعي نحوه: ذكره في ترجمة المعافي أبن مسعود الموصلي

(٥) الضمير للخلق والخليقة

(٦) عن أبي أمامة

(٧) أخرجه الرافعي عن أبي هريرة والديلمي عن ابن مسعود

(٨) عن عبد الله بن بسر

(٩) عن ابن عباس وأخرجه ابن ماجه

(١٠) عن أنس

صاحب بدعة)[١] (والطبراني) **(إن الإسلام يشيع ثم يكون له فترة فمن كانت فترته إلى غلو وبدعة فأولئك أهل النار)** (والبيهقي) **(لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين)**[٢] (وسنتلو) عليك ما تعلم منه علما قطعيا أن الرافضة والشيعة ونحوهما من أكابر أهل البدعة فيتناولهم هذا الوعيد الذي في هذه الأحاديث على أنه ورد فيهم أحاديث بخصوصهم (وأخرج) المحاملي والطبراني والحاكم عن عويمر بن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم قال **(إن الله اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا)** (والخطيب) عن أنس **(إن الله اختارني واختار لي أصحابا واختار لي منهم أصهارا وأنصارا فمن حفظني فيهم حفظه الله ومن آذاني فيهم آذاه الله)**[٣] (والعقيلي[٤]) في الضعفاء عن أنس **(إن الله اختارني واختار لي أصحابا وأصهارا وسيأتي قوم يسبونهم وينتقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم ولا تؤاكلوهم ولا تناكحوهم)** (والبغوي) والطبراني وأبونعيم في المعرفة وابن عساكر عن عياض الأنصاري **(احفظوني في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه)**[٥] (وأخرج) أبوذر الهروي نحوه عن جابر والحسن بن علي وابن عمر رضي الله عنهم (وأخرج) الذهبي عن ابن عباس مرفوعا **(يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام فاقتلوهم فإنهم مشركون)**. واخرجه

---

(١) عن أنس في الأوسط وأخرجه ابن فيل

(٢) أخرجه ابن ماجه عن حذيفة

(٣) في تاريخ الخطيب في ترجمة محمد بن بشير الدعاء عن أنس وفي ترجمة الوليد بن الفضل العتري بزيادة عن رواية عقيل الآتية

(٤) رواه البيهقي

(٥) والرواية «أوشك» بدل يوشك

أيضا عن إبراهيم بن حسن بن حسين بن علي عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: قال علي بن أبي طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام**) (وأخرج) الدارقطني عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**سيأتي من بعدي قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون**). قال قلت يا رسول الله (**ما العلامة فيهم**) قال (**يقرطونك بما ليس فيك ويطعنون على السلف**) وأخرجه عنه من طريق أخرى نحوه وكذلك من طريق أخرى وزاد عنه (**ينتحلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك وآية ذلك أنهم يسبون أبابكر وعمر**) رضي الله عنهما (وأخرج) أيضا من طرق عن فاطمة الزهراء وعن أم سلمة رضي الله عنهما نحوه قال: ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة (والطبراني) عن علي[١] (**من سب الأنبياء قتل ومن سب أصحابي جلد**) (والديلمي)، عن أنس (**إذا أراد الله برجل من أمتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه**)[٢] (والترمذي) عن عبد الله بن مغفل (**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعد فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**) (والخطيب) عن ابن عمر (**إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم**) (وابن عدي) عن عائشة (**إن شرار أمتي أجرؤهم على أصحابي**) (وابن ماجه) عن عمر (**احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم**) الحديث[٣] (والشيرازي) في الألقاب عن أبي سعيد (**احفظوني في أصحابي فمن حفظني فيهم كان عليه من الله حافظ ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه**)

---

(١) وعن ابن عباس

(٢) ورواه الترمذي

(٣) وبقية الحديث (**ثم يفشوا الكذب حتى يشهد الرجل وما يستشهد ويحلف وما يستحلف**) وهو من رواية عمر لا ابنه كما في النسخة المطبوعة

(والخطيب) عن جابر والدارقطني في الأفراد عن أبي هريرة (**إن الناس يكثرون وأصحابي يقلون فلا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله**). والحاكم عن أبي سعيد (**أما إنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم**) (وابن عساكر) عن الحسن مرسلا (**ما شأنكم وشأن أصحابي ذروا لي أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مثل عمل أحدهم يوما واحدا**) (**وأحمد**) والشيخان وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة (**لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**)[١] (وأحمد) وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود (**لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**) (وأحمد) عن أنس (**دعوا لي أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهبا ما بلغتم أعمالهم**) (والدارقطني) (**من حفظني في أصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني**) (والطبراني) والحاكم عن عبد الله بن بسر. (**طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي طوبى لهم وحسن مآب**) (وعبد بن حميد) عن أبي سعيد وابن عساكر عن واثلة (**طوبى لمن رآني ولمن رأى من رأى من رآني**)[٢] (والطبراني) عن ابن عمر (**لعن الله من سب أصحابي**) (والترمذي والضياء) عن بريدة (**ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلاّ بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة**) (وأبو يعلى) عن أنس (**مثل أصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلاّ بالملح**) (وأحمد ومسلم) عن أبي موسى. (**النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون**) (والترمذي والضياء) عن جابر (**لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني**) (والترمذي

---

(١) النصيف هو النصف كالعشير في العشر وقيل مكيال دون المد كما في مجمع بحار الأنوار للفتني وسبب الحديث ما كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف

(٢) ورواه ابن عساكر عن واثلة

والحاكم) (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) الحديث[١] (والطبراني) والحاكم عن جعدة بن هبيرة (**خير الناس قرني الذي أنا فيهم ثم الذين يلونهم والآخرون أراذل**)[٢] (ومسلم) عن أبي هريرة (**خير أمتي القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) الحديث[٣] (والحكيم الترمذي) عن أبي الدرداء (**خير أمتي أولها وآخرها وفي وسطها الكدر**) (وأبونعيم) في الحلية مرسلا (**خير هذه الأمة أولها وآخرها فيهم عيسى ابن مريم وبين ذلك نهج أعوج ليسوا مني ولست منهم**)[٤] (والطبراني) عن ابن مسعود (**خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجيا قوم لا خير فيهم**) (وابن ماجه) عن أنس (**أمتي على خمس طبقات فأربعون سنة أهل بر وتقوى ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة أهل تواصل وتراحم ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة أهل تدابر وتقاطع ثم الهرج والمرج النجاء النجاء**) * وله عنه أيضا (**كل طبقة أربعون فأما طبقتي وطبقة أصحابي فأهل علم وإيمان وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين فأهل بر وتقوى**) ثم ذكر نحوه، (والحسن) ابن سفيان وابن منده وأبو نعيم في المعرفة عن دارم التميمي الطبقة الأولى (**أنا ومن معي أهل علم ويقين إلى الأربعين والطبقة الثانية أهل بر وتقوى إلى الثمانين والطبقة الثالثة أهل تراحم وتواصل إلى العشرين ومائة والطبقة الرابعة أهل تقاطع**

---

(١) من رواية عمران بن حصين وتمام الحديث قال عمران رضي الله عنه. فلا أدري أذكر قرنين أو ثلاثة (**ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن**) زاد في رواية (**ويحلفون ولا يستحلفون**) ورواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأبوداود

(٢) ورواه الطبراني

(٣) وتمامه. (**ثم يخلف قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا**)

(٤) رواه الخطيب مرسلا عن عروة بن رويم اللخمي وهو في الحلية في ترجمته واللفظ في النسخة المطبوعة (**وبين ذلك ثبج أعوج ليس منك ولست منك ولست منهم**) وهي كذلك في النهاية والثبج الوسط من كل شيء وفيها النهج بالتحريك والنهيج الربو وتواتر النفس من شدة الحركة أو فعل متعب وقد نهج بالكسر ينهج وأنهجه غيره وأنهجت الدابة إذا سرت عليها حتى انبهرت

وتظالم إلى الستين ومائة والطبقة الخامسة أهل هرج ومرج إلى المائتين). ولابن عساكر مثله إلاّ أنه قال (**فطبقتي وطبقة أصحابي أهل العلم والإيمان)** وقال بدل المرج (**الحروب)**. وكفى فخرا لهم أن الله تبارك وتعالى شهد لهم بأهم خير الناس حيث قال تعالى: (**كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠). فإهم أول داخل في هذا الخطاب. كذلك شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث المتفق على صحته (**خير القرون قرني)**. ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته وقال تعالى (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذينَ مَعَهُ اَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ** * الفتح: ٢٩) وقال تعالى (**وَالسَّابِقُونَ اْلاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَاْلاَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسَانٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** * التوبة: ١٠٠). فتأمل ذلك فإنك تنجو من قبيح ما اختلقته الرافضة[١] عليهم مما هم بريئون منه كما سيأتي بسط ذلك وإيضاحه فالحذر الحذر من اعتقاد أدنى شائبة من شوائب النقص فيهم معاذ الله. لم يختر الله لأكمل أنبيائه إلاّ أكمل من عداهم من بقية الأمم كما أعلمنا ذلك بقوله: (**كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)** (ومما) يرشدك إلى أن ما نسبوه إليهم كذب مختلق عليهم أهم لم ينقلوا شيئا منه بإسناد عرفت رجاله ولا عدلت نقلته وإنما هو شيء من إفكهم وحمقهم وجهلهم وافترائهم على الله سبحانه وتعالى فإياك أن تدع الصحيح وتتبع السقيم ميلا إلى الهوى والعصبية وسيتلى عليك عن علي كرم الله وجهه وعن أكابر أهل بيته من تعظيم الصحابة سيما الشيخان وعثمان وبقية العشرة المبشرين بالجنة ما فيه مقنع لمن ألهم رشده. وكيف يسوغ لمن هو من العترة النبوية أو من المتمسكين بحبلهم أن يعدل عما تواتر عن إمامهم علي رضي الله عنه من قوله إن خير هذه الأمة بعد نبيها

---

(١) قال ابن طريح النجفي في مجمع البحرين والروافض فرقة من الشيعة رفضوا أي تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الصحابة فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة وذكر أن بابه قتل بمعنى ترك

أبو بكر ثم عمر وزعم الرافضة لعنهم الله أن ذلك تقة سيتكرر عليك رده وبيان بطلانه وأن ذلك أدى بعض الرافضة إلى أن كفر عليا قال لأنه أعان الكفار على كفرهم فقاتلهم الله ما أحمقهم وأجهلهم * وروى الطبراني وغيره عن علي رضي الله عنه الله الله في أصحاب نبيكم صلى الله عليه وسلم فإنه أوصى بهم.

(المقدمة الثانية)

إعلم أيضا أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلافهم في التعيين لا يقدح في الإجماع المذكور ولتلك الأهمية لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبوبكر خطيبا كما سيأتي فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت ولابد لهذا الأمر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم فقالوا صدقت ننظر فيه * ثم ذلك الوجوب عندنا معشر أهل السنة والجماعة وعند أكثر المعتزلة بالسمع أي من جهة التواتر والإجماع المذكور وقال كثير بالعقل ووجه ذلك الوجوب أنه صلى الله عليه وسلم أمر بإقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد وحفظ بيضة[١] الإسلام وما لا يتم الواجب المطلق إلاّ به وكان مقدورا فهو واجب ولأن في نصبه جلب منافع لا تحصى ودفع مضار لا تستقصى وكل ما كان كذلك يكون واجبا[٢] * أما الصغرى على ما في شرح المقاصد فتكاد تلحق بالضروريات بل بالمشاهدات بشهادة ما تراه من الفتن والفساد وانفصام أمور العباد

---

(١) البيضة المجتمع وموضع السلطان كما في النهاية ومجمع البحرين شبه ذلك ببيضة الطائر إذا هلكت هلك ما فيها من طعم أو فرخ أو شبهه بالخوذة وهي بيضة الحديد

(٢) قال الفخر الرازي في كتاب الأربعين بعد ذكر معنى ما تقدم وأما أن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان فهذا متفق عليه بين العقلاء أما من يقول بالحسن والقبح العقليين فإنه يقول وجوب هذا معلوم في بداهة العقول وأما عند من ينكر ذلك فإنه يقول وجوب هذا ثابت بإجماع الأنبياء والرسل وباتفاق جميع الأديان

بمجرد موت الإمام وإن لم يكن على ما ينبغي من الصلاح والسداد * وأما الكبرى فبالإجماع عندنا وبالضرورة عند من قال بالوجوب عقلا من المعتزلة كأبي الحسين والجاحظ والخياط والكعبي وأما مخالفة الخوارج ونحوهم في الوجوب فلا يعتد بها لأن مخالفتهم كسائر المبتدعة لا تقدح في الإجماع ولا تخل لما يفيده من القطع بالحكم المجمع عليه ودعوى أن في نصبه ضررا من حيث إن إلزام من هو مثله بامتثال أوامره فيه إضرار به فيؤدي إلى الفتنة ومن حيث إنه غير معصوم من نحو الكفر والفسوق فإن لم يعزل أضر بالناس وإن عزل أدى إلى محاربته وفيها ضرر أي ضرر باطلة لا ينظر إليها لأن الإضرار اللازم من ترك نصبه أعظم وأقبح بل لا نسبة بينهما ودفع الضرر الأعظم عند التعارض واجب وفرض انتظام حال الناس بدون إمام محال عادة كما هو مشاهد.

(المقدمة الثالثة)

الإمامة تثبت إما بنص من الإمام على استخلاف واحد من أهلها وإما بعقدها من أهل الحل والعقد لمن عقدت له من أهلها كما سيأتي بيان ذلك في الأبواب وإما بغير ذلك كما هو مبين في محله من كتب الفقهاء وغيرهم[١].

واعلم أنه يجوز نصب المفضول مع وجود من هو أفضل منه لإجماع العلماء بعد الخلفاء الراشدين على إمامة بعض من قريش مع وجود أفضل منهم ولأن عمر رضي الله عنه جعل الخلافة بين ستة من العشرة منهم عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما وهما أفضل أهل زمانهما بعد عمر فلو تعين الأفضل لعين عمر عثمان فدل عدم تعيينه أنه يجوز نصب غير عثمان وعلي مع وجودهما والمعنى في ذلك أن غير الأفضل قد يكون أقدر منه على القيام بمصالح الدين وأعرف بتدبير الملك وأوفق

---

(١) قال الرازي ما ملخصه إن إمامة أبي بكر انعقدت بالبيعة وصحت بها إمامته فالبيعة طريق لحصول الإمامة بخلاف الإثنا عشرية

لانتظام حال الرعية وأوثق في اندفاع الفتنة[١] واشتراط العصمة في الإمام وكونه هاشميا وظهور معجزة على يديه يعلم بها صدقه من خرافات نحو الشيعة وجهالاتهم لما سيأتي بيانه وإيضاحه من حقية خلافة أبي بكر وعمر وعثمان مع انتفاء ذلك فيهم ومن جهالاتهم أيضا قولهم إن غير المعصوم يسمى ظالما فيتناوله قوله تعالى (**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** * البقرة: ١٢٤). وليس كما زعموا إذ الظالم لغة من يضع الشيء في غير محاله وشرعا العاصي. وغير المعصوم قد يكون محفوظا فلا يصدر عنه ذنب أو يصدر عنه ويتوب منه حالا توبة نصوحا فالآية لا تتناوله وإنما تتناول العاصي على أن العهد في الآية كما يحتمل أن المراد به الإمامة يحتمل أيضا أن المراد به النبوة أو الإمامة في الدين أو نحوهما من مراتب الكمال وهذه الجهالة منهم إنما اخترعوها ليبنوا عليها بطلان خلافة غير علي وسيأتي ما يرد عليهم ويبين عنادهم وجهلهم وضلالهم نعوذ بالله من الفتن والمحن آمين.

الباب الأول
في بيان كيفية خلافة الصديق والإستلال على حقيتها بالأدلة النقلية والعقلة وما يتبع ذلك وفيه فصول
الفصل الأول (في بيان كيفيتها)

روى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتد به أن عمر رضي الله عنه خطب الناس مرجعه من الحج فقال في خطبته. قد بلغني أن فلانا منكم يقول لو مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ

(١) قال الباقلاني في التمهيد إن الإمام إنما ينصب لدفع العدو وحماية البيضة وسد الخلل وإقامة الحدود واستخراج الحقوق فإذا خيف بإقامة أفضلهم الهرج والفساد والتغالب وترك الطاعة واختلاف السيوف إلخ صار ذلك عذرا واضحا في العدول عن الفاضل إلى المفضول. ثم ذكر أن ذلك أيضا لا يحتاج إلى كونه معصوما عالما بالغيب وأن ظاهر الخبر لا يقضي بكونه قرشيا ولا العقل يوجبه وهو يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد وأبويعلى والطيالسي الائمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا

أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة[١] ألاّ وإنها كذلك إلاّ أن الله وقى شرها وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله صلى الله عله وسلم. إن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا في بيت فاطمة وتخلفت الأنصار عنا بأجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت له يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم. أي نقصدهم. حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذي صنع القوم قالا أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا من الأنصار فقالا لا عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا هم مجتمعون فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ما له قالوا وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم (أي دب قوم منكم بالاستعلاء والترفع علينا) تريدون أن تخزلونا من أصلنا وتحضنونا من الأمر (أي تنحونا عنه وتستبدون به دوننا) فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زورت[٢] مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر وقد كنت أداري منه بغض الحد[٣] وهو كان أحلم مني وأوقر فقال أبو بكر على رسلك فكرهت أن أغضبه وكان أعلم مني والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلاّ قالها في بديهته[٤] وأفضل حتى سكت فقال أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم أهله و لم تعرف العرب هذا الأمر إلاّ لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره

---

(١) في رواية بعد فلتة كلمة (تمت)

(٢) أي هيأت

(٣) أي الحدة والغضب

(٤) وفي رواية زيادة مثلها وأفضل منها ومما ذكرتكم فيكم

ما قال غيرها ولان والله أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبوبكر فقال قائل من الأنصار-أي وهو الحباب بمهملة مضمومة فموحدة ابن المنذر-أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب-أي أنا يشتفى برأيي وتدبيري وأمنع بجلدتي ولحمتي كل نائبة تنوبهم كما دل على ذلك ما في كلامه من الاستعارة بالكناية المخيل لها بذكر ما يلائم المشبه به إذ موضوع الجذيل المحكك وهو بجيم فمعجمة تصغير جذل عود ينصب في العطن لتحتك به الإبل الجرباء والتصغير للتعظيم والعذق بفتح العين النخلة بحملها فاستعارها لما ذكرناه والمرجب بالجيم وغلط من قال بالحاء من قولهم نخلة رجبة وترجيبها ضم أعذاقها إلى سعفاتها وشدها بالخوص لئلا ينفضها الريح أو يصل اليها آكل. منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمرا هو أوفق من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد. وفي رواية أن أبا بكر احتج على الأنصار بخبر الائمة من قريش وهو حديث صحيح ورد من طرق عن نحو أربعين صحابيا. وأخرج النسائي وأبويعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير فأتاهم عمر بن الخطاب فقال يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس وأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر فقالت الأنصار نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر. وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري أنهم لما اجتمعوا بالسقيفة بدار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر قام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول يا معشر المهاجرين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل الرجل منكم يقرن معه رجلا منا فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم فتتابعت خطباؤهم على

ذلك فقام زيد بن ثابت فقال أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ثم أخذ بيد أبي بكر فقال هذا صاحبكم فبايعه عمر ثم بايعه المهاجرون والأنصار وصعد أبو بكر المنبر ونظر في وجوه القوم فلم ير الزبير فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله وختنه على بنته أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه - وروى ابن إسحاق عن أنس أنه لما بويع في السقيفة جلس الغد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي أريح عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلاّ ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلاّ عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

(وأخرج) موسى بن عقبة في مغازيه والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خطب أبوبكر فقال والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها الله في سر ولا علانية ولكنني أشفقت من الفتنة وما لي في الإمارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما ما لي به من طاقة ولا يد إلاّ بتقوية الله فقال علي والزبير ما غضبنا إلاّ لأنا أخرنا عن المشورة وإنا نرى أبا

بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بين الناس وهو حي (وأخرج) ابن سعد عن إبراهيم التيمي أن عمر أتى أبا عبيدة أولا ليبايعه وقال إنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما رأيت لك فهة -أي ضعف رأى- قبلها منذ أسلمت أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين (وأخرج) أيضا أن أبا بكر قال لعمر ابسط يدك لأبايعك فقال له أنت أفضل مني فأجابه بأنت أقوى مني ثم كرر ذلك فقال عمر فإن قوتي لك مع فضلك فبايعه.

(وأخرج) أحمد أن أبا بكر لما خطب يوم السقيفة لم يترك شيئا أنزل في الأنصار وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم إلاّ ذكره وقال لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا لسلكت وادي الأنصار**) وقد علمت يا سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم. فقال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء. ويؤخذ منه ضعف ما حكاه ابن عبد البر أن سعدا أبى أن يبايع أبا بكر حتى لقي الله (وأخرج) أحمد عن أبي بكر أنه اعتذر عن قبوله البيعة خشية فتنة يكون بعدها ردة وفي رواية عند ابن إسحاق وغيره أن سائله قال له ما حملك على أن تلي امر الناس وقد نهيتني أن أتأمر على اثنين فقال لم أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة (وأخرج) أحمد أنه بعد شهر نادى في الناس الصلاة جامعة وهي أول صلاة نادى لها بذلك ثم خطب فقال: أيها الناس وددت أن هذا كفانيه غيري ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ما أطيقها أن كان لمعصوما من الشيطان وأن كان ليترل عليه الوحي من السماء وفي رواية لابن سعد أما بعد فإني قد وليت هذا الأمر وأنا له كاره ووالله لوددت أن بعضكم كفانيه ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

عبدا أكرمه الله بالوحي وعصمه به ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحدكم فراعوني فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني وإذا رأيتموني زغت فقوموني واعلموا أن لي شيطانا يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم. وفي أخرى لابن سعد والخطيب أنه قال: أما بعد فإني قد وليت أمركم ولست بخيركم ولكنه نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن فعلمنا فاعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقي وأعجز العجز الفجور وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وأن أضعفكم عندي القوى حتى آخذ منه الحق أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإذا أحسنت فأعينوني وإذا نازعت فقوموني - قال مالك لا يكون أحد إماما أبدا إلاّ على هذا الشرط (وأخرج) الحاكم أن أبا قحافة لما سمع بولاية ابنه قال هل رضي بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا نعم قال لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت (وأخرج) الواقدي من طرق أنه بويع يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم (والطبراني) عن ابن عمر أنه لم يجلس مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ولا جلس عمر مجلس أبي بكر ولا جلس عثمان مجلس عمر.

الفصل الثاني

(في بيان انعقاد الإجماع على ولايته)

قد علم مما قدمناه أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على ذلك وأن ما حكي من تخلف سعد بن عبادة عن البيعة مردود.

ومما يصرح بذلك أيضا ما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال **(ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء)**. وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلف أبوبكر، فانظر إلى ما صح عن ابن مسعود وهو من أكابر الصحابة وفقهائهم ومتقدميهم من حكاية الإجماع من الصحابة جميعا على خلافة أبي بكر ولذا كان هو الأحق بالخلافة عند جميع أهل السنة والجماعة في كل عصر منا إلى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وكذلك

عند جميع المعتزلة وأكثر الفرق وإجماعهم على خلافته قاض بإجماعهم على أنه أهل لها مع أنها من الظهور بحيث لا تخفى. فلا يقال إنها واقعة يحتمل أنها لم تبلغ بعضهم ولو بلغت الكل لربما أظهر بعضهم خلافا. على أن هذا إنما يتوهم أن لو لم يصح عن بعض الصحابة المشاهدين لذلك الأمر من أوله إلى آخره حكاية الإجماع وأما بعد أن صح عن مثل ابن مسعود حكاية إجماعهم كلهم فلا يتوهم ذلك أصلا سيما وعلي كرم الله وجهه ممن حكى الإجماع على ذلك أيضا كما سيأتي عنه أنه لما قدم البصرة سئل عن مسيره هل هو بعهد من النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مبايعته هو وبقية الصحابة لأبي بكر وأنه لم يختلف عليه منهم اثنان -وأخرج- البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي يقول أجمع الناس على خلافة أبي بكر وذلك أنه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم -وأخرج- أسد السنة عن معاوية بن قرة قال: ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسمونه إلاّ خليفة رسول الله وما كانوا يجتمعون على خطإ ولا ضلالة وأيضا فالأمة اجتمعت على حقية إمامة أحد الثلاثة أبي بكر وعلي والعباس ثم إنهما لم ينازعاه بل بايعاه فتم بذلك الإجماع له على إمامته دونهما إذ لو لم يكن على حق لنازعاه كما نازع علي معاوية مع قوة شوكة معاوية عدة وعددا على شوكة أبي بكر فإذ لم يبال علي بها ونازعه فكانت منازعته لأبي بكر أولى وأحرى فحيث لم ينازعه دل على اعترافه بحق خلافته ولقد سأله العباس في أن يبايعه فلم يقبل ولو علم نصا عليه لقبل سيما ومعه الزبير مع شجاعته وبنو هاشم وغيرهم. ومر أن الأنصار كرهوا بيعة أبي بكر وقالوا منا أمير ومنكم أمير فدفعهم أبو بكر بخبر: (**الأئمة من قريش**) فانقادوا له وأطاعوه وعلي أقوى منهم شوكة وعدة وعددا وشجاعة فلو كان معه نص لكان أحرى بالمنازعة وأحق بالإجابة ولا يقدح في حكاية الإجماع تأخر علي والزبير والعباس وطلحة مدة لأمور منها أنهم رأوا أن الأمر تم بمن تيسر

حضوره حينئذ من أهل الحل والعقد[١] ومنها أنهم لما جاءوا وبايعوا اعتذروا كما مر عن الأولين من طرق بأنهم أخروا عن المشورة مع أن لهم فيها حقا لا للقدح في خلافة الصديق هذا مع الاحتياج في هذا الأمر لخطره إلى الشورى التامة ولهذا مر عن عمر بسند صحيح أن تلك البيعة كانت فتنة ولكن وقى الله شرها.

ويوافق ما مر عن الأولين من الإعتذار ما أخرجه الدارقطني من طرق كثيرة أنهما قالا عند مبايعتهما لأبي بكر إلاّ إنا أخرنا عن المشورة وإنا لنرى أن أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وثاني اثنين وإنا لنعرف له شرفه وكبره وفي آخرها أنه اعتذر إليهم فقال والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما قط ولا ليلة ولا كنت فيها راغبا ولا سألتها الله عز وجل في سر ولا علانية ولكني أشفقت من الفتنة وما لي في الإمارة من راحة ولقد قلدت أمرا عظيما إلى آخر ما مر فقبلوا منه ذلك وما اعتذر به -وأخرج- الدارقطني أيضا عن عائشة أن عليا بعث لأبي بكر رضي الله عنهما أن ائتنا فأتاهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقد اجتمعت بنو هاشم إلى علي فخطب ومدح أبا بكر ثم اعتذر عن تخلفه عن البيعة بأنه كان له حق في المشاورة ولم يشاوره فلما فرغ من خطبته خطب أبو بكر واعتذر بنحو ما تقدم ثم بعد ذلك بايعه علي في يومه فرأى المسلمون أنه قد أصاب. وفي الحديث المتفق على صحته التصريح بهذه القصة بأبسط من هذا -روى- البخاري عن عائشة أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله عن ميراثها من النبي صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله على رسوله

---

(١) قال الباقلاني في التمهيد وليس يجوز لمسلم اتقى الله أن يضيف إلى علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير بن العوام التأخر عن بيعته بأخبار آحاد واهية مجيؤها من ناحية متهومة ثم قال وعلى أننا نعلم بواضح النظر كذب من ادعى تأخر علي والعباس والزبير لأن مثل هذا الخطب الجسيم في مثل هذا الأمر العظيم يجب إشهاره وظهوره وأن ينقل نقل مثله فكيف حفظت الأمة بأسرها وعلمت مخالفة علي لأبي بكر وغيره من الصحابة في حكم أم الولد والتوريث الذي إنما تعلمه الخاصة وذهب عنها تأخره وتأخر الزبير عن البيعة حتى لا يرد إلاّ ورودا شاذا ضعيفا وتكون الأخبار الكثيرة في معارضته ومناقضته والعادة جارية بلزوم مثل هذا للقلوب وإطلاق الألسن بذكره واشتهاره وإظهاره دون طيه وكتمانه والسهو عنه عو الإغفال له

من المدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال**) وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأعملن فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا و لم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته و لم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتينا معك أحد كراهية ليحضر عمر فقال عمر لا والله ما تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عسيتهم أن يفعلوا بي والله لآتينهم فدخل عليهم أبوبكر فتشهد علي فقال إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله و لم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لنا نصيبا حتى فاضت عينا أبي بكر فلما تكلم أبو بكر قال والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليّ من أن أصل قرابتي وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيه عن الخير و لم أترك أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها إلا صنعته فقال علي لأبي بكر موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر الظهر رقى المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليهم ثم استغفر وتشهد علي فعظم حق أبي بكر وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكار للذي فضله الله به ولكنا كنا نرى لنا في هذا الأمر -أي المشورة كما يدل عليه بقية الروايات- نصيبا فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت وكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف. فتأمل عذره وقوله لم ننفس على أبي بكر خيرا ساقه الله

إليه وأنه لا ينكر ما فضله الله به وغير ذلك مما اشتمل عليه هذا الحديث تجده بريئا مما نسبه إليه الرافضة ونحوهم فقاتلهم الله ما أجهلهم وأحمقهم. ثم هذا الحديث فيه التصريح بتأخر بيعة علي إلى موت فاطمة فينافي ما تقدم عن أبي سعيد أن عليا والزبير بايعا من أول الأمر لكن هذا الذي مر عن أبي سعيد من تأخر بيعته هو الذي صححه ابن حبان وغيره قال البيهقي وأما ما وقع في صحيح مسلم عن أبي سعيد من تأخر بيعته هو وغيره من بني هاشم إلى موت فاطمة رضي الله عنها فضعيف فإن الزهري لم يسنده وأيضا فالرواية الأولى عن أبي سعيد هي الموصولة فتكون أصح انتهى وعليه فبينه وبين خبر البخاري المار عن عائشة تناف. لكن جمع بعضهم بأن عليا بايع أولا ثم انقطع عن أبي بكر لما وقع بينه وبين فاطمة رضي الله عنها ما وقع في مخلفه صلى الله عليه وسلم ثم بعد موتها بايعه مبايعة أخرى فتوهم من ذلك بعض من لا يعرف باطن الأمر أن تخلفه إنما هو لعدم رضاه ببيعته فأطلق ذلك من أطلق ومن ثم أظهر على مبايعته لأبي بكر ثانيا بعد موتها على المنبر لإزالة هذه الشبهة على أنه سيأتي في الفصل الرابع من فضائل علي. أنه لما أبطأ عن البيعة لقيه أبو بكر فقال له أكرهت إمارتي فقال لا ولكن آليت لا أرتدي بردائي إلاّ إلى الصلاة حتى أجمع القرآن فزعموا أنه كتبه على تنزيله. فانظر إلى هذا العذر الواضح منه رضي الله عنه تعلم مما قررناه إجماع الصحابة ومن بعدهم على حقية خلافة الصديق وأنه أهل لها وذلك كاف لو لم يرد نص عليه بل الإجماع أقوى من النصوص التي لم تتواتر لأن مفاده قطعي ومفادها ظني كما سيأتي[١] -وحكى-

(١) قال الباقلاني في التمهيد على أنه لا نعرف أحدا روى تأخر علي والزبير عن البيعة أياما إلا وقد روى عنه في هذه القصة رجوعهما إلى بيعته ودخولهما في صالح ما دخل فيه المسلمون وأنهما قالا لا تثريب يا خليفة رسول الله ما تأخرنا عن البيعة إلاّ أنا كرهنا ألاّ ندخل في المشورة -وقال السعد في شرح المقاصد: أما توقف علي رضي الله عنه في بيعة أبي بكر رضي الله عنه فيحمل على أنه لما أصابه من الحزن والكآبة بفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتفرغ للنظر والاجتهاد فلما نظر وظهر له الحق دخل فيما دخل فيه الجماعة- وفي مطالع الأنظار للأصفهاني: أن عليا كان شجاعا وكان معه أكثر صناديد قريش وساداتهم ولم ينازع في الخلافة وأن أبا بكر قد نازع عليها الزبير مع شجاعته وأبا سفيان رئيس مكة ورأس بني أمية وأبو بكر شيخ ضعيف خاشع عديم المال قليل الأعوان وما ذلك إلاّ لأنه كان مقدما على الصحابة

النووي بأسانيد صحيحة عن سفيان الثوري أن من قال إن عليا كان أحق بالولاية فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السماء. وأخرج الدارقطني عن عمار بن ياسر نحوه.

الفصل الثالث

(في النصوص السمعية الدالة على خلافته من القرآن والسنة)

(أما النصوص القرآنية) فمنها قوله تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ منْكُمْ عَنْ دينه فَسَوْفَ يَأْتي اللّهُ بقَوْمٍ يُحبُّهُمْ وَيُحبُّونَهُ اَذلَّة عَلَى الْمُؤْمنينَ اَعزَّةٍ عَلَى الْكَافرينَ يُجَاهدُونَ في سَبيلِ اللّه وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئمٍ ذَلكَ فَضْلُ اللّه يُؤْتيه مَنْ يَشَآءُ وَاللّهُ وَاسعٌ عَليمٌ** * المائدة: ٥٤) أخرج البيهقي عن الحسن البصري أنه قال هو والله أبو بكر لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام. -وأخرج- يونس بن بكير عن قتادة قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فذكر قتال أبي بكر لهم إلى أن قال فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه. (**فَسَوْفَ يَأْتي اللّهُ بقَوْمٍ يُحبُّهُمْ وَيُحبُّونَهُ**) وشرح هذه القصة ما أخرجه الذهبي أن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتهرت بالنواحي ارتد طوائف كثيرة من العرب عن الاسلام ومنعوا الزكاة فنهض أبو بكر لقتالهم فأشار عليه عمر وغيره أن تفتر عن قتالهم فقال والله لو منعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر وكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله وأنّ محمدا رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلاّ بحقها وحسابه على الله**) فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال وقد قال (**إلاّ بحقها**)، قال عمر فو الله ما هو إلاّ أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق، وفي رواية أنه لما خرج أبو بكر لقتالهم وبلغ قريب نجد هربت الأعراب فكلمه الناس يؤمر عليهم رجلا ويرجع فأمر خالدا ورجع

وأخرج - الدارقطني عن ابن عمر قال لما برز أبوبكر واستوى على راحلته أخذ علي بزمامها وقال إلى أين يا خليفة رسول أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شمر سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فو الله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا وبعث خالدا إلى بني أسد وغطفان فقتل من قتل وأسر من أسر ورجع الباقون إلى الإسلام[١] ثم إلى اليمامة إلى قتال مسيلمة الكذاب فالتقى الجمعان ودام الحصار أياما ثم قتل الكذاب إلى لعنة الله قتله وحشي قالت حمزة[٢] وفي السنة الثانية من خلافته بعث العلاء الحضرمي إلى البحرين وكانوا قد ارتدوا فالتقوا بجواثا فنصر المسلمون. وبعث عكرمة بن أبي جهل إلى عمان وكانوا قد ارتدوا وبعث المهاجر بن أمية إلى طائفة من المرتدين وزياد بن لبيد الأنصاري إلى طائفة أخرى ومن ثم أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال والله الذي لا إله إلاّ هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله ثم قال الثانية ثم قال الثالة فقيل له مه يا أبا هريرة فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام فلما نزل بذي خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب حول المدينة واجتمع إليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا رد هؤلاء توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال والذي لا إله إلاّ هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاحللت لواء عقده فوجه أسامة لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلاّ قالوا لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام. قال النووي في تهذيبه واستدل أصحابنا على عظم علم الصديق بقوله في

---

(١) استشهد في هذه الواقعة من الصحابة عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم

(٢) استشهد بهذه الواقعة جماعة من الصحابة يبلغون السبعين منهم سالم مولى أبي حذيفة وزيد بن الخطاب وثابت بن قيس وأبو دجانة سماك بن حرب وأبو حذيفة بن عتبة

الحديث السابق في الصحيحين والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه - واستدل- الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره في طبقاته على أن أبابكر أعلم الصحابة لأنهم كلهم وقفوا على فهم الحكم في المسألة إلاّ هو ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب فرجعوا إليه. قال -أعني النووي- وروينا عن عمر أنه سئل من كان يفتي الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر ما أعلم غيرهما. أي لكن أخرج ابن سعد عن القاسم بن محمد قال كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم استدل على أعلميته بالخبر الرابع من الأخبار الدالة على خلافته وقال ابن كثير كان الصديق أقرأ أصحابه أي أعلمهم بالقرآن لأنه صلى الله عليه وسلم قدمه إماما للصلاة بالصحابة مع قوله يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله. وسيأتي خبر لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره وكان مع ذلك أعلمهم بالسنة كما رجع اليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي صلى الله عليه وسلم يحفظها ويستحضرها عند الحاجة اليها ليست عندهم وكيف لا يكون كذلك وقد واظب صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول البعثة إلى الوفاة وهو مع ذلك من أزكى عباد الله وأفضلهم وإنما لم يرو عنه من الأحاديث إلاّ القليل لقصر مدته وسرعة وفاته بعد النبي صلى الله عليه وسلم وإلاّ فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جدا و لم يترك الناقلون عنه حديثا إلاّ نقلوه ولكن كان الذي في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم[١] (وأخرج) أبو القاسم البغوي عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر

---

(١) في تهذيب النووي أن ما روي من الحديث عن أبي بكر ١٤٢ حديثا ومع ذلك فهو حافظ بدليل أن عمر شهد له بأنه لم يترك شيئا أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله في شأنهم إلاّ ذكره وكذلك روى عنه أكثر الصحابة وما رواه من الأحاديث ذكره السيوطي حديثا حديثا في تاريخ الخلفاء

في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى بها فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول أبو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤس الناس وخيارهم واستشارهم فإن أجمع أمرهم على رأي قضى به وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن أو السنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء فإن وجد أبا بكر قد قضى فيه بقضاء قضى به وإلاّ دعا رؤس المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر قضى به (ومن) الآيات الدالة على خلافته أيضا قوله تعالى (**قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ اْلاَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ اِلَى قَوْمٍ اُولِي بَاْسٍ شَدِيد تُقَاتِلُونَهُمْ اَوْ يُسْلِمُونَ فَاِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ اَجْرًا حَسَنًا وَاِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا اَلِيمًا** * الفتح: ١٦) (أخرج) ابن أبي حاتم عن جويبر ان هؤلاء القوم هم بنو حنيفة ومن ثم قال ابن أبي حاتم وابن قتيبة وغيرهما هذه الآية حجة على خلافة الصديق لأنه الذي دعا إلى قتالهم فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله إمام أهل السنة سمعت الإمام أبا العباس بن سريج يقول: الصديق في القرآن في هذه الآية قال لأن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا إليه إلاّ دعاء أبي بكر لهم وللناس إلى قتال أهل الردة ومن منع الزكاة قال فدل ذلك على وجوب خلافة أبي بكر وافتراض طاعته إذ أخبر الله أن المتولي عن ذلك يعذب عذابا أليما. قال ابن كثير: ومن فسر القوم بأنهم فارس والروم فالصديق هو الذي جهز الجيوش إليهم وتمام أمرهم كان على يد عمر وعثمان وهما فرعا الصديق (فإن قلت) يمكن أن يراد بالداعي في الآية النبي صلى الله عليه وسلم أو علي (قلت) لا يمكن ذلك مع قوله تعالى. (**قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا** * الفتح: ١٥) ومن ثم لم يدعوا إلى محاربة في حياته صلى الله عليه وسلم إجماعا كما مر، وأما علي فلم يتفق له في خلافته قتال لطلب الإسلام أصلا بل لطلب الإمامة ورعاية حقوقها وأما من بعده فهم عندنا ظلمة وعندهم كفار فتعين أن ذلك الداعي الذي يجب باتباعه الأجر الحسن

وبعصيانه العذاب الأليم أحد الخلفاء الثلاثة وحينئذ فالألزم عليه حقية خلافة أبي بكر على كل تقدير لأن حقية خلافة الآخرين فرع عن حقية خلافته إذ هما فرعاها الناشئان عنها والمترتبان عليها[١] (ومن تلك الآيات أيضا) قوله تعالى (**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** * النور: ٥٥). قال ابن كثير: هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق (وأخرج) ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المهري قال: إن ولاية أبي بكر وعمر في كتاب الله. يقول الله تعالى (**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**)[٢] (ومنها) قوله تعالى (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** * الحشر: ٨). وجه الدلالة. أن الله تعالى سماهم صادقين ومن شهد له سبحانه وتعالى بالصدق لا يكذب فلزم أن ما أطبقوا عليه من قولهم لأبي بكر خليفة رسول الله صادقون فيه فحينئذ كانت الآية ناصة على خلافته. أخرجه الخطيب عن أبي بكر بن عياش وهو استنباط حسن كما قاله ابن كثير (ومنها) قوله تعالى (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** * الفاتحة: ٧). قال الفخر الرازي هذه الآية تدل على إمامة أبي بكر رضي الله تعالى عنه لأنه ذكر أن تقدير الآية اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم. والله تعالى قد بين في الآية الأخرى أن الذين أنعم عليهم من هم بقوله تعالى: (**أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ** * النساء: ٦٩). ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر رضي الله

---

(١) وما يذكره الشيعة من أن المراد بالداعي للقتال هو علي قد رده ابن تيمية والذهبي وعبد العزيز الدهلوي على قائله ابن المطهر الحلي: بأن المقاتلة على التأويل التي كانت من علي ليست مراد الآية بل المراد المقاتلة على الإسلام وما كان في زمن علي إنما كان على طاعة الإمام

(٢) وإن كانت تنطبق على خلافة الخلفاء الثلاثة لحصول الأمن وإزالة الخوف وتقوية الدين في خلافتهم والوعد بالاستخلاف هو الخلافة والإمامة فأبوبكر مستخلف وخليفة وإمام بل و لم يقع شيء مما وعد الله به في خلافة علي

عنه فكأن معنى الآية أن الله تعالى أمر أن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر وسائر الصديقين ولو كان أبو بكر رضي الله عنه ظالما لما جاز الاقتداء به فثبت مما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبي بكر رضي الله عنه انتهى.

(وأما النصوص الواردة عنه) صلى الله عليه وسلم
المصرحة بخلافته والمشيرة إليها فكثيرة جدا

(الأول) أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم قال أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه فقالت أرأيت إن جئت و لم أجدك كانها تقول الموت قال (**إن لم تجديني فأت أبا بكر**) (وأخرج) ابن عساكر عن ابن عباس قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله شيئا فقال لها (**تعودين**) فقالت يا رسول الله إن عدت فلم أجدك تعرض بالموت فقال (**إن جئت فلم تجديني فأت أبا بكر الخليفة من بعدي**) **(الثاني)** أخرج أبو القاسم البغوي بسند حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**يكون خلفي اثنا عشر خليفة أبو بكر لا يلبث الاّ قليلا**) قال الائمة، صدر هذا الحديث مجمع على صحته وارد من طرق عدة أخرجه الشيخان وغيرهما فمن تلك الطرق. (**لا يزال هذا الأمر عزيزا ينصرون على من ناوأهم عليه إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش**) رواه عبد الله بن أحمد بسند صحيح ومنها (**لا يزال هذا الأمر صالحا**) ومنها (**لا يزال هذا الأمر ماضيا**) رواهما أحمد ومنها (**لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا**) ومنها (**ان هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة**) ومنها (**لا يزال الإسلام عزيزا منيعا إلى اثني عشر خليفة**) رواها مسلم، ومنها للبزار (**لا يزال أمر أمتي قائما حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**) زاد أبو داود فلما رجع إلى مترله أتته قريش فقالوا ثم يكون ما ذا قال (**ثم يكون الهرج**) ومنها لأبي داود (**لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة**). وعن ابن مسعود بسند حسن أنه سئل كم يملك هذه الأمة من خليفة فقال سألنا عنها رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال (**اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل**) * قال القاضي عياض لعل المراد بالإثني عشر في هذه الأحاديث وما شاهها أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني أمية ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد ابن يزيد فاتصلت تلك الفتن بينهم الى أن قامت الدولة العباسية فاستأصلوا أمرهم * قال شيخ الإسلام في فتح الباري كلام القاضي هذا أحسن ما قيل في هذا الحديث وأرجحه لتأييده بقوله في بعض طرقه الصحيحة كلهم يجتمع عليه الناس والمراد باجتماعهم انقيادهم لبيعته والذي اجتمعوا عليه الخلفاء الثلاثة ثم علي إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة ثم اجتمعوا عليه عند صلح الحسن ثم على ولده يزيد و لم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك * ثم لما مات يزيد اختلفوا إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بعد قتل ابن الزبير ثم على أولاده الأربعة الوليد فسليمان فيزيد فهشام. وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين والثاني عشر الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمعوا عليه لما مات عمه هشام فولى نحو أربع سنين ثم قاموا عليه فقتلوه وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ و لم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك لوقوع الفتن بين من بقى من بني أمية ولخروج المغرب الأقصى عن العباسيين بتغلب المروانيين على الاندلس الى أن تسموا بالخلافة وانفرط الأمر الى أن لم يبق في الخلافة إلاّ الاسم بعد أن كان يخطب لعبد الملك في جميع أقطار الأرض شرقا وغربا يمينا وشمالا غلب عليه المسلمون ولا يتولى أحد في بلد إمارة في شيء إلا بأمر الخليفة[١]

(١) ذكر السيوطي بعد هذه العبارة قوله: ومن انفراط الأمر أنه كان في المائة الخامسة بالأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمي بالخلافة ومعهم صاحب مصر العبيدي والعباسي ببغداد خارجا عما كان يدعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج. قال السيوطي: قال يعني ابن حجر في الفتح: فعلى هذا التأويل يكون المراد بقوله (**ثم الهرج**) يعني القتل الناشيء عن الفتن

وقيل المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى القيامة يعملون بالحق وإن لم يتوالوا[١] ويؤيده قول أبي الجلد كلهم يعمل بالهدى ودين الحق منهم رجلان من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم. فعليه المراد بالهرج الفتن الكبار كالدجال وما بعده وبالإثني عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز قيل ويحتمل أن يضم إليهم المهدي العباسي لأنه في العباسيين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين والطاهر العباسي أيضا لما أوتيه من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم. وحمل بعض المحدثين الحديث السابق على ما يأتي بعد المهدي لرواية ثم يلي الأمر بعد اثنا عشر رجلا ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين وآخر من غيرهم لكن سيأتي في الكلام على الآية الثانية عشرة من فضائل أهل البيت أن هذه الرواية واهية جدا فلا يعول عليها (**الثالث**) أخرج أحمد وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**) وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء والحاكم من حديث ابن مسعود. وروى أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن حذيفة (**إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وتمسكوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوا**) والترمذي عن ابن مسعود والروياني عن حذيفة وابن عدي عن أنس (**اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود**) (**الرابع**) أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال: (**إن الله تبارك وتعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله**) فبكى أبو بكر وقال بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره

---

(١) قال السيوطي. يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم ويؤيد هذا ما أخرجه مسدد في مسنده الكبير عن أبي الجلد أنه قال: (**لا تهلك هذه الأمة حتى يكون منها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى**) الخ

الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن إخوة الإسلام ومودته لا يبقين باب إلاّ سد إلاّ باب أبي بكر**) وفي لفظ لهما (**لا يبقين في المسجد خوخة إلاّ خوخة أبي بكر**) وفي آخر لعبد الله بن أحمد. (**أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر**). وفي آخر للبخاري: (**ليس في الناس أحد أمن عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن خلة الإسلام أفضل. سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر**) وفي آخر لابن عدي (**سدوا هذه الأبواب الشارعة في المسجد إلاّ باب أبي بكر**). وطرقه كثيرة منها عن حذيفة وأنس وعائشة وابن عباس ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهم.

قال العلماء في هذه الأحاديث إشارة إلى خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه لأن الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد لشدة احتياج الناس إلى ملازمته له للصلاة بهم وغيرها (**الخامس**) أخرج الحاكم وصححه عن أنس قال بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك فأتيته فسألته فقال (**إلى أبي بكر**) ومن لازم دفع الصدقة إليه كونه خليفة اذ هو المتولي قبض الصدقات (**السادس**) أخرج مسلم عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه (**ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون الاّ أبا بكر**) وأخرجه أحمد وغيره من طرق عنها وفي بعضها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه (**ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه أحد**) ثم قال (**دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر**) وفي رواية عن عبد الله بن أحمد (**أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر** (**السابع**) أخرج

الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه فقال (**مروا أبا بكر فليصل بالناس**) قالت عائشة يا رسول الله إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس فقال (**مري أبا بكر فليصل بالناس**) فعادت فقال (**مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف**) فأتاه الرسول فصلّى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أنها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يأمر عمر فقالت له فأبى حتى غضب وقال (**أنتن**) أو (**إنكن**) أو (**لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر**).

واعلم أن هذا الحديث متواتر فإنه ورد من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن زمعة وأبي سعيد وعلي بن أبي طالب وحفصة. وفي بعض طرقه عن عائشة. لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلاّ أنّه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلاّ تشاءم الناس به فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر. وفي حديث ابن زمعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لا لا لا يأبى الله والمسلمون إلاّ أبا بكر**) فيصلي بالناس أبو بكر وفي رواية عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له (**أخرج وقل لأبي بكر يصلي بالناس**) فخرج فلم يجد على الباب إلاّ عمر في جماعة ليس فيهم أبو بكر فقال يا عمر صل بالناس فلما كبر وكان صيتا وسمع صلى الله عليه وسلم صوته قال (**يأبى الله والمسلمون إلاّ أبا بكر يأبى الله والمسلمون إلاّ أبا بكر يأبى الله والمسلمون إلاّ أبا بكر**) وفي حديث ابن عمر كبر عمر فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيره فأطلع رأسه مغضبا فقال (**أين ابن أبي قحافة**). قال العلماء في هذا الحديث أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالإمامة قال الأشعري قد علم بالضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر

الصديق أن يصلي بالناس مع حضور المهاجرين والأنصار مع قوله (**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**) فدل على أنه كان أقرأهم أي أعلمهم بالقرآن انتهى. وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على أنه أحق بالخلافة منهم عمر ومر كلامه في فضل المبايعة ومنهم علي فقد أخرج ابن عساكر عنه لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا.

قال العلماء وقد كان معروفا بأهلية الإمامة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم (وأخرج) أحمد وأبو داود وغيرهما عن سهل بن سعد قال: كان قتال بين بني عمرو بن عوف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال (**يا بلال إن حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس**) فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة ثم أمر أبا بكر فصلى. ووجه ما تقرر من أن الأمر بتقديمه للصلاة كما ذكر فيه الإشارة أو التصريح بأحقيته بالخلافة أن القصد الذاتي من نصب الإمام العالم إقامة شعائر الدين على الوجه المأمور به من أداء الواجبات وترك المحرمات وإحياء السنن وإماتة البدع وأما الأمور الدنيوية وتدبيرها كاستيفاء الأموال من وجوهها وإيصالها لمستحقها ودفع الظلم ونحو ذلك فليس مقصودا بالذات بل ليتفرغ الناس لأمور دينهم إذ لا يتم تفرغهم له إلاّ إذا انتظمت أمور معاشهم بنحو الأمن على الأنفس والأموال ووصول كل ذي حق إلى حقه فلذلك رضي النبي صلى الله عليه وسلم لأمر الدين وهو الإمامة العظمى أبا بكر بتقديمه للإمامة في الصلاة كما ذكرنا ومن ثم أجمعوا على ذلك كما مر (وأخرج) ابن عدي عن أبي بكر بن عياش قال قال لي الرشيد يا أبا بكر كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق قلت يا أمير المؤمنين سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون قال والله ما زدتني إلاّ عماء قلت يا أمير المؤمنين مرض النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام فدخل عليه بلال فقال يا رسول الله من يصلي بالناس قال (**مر أبا بكر يصلي بالناس**) فصلى أبو بكر

بالناس ثمانية أيام والوحي يترل عليه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكوت الله وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبه فقال بارك الله فيك (**الثامن**) أخرج ابن حبان عن سفينة لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع في البناء حجرا قال لأبي بكر (**ضع حجرك إلى جنب حجري**) ثم قال لعمر (**ضع حجرك إلى جنب حجر أبي بكر**) ثم قال لعثمان (**ضع حجرك إلى جنب حجر عمر**) ثم قال (**هؤلاء الخلفاء بعدي**). قال أبو زرعة إسناده لا بأس به وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في الدلائل وغيرهما. وقوله لعثمان ما ذكر يرد على من زعم أن هذا إشارة إلى قبورهم. على أن قوله آخر الحديث هؤلاء الخلفاء بعدي صريح فيما أفاده الترتيب الأول أن المراد به ترتيب الخلافة (**التاسع**) أخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**رأيت كأني أنزع بدلو بكرة**) (بسكون الكاف) (**على قليب**) (أي بئر) (**لم تطو فجاء أبو بكر فترع ذنوبا**) أي بفتح المعجمة (**دلوا ممتلئة ماء أو قريبة من ملئه أو ذنوبين نزعا ضعيفا والله يغفر له ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غربا**) (أي دلوا عظيما) (**فلم أر عبقريا**). أي رجلا قويا شديدا. (**من الناس بفري فريه**) (أي يعمل عمله) (**حتى روى الناس وضربوا بعطن**) (والعطن ما تناخ فيه الإبل إذا رويت) وفي رواية لهما (**بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فترعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فترع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس يترع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن**) وفي أخرى لهما (**بينا أنا على بئر أنزع منها إذ جاءني أبو بكر وعمر فأخذ أبو بكر الدلو فترع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف يغفر الله له ضعفه ثم أخذ ابن الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده غربا فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن**) وفي رواية (**فلم يترع حتى تولى الناس والحوض يتفجر**) وفي رواية (**فأتاني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي ليريحني**) وفي رواية

(**رأيت الناس اجتمعوا فقام أبو بكر فترع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف**) إلى أخره * قال النووي في تهذيبه قال العلماء هذا إشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر وكثرة الفتوح وظهور الإسلام في زمن عمر وقال في غيره هذا المنام مثال ما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لأنه صاحب الأمر فقام به أكمل مقام وقرر قواعد الدين ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع الإسلام في زمنه فشبه أمر المسلمين بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم وأميرهم بالمستسقى منها لهم وفي قوله فأخذ أي أبو بكر الدلو من يدي ليريحني اشارة الى خلافة أبي بكر بعد موته صلى الله عليه وسلم لأن الموت راحة من كد الدنيا وتعبها فقام أبو بكر بتدبير أمر الأمة ومعاناة أحوالهم وأما قوله وفي نزعه ضعف فهو إخبار عن حاله في قصر مدة ولايته وأما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة الإسلام بكثرة الفتوح وتمصير الأمصار وتدوين الدواوين وليس في قوله صلى الله عليه وسلم ويغفر الله له نقص ولا إشارة الى أنه وقع ذنب وإنما هي كلمة كانوا يقولونها عند الاعتناء بالأمر (وأخرج) أحمد وأبو داود عن سمرة بن جندب أن رجلا قال يا رسول الله رأيت كأن دلوا أدلى من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بها وشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بها فشرب حتى تضلع ثم علي فانتشطت (أي اجتذبت ورفعت) فانتضح عليه منها شيء (**العاشر**) أخرج أبو بكر الشافعي في الغيلانيات وابن عساكر عن حفصة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنت ترمت قدمت أبا بكر قال (**لست أنا أقدمه ولكن الله قدمه**) (**الحادي عشر**) أخرج أحمد عن سفينة وأخرجه أيضا أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (**الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك**) وفي رواية (**الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا**) أي يصيب الرعية فيه عنف وظلم كأنهم يعضون فيه عضا *

قال العلماء لم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم إلاّ الخلفاء الأربعة وأيام الحسن * ووجه الدلالة منه أنه حكم بحقية الخلافة عنه في أمر الدين هذه المدة دون ما بعدها وحينئذ فيكون هذا دليلا واضحا في حقية خلافة كل من الخلفاء الأربعة وقيل لسعيد بن جمهان إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقال كذب بنور زرقاء بل هم ملوك من شر الملوك (**فإن قلت**) ينافي هذا خبر إلاثنى عشر خليفة السابق (**قلت**) لا ينافيه لأن أل هنا للكمال فيكون المراد هنا الخلافة الكاملة ثلاثون سنة وهي منحصرة في الخلفاء الأربعة والحسن لأن مدته هي المكملة للثلاثين والمراد ثم مطلق الخلافة التي فيها كمال وغيره لما مر أن من جملتهم نحو يزيد بن معاوية وعلى القول الثاني السابق ثم فليس الخلفاء المذكورون على هذا القول حاوين من الكمال ما حواه الخمسة (**الثاني عشر**) أخرج الدارقطني والخطيب وابن عساكر عن علي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (**سألت الله أن يقدمك ثلاثا فأبى عليّ إلاّ تقديم أبي بكر**) (**الثالث عشر**) أخرج ابن سعد عن الحسن قال أبو بكر يا رسول الله ما أزال أراني أطأ في غدرات الناس. قال (**لتكونن من الناس بسبيل**). قال ورأيت في صدري كالرقتين. قال (**سنتين**) (**الرابع عشر**) أخرج البزار بسند حسن عن أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن أول دينكم بدء نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا**) وجبرية وجه الدلالة منه أنه أثبت لخلافة أبي بكر أنها خلافة ورحمة أذ هي التي وليت مدة النبوة والرحمة وحينئذ فيلزم حقيتها ويلزم من حقيتها حقية خلافة بقية الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم (وأخرج) ابن عساكر عن أبي بكرة قال أتيت عمر وبين يديه قوم يأكلون فرمى ببصره في مؤخر القوم إلى رجل فقال ما تجد فيما يقرأ قبلك من الكتب قال خليفة النبي صلى الله عليه وسلم صديقه (وأخرج) ابن عساكر عن محمد بن الزبير قال أرسلني عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصري أسأله عن أشياء فجئته فقلت له اشفني فيما اختلف فيه الناس هل كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم استخلف أبا بكر فاستوى الحسن قاعدا فقال أو في شك هو لا أبا لك أي والله الذي لا إله الاّ هو لقد استخلفه ولهو كان أعلم بالله وأتقى له وأشد له مخافة من أن يموت علها لو لم يؤمره.

الفصل الرابع

(في بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم هل نص على خلافة أبي بكر)

(اعلم) أنهم اختلفوا في ذلك. ومن تأمل الأحاديث التي قدمناها علم من أكثرها أنه نص عليها نصا ظاهرا. وعلى ذلك جماعة من المحدثين[١] وهو الحق وقال جمهور أهل السنة والمعتزلة والخوارج لم ينص على أحد[٢] ويؤيدهم ما أخرجه البزار في مسنده عن حذيفة قال قالوا يا رسول الله ألا تستخلف علينا قال: (**إني إن استخلف عليكم فتعصون خليفتي يترل عليكم العذاب**) وأخرجه الحاكم في المستدرك لكن في سنده ضعف[٣] وما أخرجه الشيخان عن عمر أنه قال حين طعن. إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني (يعني أبا بكر) وان أترككم فقد ترككم من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما أخرجه أحمد والبيهقي بسند حسن عن علي[٤] أنه لما ظهر علي يوم الجمل قال أيها الناس إن رسول الله صلى الله

---

(١) قال ابن حزم في نقط العروس في أبي بكر: والذي أدين الله به أنه ولى الخلافة بعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونص عليه لإجماع أهل الإسلام على تسميته خليفة رسول الله ولم يسم أحد بهذا الاسم أحدا غيره ولا من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ولا من استخلفه على الصلوات في غزواته وحجته ثم روى قصة المرأة السابقة وفيها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: فأبو بكر فهو نص - وفي التراتيب الإدارية للكتاني عن حلو لو شارح جمع الجوامع قوله: غير أنه لا نص صريح على خلافة أبي بكر وإلاّ لما وقع التردد يوم السقيفة

(٢) قال في شرح المقاصد: والظاهر ما ذكره المتكلمون من أن هذا المذهب أي النص الجلي مما وضعه هشام بن الحكم ونصره ابن الراوندي وأبو عيسى الوراق واضرابهم ثم رواه أسلافهم الروافض شغفا بتقرير مذهبهم. وحكي القول بالنص الخفي عن الحسن البصري وذكر الفخر الرازي أنه لم ينقل عن علي ذكر النص في شيء من خطبه ولا نعرفه إلاّ عن الكذابين ولو كان موجودا لعلمناه ولاشتهر

(٣) الضعف فيه من شريك القاضي. وقد لينه الذهبي واتهمه بالتشيع. ومن أبي اليقظان واسمه عثمان بن عمير

(٤) وفي السيوطي عن عمر بن عثمان

عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئا حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه ثم إن أقواما طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها. والجران بكسر الجيم باطن عنق البعير يقال ضرب بجرانه الشيء أي استقر وثبت (وأخرج) الحاكم وصححه أنه قيل لعلي ألا تستخلف علينا فقال ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم. وما أخرجه ابن سعد عن علي أيضا قال قال علي لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي صلى الله عله وسلم قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا فقدمنا أبا بكر وقول البخاري في تاريخه روي عن ابن جمهان عن سفينة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر وعثمان (**هؤلاء الخلفاء بعدي**) قال البخاري و لم يتابع على هذا لأن عمر وعليا وعثمان قالوا لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ومر أن هذا الحديث أعني قوله (**هؤلاء الخلفاء بعدي**) صحيح ولا منافاة بين القول بالاستخلاف والقول بعدمه لأن مراد من نفاه أنه لم ينص عند الموت على استخلاف أحد بعينه ومراد من أثبته أنه صلى الله عليه وسلم نص عليه وأشار اليه قبل ذلك ولا شك أن النص على ذلك قبل قرب الوفاة يتطرق إليه الاحتمال وإن بعد بخلافه عند الموت فلذلك نفي الجمهور كعلي وعمر وعثمان الاستخلاف ويؤيد ذلك قول بعض المحققين من متأخري الأصوليين معنى لم ينص عليها لأحد لم يأمر بها لأحد على أنه قد يؤخذ مما في البخاري عن عثمان أن خلافة أبي بكر منصوص عليها والذي فيه في هجرة الحبشة عنه من جملة حديث أنه قال وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعته ووالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله ثم استخلف الله أبا بكر فو الله ما عصيته ولا غششته ثم استخلف عمر فو الله ما عصيته ولا غششته الحديث * فتأمل قوله في أبي بكر ثم استخلف الله أبا بكر وفي عمر ثم

استخلف عمر تعلم دلالته على ما ذكرته من النص على خلافة أبي بكر وإذا أفهم كلامه هذا ذلك مع ما مر عنه من أنها غير منصوص عليها تعين الجمع بين كلاميه بما ذكرناه وكان اشتمال كلاميه على ذينك مؤيدا للجمع الذي قدمناه وعلى كل فهو صلى الله عليه وسلم كان يعلم لمن هي بعده باعلام الله له ومع ذلك فلم يؤمر بتبليغ الأمة النص على واحد بعينه عند الموت وإنما وردت عنه ظواهر تدل على أنه علم بإعلام الله له أنها لأبي بكر فأخبر بذلك كما مر وإذا أعلمها فإما أن يعلمها علما واقعا موافقا للحق في نفس الأمر أو أمرا واقعا مخالفا له وعلى كل حال لو وجب على الأمة مبايعة غير أبي بكر لبالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ ذلك الواجب إليهم بأن ينص عليه نصا جليا ينقل مشتهرا حتى يبلغ الأمة ما لزمهم ولما لم ينقل كذلك مع توفر الدواعي على نقله دل على أنه لا نص. وتوهم أن عدم تبليغه لعلمه بأنهم لا يأتمرون بأمره فلا فائدة فيه باطل فإن ذلك غير مسقط لوجوب التبليغ عليه ألا ترى أنه بلغ سائر التكاليف للآحاد مع الذين علم منهم أنهم لا يأتمرون فلم يسقط العلم بعدم ائتمارهم التبليغ عنه واحتمال أنه بلغ أمر الإمامة سرا واحدا واثنين ونقل كذلك لا يفيد لأن سبيل مثله الشهرة لصيرورته بتعدد التبليغ وكثرة المبلغين أمرا مشهورا إذ هو من أهم الأمور لما يتعلق به من مصالح الدين والدنيا كما مر مع ما فيه من دفع ما قد يتوهم من إثارة فتنة واحتمال أنه بلغه مشتهرا و لم ينقل أو نقل و لم يشتهر فيما بعد عصره باطل أيضا إذ لو اشتهر لكان سبيله أن ينقل نقل الفرائض لتوفر الدواعي على نقل مهمات الدين فالشهرة هنا لازمة لوجود النص فحيث لا شهرة لا نص بالمعنى المتقدم لا لعلي ولا لغيره فلزم من ذلك بطلان ما نقله الشيعة وغيرهم من الأكاذيب وسودوا به أوراقهم من نحو خبر: أنت الخليفة من بعدي وخبر سلموا على علي بإمرة المؤمنين وغير ذلك مما يأتي. إذ لا وجود لما نقلوه فضلا عن اشتهاره كيف وما نقلوه لم يبلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها إذ لم يصل علمه لأئمة الحديث المثابرين على التنقيب عنه كما اتصل لهم كثير مما ضعفوه.

وكيف يجوز في العادة أن ينفرد هؤلاء بعلم صحة تلك الآحاد مع أنهم لم يتصفوا قط برواية ولا بصحبة محدث ويجهل تلك الآحاد مهرة الحديث وسباقه الذين أفنوا أعمارهم في الرحلات والأسفار البعيدة وبذلوا جهدهم في طلبه وفي السعي إلى كل من ظنوا عنده قليلا منه فلذلك قضت العادة المطردة القطعية بكذبهم واختلاقهم فيما زعموه من نص على علي صح آحادا عندهم مع عدم اتصافهم برواية حديث ولا صحبة لمحدث كما تقرر. نعم روى آحادا خبر (**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**). وخبر (**من كنت مولاه فعلي مولاه**). وسيأتي الجواب عنهما واضحا مبسوطا وأنه لا دلالة لواحد منهما على خلافة علي لا نصا ولا إشارة وإلا لزم نسبة جميع الصحابة إلى الخطإ وهو باطل لعصمتهم من أن يجتمعوا على ضلالة فإجماعهم على خلاف ما زعمه أولئك المبتدعة الجهال قاطع بأن ما توهموه من هذين الحديثين غير مراد أن لو فرض احتمالهما لما قالوه فكيف وهما لا يحتملانه كما يأتي * فظهر أن ما سودوا به أوراقهم من تلك الآحاد لا تدل لما زعموه واحتمال أن ثم نصا غير ما زعموه يعلمه علي أو أحد المهاجرين أو الأنصار باطل أيضا وإلا لأورده العالم به يوم السقيفة حين تكلموا في الخلافة أو فيما بعده لوجوب إيراده حينئذ. وقولهم: ترك علي إيراده مع علمه تقية باطل إذ لا خوف يتوهمه من له أدنى مسكة وإحاطة بعلم أحوالهم في مجرد ذكره لهم ومنازعته في الإمامة به كيف وقد نازع من هو أضعف منه وأقل شوكة ومنعة من غير أن يقيم دليلا على ما يقوله. ومع ذلك فلم يؤذ بكلمة فضلا عن أن يقتل فبان بطلان هذه التقية المشؤمة عليهم سيما وعلى قد علم بواقعة الحباب وبعدم إيذائه بقول أو فعل مع أن دعواه لا دليل عليها ومع ضعفه وضعف قومه بالنسبة لعلي وقومه. وأيضا فيمتنع عادة من مثلهم أنه يذكره لهم ولا يرجعون إليه كيف وهم أطوع لله وأعمل بالوقوف عند حدوده وأبعد عن اتباع حظوظ النفس لعصمتهم السابقة وللخبر الصحيح (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم**) وأيضا ففيهم العشرة المبشرون بالجنة ومنهم أبو عبيدة أمين هذه الأمة كما

صح من طرق فلا يتوهم فيهم وهم بهذه الأوصاف الجليلة أنهم يتركون العمل بما يرويه لهم من تقبل روايته بلا دليل أرجح يعولون عليه معاذ الله أن يجوز ذلك عليهم شرعا أو عادة إذ هو خيانة في الدين وإلاّ لارتفع الأمان في كل ما نقلوه عنه من القرآن والأحكام و لم يجزم بشيء من أمور الدين مع أنه بجميع أصوله وفروعه إنما أخذ منهم على أن في نسبة علي إلى الكتم غاية نقص له لما يلزم عليه من نسبته وهو أشجع الناس الى الجبن والظلم. ولهذا التوهم كفره بعض الملحدين كما يأتي فعلم مما تقرر جميعه أنه لا نص على إمامة علي حق ولا بالإشارة، وأما أبو بكر فقد علمت النصوص السابقة المصرحة بخلافته وعلى فرض أن لا نص عليه أيضا ففي إجماع الصحابة عليها غنى عن النص إذ هو أقوى منه لأن مدلوله قطعي ومدلول خبر الواحد ظني وأما تخلف جمع كعلي والعباس والزبير والمقداد عن البيعة وقت عقدها فمر الجواب عنه مستوفى، وحاصله مع الزيادة، أن أبا بكر أرسل إليهم بعد فجاؤا فقال للصحابة هذا علي ولا بيعة لي في عنقه وهو بالخيار في أمره ألا فأنتم بالخيار جميعا في بيعتكم إياي فإن رأيتم لها غيري فأنا أول من يبايعه فقال علي لا نرى لها أحدا غيرك فبايعه هو وسائر المتخلفين.

الفصل الخامس

في ذكر شبه الشيعة والرافضة ونحوهما وبيان بطلانها بأوضح الأدلة وأظهرها

(الأولى) زعموا أنه صلى الله عليه وسلم لم يول أبا بكر عملا يقيم فيه قوانين الشرع والسياسة فدل ذلك على أنه لا يحسنهما وإذا لم يحسنهما لم تصح إمامته لأن من شرط الإمام أن يكون شجاعا (والجواب عن ذلك) بطلان ما زعموه من أنه صلى الله عليه وسلم لم يوله عملا. ففي البخاري عن سلمة بن الأكوع، غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات مرة علينا أبو بكر ومرة علينا أسامة، وولاه صلى الله عليه وسلم الحج بالناس سنة تسع وما زعموه من أنه لا يحسن ذلك باطل أيضا كيف وعلي كرم الله

وجهه معترف بأنه أشجع الصحابة. فقد أخرج البزار في مسنده عن علي أنه قال: أخبروني من أشجع الناس قالوا أنت قال أما إني ما بارزت أحدا إلاّ انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فو الله ما دنا منا أحد إلاّ أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي إليه أحد إلاّ أهوى إليه فهذا أشجع الناس، قال علي ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش فهذا يجيئه وهذا يتلتله وهم يقولون أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا قال فو الله ما دنا منا أحد إلاّ أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبوني فو الله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذلك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه (وأخرج) البخاري عن عروة بن الزبير سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت: عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم (وأخرج) ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال: لما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة: قال تباشرت الملائكة يوم بدر: فقالوا أما ترون أن أبا بكر الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش. وأخرج أحمد وأبو يعلى والحاكم عن علي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولأبي بكر **(مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل)**: قال بعضهم ومن الدليل على أنه أشجع من علي أن عليا أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بقتله على يد أبن ملجم فكان إذا

لقي ابن ملجم يقول له متى تخضب هذه من هذه وكان يقول إنه قاتلي كما يأتي في أواخر ترجمته، فحينئذ كان إذا دخل الحرب ولاقى الخصم يعلم أنه لا قدرة له على قتله فهو معه كأنه نائم على فراش، وأما أبو بكر فلم يخبر بقاتله فكان إذا دخل الحرب لا يدري هل يقتل أم لا، فمن يدخل الحرب وهو لا يدري ذلك يقاسي من الكر والفر والجزع والفزع ما يقاسي بخلاف من يدخلها كأنه نائم على فراشه انتهى (ومن) باهر شجاعته ما وقع له في قتال أهل الردة، فقد أخرج الإسماعيلي عن عمر لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد من ارتد من العرب وقالوا لا نصلي ولا نزكي فأتيت أبا بكر: فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فإنهم بمنزلة الوحش: فقال رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك جبارا في الجاهلية خوارا في الإسلام بما ذا شئت أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفتري هيهات هيهات مضى النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالا قال عمر فوجدته في ذلك أمضى مني وأصرم، وأدب الناس على أمور هانت على كثير من مؤنتهم حين وليتهم.

فعلم بما تقرر عظم شجاعته: ولقد كان عنده صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة من العلم بشجاعته وثباته في الأمر ما أوجب لهم تقديمه للإمامة العظمى إذ هذان الوصفان هما الأهمان في أمر الإمامة لا سيما في ذلك الوقت المحتاج فيه إلى قتال أهل الردة وغيرهم. ومن الدليل على اتصافه بهما أيضا قوله كما في الصحيح في صلح الحديبية لعروة بن مسعود الثقفي حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم كأني بك وقد فر عنك هؤلاء امصص بظر اللات أنحن نفر عنه أو ندعه استبعاد أن يقع ذلك.

قال العلماء وهذا مبالغة من أبي بكر في سب عروة فإنه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام أمته وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبته إلى الفرار - والبظر بموحدة مفتوحة فمعجمة ساكنة قطعة تبقى بفرج المرأة بعد الختان واللات اسم صنم - والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم.

فانظر كيف نطق لهذا الكافر الشديد القوة والمنعة حينئذ بهذا السب الذي لا سب فوقه عند العرب ولم يخش شوكته مع قوتها بحيث صدوا النبي صلى الله عليه وسلم عن دخول مكة ذلك العام ووقع الصلح على أن يدخلها من العام القابل ولم يجسر أحد من الصحابة غير الصديق على أن يتفوه لعروة بكلمة مع أنه نسبهم أجمعين إلى الفرار وإنما أجابه الصديق فقط فدل ذلك على أنه أشجعهم كما مر عن علي (ومن) شجاعته العظمى قتاله لمانعي الزكاة وعزمه عليه ولو وحده كما قدمته مبسوطا أول الفصل الثالث ومختصرا آنفا فراجعه (ومن ذلك أيضا) قتاله مسيلمة اللعين وقومه بني حنيفة مع أن الله وصفهم بأنهم أولوا بأس شديد بناء على أن الآية نزلت فيهم كما قاله جمع من المفسرين منهم الزهري والكلبي (ومن ذلك أيضا) ثباته عند مصادمة المصائب المدهشة التي تذهل الحكيم لعظمها كثباته حين دهش الناس لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم ذهلوا حتى عمر وهو مزهو في الثبات فجزم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يمت وقال من زعم ذلك ضربت عنقه حتى قدم أبو بكر من مسكنه بالعوالي فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وكشف عن وجهه فعرف أنه مات فأكب عليه يقبله ويبكي ثم خرج اليهم فاستسكت عمر عن قوله فأبى لما هو فيه من الدهش فتركه وتكلم فانحازوا إليه لعلمهم بعلو شأنه وتقدمه فخطبهم: فقال أما بعد. فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم قرأ (**وَمَا مُحَمَّدٌ اِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ اَفَاِنْ مَاتَ اَوْقُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى اَعْقَابِكُمْ** * آل عمران: ١٤٤): رواه البخاري[١] وغيره فحينئذ صدقوا بوفاته وكرروا هذه الآية كأنهم لم يسمعوها قبل لعظيم ما استولى عليهم من الدهش ومن ثم كان أسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا. فقد أخرج تمام وابن عساكر (**أتاني جبريل فقال إن الله يأمرك ان تستشير أبا بكر**). والطبراني وأبو

(١) وقد تابع في خلافته الفتوح وطهر جزيرة العرب من الشرك وأجلا الروم عن الشام وأطرافها وطرد فارس عن حدود السواد وأطراف العراق مع قوتهم وشوكتهم ووفور أموالهم وانتظام أحوالهم

نعيم وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يسرح معاذا إلى اليمن استشار ناسا من أصحابه فيهم أبو بكر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وأسيد بن حضير فتكلم القوم كل إنسان برأيه. فقال (**ما ترى يا معاذ**) فقلت أرى ما قال أبو بكر. فقال صلى الله عليه وسلم (**إن الله يكره أن يخطأ أبو بكر**) (وأخرج الطبراني) بسند رجاله ثقات (**إن الله يكره أن يخطأ أبو بكر**) فهذا دليل على أنه أكملهم عقلا ورأيا بل وعلى أنه أعلمهم ولا مرية في ذلك.

فثبت بهذه الأدلة عظم شجاعته وثباته وكمال عقله ورأيه وعلمه ومن ثم قال العلماء إنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم الى أن توفي لم يفارقه سفرا ولا حضرا إلاّ فيما أذن له في الخروج فيه من حج أو غزو وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في الله ورسوله وقام بنصرته في غير موضع وله الآثار الجميلة في المشاهد وثبت يوم أحد ويوم حنين وقد فر الناس انتهى فكيف مع ذلك كله ينسب إليه عدم شجاعة أو عدم ثبات في الأمر كلا بل له فيهما الغاية القصوى والاثار الحميدة التي لا تستقصى فرضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه (**الشبهة الثانية**) زعموا أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما ولاه قراءة براءة على الناس بمكة عزله وولى عليا فدل ذلك على عدم أهليته (وجوابها) بطلان ما زعموه هنا أيضا وإنما أتبعه عليا لقراءة براءة لأن عادة العرب في أخذ العهد ونبذه أن يتولاه الرجل أو أحد من بني عمه ولذلك لم يعزل أبا بكر عن إمرة الحج بل أبقاه أميرا وعليا مأمورا له فيما عدا القراءة على أن عليا لم ينفرد بالأذان بذلك. ففي صحيح البخاري أن أبا هريرة. قال بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد بن عبد الرحمن ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة. قال أبو هريرة فأذن معنا على يوم النحر في أهل منى ببراءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فتأمله تجد عليا إنما أذن مع مؤذني أبي بكر.

ومما يصرح بما ذكرناه أن أبا بكر لما جاء عليّ لم يعزل مؤذنيه فعدم عزله لهم وجعله إياهم شركاء لعلي صرح في أن عليا إنما جاء وفاء بعادة العرب التي قلناها لا لعزل أبي بكر وإلاّ لم يسع أبا بكر أن يبقى مؤذنيه يؤذنون مع علي. فاتضح بذلك ما قلناه وأنه لا دلالة لهم في ذلك بوجه من الوجوه غير ما يقترفونه من الكذب وينتحلونه من العناد والجهل (**الشبهة الثالثة**) زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ولاه الصلاة أيام مرضه عزله عنها (وجوابها) أن ذلك من قبائح كذبهم وافترائهم فقبحهم الله وخذلهم كيف وقد قدمنا في سابع الأحاديث الدالة على خلافته من الأحاديث الصحيحة المتواترة ما هو صريح في بقائه إماما يصلي إلى أن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن أنس قال إن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلاّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة قال أنس وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحا بالنبي صلى الله عليه وسلم فأشار إليهم صلى الله عليه وسلم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ثم قبض وقت الضحى من ذلك اليوم فتأمل عظيم افترائهم وحمقهم. على أن صلاته بالناس خلافة عنه صلى الله عليه وسلم متفق عليها ومجمع منا ومنهم على وقوعها فمن ادعى انعزاله عنها فعليه البيان ولا بيان عندهم وإنما الذي انطووا عليه خبائث الافتراء والبهتان: وعن ابن عباس وغيره لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته إلاّ خلف أبي بكر. وأما عبد الرحمن ابن عوف فصلى خلفه ركعة واحدة في سفر ولم يقل أحد قط أنه صلى خلف علي فهذه منقبة لأبي بكر أي منقبة وخصوصية أي خصوصية (**الرابعة**) زعموا أنه أحرق من قال أنا مسلم وقطع يد السارق اليسرى وتوقف في ميراث الجدة حتى روي له أن لها السدس وأن ذلك قادح في خلافته (وجوابها) بطلان زعمهم قدح ذلك في

خلافته. وبيانه أن ذلك لا يقدح إلاّ إذا ثبت أنه ليس فيه أهلية للاجتهاد وليس ذلك. بل هو من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق للأدلة الواضحة على ذلك (منها) ما أخرجه البخاري وغيره أن عمر في صلح الحديبية سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصلح قال علام نعطي الدنية في ديننا فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذهب الى أبي بكر فسأله عما سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يعلم بجواب النبي صلى الله عليه وسلم فأجابه بمثل ذلك الجواب سواء بسواء. (ومنها) ما أخرجه أبو القاسم البغوي وأبو بكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة قالت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرأب النفاق أي رفع رأسه وارتدت العرب وانحازت الأنصار فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها أي فتتها فما اختلفوا في لفظة إلاّ طار أبي بعبائها وفصلها قالوا أين ندفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وجدنا عند أحد في ذلك علما. فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**ما من نبي يقبض إلاّ دفن تحت مضجعه الذي مات فيه**)، واختلفوا في ميراثه فما وجدنا عند أحد في ذلك علما فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول (**إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**) قال بعضهم وهذا أول اختلاف وقع بين الصحابة فقال بعضهم ندفنه بمكة مولده ومنشئه وبعضهم بمسجده وبعضهم بالبقيع وبعضهم ببيت المقدس مدفن الأنبياء حتى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم قال ابن زنجويه وهذه سنة تفرد بها الصديق من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا إليه فيها ومر آنفا خبر (**أتاني جبريل فقال إن الله يأمرك أن تستشير أبابكر**) وخبر (**إن الله يكره أن يخطأ أبو بكر**) سنده صحيح وخبر (**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**) ومر أوّل الفصل الثالث خبر أنه وعمر كانا يفتيان الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعن تهذيب النووي أن أصحابنا استدلوا على عظيم علمه بقوله والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة الى آخره وأن الشيخ أبا إسحاق استدل به على

أنه أعلم الصحابة لأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسألة إلاّ هو ثم ظهر لهم أن قوله هو الصواب فرجعوا إليه.

لا يقال بل علي أعلم منه للخبر الآتي في فضائله (**أنا مدينة العلم وعلي بابها**).

لأنا نقول سيأتي أن ذلك الحديث مطعون فيه وعلى تسليم صحته أو حسنه فأبو بكر محرابها ورواية (**فمن أراد العلم فليأت الباب**) لا تقتضي الأعلمية فقد يكون غير الأعلم يقصد لما عنده من زيادة الإيضاح والبيان والتفرغ للناس بخلاف الأعلم على أن تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس (**أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها**) فهذه صريحة في أن أبا بكر أعلمهم وحينئذ فالأمر بقصد الباب إنما هو لنحو ما قلناه لا لزيادة شرفه على ما قبله لما هو معلوم ضرورة أن كلا من الأساس والحيطان والسقف أعلى من الباب * وشذ بعضهم فأجاب بأن معنى (**وعلي بابها**) أي من العلو على حد قراءة (**هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**) برفع علي وتنوينه كما قرأ به يعقوب (وأخرج) ابن سعد عن محمد بن سيرين وهو المقدم في علم تعبير الرؤيا بالاتفاق أنه قال كان أبو بكر أعبر هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم. وأخرج الديلمي وابن عساكر (**أمرت أن أولي الرؤيا يا أبا بكر**) ومن ثم كان يعبر الرؤيا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبحضرته فقد أخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبي بكر فقال:

(**رأيت كأني استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف**) قال يا رسول الله يقبضك الله إلى مغفرة ورحمة وأعيش بعدك سنتين ونصفا وكان كما عبر فقد عاش بعده سنتين وسبعة أشهر أخرجه الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما (وأخرج) سعيد بن منصور عن عمرو بن شرحبيل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**رأيتني في غنم سود ثم أردفتها غنم بيض حتى ما ترى السود فيها**) فقال أبو بكر يا رسول الله أما الغنم السود فإنها العرب يسلمون ويكثرون والغنم

البيض الأعاجم يسلمون حتى لا يرى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك سحر.

فثبت بجميع ما قررناه أنه من أكابر المجتهدين بل أكبرهم على الإطلاق. وإذا ثبت أنه مجتهد فلا عتب عليه في التحريق لأن ذلك الرجل كان زنديقا وفي قبول توبته خلاف، وأما النهي عن التحريق فيحتمل أنه لم يبلغه ويحتمل أنه بلغه وتأوله على غير نحو الزنديق وكم من أدلة تبلغ المجتهدين ويؤلونها لما قام عندهم لا ينكر ذلك إلاّ جاهل بالشريعة وحامليها وأما قطعه يسار السارق فيحتمل أنه خطأ من الجلاد ويحتمل أنه لسرقة ثالثة من أين لهم أنها للسرقة الأولى وأنه قال للجلاد اقطع يساره وعلى التنزل فالآية شاملة لما فعله فيحتمل أنه كان يرى بقاءها على إطلاقها وإن قطعه صلى الله عليه وسلم اليمني في الأولى ليس على الحتم بل الإمام خير في ذلك وعلى فرض إجماع في المسألة فيحتمل أنهم أجمعوا على ذلك بعده بنآء على انعقاد الإجماع في مثل ذلك وفيه خلاف محله كتب الأصول وقراءة -أيمانهما- يحتمل أنها لم تبلغه فعلى كل تقدير لا يتوجه عليه في ذلك عتب ولا اعتراض بوجه من الوجوه ثم رأيت أن الاحتمال الأول هو الحق الواقع فقد أخرج مالك رضي الله عنه عن القاسم بن محمد أن رجلا من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم فنزل على أبي بكر فشكا إليه أن عامل اليمن ظلمه فكان يصلي من الليل فيقول أبو بكر وأبيك ما ليلك بليل سارق ثم إنهم افتقدوا حليا لأسماء بنت عميس امرأة أبي بكر فجعل يطوف معهم ويقول اللّهمّ عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح فوجدوا الحلي عند صائغ زعم أن الأقطع جاءه به فاعترف الأقطع أو شهد عليه وأمر به أبو بكر فقطعت يده اليسرى وقال أبو بكر والله لدعاؤه على نفسه أشد عندي عليه من سرقته. فاتضح الأمر وبطلت شبهة المعاندين (وأما) توقفه في مسألة الجدة إلى أن بلغه الخبر فينبغي سياق حديثه فإن فيه أبلغ رد على المعترضين.

أخرج أصحاب السنن الأربعة ومالك عن قبيصة قال: جاءت الجدة إلى أبي

بكر الصديق تسأله ميراثها فقال: ما لك في كتاب الله وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئا فارجعي حتى أسأل الناس فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها أبو بكر! فتأمل هذا السياق تجده قاضيا بالكمال الأسنى لأبي بكر فإنه نظر أولا في القرآن وفي محفوظاته من السنة فلم يجد لها شيئا ثم استشار المسلمين يستخرج ما عندهم من شيء حفظوه من السنة فأخرج له المغيرة وابن مسلمة ما حفظاه فقضى به. وطلبه انضمام آخر إلى المغيرة احتياط فقط؛ إذ الرواية لا يشترط فيها تعدد وهذا يؤيد ما قدمناه عنه أنه كان إذا جاءه الخصم نظر في القرآن ثم فيما يحفظه من السنة يشاور فيه وهذا هو شأن المجتهدين على أنه غير بدعي من المجتهد أن يبحث عن مدارك الأحكام (وأخرج) الدارقطني عن القاسم بن محمد أن جدتين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما أم أم وأم أب فأعطى الميراث أم الأم فقال له عبد الرحمن بن سهل الأنصاري البدري أعطيت التي لو أنها ماتت لم ترثها فقسمه بينهما فتأمل رجوعه مع كماله إلى الحق لما رآه مع أصغر منه (**الخامسة**) زعموا أن عمر ذمه والمذموم من مثل عمر لا يصلح للخلافة (وجوابها) أن هذا من كذبهم وافترائهم أيضا و لم يقع من عمر ذم له قط وإنما الواقع منه في حقه غاية الثناء عليه واعتقاد أنه أكمل الصحابة علما ورأيا وشجاعة كما يعلم مما قدمناه عنه في قصة المبايعة وغيرها على أن إمامة عمر إنما هي بعهد أبي بكر إليه فلو قدح فيه لكان قادحا في نفسه وإمامته. وأما إنكاره على أبي بكر كونه لم يقتل خالد بن الوليد لقتله مالك بن نويرة، وهو مسلم ولتزوجه امرأته من ليلته ودخل بها فلا تستلزم ذما له ولا إلحاق نقص به لأن ذلك إنما هو من إنكار بعض المجتهدين على بعض في الفروع الاجتهادية وهذا كان شأن السلف وكانوا لا يرون فيه نقصا وإنما يرونه غاية الكمال على أن الحق عدم قتل خالد لأن مالكا ارتد ورد على قومه صدقاتهم لما بلغه وفاة رسول الله صلى الله عليه

وسلم كما فعل أهل الردة وقد اعترف أخو مالك لعمر بذلك. وتزوجه امرأته لعله لانقضاء عدهما بالوضع عقب موته أو يحتمل أهما كانت محبوسة عنده بعد انقضاء عدهما عن الأزواج على عادة الجاهلية وعلى كل حال فخالد أتقى لله من أن يظن به مثل هذه الرذالة التي لا تصدر من أدنى المؤمنين فكيف بسيف الله المسلول على أعدائه فالحق ما فعله أبو بكر لا ما اعترض به عليه عمر رضي الله تعالى عنهما ويؤيد ذلك أن عمر لما أفضت الخلافة إليه لم يتعرض لخالد و لم يعاتبه ولا تنقصه بكلمة في هذا الأمر قط فعلم أنه ظهر له حقيقة ما فعله أبو بكر فرجع عن اعتراضه وإلاّ لم يتركه عند استقلاله بالأمر لأنه كان أتقى لله من أن يداهن في دين الله أحدا (**الشبهة السادسة**) زعموا أن قول عمر إن بيعة أبي بكر كانت فلتة لكن وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[١] قادح في حقيقتها (وجوابها) أن هذه من غباوقمم وجهالاقمم إذ لا دلالة في ذلك لما زعموه لأن معناه أن الإقدام على مثل ذلك من غير مشورة الغير وحصول الاتفاق منه مظنة الفتنة فلا يقدمن أحد على ذلك على أني أقدمت عليه فسلمت على خلاف العادة ببركة صحة النية وخوف الفتنة لو حصل توان في هذا الأمر كما مر مبسوطا في فصل المبايعة (**السابعة**) زعموا أنه ظالم لفاطمة بمنعه إياها مخلف أبيها وأنه لا دليل له في الخبر الذي رواه. (**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**) لأن فيه احتجاجا بخبر الواحد مع معارضته لآية المواريث وفيه ما هو مشهور عند الأصوليين وزعموا أيضا أن فاطمة معصومة بنص (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ** * الأحزاب: ٣٣) وخبر: (**فاطمة بضعة مني**) وهو معصوم فتكون معصومة وحينئذ فيلزم صدق دعواها الإرث (وجوابها) أما عن الأول فهو لم يحكم بخبر الواحد الذي هو محل الخلاف وإنما حكم بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنده قطعي فساوى آية المواريث

---

(١) قال السعد: والجواب أن المعنى كانت فجأة وبغتة وقى الله شر الخلاف الذي كاد يظهر عندها. فمن عاد إلى مثل تلك المخالفة الموجبة لتبديد الكلمة فاقتلوه

في قطعية المتن وأما حمله على ما فهمه منه فلانتفاء الاحتمالات التي يمكن تطرقها إليه عنه بقرينة الحال فصار عنده دليلا قطعيا مخصصا لعموم تلك الآيات وأما عن الثاني فمن أهل البيت أزواجه على ما يأتي في فضائل أهل البيت ولسن بمعصومات اتفاقا فكذلك بقية أهل البيت وأما بضعة مني فمجاز قطعا فلم يستلزم عصمتها وأيضا فلا يلزم مساواة البعض للجملة في جميع الأحكام بل الظاهر أن المراد أنها كبضعة مني فيما يرجع للخير والشفقة ودعواها أنه صلى الله عليه وسلم نحلها فدكا لم تأت عليها إلاّ بعلي وأم أيمن فلم يكمل نصاب البينة على أن في قبول شهادة الزوج لزوجته خلافا بين العلماء وعدم حكمه بشاهد ويمين إما لعلة كونه ممن لا يراه ككثيرين من العلماء أو أنها لم تطلب الحلف مع من شهد لها وزعمهم أن الحسن والحسين وأم كلثوم شهدوا لها باطل على أن شهادة الفرع والصغير غير مقبولة وسيأتي عن الإمام زيد بن الحسن بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أنه صوب ما فعله أبو بكر وقال لو كنت مكانه لحكمت بمثل ما حكم به وفي رواية تأتي في الباب الثاني أن أبا بكر كان رحيما وكان يكره أن يغير شيئا تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني فدك فقال هل لك بينة فشهد لها علي وأم أيمن فقال لها فبرجل وامرأة تستحقيها ثم قال زيد والله لو رفع الأمر فيها إليّ لقضيت بقضاء أبي بكر رضي الله عنه وعن أخيه الباقر أنه قيل له أظلمكم الشيخان من حقكم شيئا فقال لا ومنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ما ظلمنا من حقنا ما يزن حبة خردلة وأخرج الدارقطني أنه سئل ما كان يعمل علي في سهم ذوي القربى قال عمل فيه بما عمل به أبو بكر وعمر وكان يكره أن يخالفهما (وأما) عذر فاطمة في طلبها مع روايته لها الحديث فيحتمل أنه لكونها رأت أن خبر الواحد لا يخصص القرآن كما قيل به. فاتضح عذره في المنع وعذرها في الطلب فلا يشكل عليك ذلك وتأمله فإنه منهم. ويوضح ما قررناه في هذا المحل حديث البخاري فإنه مشتمل على نفائس تزيل ما في نفوس القاصرين من شبه وهو: عن الزهري قال أخبرني مالك بن أوس بن

الحدثان النضري أن عمر بن الخطاب دعاه إذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك في عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فأدخلهم فلبث قليلا ثم جاء فقال هل لك في عباس وعلي يستأذنان قال نعم فلما دخلا قال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله من بني النضير فاستب علي وعباس فقال الرهط يا أمير المؤمنن اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر فقال عمر اتئدوا أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**لا نورث ما تركناه صدقة**). يريد ذلك نفسه قالوا قد قال ذلك. فأقبل عمر على علي وعباس فقال أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك قالا نعم قال فإني أحدثكم عن هذا الأمر إن الله كان خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدا غيره فقال (**وَمَآ اَفَآءَ اللهُ عَلَى رَسُوله منهُمْ فَمَآ اَوْجَفْتُمْ عَلَيْه منْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَآءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ** * الحشر: ٦). فكانت هذه خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم والله ما اختارها دونكم ولا استأثر بها عليكم لقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال منها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم توفي النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه فأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر يعمل فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم حينئذ، وأقبل على علي والعباس وقال تذكران أن أبابكر كان فيه كما تقولان والله يعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فقبضته سنتين من إمارتي أعمل فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم أني فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فجئتني يعني عباسا فقلت لكما إن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال (**لا نورث ما تركناه صدقة**) فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت وإلاّ فلا تكلماني فقلتما ادفعه إلينا بذلك فدفعته إليكما أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك فو الله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنه فادفعاه إلى فأنا أكفيكماه قال فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير فقال صدق مالك بن أوس أنا سمعت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عثمان إلى أبي بكر يسألنه مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فكنت أنا أردهن فقلت لهن ألا تتقين الله ألم تعلمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول (**لا نورث ما تركناه صدقة**) يريد بذلك نفسه إنما يأكل آل محمد في هذا المال فانتهى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما أخبرتهن قال فكانت هذه الصدقة بيد علي منعها علي عباسا فغلبه عليها ثم كانت بيد الحسن بن علي رضي الله عنهما ثم بيد الحسين ابن علي ثم بيد علي بن الحسين وحسن بن حسن كلاهما كانا يتداولانها ثم بيد زين بن حسن رضي الله عنهم وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا. ثم ذكر البخاري بسنده أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما أرضه من فدك وسهمه من خيبر فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**لا نورث ما تركناه صدقة**) إنما يأكل آل محمد في هذا المال والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليّ أن أصل من قرابتي.

فتأمل ما في حديث عائشة والذي قبله تعلم حقيقة ما عليه أبو بكر رضي الله عنه وذلك أن استباب علي والعباس صريح في أنهما متفقان على أنه غير إرث وإلاّ لكان للعباس سهمه ولعلي سهم زوجته ولم يكن للخصام بينهما وجه فخصامهما إنما هو لكونه صدقة وكل منهما يريد أن يتولاها فأصلح بينهما عمر رضي الله عنهم وأعطاه لهما بعد أن بين لهما وللحاضرين السابقين وهم من أكابر العشرة المبشرين

بالجنة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**لا نورث ما تركناه صدقة**) وكلهم حتى علي والعباس أخبر بأنه يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك فحينئذ أثبت عمر أنه غير إرث ثم دفعه إليهما ليعملا فيه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسنة أبي بكر فأخذاه على ذلك وبين لهما أن ما فعله أبو بكر فيه كان فيه صادقا بارا راشدا تابعا للحق فصدقاه على ذلك. فهل بقي لمعاند بعد ذلك من شبهة. فإن زعم بقاء شبهة قلنا يلزمك أن تغلب علي على الجميع وأخذه من العباس ظلم لأنه يلزم على قولكم بالإرث أن للعباس فيه حصة فكيف مع ذلك ساغ لعلي أن يتغلب على الجميع ويأخذه من العباس ثم كان في يد بنيه وبنيهم من بعده ولم يكن منه شيء في يد بني العباس فهل هذا من علي وذريته إلاّ صريح الاعتراف بأنه صدقة وليس بإرث وإلاّ لزم عليه عصيان علي وبنيه وظلمهم وفسقهم وحاشاهم الله من ذلك بل هم معصومون عند الرافضة ونحوهم فلا يتصور بهم ذنب فإذا استبدوا بذلك جميعه دون العباس وبنيه علمنا أنهم قائلون بأنه صدقة وليس بإرث وهذا عين مدعانا وتأمل أيضا أن أبا بكر منع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من ثمنهن أيضا فلم يخص المنع بفاطمة والعباس ولو كان مداره على محاباة لكان أولى محاباة ولده فلما لم يحاب عائشة علمنا أنه على الحق المر الذي لا يخشى فيه لومة لائم.

وتأمل أيضا تقرير عمر للحاضرين ولعلي والعباس بحديث لا نورث وتقرير عائشة لأمهات المؤمنين به أيضا وقول كل منهما ألم تعلموا! يظهر لك من ذلك أن أبا بكر لم ينفرد برواية هذا الحديث وأن أمهات المؤمنين وعليا والعباس وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد كلهم كانوا يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وأن أبا بكر إنما انفرد باستحضاره أولا ثم استحضره الباقون وعلموا أنهم سمعوه منه صلى الله عليه وسلم قال فالصحابة رضوان الله عليهم لم يعملوا برواية أبي بكر وحدها وإن كانت كافية أي كفاية في ذلك وإنما عملوا بها وبما انضم إليها من علم أفاضلهم الذين ذكروهم بها أيضا فبان بذلك إيضاح ما فعله أبو بكر

رضي الله عنه وأنه لا شبهة فيه بوجه من الوجوه وأنه الحق الصدق الذي لا يشوبه أدنى شائبة تعصب ولا حمية وأن من خالف في ذلك فهو كاذب جاهل أحمق معاند لا يعبأ الله به ولا بقوله ولا يبالي به في أي واد هلك نسأل الله السلامة في العقل والدين.

(**تنبيه**) لا يعارض قوله صلى الله عليه وسلم (**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**) قوله تعالى (**وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ** * النمل: ١٥) لأن المراد ليس وراثة المال بل النبوة والملك ونحوهما، بدليل اختصاص سليمان بالإرث مع أن له تسعة عشر أخا، فلو كان المراد المال لم يختص به سليمان وسياق علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء قاض بما ذكرناه ووراثة العلم قد وقعت في آيات منها (**ثُمَّ اَوْرَثْنَا الْكِتَابَ** * فاطر: ٣٢). (**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ** * الأعراف: ١٦٩) وقوله تعالى (**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً** * **يَرِثُنِي** (مريم: ٥-٦) لأن المراد ذلك فيها أيضا بدليل (**وَاِنّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَآئِي** * مريم: ٥) أي أن يضيعوا العلم والدين وبدليل من آل يعقوب وهم أولاده الأنبياء على أن زكريا لم يحك أحد أنه كان له مال حتى يطلب ولدا يرثه ولو سلم فمقام النبي صلى الله عليه وسلم يأبى طلب ذلك إذ القصد بالولد إحياء ذكر الأب والدعاء له وتكثير سواد الأمة فمن طلبه لغير ذلك كان ملوما سيما إن قصد به حرمان عصبته من إرثه لو لم يوجد له ولد.

(**الثامنة**) * زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على الخلافة لعلي إجمالا قالوا لأنا نعلم قطعا وجود نص جلي وإن لم يبلغنا لأن عادته صلى الله عليه وسلم في حياته قاضية باستخلاف علي على المدينة عند غيبته عنها حتى لا يتركهم فوضى -أي متساوين- لا رئيس لهم فإذا لم يخل بذلك في حياته فبعد وفاته أولى (وجوابها) مر مبسوطا في الفصل الرابع بأدلته ومنه إنما ترك ذلك لعلمه بأن الصحابة يقومون به ويبادرون إليه لعصمتهم عن الخطأ اللازم لتركهم له ومن ثم لم ينص على كثير من الأحكام بل وكلها إلى آراء مجتهديهم. على أنا نقول انتفاء النص الجلي معلوم قطعا وإلاّ لم يمكن ستره عادة إذ هو مما تتوفر الدواعي على نقله وأيضا لو وجد نص لعلي

لمنع به غيره كما منع أبو بكر مع أنه أضعف من علي عندهم الأنصار بخبر الأئمة من قريش فأطاعوه مع كونه خبر واحد وتركوا الإمامة وادعاءها لأجله فكيف حينئذ يتصور وجود نص جلي يقيني لعلي وهو بين قوم لا يعصون خبر الواحد في أمر الإمامة وهم من الصلابة في الدين بالمحل الأعلى بشهادة بذلهم الأنفس والأموال ومهاجرتهم الأهل والوطن وقتلهم الأولاد والآباء في نصرة الدين ثم لا يحتج علي عليهم بذلك النص الجلي بل ولا قال أحد منهم عند طول النزاع في أمر الإمامة ما لكم تتنازعون فيها والنص الجلي قد عين فلانا لها فان زعم زاعم أن عليا قال لهم ذلك فلم يطيعوه كان ضالا مفتريا منكرا للضروريات فلا يلتفت إليه وأما الخبر الآتي في فضائل علي أنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أنشد الله من شهد يوم غديرخم إلاّ قام ولا يقوم رجل يقول نبئت أو بلغني إلاّ رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه فقام سبعة عشر صحابيا وفي رواية ثلاثون فقال هاتوا ما سمعتم فذكروا الحديث الآتي ومن جملته (**من كنت مولاه فعلي مولاه**) فقال صدقتم وأنا على ذلك من الشاهدين فإنما قال ذلك علي بعد أن آلت إليه الخلافة. لقول أبي الطفيل راويه كما ثبت عند أحمد والبزار جمع على الناس بالرحبة يعني بالعراق ثم قال لهم أنشد الله من شهد يوم غديرخم إلى آخر ما مر. فأراد به حثهم على التمسك به والنصرة له حينئذ (**التاسعة**) زعموا وجود نص على الخلافة لعلي تفصيلا وهو قوله تعالى: (**وَاُولُوا الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلَى بِبَعْضٍ** * الأنفال: ٧٥) وهي تعم الخلافة وعلي من أولي الأرحام دون أبي بكر * (وجوابها) منع عموم الآية بل هي مطلقة فلا تكون نصا في الخلافة وفرق ظاهر بين المطلق والعام إذ عموم الأول بدلي والثاني شمولي (**العاشرة**) زعموا أن من النص التفصيلي المصرح بخلافة علي قوله تعالى (**اِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** * المائدة: ٥٥). قالوا والولي إما الأحق والأولى بالتصرف كولي الصبي وإما المحب والناصر وليس له في اللغة معنى ثالث والناصر غير مراد لعموم النصرة لكل المؤمنين بنص: قوله تعالى (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ** * التوبة: ٧١). فلم يصح الحصر بإنما في المؤمنين الموصوفين بما في الآية:

فتعين أنه في الآية: المتصرف وهو الإمام وقد أجمع أهل التفسير على أن المراد بالذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون: علي إذ سبب نزولها أنه سئل وهو راكع فأعطي خاتمه وأجمعوا أن غيره كأبي بكر غير مراد فتعين أنه المراد في الآية فكانت نصا في إمامته (وجوابها) منع جميع ما قالوه إذ هو حرز وتخمين من غير إقامة دليل يدل له. بل الولي فيها بمعنى الناصر ويلزم على ما زعموه أن عليا أولى بالتصرف حال حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شبهة في بطلانه وزعمهم الإجماع على إرادة علي دون أبي بكر كذب قبيح لأن أبا بكر داخل في جملة الذين يقيمون الصلاة الخ لتكرر صيغة الجمع فيه فكيف يحمل على الواحد ونزولها في حق علي لا ينافي شمولها لغيره ممن يجوز اشتراكه معه في تلك الصيغة، وكذلك زعمهم الإجماع على نزولها في علي باطل أيضا. فقد قال الحسن وناهيك به جلالة وإمامة: إنها عامة في سائر المؤمنين ويوافقه أن الباقر وهو من هو سئل عمن نزلت فيه هذه الآية أهو علي: فقال علي من المؤمنين ولبعض المفسرين: قوله إن الذين آمنوا ابن سلام وأصحابه ولبعض آخر منهم قول إنه عبادة لما تبرأ من حلفائه من اليهود وقال عكرمة وناهيك به حفظا لعلوم مولاه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إنها نزلت في أبي بكر فبطل ما زعموه. وأيضا فحمل الولي على ما زعموه لا يناسب ما قبلها وهو لا تتخذوا اليهود الخ إذ الولي فيها بمعنى الناصر جزما ولا ما بعدها وهو من يتول الله ورسوله الخ إذ التولي هنا بمعنى النصرة فوجب حمل ما بينهما عليها أيضا لتتلاءم أجزاء الكلام[1] **(الحادية عشرة)**

---

(1) الاستدلال بهذه الآية على خلافة علي لا يتم إلاّ بنآء على أن كلمة إنما للحصر الحقيقي ولو تم الاستدلال لبطل على الشيعة أحد عشر إماما لأن الحصر الحقيقي لا يتحقق في غير علي لعدم استجماع هذه الصفات فيمن بعده من أئمتهم ونمنع أن ولاية الذين آمنوا مرادة في زمن الخطاب في عصر النبي عليه السلام البتة لأن الإمامة نيابة عن النبي بعد موته والآية لم تحدد لهذه الولاية زمنا فلا تدل إلاّ على صحة إمامة علي ولو بعد الأئمة الثلاثة فلا يصح الاستدلال.

وقولهم أجمع المفسرون على أنها في علي ممنوع فقد روى النقاش المفسر عن الباقر أنها في المهاجرين والأنصار وروي عن عكرمة أنها في أبي بكر - وحديث التصدق بالخاتم في الصلاة موضوع وعليه الإجماع من العلماء فالقصة إذن مكذوبة بالإجماع

زعموا أن من النص الفصيلي المصرح بخلافة علي قوله صلى الله عليه وسلم يوم غديرخم -موضع بالجحفة- مرجعه من حجة الوداع بعد أن جمع الصحابة وكرر عليهم (**ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا**) وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد علي وقال (**من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه فأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار**). قالوا فمعنى المولى الأولى أي فلعلي عليهم من الولاء ما له صلى الله عليه وسلم عليهم منه بدليل قوله (**ألست أولى بكم**). لا الناصر وإلاّ لما احتاج إلى جمعهم كذلك مع الدعاء له لأن ذلك يعرفه كل أحد: قالوا ولا يكون هذا الدعاء إلاّ لإمام معصوم مفترض الطاعة: قالوا فهذا نص صريح صحيح على خلافته انتهى. (وجواب هذه الشبهة) التي هي أقوى شبههم يحتاج إلى مقدمة وهي بيان الحديث ومخرجيه وبيانه أنه حديث صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقه كثيرة جدا ومن ثم رواه ستة عشر صحابيا وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي صلى الله عله وسلم ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته كما مر وسيأتي، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن رده بأن عليا كان باليمن، لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقول بعضهم إن زيادة (**اللّهمّ وال من والاه**) الخ موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيرا منها.

وبالجملة فما زعموه مردود من وجوه نتلوها عليك وإن طالت لمسيس الحاجة إليها فاحذر أن تسأمها أو تغفل عن تأملها (أحدها) أن فرق الشيعة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدل به على الإمامة وقد علم نفيه لما مر من الخلاف في صحة هذا الحديث بل الطاعنون في صحته جماعة من أئمة الحديث وعدوله المرجوع إليهم فيه كأبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي وغيرهم فهذا الحديث مع كونه آحادا مختلف في صحته فكيف ساغ لهم أن يخالفوا ما اتفقوا عليه من اشتراط التواتر في

أحاديث الإمامة ويحتجون بذلك ما هذا إلاّ تناقض قبيح وتحكم لا يعتضد بشيء من أسباب الترجيح (ثانيها) لا نسلم أن معنى الولي ما ذكروه بل معناه الناصر لأنه مشترك بين معان كالمعتق والعتيق والمتصرف في الأمر والناصر والمحبوب وهو حقيقة في كل منها وتعيين بعض معاني المشترك من غير دليل يقتضيه تحكم لا يعتد به وتعميمه في مفاهيمه كلها لا يسوغ لأنه إن كان مشتركا لفظيا بأن تعدد وضعه بحسب تعدد معانيه كان فيه خلاف، والذي عليه جمهور الأصوليين وعلماء البيان واقتضاه استعمالات الفصحاء للمشترك أنه لا يعم جميع معانيه، على أنا لو قلنا بتعميمه على القول الآخر أو بنآء على أنه مشترك معنوي بأن وضع وضعا واحدا للقدر المشترك وهو القرب المعنوي من المولى -بفتح فسكون- لصدقه بكل مما مر فلا يأتي تعميمه هنا لامتناع إرادة كل من المعتق والعتيق فتعين إرادة البعض ونحن وهم متفقون على صحة إرادة الحب بالكسر وعلي رضي الله عنه سيدنا وحبيبنا. على أن كون المولى بمعنى الإمام لم يعهد لغة ولا شرعا. أما الثاني فواضح وأما الأول فلأن أحدا من أئمة العربية لم يذكر أن مفعلا يأتي بمعنى أفعل وقوله تعالى (**مَأْوَيكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَيكُمْ** * الحديد: ١٥). أي مقركم أو ناصرتكم مبالغة في نفي النصرة كقولهم الجوع زاد من لا زاد له[١] وأيضا فالاستعمال يمنع من أن مفعلا بمعنى أفعل إذ يقال هو أولى من كذا دون مولى من كذا وأولى الرجلين دون مولاهما وحينئذ فإنما جعلنا من معانيه المتصرف في الأمور نظرا للرواية الآتية من كنت وليه فالغرض من التنصيص على موالاته اجتناب بغضه لأن التنصيص عليه أوفى بمزيد شرفه وصدره بألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا ليكون أبعث على قبولهم وكذا بالدعاء لأجل ذلك أيضا ويرشد لما ذكرناه حثه صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة على

---

(١) جوز أبو زيد اللغوي مجيء المفعل بمعنى أفعل متمسكا في ذلك بقول أبي عبيدة في تفسير (**هَيَ مَوْلَيكُمْ**) أي أولى بكم وجميع أهل اللغة على أنه مخطيء وإلاّ للزم أن يقال فلان مولى منك بدل أولى منك وهو باطل بالإجماع ولكن أبا عبيدة أراد بيان المعنى يعني النار مقركم ومصيركم والموضع اللائق بكم لا أن المولى بمعنى الأولى

أهل بيته عموما وعلى علي خصوصا ويرشد إليه أيضا ما ابتديء به هذا الحديث ولفظه عند الطبراني وغيره بسند صحيح أنه صلى الله عليه وسلم خطب بغديرخم تحت شجرات: فقال (**أيها الناس أنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلاّ نصف عمر الذي يليه من قبله وإني لأظن أني يوشك أن أدعي فأجيب وإني مسئول وإنكم مسؤلون فما ذا أنتم قائلون**) قالوا نشهد إنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا فقال (**أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنّ جنته حق وأنّ ناره حق وأنّ الموت حق وأنّ البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**). قالوا بلى نشهد بذلك: قال (**اللّهمّ اشهد**). ثم قال (**يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه**) يعني عليا (**اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه**). ثم قال (**يا أيّها الناس إني فرطكم وإنكم واردون على الحوض حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قد حان من فضة وإني سائلكم حين تردون على علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض**) وأيضا فسبب ذلك كما نقله الحافظ شمس الدين الجزري عن ابن إسحاق أن عليا تكلم فيه بعض من كان معه في اليمن فلما قضى صلى الله عليه وسلم حجه خطبها تنبيها على قدره وردا على من تكلم فيه كبريدة لما في البخاري أنه كان يبغضه وسبب ذلك ما صححه الذهبي أنه خرج معه إلى اليمن فرأى منه جفوة فنقصه للنبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتغير وجهه ويقول يا بريدة (**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم**) قلت بلى يا رسول الله قال (**من كنت مولاه فعلي مولاه**) وأما رواية ابن بريدة عنه (**لا تقع يا بريدة في علي فإن عليا مني وأنا منه وهو وليكم بعدي**) ففي سندها الأجلح وهو وإن وثقه ابن معين لكن ضعفه غيره على أنه شيعي وعلى تقدير

الصحة فيحتمل أنه رواه بالمعنى بحسب عقيدته وعلى فرض أنه رواه بلفظه فيتعين تأويله على ولاية خاصة نظير قوله صلى الله عليه وسلم (**أقضاكم علي**) على أنه وإن لم يحتمل التأويل فالإجماع على حقية ولاية أبي بكر وفرعيها قاض بالقطع بحقيتها لأبي بكر وبطلانها لعلي لأن مفاد الإجماع قطعي ومفاد خبر الواحد ظني ولا تعارض بين ظني وقطعي بل يعمل بالقطعي ويلغى الظني على أن الظني لا عبرة به فيها عند الشيعة كما مر (ثالثها) سلمنا أنه أولى لكن لا نسلم أن المراد أنه الأولى بالإمامة بل بالاتباع والقرب منه فهو كقوله تعالى (**اِنَّ اَوْلَى النَّاسِ بِاِبْرَهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ** * آل عمران: ٦٨) ولا قاطع بل ولا ظاهر على نفي هذا الاحتمال بل هو الواقع إذ هو الذي فهمه أبو بكر وعمر وناهيك بهما من الحديث فإنهما لما سمعاه قالا له أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة أخرجه الدارقطني وأخرج أيضا إنه قيل لعمر إنك تصنع لعلي شيئا لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه مولاي (رابعها) سلمنا إنه أولى بالإمامة فالمراد المآل وإلاّ كان هو الإمام مع وجوده صلى الله عليه وسلم ولا تعرض فيه لوقت المآل فكان المراد حين يوجد عقد البيعة له فلا ينافي حينئذ تقديم الأئمة الثلاثة عليه لانعقاد الإجماع حتى من عليّ عليه كما مر وللأخبار السابقة المصرحة بإمامة أبي بكر وأيضا فلا يلزم من أفضلية علي على معتقدهم بطلان تولية غيره لما مر أن أهل السنة أجمعوا على صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل بدليل إجماعهم على صحة خلافة عثمان واختلافهم في أفضليته على علي وإن كان أكثرهم على أن عثمان أفضل منه كما يأتي وقد صح عن سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه أنه قال من زعم أن عليا كان أحق بالولاية من الشيخين فقد خطأهما والمهاجرين والأنصار وما أراه يرفع له عمل مع هذا إلى السماء. نقل ذلك النووي عنه كما مر. ثم قال هذا كلامه وقد كان حسن اعتقاده في علي رضي الله تعالى عنه بالمحل المعروف انتهى وما أشار إليه من حسن اعتقاده في علي مشهور بل أخرج أبو نعيم عن زيد بن الحباب أنه كان يرى

رأي أصحابه الكوفيين يفضل عليا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما صار إلى البصرة رجع إلى القول بتفضيلهما عليه (خامسها) كيف يكون ذلك نصا على إمامته و لم يحتج به هو ولا العباس رضي الله تعالى عنهما ولا غيرهما وقت الحاجة إليه وإنما احتج به على خلافته كما مر في الجواب على الثامنة من الشبهة فسكوته عن الاحتجاج به إلى أيام خلافته قاض على من عنده أدنى فهم وعقل بأنه علم منه أنه لا نص فيه على خلافته عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على أن عليا نفسه صرح بأنه صلى الله عليه وسلم لم ينص عليه ولا على غيره كما سيأتي عنه وفي البخاري وغيره حديث خروج علي والعباس من عند النبي صلى الله عليه وسلم بطوله وهو صريح فيما ذكر من أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص عند موته على أحد وكل عاقل يجزم بأن حديث (**من كنت مولاه فعلي مولاه**) ليس نصا في إمامة علي وإلاّ لم يحتج هو والعباس إلى مراجعته صلى الله عليه وسلم المذكورة في حديث البخاري ولما قال العباس فإن كان هذا الأمر فينا علمناه مع قرب العهد جدا بيوم الغدير إذ بينهما نحو الشهرين وتجويز النسيان على سائر الصحابة السامعين لخبر يوم الغدير مع قرب العهد وهم من هم في الحفظ والذكاء والفطنة وعدم التفريط والغفلة فيما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم محال عادي يجزم العاقل بأدنى بديهته بأنه لم يقع منهم نسيان ولا تفريط وأنهم حال بيعتهم لأبي بكر كانوا متذكرين لذلك الحديث عالمين به وبمعناه على أنه صلى الله عليه وسلم خطب بعد يوم الغدير وأعلن بحق أبي بكر للحديث الثالث بعد المائة التي في فضائله فانظره ثم وسيأتي في الآية الرابعة في فضائل أهل البيت أحاديث أنه صلى الله عليه وسلم في مرض موته إنما حث على مودتهم ومحبتهم واتباعهم وفي بعضها آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم (**اخلفوني في أهل بيتي**) فتلك وصية بهم وشتان ما بينهما وبين مقام الخلافة.

وزعم الشيعة والرافضة بأن الصحابة علموا هذا النص و لم ينقادوا له عناد ومكابرة بالباطل كما مر. وقولهم إنما تركها على تقية كذب وافتراء أيضا تلوناه

عليك مبسوطا فيما مر. ومنه أنه كان في منعة من قومه مع كثرتهم وشجاعتهم ولذا احتج أبو بكر رضي الله تعالى على الأنصار لما قالوا منا أمير ومنكم أمير بخبر الأئمة من قريش فكيف سلموا له هذا الاستدلال ولأي شيء لم يقولوا له ورد النص على إمامة علي فكيف تحتج بمثل هذا العموم وقد أخرج البيهقي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال أصل عقيدة الشيعة تضليل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين انتهى وإنما نبه رحمه الله على الشيعة لأنهم أقل فحشا في عقائدهم من الرافضة وذلك لأن الرافضة يقولون بتكفير الصحابة لأنهم عاندوا بترك النص على إمامة علي بل زاد أبو كامل[١] من رؤسهم فكفر عليا زاعما أنه أعان على كتمان وعلى ستر ما لا يتم الدين إلاّ به. أي لأنه لم يرد عنه قط أنه احتج بالنص على إمامته بل تواتر عنه أن أفضل الأمة أبو بكر وعمر وقبل من عمر إدخاله إياه في الشورى وقد اتخذ الملحدون كلام هؤلاء السفلة الكذبة ذريعة لطعنهم في الدين والقرآن وقد تصدى بعض الأئمة للرد على الملحدين المحتجين بكلام الرافضة ومن جملة ما قاله أولئك الملحدون كيف يقول الله (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) وقد ارتدوا بعد وفاة نبيهم إلاّ نحو ستة أنفس منهم لامتناعهم من تقديم أبي بكر على الموصى به فانظر إلى حجة هذا الملحد تجدها عين حجة الرافضة قاتلهم الله أنى يؤفكون بل هم أشد ضررا على الدين من اليهود والنصارى وسائر فرق الضلال كما صرح به علي رضي الله عنه بقوله (**تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة**) شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا ووجهه ما اشتملوا عليه من افترائهم من قبائح البدع وغايات العناد والكذب حتى تسلطت الملاحدة بسبب ذلك على الطعن في الدين وأئمة المسلمين بل قال القاضي أبو بكر الباقلاني إن فيما ذهبت إليه الرافضة مما ذكر إبطالا للإسلام رأسا لأنه إذا أمكن اجتماعهم على الكتم للنصوص وأمكن فيهم نقل الكذب

---

[١] أبو كامل هو رئيس فرقة الكاملية من الروافض وكان من جملة من تابعه بشار الشاعر الأعمى وزاد في بدعته القول بالرجعة وتصويب قول إبليس بتفضيل النار على الأرض

والتواطؤ عليه لغرض فليمكن إن سائر ما نقلوه من الأحاديث زور ويمكن أن القرآن عورض بما هو أفصح منه كما تدعيه اليهود والنصارى فكتمه الصحابة وكذا ما نقله سائر الأمم عن جميع الرسل يجوز الكذب فيه والزور والبهتان لأنهم إذا ادعوا ذلك في هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس فادعاؤهم إياه في باقي الأمم أحرى وأولى فتأمل هذه المفاسد التي ترتبت على ما أصله هؤلاء وقد أخرج البيهقي عن الشافعي رضي الله عنه ما من أهل الأهواء أشهد بالزور من الرافضة وكان إذا ذكرهم عابهم أشد العيب (سادسها) ما المانع من قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته السابقة يوم الغدير هذا الخليفة بعدي فعدوله إلى ما سبق من قوله من كنت مولاه الخ ظاهر في عدم إرادة ذلك بل ورد بسند رواته مقبولون كما قال الذهبي وله طرق عن علي رضي الله تعالى عنه قال قيل يا رسول الله من نؤمر فقال (**إن تؤمروا أبابكر تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا يخاف في الله لومة لائم وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم**) ورواه البزار بسند رجاله ثقات أيضا كما قال البيهقي فهو يدل على أن أمر الإمام موكول إلى من يؤمره المسلمون بالبيعة وعلى عدم النص بها لعلي وقد أخرج جمع كالبزار بسند حسن والإمام أحمد وغيرهما بسند قوي كما قاله الذهبي عن علي أنهم لما قالوا له استخلف علينا قال لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج البزار ورجاله رجال الصحيح ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف عليكم وأخرجه الدارقطني أيضا وفي بعض طرقه زيادة دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله استخلف علينا قال (**لا إن يعلم الله فيكم خيرا يول عليكم خيركم**) قال علي رضي الله عنه فعلم فينا خيرا فولى علينا أبا بكر فقد ثبت بذلك أنه صرح بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف (وأخرج) مسلم أنه قال من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلاّ كتاب الله وهذه الصحيفة فيها أسنان الإبل وشيء من الجراحات فقد

كذب (وأخرج) جمع كالدارقطني وابن عساكر والذهبي وغيرهم إن عليا لما قام بالبصرة قام إليه رجلان فقال له أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه لتستولي على الأمراء وعلى الأمة تضرب بعضهم ببعض أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده إليك فحدثنا فأنت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال أما أن يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم عهده إلي في ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عندي منه عهد في ذلك ما تركت أخا بني تميم بن مرة وعمر بن الخطاب يثوبان على منبره ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد إلاّ بردتي هذه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن أو بلال يؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر ليصلي بالناس وهو يرى مكاني ولقد أرادت امرأة من نسائه تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال (**أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس**) فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وكانت الصلاة عظم الإسلام وقوام الدين فبايعنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان وفي رواية فأقام بين أظهرنا الكلمة واحدة والأمر واحد لا يختلف عليه منا اثنان وفي رواية فاخترنا لدنيانا من اختاره صلى الله عليه وسلم لديننا أفديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ إذا أعطاني واغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض ولاها عمر فأخذها بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه منا اثنان فأديت له حقه وعرفت طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ إذا أعطاني واغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده شيئا إلاّ لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة لآثر ولده بها ويرى منها لرهط أنا أحدهم وظننت أن

لا يعدلوا بي فأخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيق على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما أصيب نظرت فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي أخذ له ميثاقي قد أصيب فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين أي الكوفة والبصرة فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه يعني معاوية (وأخرجه) أيضا هؤلاء وإسحاق بن راهويه من طرق أخرى قال الذهبي وهذه طرق يقوي بعضها بعضا قال وأصحها ما رواه إسماعيل بن علية وذكره وفيه أنه لما قيل لعلي أخبرني عن مسيرك هذا أعهد عهده إليك النبي صلى الله عليه وسلم أم رأي رأيته فقال بل رأي رأيته (وأخرج) أحمد عنه أنه قال يوم الجمل لم يعهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا نأخذ به في الإمارة ولكن شيء رأيناه من قبل أنفسنا (وأخرج) الهروي والدارقطني نحوه بزيادة فهذه الطرق كلها عن علي متفقة على نفي النص بإمامته ووافقه على ذلك علماء أهل بيته فقد أخرج أبو نعيم عن الحسن المثنى ابن الحسن السبط أنه لما قيل له ذلك أي أن خبر (**من كنت مولاه فعلي مولاه**) نص في إمامة علي فقال أما والله لو يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الإمارة والسلطان لأفصح لهم به فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أنصح الناس للمسلمين ولقال لهم يا أيها الناس هذا ولي أمري والقائم عليكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا ما كان من هذا شيء فو الله لئن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الأمر والقيام به للمسلمين من بعده ثم ترك علي أمر الله ورسوله أن يقوم به أو يعذر فيه إلى المسلمين إن كان أعظم الناس خطيئة لعلي إذ ترك أمر الله ورسوله وحاشاه من ذلك وفي رواية عنه ولو كان هذا الأمر كما تقول وأن الله اختار عليا للقيام على الناس لكان

علي أعظم الناس خطيئة أن ترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يقم به فقال الرجل ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من كنت مولاه فعلي مولاه**) فقال الحسن أما والله لو عنى به القيام على الناس والإمرة لأفصح به وأفصح عنه كما أفصح عن الصلاة والزكاة ولقال أيها الناس إن عليا ولي أمركم من بعدي والقائم في الناس بأمري فلا تعصوا أمره (وأخرج) الدارقطني عن أبي حنيفة أنه لما قدم المدينة سأل أبا جعفر الباقر عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما فقال له أبو حنيفة إنهم يقولون عندنا بالعراق إنك تتبرأ منهما فقال معاذ الله كذبوا ورب الكعبة ثم ذكر لأبي حنيفة تزويج علي بنته أم كلثوم بنت فاطمة من عمر وأنه لو لم يكن لها أهلا ما زوجه إياها يقطع ببطلان ما زعمه الرافضة وإلاّ لكان قد تعاطى تزويج بنته من كافر على زعمهم الفاسد (سابعها) قولهم هذا الدعاء وهو قوله صلى الله عليه وسلم (**اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه**) لا يكون إلاّ لإمام معصوم دعوى لا دليل عليها إذ يجوز الدعاء بذلك لأدنى المؤمنين فضلا عن أخصائهم شرعا وعقلا فلا يستلزم كونه إماما معصوما وأخرج أبو ذر الهروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان**) ولا قيل بدلالته على إمامة عمر عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولا على عصمته ثم إن أرادوا بالعصمة ما ثبت للأنبياء قطعا فباطل أو الحفظ فهذا يجوز لدون علي من المؤمنين ودعواهم وجوب عصمة الإمام مبني على تحكيمهم العقل وهو وما بني عليه باطل لأمور بينها القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه في الإمامة أتم بيان وأوفى تحرير وقد أخرج الحاكم وصححه وحسنه غيره عن علي أنه قال يهلك فيّ محب مفرط يقرطني بما ليس فيّ ومبغض مفتر يحمله شنآني على أن يبهتني بما ليس فيّ ثم قال وما أمرتكم بمعصية فلا طاعة لأحد في معصية الله تعالى فعلم به أنه لم يثبت لنفسه العصمة (ثامنها) أنهم اشترطوا في الإمام أن يكون أفضل الأمة وقد ثبت بشهادة عليّ الواجب العصمة عندهم أن أفضلها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما فوجبت صحة

إمامتها كما انعقد عليه الإجماع السابق (**الشبهة الثانية عشرة**)* زعموا أن من النص التفصيلي على علي قوله صلى الله عليه وسلم له لما خرج إلى تبوك واستخلفه على المدينة (**أنت مني بمترلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي**) قالوا ففيه دليل على أن جميع المنازل الثابتة لهارون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلي من النبي صلى الله عليه وسلم وإلاّ لما صح الاستثناء ومما ثبت لهارون من موسى استحقاقه الخلافة عنه لو عاش بعده إذ كان خليفة في حياته فلو لم يخلفه بعد مماته لو عاش بعده لكان لنقص فيه وهو غير جائز على الأنبياء وأيضا فمن جملة منازله منه أنه كان شريكا له في الرسالة ومن لازم ذلك وجوب الطاعة لو بقي بعده فوجب ثبوت ذلك لعلي إلاّ أن الشركة في الرسالة ممتنعة في حق علي فوجب أن يبقى مفترض الطاعة على الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم عملا بالدليل بأقصى ما يمكن (وجوابها) أن الحديث إن كان غير صحيح كما يقوله الآمدي فظاهر وإن كان صحيحا كما يقوله أئمة الحديث والمعول في ذلك ليس إلاّ عليهم كيف وهو في الصحيحين فهو من قبيل الآحاد وهم لا يرونه حجة في الإمامة وعلى التترل فلا عموم له في المنازل بل المراد ما دل عليه ظاهر الحديث أن عليا خليفة عن النبي صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان هارون خليفة عن موسى في قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة وقوله اخلفني في قومي لا عموم له حتى يقتضي الخلافة عنه في كل زمن حياته وزمن موته بل المتبادر منه ما مر أنه خليفة مدة غيبته فقط وحينئذ فعدم شموله لما بعد وفاة موسى عليه السلام إنما هو لقصور اللفظ عنه لا لعزله كما لو صرح باستخلافه في زمن معين ولو سلمنا تناوله لما بعد الموت وأن عدم بقاء خلافته بعده عزل له لم يستلزم نقصا يلحقه بل إنما يستلزم كمالا له أي كمال لأنه يصير بعده مستقلا بالرسالة والتصرف من الله تعالى وذلك أعلى من كونه خليفة وشريكا في الرسالة سلمنا أن الحديث يعم المنازل كلها لكنه عام مخصوص إذ من منازل هارون كونه أخا نبيا والعام المخصوص غير حجة في الباقي أو حجة ضعيفة على الخلاف فيه ثم

نفاذ أمر هارون بعد وفاة موسى لو فرض إنما هو للنبوة لا للخلافة عنه وقد نفيت النبوة هنا لاستحالة كون علي نبيا فيلزم نفي مسببه الذي هو افتراض الطاعة ونفاذ الأمر فعلم مما تقرر أنه ليس المراد من الحديث مع -كونه آحادا لا يقاوم الإجماع- إلاّ إثبات بعض المنازل الكائنة لهارون من موسى والحدث وسببه سياق يبينان ذلك البعض لما مر أنه إنما قاله لعلي حين استخلفه فقال علي كما في الصحيح أتخلفني في النساء والصبيان. كأنه استنقص تركه وراءه فقال له (**ألا ترضى أن تكون مني بمترلة هارون من موسى**) يعني حيث استخلفه عند توجهه إلى الطور إذ قال له اخلفني في قومي وأصلح وأيضا فاستخلافه على المدينة لا يستلزم أولويته بالخلافة بعده من كل معاصريه افتراضا ولا ندبا بل كونه أهلا لها في الجملة وبه نقول وقد استخلف صلى الله عليه وسلم في مرار أخرى غير علي كابن أم مكتوم و لم يلزم فيه بسبب ذلك أنه أولى بالخلافة بعده[١] (**الشبهة الثالثة عشرة**) زعموا أيضا أن من النصوص التفصيلية الدالة على خلافة علي قوله صلى الله عليه وسلم لعلي (**أنت أخي ووصيي وخليفتي وقاضي ديني**) أي بكسر الدال وقوله (**أنت سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين**) وقوله (**سلموا على علي بإمرة الناس**) (وجوابها) مر مبسوطا قبيل الفصل الخامس ومنه أن هذه الأحاديث كذب باطلة موضوعة مفتراة عليه صلى الله عليه وسلم ألا لعنة الله على الكاذبين و لم يقل أحد من أئمة الحديث أن شيئا من هذه الأكاذيب بلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها بل كلهم مجمعون على أنها محض كذب وافتراء فإن زعم هؤلاء الجهلة الكذبة على الله ورسوله وعلى أئمة الإسلام ومصابيح الظلام أن هذه الأحاديث صحت عندهم قلنا لهم هذا محال في العادة إذ كيف تتفردون بعلم صحة تلك مع أنكم لم تتصفوا قط برواية ولا صحبة محدث ويجهل

---

(١) لا يصير اسم الجنس المضاف إلى العلم عاما عند كل الأصوليين بل صرحوا أنه يكون للعهد في نحو غلام زيد واستخلاف هارون مقيد بالغيبة وهو قرينة للعهد لأنه لا يكون بعدها وليس الاستثناء المنقطع دليلا على عموم المستثنى منه وهو هنا منقطع لأنهما نقيضان وإرادة العموم في المنازل لا الأزمان لا يصح للزوم الكذب في الخبر

ذلك مهرة الحديث وسباقه الذين أفنوا أعمارهم في الأسفار البعيدة لتحصيله وبذلوا جهدهم في طلبه وفي السعي إلى كل من ظنوا عنده شيئا منه حتى جمعوا الأحاديث ونقبوا عنها وعلموا صحيحها من سقيمها ودونوها في كتبهم على غاية من الاستيعاب ونهاية من التحرير وكيف والأحاديث الموضوعة جاوزت مئات الألوف وهم مع ذلك يعرفون واضع كل حديث منها وسبب وضعه الحامل لواضعه على الكذب والافتراء على نبيه صلى الله عليه وسلم فجزاهم الله خير الجزاء وأكمله إذ لولا حسن صنيعهم هذا لاستولى المبطلون والمتمردون المفسدون على الدين وغيروا معالمه وخلطوا الحق بكذبهم حتى لم يتميز عنه فضلوا وأضلوا ضلالا مبينا لكن لما حفظ الله على نبيه صلى الله عليه وسلم شريعته من الزيغ والتبديل بل والتحريف وجعل من أكابر أمته في كل عصر طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم لم يبال الدين بهؤلاء الكذبة البطلة الجهلة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها بعدي إلاّ هالك ومن عجيب أمر هؤلاء الجهلة أنا إذا استدللنا عليهم بالأحاديث الصحيحة الدالة صريحا على خلافة أبي بكر كخبر (**اقتدوا باللذين من بعدي**) وغيره من الأخبار الناصة على خلافته التي قدمتها مستوفاة في الفصل الثالث قالوا. هذا خبر واحد فلا يغني فيما يطلب فيه التعيين وإذا أرادوا أن يستدلوا على ما زعموه من النص على خلافة علي أتوا إما بأخبار تدل لزعمهم كخبر (**من كنت مولاه**) وخبر (**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**) مع أنها آحاد وإما بأخبار باطلة كاذبة متيقنة البطلان واضحة الوضع والبهتان لا تصل إلى درجة الأحاديث الضعيفة التي هي أدنى مراتب الآحاد فتأمل هذا التناقض الصريح والجهل القبيح لكنهم لفرط جهلهم وعنادهم وميلهم عن الحق يزعمون التواتر فيما يوافق مذهبهم الفاسد وإن أجمع أهل الحديث والأثر على أنه كذب موضوع مختلق ويزعمون فيما يخالف مذهبهم أنه آحاد وإن اتفق أولئك على صحته وتواتر رواته تحكما وعنادا وزيغا عن الحق فقاتلهم الله ما أجهلهم

وأحمقهم (**الشبهة الرابعة عشرة**) زعموا أنه لو كان أهلا للخلافة لما قال لهم أقيلوني أقيلوني لأن الإنسان لا يستقيل من الشيء إلاّ إذا لم يكن أهلا له (وجوابها) منع الحصر فيما عللوا به فهو من مفترياتهم وكم وقع للسلف والخلف التورع عن أمورهم لها أهل وزيادة، بل لا تكمل حقيقة الورع والزهد إلاّ بالإعراض عما تأهل له المعرض وأما مع عدم التأهل فالإعراض واجب لا زهد ثم سببه هنا أنه إما خشي من وقوع عجز ما منه عن استيفاء الأمور على وجهها الذي يليق بكماله له أو أنه فصد بذلك استبانة ما عندهم وأنه هل فيهم من يود عزله فأبرز ذلك كذلك، فرآهم جميعهم لا يودون ذلك لو أنه خشي من لعنته صلى الله عليه وسلم لإمام قوم وهم له كارهون فاستعلم أنه هل فيهم أحد يكرهه أو لا -والحاصل أن زعم أن ذلك يدل على عدم أهليته غاية في الجهالة والغباوة والحمق فلا ترفع بذلك رأسا (**الشبهة الخامسة عشرة**) زعموا أيضا أن عليا إنما سكت عن التزاع في أمر الخلافة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه أن لا يوقع بعده فتنة ولا يسل سيفا (وجوابها) أن هذا افتراء كذب وحمق وجهالة مع عظيم الغباوة عما يترتب عليه إذ كيف يعقل مع هذا الذي زعموه أنه جعله إماما واليا على الأمة بعده ومنعه من سل السيف على من امتنع من قبول الحق. ولو كان ما زعموه صحيحا لما سل على السيف في حرب صفين وغيرها ولما قاتل بنفسه وأهل بيته وشيعته وجالد وبارز الألوف منهم وحده وأعاذه الله من مخالفة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا فكيف يتعقلون أنه صلى الله عليه وسلم يوصيه بعدم سل السيف على من يزعمون فيهم أنهم يجاهرون بأقبح أنواع الكفر مع ما أوجبه الله من جهاد مثلهم.

قال بعض أئمة أهل البيت النبوي والعترة الطاهرة: وقد تأملت كلماتهم فرأيت قوما أعمى الهوى بصائرهم فلم يبالوا بما ترتب على مقالاتهم من المفاسد ألا ترى إلى قولهم إن عمر قاد عليا بحمائل سيفه وحصر فاطمة فهابت فأسقطت ولدا اسمه المحسن فقصدوا بهذه الفرية القبيحة والغباوة التي أورثتهم العار والبوار والفضيحة

إيغار الصدور على عمر رضي الله عنه و لم يبالوا بما يترتب على ذلك من نسبة علي رضي الله عنه إلى الذل والعجز والخور بل ونسبة جميع بني هاشم وهم أهل النخوة والنجدة والأنفة إلى ذلك العار اللاحق بهم الذي لا أقبح منه عليهم بل ونسبة جميع الصحابة رضي الله عنهم إلى ذلك وكيف يسع من له أدنى ذوق أن ينسبهم إلى ذلك مع ما استفاض وتواتر عنهم من غيرتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم وشدة غضبهم عند انتهاك حرماته حتى قاتلوا وقتلوا الآباء والأبناء في طلب مرضاته لا يتوهم إلحاق أدنى نقص أو سكوت على باطل بهؤلاء العصابة الكمل الذين طهرهم الله من كل رجس ودنس ونقص على لسان نبيه في الكتاب والسنة كما قدمته في المقدمة الأولى أول الكتاب - بواسطة صحبتهم له صلى الله عليه وسلم وموته وهو عنهم راض وصدقهم في محبته واتباعه إلاّ عبدا أضله الله وخذله فباء منه تعالى بعظم الخسار والبوار وأحله الله تعالى نار جهنم وبئس القرار. نسأل الله السلامة آمين.

الباب الثاني

فيما جاء عن أكابر أهل البيت من مزيد الثناء على الشيخين ليعلم براءتهما مما يقول الشيعة والرافضة من عجائب الكذب والافتراء وليعلم بطلان ما زعموه من أن عليا إنما فعل ما مر عنه تقية ومداراة وخوفا وغير ذلك من قبائحهم

(أخرج الدارقطني) عن عبد الله الملقب بالمحض -لقب به لأنه أول من جمع ولادة الحسن والحسين رضي الله عنهم وكان شيخ بني هاشم ورئيسهم وولده كان يلقب بالنفس الزكية وكان من أئمة الدين بويع بالخلافة زمن الإمام مالك بن أنس بالمدينة فأرسل المنصور جيشا فقتلوه- أنه سئل أتمسح على الخفين فقال أمسح فقد مسح عمر فقال له السائل إنما أسألك أنت تمسح قال ذلك أعجز لك أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي فعمر خير مني وملء الأرض مثلي فقيل له هذا تقية فقال نحن بين القبر والمنبر اللّهمّ هذا قولي في السر والعلانية فلا تسمع قول أحد بعدي ثم قال

من هذا الذي يزعم أن عليا كان مقهورا وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بأمر فلم ينفذه فكفى بهذا إزراء ومنقصة له (وأخرج) الدارقطني أيضا عن ولده الملقب بالنفس الزكية أنه قال لما سئل عن الشيخين لهما عندي أفضل من علي. وأخرج عن محمد الباقر أنه قال أجمع بنو فاطمة رضي الله عنهم على أن يقولوا في الشيخين أحسن ما يكون من القول (وأخرج) أيضا عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر أن رجلا جاء إلى أبيه زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهم فقال: أخبرني عن أبي بكر فقال عن الصديق فقال وتسميه الصديق فقال ثكلتك أمك قد سماه صديقا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار ومن لم يسمه صديقا فلا صدق الله عز وجل قوله في الدنيا والآخرة. إذهب فأحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

وأخرج أيضا عن عروة عن عبد الله سألت أبا جعفر الباقر عن حلية السيف قال لا بأس به قد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه. قال قلت وتقول الصديق قال نعم الصديق نعم الصديق فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة. وأخرجه ابن الجوزي في صفوة الصفوة وزاد فوثب وثبة واستقبل القبلة فقال. نعم الصديق نعم الصديق نعم الصديق الخبر: وأخرج أيضا عن جعفر الصادق أنه قال ما أرجو من شفاعة علي شيئا إلاّ وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله ولقد ولدني مرتين. وأخرج أيضا عن زيد بن علي أنه قال لمن يتبرأ منهما ما أعلم والله أن البراءة من الشيخين البراءة من علي فتقدم أو تأخر. وزيد هذا كان إماما جليلا استشهد في صفر سنة إحدى وعشرين ومائة ولما صلب عريانا جاءت العنكبوت ونسجت على عورته حتى حفظت عن رؤية الناس فإنه استمر مصلوبا مدة طويلة وكان قد خرج وبايعه خلق من الكوفة وحضر إليه كثير من الشيعة فقالوا له ابرأ عن الشيخين ونحن نبايعك فأبى فقالوا إنا نرى فضلك فقال اذهبوا فأنتم الرافضة، فمن حينئذ سموا الرافضة وسميت الشيعة بالزيدية، وأخرج الحافظ عمر بن شبة أن زيدا هذا الإمام الجليل قيل له إن أبا بكر انتزع من فاطمة فدك فقال إنه كان

رحيما وكان يكره أن يغير شيئا تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته فاطمة رضي الله عنها فقالت له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني فدك فقال هل لك بينة فشهد لها علي وأم أيمن فقال لها فبرجل وامرأة تستحقيها ثم قال زيد والله لو رجع الأمر فيها إليّ لقضيت بقضاء أبي بكر رضي الله عنه وأخرج عنه أيضا قال انطلقت الخوارج فبرئت ممن دون أبي بكر وعمر ولم يستطيعوا أن يقولوا فيهما شيئا وانطلقتم أنتم فطفرتم -أي وثبتم- فوق ذلك فبرئتم منهما فمن بقى؟ فو الله ما بقى أحد إلاّ برئتم منه (وأخرج أيضا) وابن عساكر عن سالم بن أبي الجعد قلت لمحمد ابن الحنفية هل كان أبو بكر أول القوم إسلاما قال لا قلت فبم علا أبو بكر وسبق حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر قال لأنه كان أفضلهم إسلاما حين أسلم حتى لحق بربه (وأخرج) الدارقطني عن سالم بن أبي حفصة وهو شيعي لكنه ثقة قال سألت أبا جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد عن الشيخين فقالا يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما فإنهما كانا إمامي هدى وأخرج عنه أيضا قال دخلت على أبي جعفر وفي رواية عن جعفر بن محمد فقال وأراه قال ذلك من أجلي: اللّهمّ إني أتولى أبا بكر وعمر وأحبهما اللّهمّ إن كان في نفسي غير هذا فلا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة (وأخرج) عنه أيضا دخلت على جعفر بن محمد وهو مريض فقال اللّهمّ إني أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما اللّهمّ إن كان في نفسي غير هذا فلا تنالني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم. وأخرج عنه أيضا قال لي جعفر يا سالم أيسب الرجل جده أبو بكر جدي لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما. وأخرج عن جعفر[١] أيضا أنه قيل إن فلانا يزعم

---

(١) توفي محمد بن الحنفية سنة ٨١ وعلي زين العابدين بن الحسين سنة ٦٤. وزيد بن علي زين العابدين سنة ١٢١ ومحمد الباقر سنة ١١٧ وجعفر الصادق سنة ١٤٨ والنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي سنة ١٤٥ وموسى الكاظم بن جعفر الصادق سنة ١٨٣. كما في منتهى السؤل في مناقب آل الرسول لابن طلحة القرشي وإبصار العين لابن طاهر السماوي

أنك تبرأ من أبي بكر فقال برئ الله من فلان إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر ولقد مرضت فأوصيت إلى خالي عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم. وأخرج هو أيضا والحافظ عمر بن شبة عن كثير قلت لأبي جعفر محمد بن علي أخبرني أظلمكم أبو بكر وعمر من حقكم شيئا: فقال ومنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ما ظلمانا من حقنا ما يزن حبة خردلة. قال قلت أفأتولاهما جعلني الله فداك قال نعم يا كثير تولهما في الدنيا والآخرة. قال وجعل يصك عنق نفسه ويقول ما أصابك فبعنقي هذا ثم قال برئ الله ورسوله من المغيرة ابن سعيد وبيان. فإنهما كذبا علينا أهل البيت. وأخرج أيضا عن بسام الصيرفي قلت لأبي جعفر ما تقول في أبي بكر وعمر. فقال والله إني لأتولاهما وما أدركت أحدا من أهل بيتي إلاّ وهو يتولاهما. وأخرج أيضا عن الشافعي رضي الله عنه. عن جعفر بن أبي طالب قال ولينا أبو بكر خير خليفة وأرحمه لنا وأحناه علينا. وفي رواية فما ولينا أحد من الناس مثله. وفي أخرى فما رأينا قط كان خيرا منه. وأخرج أيضا عن أبي جعفر الباقر أنه قيل له إن فلانا حدثني: أن علي بن الحسين. قال إن هذه الآية. (**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ** * الأعراف: ٤٣). نزلت في أبي بكر وعمر وعلي. قال والله إنها لفيهم قيل فأي غل هو قال غل الجاهلية إن بني تيم وعدي وبني هاشم كان بينهم شيء في الجاهلية فلما أسلم هولاء القوم تحابوا فأخذ أبا بكر الخاصرةُ فجعل علي يسخن يده ويكمد بها خاصرة أبي بكر فنزلت هذه الآية فيهم. وفي رواية له عنه أيضا قلت لأبي جعفر وسألته عن أبي بكر وعمر: فقال من شك فيهما فقد شك في السنة ثم ذكر أنه كان بين تلك القبائل شحناء فلما أسلموا تحابوا ونزع الله ذلك من قلوبهم حتى إن أبا بكر لما اشتكى خاصرته سخن علي يده وضمده بها فنزلت فيهم. الآية. وأخرج أيضا عن علي أن هذه الآية نزلت في هذه البطون الثلاثة تيم وعدي وبني هاشم: وقال منهم أنا وأبو بكر وعمر. وأخرج أيضا عن أبي جعفر الباقر أنه قيل له هل كان أحد من أهل البيت يسب أبا بكر وعمر قال

معاذ الله بل يتولوهما ويستغفرون لهما ويترحمون عليهما (وأخرج) عن أبي جعفر أيضا عن أبيه علي بن الحسين رضي الله عنهم أنه قال لجماعة خاضوا في أبي بكر وعمر ثم في عثمان ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. قالوا لا قال فأنتم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون: قالوا لا قال أما أنتم فقد برئتم أن تكونوا في أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم **(وَالَّذِينَ جَآؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِاخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْاِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبنَا اِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ** * الحشر: ١٠) (وأخرج) أيضا عن فضيل بن مرزوق سمعت إبراهيم بن الحسن بن الحسين أخا عبد الله بن الحسن يقول: والله قد مرقت علينا الرافضة كما مرقت الحرورية على علي رضي الله عنه (وأخرج) عنه أيضا سمعت حسن بن حسن: يقول لرجل من الرافضة والله لئن أمكن الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولا نقبل منكم توبة (وأخرج) أيضا عن محمد بن حاطب قال ذكر عثمان عند الحسن والحسين رضي الله عنهم فقالا هذا أمير المؤمنين -أي علي- آتيكم الآن يخبركم عنه إذ جاء علي: قال الراوي ما أدري أسمعهم يذكرون عثمان أو سألوه عنه فقال عثمان: من الذين اتقوا وآمنوا ثم من الذين اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (وأخرج) عنه أيضا من طرق: قال دخلت على علي: فقلت يا أمير المؤمنين إني أردت الحجاز وإن الناس يسألوني فما تقول في قتل عثمان، وكان متكئا فجلس. وقال يا ابن حاطب والله إني لأرجو أن أكون أنا وهو كما قال الله تعالى. **(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ** * الأعراف: ٤٣) (وأخرج) أيضا عن سالم بن أبي الجعد قال كنت جالسا عند محمد بن الحنفية فذكروا عثمان فنهانا: وقال كفوا عنه فغدونا يوما آخر فنلنا منه أكثر ما كان قبل:

فقال ألم أنهكم عن هذا الرجل قال وابن عباس جالس عنده: فقال يا ابن عباس تذكر عشية الجمل وأنا عن يمين علي وفي يدي الراية وأنت عن يساره إذ سمع هدة في المربد فأرسل رسولا فجاء الرسول: فقال هذه عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد فرفع علي يديه حتى بلغ بهما وجهه مرتين أو ثلاثا. وقال وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل قال فصدقه ابن عباس. ثم أقبل علينا. فقال فيّ وفي هذا لكم شاهدا عدل (وأخرج) أيضا عن مروان بن الحكم أنه قال ما كان أحد أدفع عن عثمان من علي فقيل له ما لكم تسبونا على المنابر. قال إنه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك (وأخرج) أيضا عن الحسين بن محمد بن الحنفية أنه قال يا أهل الكوفة اتقوا الله عز وجل ولا تقولوا لأبي بكر وعمر ما ليسا له بأهل إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثاني اثنين وإن عمر أعز الله به الدين (وأخرج) أيضا عن جندب الأسدي أن محمد بن عبد الله بن الحسن أتاه قوم من أهل الكوفة والجزيرة فسألوه عن أبي بكر وعمر فالتفت إليّ. فقال انظروا إلى أهل بلادك يسألوني عن أبي بكر وعمر لهما عند أفضل من علي (وأخرج) أيضا عن عبد الله بن الحسن أنه قال: والله لا يقبل الله عز وجل توبة عبد تبرأ من أبي بكر وعمر وإنهما ليعرضان على قلبي فادعو الله عزّ وجلّ لهما أتقرب به إلى الله عزّ وجلّ (وأخرج) أيضا عن فضيل ابن مرزوق أنه قال قلت لعمر بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أفيكم إمام تفترض طاعته تعرفون ذلك له من لم يعرف ذلك له فمات مات ميتة جاهلية: فقال لا والله ما ذاك فينا. من قال هذا فهو كاذب فقلت إنهم يقولون إن هذه المنزلة كانت لعلي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إليه ثم كانت للحسن إن عليا أوصى إليه ثم كانت للحسين بن علي إن الحسن أوصى إليه ثم كانت لعلي بن الحسين إن الحسين أوصى إليه ثم كانت لمحمد بن علي أي الباقر أخي عمر المذكور إن علي بن الحسين أوصى إليه. فقال عمر بن علي بن الحسين فو الله ما أوصى أبي بحرفين اثنين فقاتلهم الله لو أن رجلا وصى في ماله وولده وما يترك

بعده ويلهم ما هذا من الدين والله ما هؤلاء إلاّ متآكلين بنا (وأخرج) أيضا عن عبد الجبار الهمداني أن جعفرا الصادق أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة. فقال إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم فأبلغوهم عني من زعم أني إمام مفترض الطاعة فأنا منه برئ ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر فأنا منه برئ (وأخرج) أيضا عنه أنه سئل عنهما. فقال أبرأ ممن ذكرهما إلاّ بخير فقيل له لعلك تقول ذلك تقية[١]. فقال أنا إذا من المشركين ولا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم (وأخرج) عنه أيضا أنه قال إن الخبثاء من أهل العراق يزعمون أنا نقع في أبي بكر وعمر وهما والداي، أي لأن أمه أم فروة بنت القاسم الفقيه بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ومن ثم سبق قوله ولدني أبو بكر مرتين (وأخرج) أيضا عن أبي جعفر الباقر. قال من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة قال بعض أئمة أهل البيت صدق والله إنما نشأ من الشيعة والرافضة وغيرهما ما نشأ من البدع والجهالات من جهلهم بالسنة. وفي الطيوريات بسنده إلى جعفر بن محمد عن أبيه قال رجل لعلي بن أبي طالب نسمعك تقول في الخطبة اللّهمّ أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فاغرورقت عيناه: فقال هم حبيباي أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش المقتدى بهما

---

(١) التقية هي محافظة على النفس أو العرض أو المال من شر الأعداء والأعداء إما أعداء لاختلاف الدين كالكافر والمسلم وإما أعداء لغرض دنيوي. فأهل السنة لا يجوزون ترك الدين في بلد يخاف من إظهاره بل يوجبون الهجرة إلاّ لصاحب الضرورة الشرعية فإنه يبقى إلى أن يسعى في حيلة الفرار واختلفوا في وجوب الهجرة لغرض دنيوي ما لم يخف على نفسه هلاكا فإنها تجب بلا خلاف. والشيعة بعضهم يجيزها في الأقوال والأفعال عند الخوف على النفس أو المال وبعضهم لأدنى مخافة. وحملوا على التقية أكثر أفعال الأئمة مما يوافق مذهب أهل السنة وجعلوها أصلا ونسبوا ذلك للأنبياء ليتوصلوا بذلك إلى إبطال خلافة الخلفاء الراشدين مع أن في كتبهم ما يبطل العمل بها ففي نهج البلاغة أن عليا قال (علامة الإيمان إيثار الصدق حيث يضرك) ومثله كثير من رواية الكليني وأبان بن عياش وغيرهما ويلزم من هذا المذهب أن زكريا ويحيى عليهما السلام والحسين رضي الله عنه ليس لهم عند الله فضل لعدم فعل التقية. والفضل لجميع المنافقين في العهد النبوي لفعلها وفي تفسير الآلوسي ما يرد عليهم من أدلتهم وأدلة أهل السنة

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن تبع آثارهما هدى إلى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله. فهذه أقاويل المعتبرين من أهل البيت رواها عنهم الأئمة الحفاظ الذين عليهم المعول في معرفة الأحاديث والآثار وتمييز صحيحها من سقيمها بأسانيدهم المتصلة فكيف يسمح المتمسك بحبل أهل البيت ويزعم حبهم أن يعدل عما قالوه من تعظيم أبي بكر وعمر واعتقاد حقية خلافتهما وما كانا عليه. وصرحوا بتكذيب من نقل عنهم خلافه ومع ذلك برئ أن ينسب إليهم ما تبرؤا منه ورأوه ذما في حقهم حتى قال زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أيها الناس أحبونا حب الإسلام فو الله ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا، وفي رواية حتى نقصتمونا إلى الناس. أي بسبب ما نسبوه إليهم مما هم براء منه فلعن الله من كذب على هؤلاء الأئمة ورماهم بالزور والبهتان.

الباب الثالث

في بيان أفضلية أبي بكر على سائر هذه الأمة ثم عمر ثم عثمان ثم علي وفي ذكر فضائل أبي بكر الواردة فيه وحده أو مع عمر أو مع الثلاثة أو مع غيرهم وفيه فصول

الفصل الأول

في ذكر أفضليتهم على هذا الترتيب وفي تصريح علي بأفضلية الشيخين على سائر الأمة وفي بطلان ما زعمه الرافضة والشيعة من أن ذلك منه قهر وتقية

(إعلم) أن الذي أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الأمة أن أفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق ثم عمر. ثم اختلفوا، فالأكثرون ومنهم الشافعي وأحمد وهو المشهور عن مالك أن الأفضل بعدهما عثمان ثم علي، وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثوري بتفضيل علي على عثمان، وقيل: بالوقف عن التفاضل بينهما، وهو رواية عن مالك فقد حكى أبو بعد الله المازري عن المدونة: أن مالكا رحمه الله سئل أي الناس أفضل

بعد نبيهم؟ فقال: أبو بكر ثم عمر، ثم قال: أو في ذلك شك. فقيل له: وعلي وعثمان؟ فقال: ما أدركت أحدا ممن اقتدى به يفضل أحدهما على الآخر. انتهى، وقوله رضي الله عنه أو في ذلك شك يريد ما يأتي عن الأشعري أن تفضيل أبي بكر ثم عمر على بقية الأمة قطعي، وتوقفه هذا رجع عنه فقد حكى القاضي عياض عنه: أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان. قال القرطبي: وهو الأصلح إن شاء الله تعالى، ومال إلى التوقف إمام الحرمين فقال: وتتعارض الظنون في عثمان وعلي، ونقله ابن عبد البر عن جماعة عن السلف من أهل السنة منهم مالك ويحيى القطان ويحيى بن معين. قال ابن معين: ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة ولا شك أن من اقتصر على عثمان و لم يعرف لعلي فضله فهو مذموم، وزعم ابن عبد البر أن حديث الاقتصار على الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان مخالف لقول أهل السنة إن عليا أفضل الناس بعد الثلاثة مردود، بأنه لا يلزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله، وأما حكاية أبي منصور البغدادي الإجماع على أفضلية عثمان على علي فمدخولة وإن نقل ذلك عنه بعض الحفاظ وسكت عليه لما بيناه من الخلاف. ثم الذي مال إليه أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة أن تفضيل أبي بكر على من بعده قطعي، وخالفه القاضي أبو بكر الباقلاني فقال: إنه ظني، واختاره إمام الحرمين في الإرشاد، وبه جزم صاحب المفهم في شرح مسلم ويؤيده قول ابن عبد البر في الاستيعاب ذكر عبد الرازق عن معمر قال: لو أن رجلا قال عمر أفضل من أبي بكر ما عنفته، وكذلك لو قال علي عندي أفضل من أبي بكر وعمر لم أعنفه إذا ذكر فضل الشيخين وأحبهما وأثنى عليهما بما هما أهله فذكرت ذلك لوكيع فأعجبه واشتهاه انتهى. وليس ملحظ عدم تعنيف قائل ذلك إلاّ أن التفضيل المذكور ظني لا قطعي. ويؤيده أيضا ما حكاه الخطابي عن بعض مشايخه أنه كان يقول: أبو بكر خير وعلي أفضل. لكن قال بعضهم: إن هذا تهافت من القول أي أنه لا معنى للخيرية إلاّ الأفضلية فإن أريد أن خيرية أبي بكر من

بعض الوجوه وأفضلية علي من وجه آخر لم يكن ذلك من محل الخلاف ولم يكن الأمر في ذلك خاصا بأبي بكر وعلي بل أبو بكر وأبو عبيدة مثلا يقال فيهما ذلك فإن الأمانة التي في أبي عبيدة وخصه بها صلى الله عليه وسلم لم يخص أبا بكر بمثلها فكان خيرا من أبي بكر من هذا الوجه، والحاصل: أن المفضول قد توجد فيه مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل. فإن أراد شيخ الخطابي ذلك وأن أبا بكر أفضل مطلقا إلاّ أن عليا وجدت فيه مزايا لا توجد في أبي بكر فكلامه صحيح وإلاّ فكلامه في غاية التهافت خلافا لمن انتصر له ووجه بما لا يجدى بل لا يفهم. فإن قلت. ينافي ما قدمته من الإجماع على أفضلية أبي بكر قول ابن عبد البر إن السلف اختلفوا في تفضيل أبي بكر وعلي رضي الله عنهما وقوله أيضا قبل ذلك روي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم أن عليا أول من أسلم وفضله هؤلاء على غيره انتهى. قلت: أما ما حكاه أولا من أن السلف اختلفوا في تفضيلهما فهو شيء غريب انفرد عن غيره ممن هو أجل منه حفظا واطلاعا فلا يعول عليه. فكيف والحاكي لإجماع الصحابة والتابعين على تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على سائر الصحابة جماعة من أكابر الأئمة منهم الشافعي رضي الله تعالى عنه كما حكاه عنه البيهقي وغيره. وأن من اختلف منهم إنما اختلف في علي وعثمان. وعلى التنزل فإنه حفظ ما لم يحفظ غيره فيجاب عنه بأن الأئمة إنما أعرضوا عن هذه المقالة لشذوذها ذهابا إلى أن شذوذ المخالف لا يقدح فيه أو رأوا أنها حادثة بعد انعقاد الإجماع فكانت في حيز الطرح والرد. على أن المفهوم من كلام ابن عبد البر أن الإجماع استقر على تفضيل الشيخين على الحسنين وأما ما وقع في طبقات ابن السبكي الكبرى عن بعض المتأخرين من تفضيل الحسنين من حيث إنهما بضعة فلا ينافي ذلك، لما قدمناه أن المفضول قد توجد فيه مزية ليست في الفاضل على أن هذا تفضيل لا يرجع لكثرة الثواب بل لمزيد شرف، ففي ذات أولاده صلى الله عليه وسلم من الشرف ما ليس في ذات الشيخين ولكنهما أكثر ثوابا وأعظم نفعا

للمسلمين والإسلام وأخشى لله وأتقى ممن عداهما من أولاده صلى الله عليه وسلم فضلا عن غيرهم، وأما ما حكاه أعني ابن عبد البر ثانيا عن أولئك الجماعة فلا يقتضي أنهم قائلون بأفضلية علي على أبي بكر مطلقا بل إما من حيث تقدمه عليه إسلاما بناء على القول بذلك، أو مرادهم بتفضيل علي على غيره ما عدا الشيخين وعثمان، لقيام الأدلة الصريحة الصحيحة على أفضلية هؤلاء عليه. فإن قلت: ما مستند إجماعهم على ذلك. قلت: الإجماع حجة على كل أحد، وإن لم يعرف مستنده، لأن الله عصم هذه الأمة من أن تجتمع على ضلالة ويدل لذلك بل يصرح به قوله تعالى: (**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** * النساء: ١١٥)، وقد أجمعوا أيضا على استحقاقهم الخلافة على هذا الترتيب، لكن هذا قطعي كما مر بأدلته مبسوطا فإن قلت: لم لم يكن التفضيل بينهم على هذا الترتيب قطعيا أيضا حتى عند غير الأشعري للإجماع عليه. قلت: أما بين عثمان وعلي فواضح للخلاف فيه كما تقدم، وأما بين أبي بكر ثم عمر ثم غيرهما فهو وإن أجمعوا عليه إلاّ أن في كون الإجماع حجة قطعية خلاف فالذي عليه الأكثرون أنه حجة قطعية مطلقا فيقدم على الأدلة كلها ولا يعارضه دليل أصلا ويكفر أو يبدع ويضلل مخالفه. وقال الإمام الرازي والآمدي إنه ظني مطلقا والحق في ذلك التفصيل فما اتفق عليه المعتبرون حجة قطعية وما اختلفوا كالإجماع السكوتي والإجماع الذي يرد مخالفه فهو ظني. وقد علمت مما قررته لك أن هذا الإجماع له مخالف نادر فهو وإن لم يعتد به في الإجماع على ما فيه من الخلاف في محله لكنه يورث انحطاطه عن الإجماع الذي لا مخالف له فالأول ظني وهذا قطعي. وبهذا يترجح ما قاله غير الأشعري من أن الإجماع هنا ظني لأنه اللائق مما قررناه من أن الحق عند الأصوليين التفصيل المذكور وكان الأشعري من الأكثرين القائلين بأنه قطعي مطلقا.

ومما يؤيد أنه هنا ظني أن المجمعين أنفسهم لم يقطعوا بالأفضلية المذكورة وإنما

ظنوها فقط كما هو المفهوم من عبارات الأئمة وإشاراتهم. وسبب ذلك أن المسألة اجتهادية. ومن مستنده أن هؤلاء الأربعة اختارهم الله لخلافة نبيه وإقامة دينه فكان الظاهر أن متزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة. وأيضا ورد في أبي بكر وغيره كعلي نصوص متعارضة يأتي بسطها في الفضائل وهي لا تفيد القطع لأنها بأسرها آحاد وظنية الدلالة مع كونها متعارضة أيضا وليس الاختصاص بكثرة أسباب الثواب موجبا لزيادة مستلزمة للأفضلية قطعا بل ظنا لأنه تفضل من الله فله أن لا يثيب المطيع ويثيب غيره وثبوت الإمامة وإن كان قطعيا لا يفيد القطع بالأفضلية بل غايته الظن. كيف ولا قاطع على بطلان إمامة المفضول مع وجود الفاضل لكننا وجدنا السلف فضلوهم كذلك وحسن ظننا بهم قاض بأنهم لو لم يطلعوا على دليل في ذلك لما أطبقوا عليه فلزمنا اتباعهم فيه وتفويض ما هو الحق فيه إلى الله تعالى. قال الآمدي وقد يراد بالتفضيل اختصاص أحد الشيخين عن الآخر بأصل فضيلة لا وجود لها في الآخر كالعالم والجاهل وإما بزيادة فيها لكونه أعلم مثلا وذلك أيضا مقطوع به فيما بين الصحابة إذ ما من فضيلة تبين اختصاصها بواحد منهم إلاّ ويمكن بيان مشاركة غيره له فيها وبتقدير عدم المشاركة فقد يمكن بيان اختصاص الآخر بفضيلة أخرى ولا سبيل إلى الترجيح بكثرة الفضائل لاحتمال أن تكون الفضيلة الواحدة أرجح من فضائل كثيرة إما لزيادة شرفها في نفسها أو لزيادة كميتها فلا جزم بالأفضلية لهذا المعنى أيضا. وأيضا فحقيقة الفضل ما هو فضل عند الله وذلك لا يطلع عليه إلاّ بالوحي. وقد ورد الثناء عليهم ولا يتحقق إدراك حقيقة ذلك الفضل عند عدم دليل قطعي متنا وسندا إلاّ المشاهد لزمن الوحي وأحواله صلى الله عليه وسلم معهم لظهور القرائن الدالة على التفضيل حينئذ، بخلاف من لم يشهد ذلك، نعم وصل إلينا سمعيات أكدت عندنا الظن بذلك التفضيل على ذلك الترتيب لإفادتها صريحا أو استنباطا وستأتي مبسوطة في الفضائل. ويؤيد ما مر أنه لا يلزم من الإجماع على الأحقية بالخلافة الإجماع على الأفضلية لأن أهل السنة أجمعوا على أن عثمان أحق

بالخلافة من علي مع اختلافهم في أيهما أفضل وقد التبس هذا المقام على بعض من لا فطنة عنده فظن أن من قال من الأصوليين إن أفضلية أبي بكر إنما ثبتت بالظن لا بالقطع يدل على أن خلافته كذلك وليس كما زعم على أنهم كما صرحوا بذلك صرحوا معه بأن خلافته قطعية فكيف حينئذ يتأتى ما ظنه ذلك البعض، هذا ولك أن تقول إن أفضلية أبي بكر ثبتت بالقطع حتى عند غير الأشعري أيضا بناء على معتقد الشيعة والرافضة وذلك لأنه ورد عن علي وهو معصوم عندهم والمعصوم لا يجوز عليه الكذب أن أبا بكر وعمر أفضل الأمة قال الذهبي[١] وقد تواتر ذلك عنه في خلافته وكرسي مملكته وبين الجم الغفير من شيعته ثم بسط الأسانيد الصحيحة في ذلك قال: ويقال رواه عن علي نيف وثمانون نفسا وعدد منهم جماعة ثم قال فقبح الله الرافضة ما أجهلهم انتهى (ومما) يعضد ذلك ما في البخاري عنه أنه قال خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما ثم رجل آخر فقال ابنه محمد بن الحنيفية ثم أنت فقال إنما أنا رجل من المسلمين وصحح الذهبي وغيره طرقا أخرى عن علي بذلك وفي بعضها ألا وإنه بلغني أن رجالا يفضلوني عليهما فمن وجدته فضلني عليهما فهو مفتر، عليه ما على المفتري ألا ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت ألا وإني أكره العقوبة قبل التقدم (وأخرج) الدارقطني عنه لا أجد أحدا فضلني على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حد المفتري[٢] وصح عن مالك عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر أن عليا رضي الله عنه وقف على عمر بن الخطاب وهو مسجي وقال ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أحدا احب إليّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجي وفي رواية صحيحة أنه قال له وهو مسجي صلى الله عليك. ودعا له، قال سفيان في رواية: قيل للباقر أليست الصلاة على غير الأنبياء منهيا عنها فقال هكذا سمعت، وعليه فيوجه باحتمال أن عليا قائل بعدم الكراهة

---

(١) قال الذهبي هذا متواتر عن علي وأخرج ابن عساكر نحوه عن عمر من قوله

(٢) وأخرجه ابن عساكر أيضا

عملا بقوله صلى الله عليه وسلم اللّهمّ صل على آل أبي أوفى، وأخرج أبو بكر الآجري عن أبي جحيفة سمعت عليا على منبر الكوفة يقول إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم خيرهم عمر.

(وأخرج) الحافظ أبو ذر الهروي من طرق متنوعة والدارقطني وغيرهما عنه أيضا دخلت على علي في بيته فقلت يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا يا أبا جحيفة ألا أخبرك بخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ويحك يا أبا جحيفة لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن، وأخباره بكونهما خير الأمة ثبتت عنه من رواية ابنه محمد بن الحنفية، وجاء عنه من طرق كثيرة بحيث يجزم من تتبعها بصدور هذا القول من علي، والرافضة ونحوهم لما لم يكن يمكنهم إنكار صدور هذا القول منه لظهوره عنه بحيث لا ينكره إلاّ جاهل بالآثار أو مباهت قالوا إنما قال علي ذلك تقية ومر أن ذلك كذب وافتراء وسيأتي أيضا وأحسن ما يقال في هذا المحل ألا لعنة الله على الكاذبين.

(وأخرج) الدارقطني أن أبا جحيفة كان يرى أن عليا أفضل الأمة فسمع أقواما يخالفونه فحزن حزنا شديدا فقال له علي بعد أن أخذ بيده وأدخله بيته ما أحزنك يا أبا جحيفة فذكر له الخبر فقال ألا أخبرك بخير هذه الأمة خيرها أبو بكر ثم عمر قال أبو جحيفة فأعطيت الله عهدا أن لا أكتم هذا الحديث بعد أن شافهني به على ما بقيت وقول الشيعة والرافضة ونحوهما إنما ذكر على ذلك تقية كذب وافتراء على الله إذ كيف يتوهم ذلك من له أدنى عقل أو فهم مع ذكره له في الخلاء في مدة خلافته لأنه قاله على منبر الكوفة وهو لم يدخلها إلاّ بعد فراغه من حرب أهل البصرة وذلك أقوى ما كان أمرا وأنفذ حكما وذلك بعد مدة مديدة من موت أبي بكر وعمر قال بعض أئمة أهل البيت بعد أن ذكر ذلك فيكف يتعقل وقوع مثل هذه التقية المشؤمة التي أفسدوا بها عقائد أكثر أهل البيت النبوي لاظهارهم لهم كمال المحبة والتعظيم فمالوا إلى تقليدهم حتى قال بعضهم أعز الأشياء في الدنيا

شريف سني فلقد عظمت مصيبة أهل البيت بهؤلاء وعظم عليهم أولا وآخرا انتهى وما أحسن ما أبطل به الباقر هذه التقية المشؤمة لما سئل عن الشيخين فقال إني أتولاهما فقيل له إنهم لا يزعمون أن ذلك تقية فقال إنما يخاف الأحياء ولا يخاف الأموات فعل الله بهشام بن عبد الملك كذا وكذا، أخرجه الدارقطني وغيره، فانظر ما أبين هذا الاحتجاج وأوضحه من مثل هذا الإمام العظيم المجمع على جلالته وفضله. بل أولئك الأشقياء يدعون فيه العصمة فيكون ما قاله واجب الصدق، ومع ذلك فقد صرح لهم ببطلان تلك التقية المشؤمة عليهم واستدل لهم على ذلك بأن اتقاء الشيخين بعد موتهما لا وجه له إذ لا سطوة لهما حينئذ ثم بين لهم بدعائه على هشام الذي هو والي زمنه وشوكته قائمة إنه إذا لم يتقه مع أنه يخاف ويخشى لسطوته وملكه وقوته وقهره فكيف مع ذلك يتقي الأموات الذين لا شوكة لهم ولا سطوة وإذا كان هذا حال الباقر فما ظنك بعلي الذي لا نسبة بينه وبين الباقر في إقدامه وقوته وشجاعته وشدة بأسه وكثرة عدته وعدده وأنه لا يخاف في الله لومة لائم ومع ذلك فقد صح عنه بل تواتر كما مر مدح الشيخين والثناء عليهما وأنهما خير الأمة، ومر أيضا الأثر الصحيح عن مالك عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر أن عليا وقف على عمر وهو مسجي بثوبه وقال ما سبق فما أحوج عليا أن يقول ذلك تقية وما أحوج الباقر أن يرويه لابنه الصادق تقية. وما أحوج الصادق أن يرويه لمالك تقية؟ فتأمل كيف يسع العاقل أن يترك مثل هذا الإسناد الصحيح ويحمله على التقية لشيء لم يصح وإنما هو من جهالاتهم وغباواتهم وكذبهم وحمقهم وما أحسن ما سلكه بعض الشيعة المنصفين كعبد الرزاق فإنه قال أفضل الشيخين بتفضيل علي إياهما على نفسه وإلاّ لما فضلتهما. كفى به وزرا أن أحبه ثم أخالفه (ومما) يكذبهم في دعوى تلك التقية المشؤمة عليهم ما أخرجه الدارقطني ان أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه قال لعلي بأعلى صوته لما بايع الناس أبا بكر رضي الله عنه يا علي غلبكم على هذا الأمر أذل بيت في قريش أما والله لأملأنها عليه خيلا ورجالا إن شئت، فقال علي

رضي الله عنه يا عدو الإسلام وأهله فما أضر ذلك للإسلام وأهله، فعلم بطلان ما زعموه وافتروه من أن عليا إنما باع تقية وقهرا ولو كان لما زعموه أدنى صحة لنقل واشتهر عن علي إذ لا داعي لكتمه بل أخرج الدارقطني. وروي معناه من طرق كثيرة. عن علي أنه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لجاهدت عليه ولو لم أجد إلاّ ردائي ولم أترك ابن أبي قحافة يصعد درجة واحدة من منبره صلى الله عليه وسلم ولكنه صلى الله عليه وسلم رأى موضعي وموضعه فقال قم فصل بالناس وتركني فرضينا به لدنيانا كما رضي به رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ومر لذلك مزيد بيان في خامس الأجوبة عن خبر (**من كنت مولاه فعلي مولاه**) وفي الباب الثاني وفي غيرهما فراجع ذلك كله فإنه مهم (ومما يلزم) من المفاسد والمساوي والقبائح العظيمة على ما زعموه من نسبة علي إلى التقية أنه كان جبانا ذليلا مقهورا أعاذه الله من ذلك وحروبه للبغاة لما صارت الخلافة له ومباشرته ذلك بنفسه ومبارزته للألوف من الأمور المستفيضة التي تقطع بكذب ما نسبه إليه أولئك الحمقى والغلاة إذ كانت الشوكة من البغاة قوية جدا ولا شك أن بني أمية كانوا أعظم قبائل قريش شوكة وكثرة جاهلية وإسلاما وقد كان أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه هو قائد المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب وغيرهما وقد قال لعلي لما بويع أبو بكر ما مر آنفا فرد عليه ذلك الرد الفاحش. وأيضا فبنو تيم ثم بنو عدي قوما الشيخين من أضعف قبائل قريش فسكوت علي لها مع أنهما كما ذكر وقيامه بالسيف على المخالفين لما انعقدت البيعة له مع قوة شكيمتهم أوضح دليل على أنه كان دائرا مع الحق حيث دار وأنه من الشجاعة بالمحل الأسنى وأنه لو كان معه وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر القيام على الناس لأنفذ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان السيف على رأسه مسلطا لا يرتاب في ذلك إلاّ من اعتقد فيه رضي الله عنه ما هو بريئ منه (ومما يلزم أيضا) على تلك التقية المشؤمة عليهم أنه رضي الله عنه لا يعتمد

على قوله قط لأنه حيث لم يزل في اضطراب من أمره فكل ما قاله يحتمل أنه خالف فيه الحق خوفا وتقية ذكره شيخ الإسلام الغزالي. قال غيره بل يلزمهم ما هو أشنع من ذلك وأقبح كقولهم إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعين الإمامة الاّ لعلي فمنع من ذلك فقال (**مروا أبا بكر**) تقية فيتطرق احتمال ذلك إلى كل ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم ولا يفيد حينئذ إثبات العصمة شيئا، وأيضا فقد استفاض عن علي رضي الله عنه أنه كان لا يبالي بأحد حتى قيل للشافعي رضي الله عنه ما نفر الناس عن علي إلاّ أنه كان لا يبالي بأحد فقال الشافعي إنه كان زاهد والزاهد لا يبالي بالدنيا وأهلها وكان عالما والعالم لا يبالي بأحد وكان شجاعا والشجاع لا يبالي بأحد وكان شريفا والشريف لا يبالي بأحد أخرجه البيهقي. وعلى تقدير أنه قال ذلك تقية فقد ابقى مقتضيها بولايته وقد مر عنه من مدح الشيخين فيها وفي الخلوة وعلى منبر الخلافة مع غاية القوة والمنعة ما تلي عليك قريبا فلا تغفل (وأخرج) أبو ذر الهروي والدارقطني من طرق، أن بعضهم مر بنفر يسبون الشيخين فأخبر عليا وقال لولا أهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا ما اجترءوا على ذلك فقال علي أعوذ بالله، رحمهما الله ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر وأدخله المسجد فصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهي بيضاء فجعلت دموعه تتحادر على لحيته وجعل ينظر البقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب خطبة بليغة من جملتها، ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين وأنا برئ مما يذكرون وعليه معاقب، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد والوفاء والجد في أمر الله يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كرأيهما رأيا ولا يحب كحبهما حبا لما يرى من عزمها في أمر الله فقبض وهو عنهما راض والمسلمون راضون فما تجاوزوا في أمرهما وسيرتهما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره في حياته وبعد موته فقبضا على ذلك رحمهما الله فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلاّ مؤمن فاضل ولا يبغضهما ويخالفهما إلاّ

شقي مارق حبهما قربة وبغضهما مروق، ثم ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر بالصلاة وهو يرى مكان علي ثم ذكر أنه بايع أبا بكر ثم ذكر استخلاف أبي بكر لعمر ثم قال ألا ولا يبلغني عن أحد أنه يبغضهما إلاّ جلدته حد المفتري وفي رواية ما اجترءوا على ذلك أي سب الشيخين - إلاّ وهم يرون أنك موافق لهم منهم عبد الله بن سبأ[١] وكان أول من أظهر ذلك فقال علي معاذ الله أن أضمر لهما ذلك لعن الله من أضمر لهما إلاّ الحسن الجميل، وسترى ذلك إن شاء الله: ثم أرسل إلى ابن سبأ فسيره إلى المدائن وقال لا يساكنني في بلدة أبدا. قال الأئمة وكان ابن سبأ هذا يهوديا فأظهر الإسلام وكان كبير طائفة من الروافض وهم الذين أخرجهم علي رضي الله عنه لما ادعوا فيه الألوهية (وأخرج) الدارقطني من طرق أن عليا بلغه أن رجلا يعيب أبا بكر وعمر فأحضره وعرض له بعيبهما لعله يعترف ففطن فقال له أما والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق أن لو سمعت منك الذي بلغني أو الذي نبئت عنك وثبت عليك ببينة لأفعلن بك كذا وكذا * إذا تقرر ذلك فاللائق بأهل البيت النبوي اتباع سلفهم في ذلك والإعراض عما يوشيه إليهم الرافضة وغلاة الشيعة من قبيح الجهل والغباوة والعناد فالحذر الحذر عما يلقونه إليهم من إن كل من اعتقد تفضيل أبي بكر على علي رضي الله عنهما كان كافرا لأن مرادهم بذلك أن يقرروا عندهم تكفير الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين وعلماء الشريعة وعوامهم وأنه لا مؤمن غيرهم وهذا مؤد إلى هدم قواعد الشريعة

---

(١) ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن أصله من اليمن وابن أمة سوداء وكان يهوديا فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر ودخل دمشق لذلك وأفاض فيه ابن جرير في تاريخه وهو الذي قال بالنص على الخلافة في علي وأبنائه وأحدث القول برجعة علي وأنه فيه الجزء الإلهي وأنه هو الذي يجئ في السحاب - قال المقريزي ومن ابن سبأ تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة - وذكر أنه كان ينتقل من الحجاز إلى أمصار المسلمين يريد إضلالهم فلم يطق ذلك فرجع إلى كيد الإسلام وأهله ونزل البصرة سنة ثلاث وثلاثين فطرده عبد الله ابن عامر منها لسوء مقالته فخرج إلى الكوفة فأخرج منها فنزل بمصر واستقر بها وبث دعاته في الأمصار وكاتب من مال إليه منهم بالعيب في ولاتهم. انظر «من عبر التاريخ للكوثري»

من أصلها وإلغاء العمل بكتب السنة وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صحابته وأهل بيته، إذ الراوي لجميع آثارهم وأخبارهم وللأحاديث بأسرها بل والناقل للقرآن في كل عصر من عصر النبي صلى الله عليه وسلم وإلى هلم هم الصحابة والتابعون وعلماء الدين إذ ليس لنحو الرافضة رواة ولا دراية يدرون بها فروع الشريعة وإنما غاية أمرهم أن يقع في خلال بعض الأسانيد من هو رافضي او نحوه والكلام في قبولهم معروف عند أئمة الأثر ونقاد السنة فإذا قدحوا فيهم قدحوا في القرآن والسنة وأبطلوا الشريعة رأسا وصار الأمر كما في زمن الجاهلية الجهلاء فلعنة الله وأليم عقابه وعظائم نقمته على من يفتري على الله وعلى نبيه بما يؤدي إلى إبطال ملته وهدم شريعته وكيف يسع العاقل أن يعتقد كفر السواد الأعظم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع إقرارهم بالشهادتين وقبولهم لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم من غير موجب للتكفير وهب أن عليا أفضل من أبي بكر رضي الله عنهما في نفس الأمر أليس القائلون بأفضلية أبي بكر معذورين لأنهم إنما قالوا بذلك لأدلة صرحت به وهم مجتهدون والمجتهد إذا أخطا له أجر؟ فكيف يقال حينئذ بالتكفير وهو لا يكون إلاّ بإنكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة عنادا كالصوم والصلاة وأما ما يفتقر إلى نظر واستدلال فلا كفر بإنكاره وان أجمع عليه على ما فيه من الخلاف، وانظر إلى إنصافنا معشر أهل السنة والجماعة الذين طهرهم الله من الرزائل والجهالات والعناد والتعصب والحمق والغباوة، فإننا لم نكفر القائلين بأفضلية عليّ على أبي بكر وإن كان ذلك عندنا خلاف ما أجمعنا عليه في كل عصر منا إلى النبي صلى الله عليه وسلم على ما مر أول هذا الباب، بل أقمنا لهم العذر المانع من التكفير ومن كفر الرافضة من الأئمة فلأمور أخرى من قبائحهم انضمت إلى ذلك فالحذر الحذر من اعتقاد كفر من قلبه مملوء بالإيمان بغير مقتض تقليدا للجهال الضلال الغلاة، وتأمل ما صح وثبت عن علي وأهل بيته من تصريحهم بتفضيل الشيخين على عليّ فإن هؤلاء الحمقى وإن حملوه على التقية الباطلة المشؤمة

عليهم فلا أقل من أن يكون عذرا لأهل السنة في اتباعهم لعلي واهل بيته فيجتنب اعتقاد الكفر فيهم فإنهم لم يشقوا عن قلب علي حتى يعلموا أن ذلك تقية بل قرائن أحواله وما كان عليه من عظيم الشجاعة والإقدام وأنه لا يخاف أحدا ولا يخشى في الله لومة لائم قاطعة بعدم التقية فلا أقل أن يجعلوا ذلك منهم شبهة لأهل السنة مانعة من اعتقادهم كفرهم سبحانك هذا بهتان عظيم.

(**خاتمة**) سئل شيخ الإسلام محقق عصره أبو زرعة الولي العراقي عمن اعتقد في الخلفاء الأربعة الأفضلية على الترتيب المعلوم ولكنه يحب أحدهم أكثر هل يأثم، فأجاب بأن المحبة قد تكون لأمر ديني وقد تكون لأمر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم أنه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضا نعم إن أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوي كقرابة وإحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع، فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه أحب عليا أكثر من أبي بكر مثلا فإن كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك إذ المحبة الدينية لازمة للأفضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر إلاّ بلسانه وأما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز وإن كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه انتهى.

الفصل الثاني

في ذكر فضائل أبي بكر الواردة فيه وحده وفيها آيات وأحاديث

(أما الآيات) فالأولى قوله تعالى: (**وَسَيُجَنَّبُهَا الْاَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * اِلاَّ ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْاَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى** * اليل: ١٧-٢١). قال ابن الجوزي أجمعوا أنها نزلت في أبي بكر، ففيها التصريح بأنه أتقى من سائر الأمة والأتقى هو الاكرم عند الله لقوله تعالى (**اِنَّ**

اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ اَتْقَيكُمْ * ١٣) والأكرم عند الله هو الأفضل فنتج أنه أفضل من بقية الأمة ولا يمكن حملها على عليّ خلافا لما افتراه بعض الجهلة لأن قوله (**وَمَا لاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى**) يصرفه عن حمله على عليّ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رباه فله عليه نعمة أي نعمة تجزى وإذا خرج عليّ تعين أبو بكر للإجماع على أن ذلك الاتقى هو أحدهما لا غير[١] (وأخرج) ابن أبي حاتم والطبراني ان أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب في الله فأنزل الله قوله (**وَسَيُجَنَّبُهَا الْاَتْقَى**) إلى آخر السورة (الآية الثانية) قوله: (**وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ اِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْاُنْثَى * اِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى** * اليل: ١-٤). أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أن أبا بكر اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فأعتقه لله فأنزل الله هذه الآية أي إن سعي أبي بكر وأمية وأبي لمفترق فرقانا عظيما فشتان ما بينهما (الآية الثالثة) قوله: (**ثَانِيَ اثْنَيْنِ اِذْ هُمَا فِي الْغَارِ اِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ اِنَّ اللهَ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَاَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا** * التوبة: ٤٠). أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعا (وأخرج ابن أبي حاتم) عن ابن عباس أن الضمير في فأنزل الله سكينته عليه لأبي بكر أي ولا ينافيه وأيده بجنود إرجاعا للضمير في كل إلى ما يليق به وجلالة ابن عباس قاضية بأنه لولا علم في ذلك نصا لما حمل الآية عليه مع مخالفة ظاهرها له (الآية الرابعة) قوله تعالى (**وَالَّذِي جَآءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ اُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** * الزمر: ٣٣) (أخرج) البزار وابن عساكر أن عليا رضي الله عنه قال في تفسيرها الذي جاء بالحق هو محمد

---

(١) الآية نزلت في أبي بكر كما أخرجه البزار عن الزبير بن العوام وابن جرير وابن المنذر والآجري وابن أبي حاتم عن عروة والحاكم عن ابن إسحاق وقال صحيح على شرط مسلم وقال الفخر الرازي أجمع المفسرون على أن المراد بالأتقى أبو بكر وصيغة التفضيل تقتضي الخصوص ومن عممها احتاج إلى تأويل الأتقى بالتقى وهو مجاز قطعا والمجاز خلاف الأصل ولا يصار إليه إلاّ بدليل ولا دليل بل الدليل يعارضه وهو سبب النزول وإجماع المفسرين فاللام للعهد وللسيوطي في ذلك رسالة الحبل الوثيق في نصرة الصديق

والذي صدق به أبو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق ولعلها قراءة لعليّ (الآية الخامسة) قوله تعالى (**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** * الرحمن: ٤٦) (أخرج) ابن أبي حاتم عن ابن شوذب أنها نزلت في أبي بكر (الآية السادسة) قوله تعالى (**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْاَمْرِ** * آل عمران: ١٥٩) (أخرج) الحاكم عن ابن عباس أنها نزلت في أبي بكر وعمر ويؤيده الخبر الآتي (**إن الله أمرني أن أستشير أبا بكر وعمر**) (الآية السابعة) قوله تعالى (**فَانَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلَيهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ** *التحريم: ٤). أخرج الطبراني عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم أنها نزلت فيهما (الآية الثامنة) قوله تعالى (**هُوَ الَّذي يُصَلّي عَلَيْكُمْ وَمَلَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ** * الأحزاب: ٤٣) (أخرج) عبد بن حميد عن مجاهد لما نزل (**انَّ اللّٰهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَآ اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** * الأحزاب: ٥٦) قال أبو بكر: يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيرا إلاّ شركنا فيه فنزل (**هُوَ الَّذي يُصَلّي عَلَيْكُمْ وَمَلَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ**) (الآية التاسعة) قوله تعالى: (**وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ اِحْسَانًا حَمَلَتْهُ اُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلٰثُونَ شَهْرًا حَتَّى اِذَا بَلَغَ اَشُدَّهُ وَ بَلَغَ اَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ اَوْزِعْنِي اَنْ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي اَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَاَنْ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضٰيهُ وَاَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي اِنِّي تُبْتُ اِلَيْكَ وَاِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * اُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ اَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي اَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ** * الأحقاف: ١٥-١٦) (أخرج) ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ذلك جميعه نزل في أبي بكر، ومن تأمل ذلك وجد فيه من عظم المنقبة له والمنة عليه ما لم يوجد نظيره لأحد من الصحابة رضوان الله عليهم (الآية العاشرة) قوله تعالى: (**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ اِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** * الحجر: ٤٧) نزلت في أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم كما مر ذلك عن علي بن الحسين رضي الله عنهما (الآية الحادية عشرة) قوله تعالى: (**وَلاَ يَأْتَلِ اُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ اَنْ**

يُؤْتُوا اُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا اَلاَ تُحِبُّونَ اَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * النور: ٢٢) نزلت كما في البخاري وغيره عن عائشة في أبي بكر لما حلف أن لا ينفق على مسطح لكونه كان من جملة من رمى عائشة بالإفك الذي تولى الله سبحانه براءتها منه بالآيات التي أنزلها في شأنها، ولما نزلت قال أبو بكر: بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا وعادله بما كان يصنع أن ينفقه عليه. وفي رواية للبخاري أيضا عنها في حديث الإفك الطويل وأنزل الله تعالى: (**اِنَّ الَّذِينَ جَآؤُ بِالْاِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ** * النور: ١١) -العشر الآيات كلها- فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق -وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره- والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال في عائشة ما قال: فأنزل الله (**وَلاَ يَأْتَلِ اُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ**) وذكرت الآية السابقة ثم قالت. قال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا.

(**تنبيه**) علم من حديث الإفك المشار إليه أن من نسب عائشة إلى الزنا كان كافرا، وقد صرح بذلك ائمتنا وغيرهم لأن في ذلك تكذيب النصوص القرآنية ومكذبها كافر بإجماع المسلمين وبه يعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض لأنهم ينسبونها إلى ذلك، قاتلهم الله أنى يؤفكون (الآية الثانية عشرة) قوله تعالى (**اِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ اِذْ اَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ** * التوبة: ٤٠) (أخرج) ابن عساكر عن ابن عيينة قال: عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله إلاّ أبا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبة، ثم قرأ. (**اِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ**) الآية.

(**وأما الأحاديث**) فهي كثيرة مشهورة وقد مر في الفصل الثالث من الباب الأول منها جملة إذ الأربعة عشر السابقة ثم الدالة على خلافته وغيرها من رفيع شأنه وقدره غاية في كماله. وغرة في فضائله وأفضاله فلذلك بنيت عليها في العد هنا فقلت (الحديث الخامس عشر) أخرج الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه

أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أي الناس أحب إليك؟ قال (**عائشة**)، فقلت من الرجال فقال (**أبوها**). فقلت ثم من؟ فقال (**عمر بن الخطاب**) فعد رجالا وفي رواية لست أسألك عن أهلك إنما أسألك عن أصحابك (الحديث السادس عشر) أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: كنا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم وفي رواية له أيضا كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان، وفي رواية لأبي داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي: أفضل أمته بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره. وفي البخاري أيضا عن محمد بن الحنفية قلت لأبي يعني عليا رضي الله عنهما أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر. فقلت ثم من قال عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت قال ما أنا إلاّ واحد من المسلمين (وأخرج) ابن عساكر عن ابن عمر: كنا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعليا (وأخرج) أيضا عن أبي هريرة: كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت.

(وأخرج) الترمذي عن جابر أن عمر قال لأبي بكر يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر: أما إنك لو قلت ذلك فلقد سمعته يقول: ما طلعت الشمس على خير من عمر. ومر أنه تواتر عن علي خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وأنه قال: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حد المفتري أخرجه ابن عساكر (وأخرج) الترمذي والحاكم عن عمر قال. أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عله وسلم. وابن عساكر أن عمر صعد المنبر ثم قال. ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير هذا فهو مفتر عليه

ما على المفتري (الحديث السابع عشر) أخرج عبد بن حميد في مسنده وأبو نعيم وغيرهما من طرق عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبي بكر إلاّ أن يكون نبيا)**. وفي لفظ **(ما طلعت الشمس على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر)**. وورد أيضا في حديث جابر ولفظه **(ما طلعت الشمس على أحد منكم أفضل منه)**، وأخرجه الطبراني وغيره وله شواهد من وجوه أخر تقضي له بالصحة أو الحسن وقد أشار ابن كثير إلى الحكم بصحته.

(الحديث الثامن عشر) أخرج الطبراني عن أسعد بن زرارة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إن روح القدس جبريل أخبرني: إن خير أمتك بعدك أبو بكر)** (الحديث التاسع عشر) أخرج الطبراني وابن عدي عن سلمة بن الأكوع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(أبو بكر خير الناس إلاّ أن يكون نبي)** (الحديث العشرون) أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر)** (الحديث الحادي والعشرون) أخرج الديلمي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(أبو بكر مني وأنا منه وأبو بكر أخي في الدنيا والآخرة)** (الحديث الثاني والعشرون) أخرج أبو داود والحاكم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أتاني جبريل وأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي فقال أبو بكر وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه)**، فقال **(أما أنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي)** (الحديث الثالث والعشرون) أخرج الطبراني عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن أبا بكر يؤول الرؤيا وإن رؤياه الصالحة حظه من النبوة)** أي نصيبه من آثار نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم المفاضة عليه لمزيد صدقه وتخليه لها عن سائر حظوظه وأغراضه وعظيم فنائه عن نفسه وأهله (الحديث الرابع والعشرون) أخرج الديلمي عن سمرة أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**أمرت أن أولي الرؤيا أبا بكر**) (الحديث الخامس والعشرون) أخرج أحمد والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إنه ليس في الناس أحد أمن عليّ في نفسه وماله من ابن أبي قحافة: ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر**) (الحديث السادس والعشرون) أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر (**أنت عتيق من النار**) (الحديث السابع والعشرون) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر. (**أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار**) (الحديث الثامن والعشرون) أخرج أبو يعلى في مسنده وابن سعد والحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت: إني لفي بيتي ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفناء والستر بيني وبينهم إذ أقبل أبو بكر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**من سرّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر**)، وإن اسمه الذي سماه أهله عبد الله فغلب عليه اسم عتيق (الحديث التاسع والعشرون) أخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر (**يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار**)، فمن يومئذ سمي عتيقا (الحديث الثلاثون) أخرج البزار والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: كان اسم أبي بكر عبد الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (**أنت عتيق الله من النار**) فسمي عتيقا.

(**تنبيه**) يستفاد من هذه الأحاديث ما هو الأصح عند العلماء أن اسم أبي بكر عبد الله وأن لقبه عتيق (الحديث الحادي والثلاثون) أخرج الحاكم بسند جيد أن عائشة قالت: جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس، قال: وقال ذلك؟ قالوا نعم، فقال. لقد صدق إني لأصدقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق وورد هذا

الحديث ايضا من حديث أنس وأبي هريرة وأم هانيء أسند الأولين ابن عساكر والثالث الطبراني (الحديث الثاني والثلاثون) أخرج سعيد بن منصور في سننه عن أبي وهب مولى أبي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكان بذي طوى فقال: (**يا جبريل إن قومي لا يصدقوني**) فقال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق ووصله الطبراني في الأوسط عن أبي وهب عن أبي هريرة (وأخرج) الحاكم عن التزال بن سبرة قلنا لعلي يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أبي بكر فقال: ذاك أمرؤ سماه الله الصديق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا. إسناده جيد. وصح عن حكم بن سعيد سمعت عليا يحلف: لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق (الحديث الثالث والثلاثون) أخرج الحاكم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**ما صحب النبيين والمرسلين أجمعين ولا صاحب يس أفضل من أبي بكر**) (الحديث الرابع والثلاثون) أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ما لأحد عندنا يد إلاّ وقد كافيناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن صاحبكم**) أي محمدا صلى الله عليه وسلم (**خليل الله**) (الحديث الخامس والثلاثون) أخرج الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير لك فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**) قال أبو بكر: وهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: (**نعم وأرجوا أن تكون منهم**) (الحديث السادس والثلاثون) أخرج الترمذي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**)، ولهذا

الحديث تعلق تام ومناسبة ظاهرة بأحاديث الخلافة الأربعة عشر السابقة (الحديث السابع والثلاثون) أخرج الشيخان وأحمد والترمذي عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في الغار: (**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**) (الحديث الثامن والثلاثون) أخرج عبدان المروزي وابن قانع عن بهز أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**يا أيها الناس احفظوني في أبي بكر فإنه لم يسئني منذ صحبني**) (الحديث التاسع والثلاثون) أخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إذا كان يوم القيامة نادى مناد. لا يرفعن أحد من هذه الأمة كتابه قبل أبي بكر**) (الحديث الأربعون) أخرج الطبراني عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إن الله اتخذ لي خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، وإن خليلي أبو بكر**) وفيه معارضته لما مر آنفا في رابع أحاديث الخلافة إلاّ أن يحمل ذاك على كمال الخلة وهذا على نوع منها (الحديث الحادي والأربعون) أخرج الحارث والطبراني وابن شاهين عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله يكره فوق سمائه أن يخطأ أبو بكر في الأرض**)، وفي رواية: (**إن الله يكره أن يخطأ أبو بكر**) رجاله ثقات (الحديث الثاني والأربعون) أخرج الطبراني عن ابن عباس: (**ما أحد عندي أعظم يدا من أبي بكر، واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته**) (الحديث الثالث والأربعون) أخرج الطبراني عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**رأيت أني وضعت في كفة وأمتي في كفة فعدلتها ثم وضع أبو بكر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم وضع عمر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم وضع عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم رفع الميزان**) (الحديث الرابع والأربعون) أخرج مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**أرحم أمتي أبو بكر**) وسيأتي تتمته (الحديث الخامس والأربعون) أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه والضياء عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**عشرة في الجنة النبي في الجنة وأبو بكر في الجنة**) الحديث وستأتي تتمته أيضا (الحديث السادس والأربعون) أخرج أحمد والضياء عن

سعيد بن زيد والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أبو بكر في الجنة**) الحديث وسيأتي بطوله (الحديث السابع والأربعون) أخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما نفعني مال في الإسلام ما نفعني مال أبي بكر**)، وقوله (**وحملني إلى دار الهجرة**) قد ينافيه حديث البخاري أنه صلى الله عليه وسلم لم يأخذ الراحلة من أبي بكر إلاّ بالثمن الاّ أن يجمع بأنه أخذها أولا بالثمن ثم أبرأ أبو بكر ذمته للحديث وستأتي تتمته (الحديث الثامن والأربعون) أخرج البخاري عن أبي الدرداء قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر فسلم وقال: إني كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ فأقبلت إليك فقال (**يغفر الله لك يا أبا بكر يغفر الله لك يا أبا بكر يغفر الله لك يا أبا بكر**) ثم إن عمر ندم فأتى مترل أبي بكر فلم يجده، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر[١] حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا كنت أظلم منه أنا كنت أظلم منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي فهل أنتم تاركوا لي صاحبي**) فما أوذي أبو بكر بعدها (وأخرج) ابن عدي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوه وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لا تؤذوني في صاحبي فإن الله بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت ولولا أن الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا ولكن أخوة الإسلام**) (الحديث التاسع والأربعون) أخرج ابن عساكر عن المقدام قال استب عقيل ابن أبي طالب وأبو بكر قال وكان أبو بكر سبابا أو نسابا غير أنه تحرج من قرابة عقيل من النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه وشكاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى

---

(١) يتمعر: يتغير. من قولهم مكان أمعر أي جدب لا خصب فيه

الله عليه وسلم على الناس فقال (**ألا تدعون لي صاحبي ما شأنكم وشأنه فو الله ما منكم رجل الاّ على باب بيته ظلمة الاّ باب أبي بكر فإن على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الأموال وجادل لي بماله وخذلتموني وواساني واتبعني**) (الحديث الخمسون) أخرج البخاري عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**) فقال أبو بكر إن أحد شقي ثوبي يسترخى الاّ أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إنك لست تصنع ذلك خيلاء**) (الحديث الحادي والخمسون) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من أصبح منكم اليوم صائما**) قال أبو بكر أنا قال (**فمن تبع منكم اليوم جنازة**) قال أبو بكر أنا قال (**فمن أطعم منكم اليوم مسكينا**) قال أبو بكر أنا قال: (**فمن عاد منكم اليوم مريضا؟**) قال أبو بكر: أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما اجتمعن في امرئ إلاّ دخل الجنة**) وفي رواية عن أنس (**وجبت لك الجنة**) (الحديث الثاني والخمسون) أخرج البزار عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم أقبل على أصحابه بوجهه فقال (**من أصبح منكم صائما؟**) فقال عمر يا رسول الله لم أحدث نفس بالصوم البارحة فأصبحت مفطرا فقال أبو بكر ولكن حدثت نفسي بالصوم البارحة فأصبحت صائما فقال (**هل منكم أحد اليوم عاد مريضا**) فقال عمر يا رسول الله لم نبرح فكيف نعود المريض فقال أبو بكر بلغني أن أخي عبد الرحمن بن عوف شاك فجعلت طريقي عليه لأنظر كيف أصبح فقال (**هل منكم من أطعم اليوم مسكينا؟**) فقال عمر صلينا يا رسول الله لم نبرح فقال أبو بكر دخلت المسجد فإذا سائل فوجدت كسرة من خبز الشعير في يد عبد الرحمن فأخذتها فدفعتها اليه فقال (**انت فأبشر بالجنة**) ثم قال كلمة ارضى بها عمر زعم أنه لم يرد خيرا قط إلاّ سبقه إليه أبو بكر كذا لفظ هذا الحديث في النسخة التي رأيتها وفيه ما يحتاج إلى التأمل (وأخرج) أبو يعلى عن ابن مسعود قال

كنت في المسجد أصلي فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر فوجدني أدعو فقال (**سل تعطه**) ثم قال (**من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا فليقرأ بقراءة ابن ام عبد**) فرجعت إلى منزلي فأتاني أبو بكر فبشرني، ثم أتاني عمر فوجد أبا بكر خارجا قد سبقه فقال انك لسباق بالخير (الحديث الثالث والخمسون) أخرج أحمد بسند حسن عن ربيعة الأسلمي قال جرى بيني وبين أبي بكر كلام فقال لي كلمة كرهتها وندم فقال لي يا ربيعة رد عليّ مثلها حتى يكون قصاصا فقلت لا أفعل فقال أبو بكر لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما أنا بفاعل فانطلق أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فانطلقت أتلوه وجاء الناس من أسلم فقالوا رحم الله أبا بكر أي شيء يستعدي عليك وهو الذي قال لك ما قال فقلت أتدرون من هذا هذا أبو بكر هذا ثاني اثنين وهذا ذو شيبة المسلمين إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه فيغضب الله لغضبهما فهلك ربيعة قالوا فما تأمرنا، قلت ارجعوا وانطلق أبو بكر وتبعته وحدي حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان فرفع اليّ رأسه فقال (**يا ربيعة ما لك والصديق**) فقلت يا رسول الله كان كذا وكذا فقال لي كلمة كرهتها فقال لي: قل لي كما قلت لك حتى يكون قصاصا فأبيت فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أجل لا ترد عليه ولكن قل غفر الله لك يا أبا بكر**) فقلت غفر الله لك يا أبا بكر. (الحديث الرابع والخمسون) أخرج الترمذي عن ابن عمر وحسنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر (**أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار ومؤنسي في الغار**) (الحديث الخامس والخمسون) أخرج البيهقي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن في الجنة طيرا كأمثال البخاتي**) قال أبو بكر: إنها لناعمة[١] يا

---

(١) البخاتي جمع بختية وهي انثى الجمال البخت وهي طوال الأعناق واللفظة معربة، والناعمة السمينة المترفة

رسول الله قال (**أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها**) وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس أيضا (الحديث السادس والخمسون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**عرج بي إلى السماء فما مررت بسماء إلاّ وجدت فيها اسمي محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خلفي**) وورد هذا الحديث أيضا من رواية ابن عباس وابن عمر وأنس وأبي سعيد وأبي الدرداء وأسانيدها كلها ضعيفة لكنها ترتقي بمجموعها إلى درجة الحسن (الحديث السابع والخمسون) أخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال قرأت عن النبي صلى الله عليه وسلم (**يا أيتها النفس المطمئنة**) فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذا لحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أما إن الملك سيقولها لك عند الموت**) (الحديث الثامن والخمسون) أخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت (**وَلَوْ اَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ اَنِ اقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ اَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ** * النساء: ٦٦) قال أبو بكر يا رسول الله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت قال (**صدقت**) (الحديث التاسع والخمسون) أخرج الطبراني في الكبير وابن شاهين في السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما موصولا وأبو القاسم البغوي قال: حدثنا داود بن عمرو حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة وتابعه وكيع عن عبد الجبار بن الورد أخرجه ابن عساكر وعبد الجبار ثقة وشيخه ابن أبي مليكة إمام إلاّ أنه من هذه الطريق مرسل قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه غديرا فقال (**ليسبح كل رجل إلى صاحبه**) فسبح كل رجل منهم إلى صاحبه حتى بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر حتى اعتنقه فقال: (**لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه صاحبي**) (الحديث الستون) أخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق وابن عساكر من طريق صدقة بن ميمونة القرشي عن سليمان بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**خصال الخير ثلثمائة وستون خصلة إذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه خصلة منها بها يدخل الجنة**) فقال أبو بكر رضي الله

عنه: يا رسول الله أيّ شيء منها قال (**نعم جميعها من كل**) (وأخرج) ابن عساكر من طريق آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال (**خصال الخير ثلثمائة وستون**) فقال: أبو بكر يا رسول الله لي منها شيء قال (**كلها فيك فهنيئا لك يا أبا بكر**) (الحديث الحادي والستون) أخرج ابن عساكر من طريق مجمع الأنصاري عن أبيه قال إن كانت حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشتبك حتى تصير كالأُسوار وإن مجلس أبي بكر منها لفارغ ما يطمع فيه أحد من الناس فإذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه وألقى إليه حديثه وتسمع الناس (الحديث الثاني والستون) أخرج ابن عساكر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**حب أبي بكر وشكره واجب على كل أمتي**) وأخرج مثله من حديث سهل بن سعد (الحديث الثالث والستون) أخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الناس كلهم يحاسبون إلاّ أبا بكر**) (الحديث الرابع والستون) أخرج أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر**) فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالي إلاّ لك يا رسول الله (وأخرج) أبو يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا مثله قال ابن كثير مروي أيضا من حديث علي وابن عباس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم: وأخرجه الخطيب عن ابن المسيب مرسلا وزاد وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه.

(وأخرج) ابن عساكر من طرق عن عائشة وعروة أن أبا بكر أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار وفي لفظ أربعون ألف درهم فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث الخامس والستون) أخرج البغوي وابن عساكر عن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال (**يا جبريل أنفق ماله عليّ قبل الفتح**) قال: فإن الله

يقرأ عليه السلام ويقول (**قل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط**) فقال أبو بكر اسخط على ربي أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض وسنده غريب ضعيف جدا (وأخرج) أبو نعيم عن أبي هريرة وابن مسعود مثله وسندهما ضعيف أيضا وابن عساكر نحوه من حديث ابن عباس (وأخرج) الخطيب بسنده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال. (**هبط جبريل عليه السلام وعليه طنفسة**[١] **متخلل بها فقلت يا جبريل ما هذا قال إن الله تعالى أمر الملائكة أن تتخلل في السماء لتخلل أبي بكر في الأرض**) قال. ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا أن هذا والذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الإعراض عنهما أولى (الحديث السادس والستون) صح عن عمر أنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر أن سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما أبقيت لأهلك؟ قالت مثله فأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك**) قال: أبقيت لهم الله ورسوله فقلت: (**لا أسبقه إليّ شيء أبدا**) (الحديث السابع والستون) أخرج ابن عساكر أنه قيل لأبي بكر في مجمع من الصحابة هل شربت الخمر في الجاهلية فقال أعوذ بالله فقلت و لم قال: كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي فإن من شرب الخمر كان متضيعا في عرضه ومروءته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**صدق أبو بكر صدق أبو بكر**) وهو مرسل غريب سندا ومتنا (وأخرج) ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة قالت: والله ما قال أبو بكر شعرا قط في جاهلية ولا إسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية (وأخرج) أبو نعيم بسند جيد عنها قالت لقد حرم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية (الحديث الثامن والستون) أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**ما كلمت في الإسلام أحدا إلاّ أبى عليّ وراجعني الكلام إلاّ ابن أبي قحافة فإني لم أكلمه في شيء إلاّ قبله واستقام**

---

(١) الطنفسة. بكسر الطاء والفاء وبضمهما وبكسر الطاء وفتح الفاء البساط الذي له خمل رقيق وجمعه طنافس

عليه) وفي رواية لابن إسحاق (**ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلاّ كانت له عنه كبوة وتردد ونظر إلاّ أبا بكر ما عتم)** (أي تلبث عنه حين ذكرته) (**وما تردد فيه)** قال البيهقي وهذا لأنه كان يرى دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع آثاره قبل دعوته فحين دعاه كان سبق له فيه تفكر ونظر فأسلم في الحال انتهى.

ويؤيد ما قاله ما أخرجه أبو نعيم عن فرات بن السائب قال سألت ميمون بن مهران علي أفضل عندك أم أبو بكر وعمر قال: فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال: ما كنت أظن أن أبقى إلى زمان يعدل بهما لله درهما كانا رأس الإسلام قلت: فأبو بكر كان أول إسلاما أو علي قال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب حين مر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حتي أنكحها إياه وذلك كله قبل أن يولد علي. وصح عن زيد بن أرقم. أو لمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر (وأخرج) الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي بكر أنه قال ألست أحق الناس بها أي الخلافة ألست أول من أسلم الحديث والطبراني في الكبير وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن الشعبي قال. سألت ابن عباس: أي الناس كان أول إسلاما؟ قال: أبو بكر ألم تسمع إلى قول حسان:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها * إلى النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا

ومن ثم ذهب خلائق من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى أنه أول الناس إسلاما بل ادعى بعضهم عليه الإجماع. وجمع[١] بين هذا وغيره من الأحاديث المنافية له بأنه أول الرجال إسلاما وخديجة أول الناس في النساء وعلي أول الصبيان وزيد أول الأرقاء وخالف في ذلك ابن كثير فقال: الظاهر أن أهل بيته صلى الله عله وسلم آمنوا قبل كل أحد زوجته خديجة ومولاه زيد وزوجته أم أيمن وعلي وورقة ويؤيده

---

(١) أول من جمع هذا الجمع الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه كما ذكره السيوطي

ما صح عن سعد بن أبي وقاص أنه أسلم قبله أكثر من خمسة قال ولكن كان خيرنا إسلاما (الحديث التاسع والستون) أخرج أبو يعلى وأحمد والحاكم عن علي قال قال. لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولأبي بكر: (**مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل**) (الحديث السبعون) أخرج تمام في فوائده وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**أتاني جبريل فقال إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر**).

الفصل الثالث

في ذكر فضائل أبي بكر الواردة فيه مع ضميمة غيره كعمر وعثمان وعلي وغيرهم إليه وأفردت بترجمة لما بينها وبين الأولى من نوع مغايرة باعتبار السياق وأما من حيث إفادته أفضلية أبي بكر وتشريفه فهي مع ما قبلها جنس واحد فلذا بنيت عدها على عد الأولى فقلت

(الحديث الحادي والسبعون) أخرج الحاكم في الكنى وابن عدي في الكامل والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين وخير أهل السماء وخير أهل الأرض إلاّ النبيين والمرسلين**).

(الحديث الثاني والسبعون) أخرج الطبراني عن أبي الدرداء (**اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر فإنهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**) وله طرق أخرى مرت في أحاديث الخلافة (الحديث الثالث والسبعون) أخرج أبو نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت**) (الحديث الرابع والسبعون) أخرج البخاري في تاريخه والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر**) (الحديث الخامس والسبعون) أخرج الترمذي عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**ما من نبي إلاّ وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما**

وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر) (الحديث السادس والسبعون) أخرج أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **(بينا راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منه شاة فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت إني لم أخلق لهذا ولكنني خلقت للحرث)** قال الناس سبحان الله قال النبي صلى الله عليه وسلم **(فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر)** وما ثم أبو بكر وعمر. أي لم يكونا في المجلس شهد لهما صلى الله عليه وسلم بالإيمان لعلمه بكمال إيمانهما. وفي رواية **(بينا رجل راكب على بقرة فالتفتت إليه فقالت إني لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وبينا رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلبه حتى استنقذها منه فقال له الذئب استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري. فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر)** (الحديث السابع والسبعون) أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **(إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما)**[١] (الحديث الثامن والسبعون) أخرج ابن عساكر عن أبي سعيد **(أن أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضئ وجهه لأهل الجنة كما يضئ القمر ليلة البدر لأهل الدنيا وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما)** (الحديث التاسع والسبعون) أخرج أحمد والترمذي عن علي وابن ماجه عنه أيضا وعن أبي جحيفة وأبو يعلى في مسنده والضياء في المختارة عن أنس والطبراني في الأوسط عن جابر وعن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(سيدا كهول أهل الجنة من**

---

(١) أنعما. أي زادا وفضلا، تقول أحسنت إليّ وأنعمت أي زدت عليّ الإنعام وقيل المعنى صارا إلى النعيم ودخلا فيه كما يقال أشمل إذا دخل في الشمال كما في النهاية

الأولين والآخرين إلاّ النبيين والمرسلين) يعني أبا بكر وعمر، وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر (الحديث الثمانون) أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن حنظلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر فقال (**هذان السمع والبصر)**. وأخرجه الطبراني من حديث عمر وابن عمر (الحديث الحادي والثمانون) أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس والخطيب عن جابر وأبو يعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس)** (الحديث الثاني والثمانون) أخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إن الله أيدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر)** (الحديث الثالث والثمانون) أخرج الطبراني عن ابن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (**إن لكل نبي خاصة من أصحابه وإن خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر)** (الحديث الرابع والثمانون) أخرج ابن عساكر عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إن لكل نبي وزيرين وزيراي وصاحباي أبو بكر وعمر)** (الحديث الخامس والثمانون) اخرج ابن عساكر عن علي والزبير معا أن النبي صلى الله عله وسلم قال (**خير أمتي بعدي أبو بكر وعمر)** (الحديث السادس والثمانون) أخرج الخطيب في تاريخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**سيدا كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر وإن أبا بكر في الجنة مثل الثريا في السماء)** (الحديث السابع والثمانون) أخرج البخاري عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما قدمت أبا بكر وعمر لكن الله قدمهما)** (الحديث الثامن والثمانون) أخرج ابن قانع عن الحجاج السهمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**من رأيتموه يذكر أبا بكر وعمر بسوء فإنما يريد غير الإسلام)** (الحديث التاسع والثمانون) أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**القائم بعدي في الجنة والذي يقوم بعده في الجنة والثالث والرابع في الجنة)** (الحديث التسعون) أخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أن

رسول الله صلى الله عليه قال (**أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم إلاّ مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي**) (الحديث الحادي والتسعون) أخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما نفعن مال في الإسلام ما نفعني مال أبي بكر، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا لقد تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة وجهز جيش العسرة وزاد في مسجدنا حتى وسعنا، رحم الله عليا اللّهمّ أدر الحق معه حيث دار**) (الحديث الثاني والتسعون) أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه والضياء عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**عشرة في الجنة النبي في الجنة وأبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير بن العوام في الجنة وسعد بن مالك في الجنة**)، أي وهو ابن أبي وقاص (**وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة**) وأخرجه بمعناه أحمد والضياء عن سعيد بن زيد والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف (الحديث الثالث والتسعون) أخرج البخاري في تاريخه والنسائي والترمذي والحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح نعم الرجل أسيد بن حضير نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح نعم الرجل سهيل بن بيضاء**) (الحديث الرابع والتسعون) أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبي ابن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**)[١] وفي رواية الطبراني في الأوسط (**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأرفق أمتي لأمتي**

---

(١) اسمه عامر بن عبيد الله بن الجراح

عمر وأصدق أمتي حياء عثمان وأقضى أمتي علي بن أبي طالب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل يجئ يوم القيامة أمام العلماء وأقرأ أمتي أبي بن كعب وأفرضها زيد بن ثابت) وقد أوتي عويمر عبادة يعني أبا الدرداء وفي أخرى عند ابن عساكر **(أرحم أمتي أبو بكر الصديق وأحسنهم خلقا أبو عبيدة بن الجراح وأصدقهم لهجة أبو ذر وأشدهم في الحق عمر وأقضاهم علي)** رضي الله عنهم أجمعين وفي أخرى عند العقيلي **(أرحم هذه الأمة بها أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأفرضهم زيد بن ثابت وأقضاهم علي بن أبي طالب وأصدقهم حياء عثمان بن عفان وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وأقرؤهم لكتاب الله عزّ وجلّ أبيّ بن كعب وأبو هريرة وعاء من العلم وسلمان عالم لا يدرك ومعاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر)** وفي أخرى لأبي يعلى **(أرأف أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في الدين عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)** (الحديث الخامس والتسعون) أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلاّ أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما (الحديث السادس والتسعون) أخرج الترمذي والحاكم عن عمر والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال **(هكذا نبعث يوم القيامة)** (الحديث السابع والتسعون) أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر)** (الحديث الثامن والتسعون) أخرج البزار عن أبي أروى الدوسي قال كنت عند النبي صلى الله عليه

وسلم فأقبل أبو بكر وعمر فقال (**الحمد لله الذي أيدني بكما**). وورد هذا أيضا من حديث البراء بن عازب أخرجه الطبراني في الأوسط (الحديث المكمل للمائة) أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أنس مرفوعا (**إني لأرجو لأمتي في حبهم لأبي بكر وعمر ما أرجو لهم في قول لا إله إلاّ الله**) (الحديث الأول بعد المائة) أخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أتاني جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر**) (الحديث الثاني بعد المائة) أخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر (**لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما**) وأخرجه الطبراني من حديث البراء بن عازب (الحديث الثالث بعد المائة) أخرج الطبراني عن سهل قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (**أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني قط فاعرفوا له ذلك. أيها الناس إني راض عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين والأولين فاعرفوا ذلك لهم**) (الحديث الرابع بعد المائة) أخرج ابن سعد عن بسطام بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر (**لا يتأمر عليكما أحد بعدي**) (الحديث الخامس بعد المائة) أخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعا (**حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما كفر**) (الحديث السادس بعد المائة) أخرج ابن عساكر أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**حب أبي بكر وعمر من السنة**) (الحديث السابع بعد المائة) أخرج احمد والبخاري والترمذي وأبو حاتم عن أنس قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال (**أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**). وإنما قال له ذلك ليبين أن هذه الرجفة ليست كرجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم لأن تلك رجفة غضب وهذه هزة الطرب ولذا

نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة الموجبة لسرور ما اتصلت به لا لرجفاته فاقر الجبل بذلك واستقر (وأخرج) الترمذي والنسائي والدارقطني عن عثمان أنه صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض. أي قرار الأرض عند منقطع الجبل. فركضه أي ضربه برجله وقال (**اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**) (وأخرج) مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أسكن حراء فما عليك إلاّ نبي وصديق وشهيدان**) وفي رواية له (**وسعد بن أبي وقاص**) ولم يذكر عليا وخرجه الترمذي وصححه. ولم يذكر سعدا وفي رواية له كان عليه العشرة إلاّ أبا عبيدة وهذه الروايات محمولة على أنها وقائع تكررت ولا نظر إلى المنازعة فيها بأن المخرج متحد لصحة أحاديث كل فتعين الجمع بينهما بذلك، وفي مسلم من حديث أبي هريرة ما يؤيد التعدد (الحديث الثامن بعد المائة) أخرج محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات عن أبي ذر قال هجرت يوما من الأيام فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرني عنه أنه ببيت عائشة فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكان حينئذ أرى أنه في وحي فسلمت عليه فرد عليّ السلام ثم قال لي (**ما جاء بك**) قلت الله ورسوله فأمرني أن أجلس فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء إلاّ ذكره لي فمكث غير كثير فجاء أبو بكر يمشي مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال (**ما جاء بك**) قال جاء بي الله ورسوله فأشار بيده أن اجلس فجلس إلى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس إلى جنب أبي بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ناولهن

أبا بكر وجاوزني فسبحن في كف أبي بكر ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن وصرن حصى ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن. وأخرجه البزار والطبراني في الأوسط عن أبي ذر أيضا لكن بلفظ تناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن زاد الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا. وتأمل سر ما في الرواية الأولى من إعطاء النبي صلى الله عليه وسلم إياهن لأبي بكر من يده من قبل وضعهن بالأرض بخلافه في عمر وعثمان تعلم أن ذلك كله لمزيد قرب أبي بكر حتى صير يده ليست أجنبية من يد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفصل بينهما بزوال حياة تلك الحصيات بخلافه في عمر وعثمان (الحديث التاسع بعد المائة) أخرج الملا في سيرته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إن الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج**) (الحديث العاشر بعد المائة) أخرج الحافظ السلفي في مشيخته من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**حب أبي بكر واجب على أمتي**) (الحديث الحادي عشر بعد المائة) أخرج الشيخان وأحمد وغيرهم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه خرج إلى المسجد فسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا توجه ههنا فخرجت في إثره حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عله وسلم حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها أي رأسها فجلست عند الباب فقلت لأكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال أبو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا أبو بكر يستأذن فقال (**ائذن له وبشره بالجنة**) فأقبلت حتى قلت لأبي بكر أدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ فقلت إن يرد الله بفلان خيرا يعني أخاه يأت به فإذا إنسان يحرك الباب فقلت من هذا على الباب قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذنك فقال (**ائذن له وبشره بالجنة**) فجئته فقلت ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى برجليه في البئر فرجعت فجلس وقلت إن يرد الله بفلان خيرا يأت به فجاء إنسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك وجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال (**ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**) فجئت فقلت: ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه في الصف الآخر قال شر بك قال سعيد ابن المسيب تأويلها قبورهم انتهى. وأقول تأويلها أيضا على خلافة الثلاثة على ترتيب مجيئهم ممكن بل هو الموافق لحديث البئر السابقة رواياته وطرقه في تاسع الأحاديث الدالة على خلافة أبي بكر ويكون جلوس الشيخين بجانبه صلى الله عليه وسلم وضيق المحل عن عثمان حتى جلس أمامهم إشارة إلى عظيم خلافتهما وسلامتهما من تطرق الفتن إليها على أتم الوجوه وأكملها وأن صدور المؤمنين وأحوالهم فيها كانت على غاية من السرور واعتدال الأمر. وأما خلافة عثمان وعلي فإنها وإن كانت صدقا وحقا وعدلا لكن اقترن بها أحوال من أحوال بني أمية وسفهائهم كدرت القلوب وشوشت على المسلمين وتولد بسببها تلك الفتن العظيمة. ويؤيد ما ذكرته أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى ذلك بقوله في

عثمان على بلوى تصيبه. وتلك البلوى لم تتولد إلاّ لما ذكرته من قبيح أحوال بني أمية كما سيأتي بسط ذلك في مبحث خلافة عثمان وذكر فضائله ومآثره واعلم أنه وقع في روايات أخر ما فيه مخالفة لبعض ما مر في تلك الرواية. فقد أخرج أبو داود نحو تلك الرواية عن أبي سلمة عن نافع عن عبد الحارث الخزاعي قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط المدينة. فقال لبلال: أمسك الباب فجاء أبو بكر يستأذن فذكر نحوه. قال الطبراني: وفي حديث أن نافع بن الحرث هو الذي كان يستأذن، وهذا يدل على تكرر القصة انتهى، وهو أظهر من تصويب شيخ الإسلام ابن حجر عدم التعدد وأنها عن أبي موسى الأشعري ووهم القول بغيره (الحديث الثاني عشر بعد المائة) أخرج الحافظ عمر بن محمد بن خضر الملا في سيرته أن الشافعي رضي الله عنه روى بسنده أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**كنت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أنوارا على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألف عام فلما خلق أسكنا ظهره ولم نزل ننتقل في الأصلاب الطاهرة حتى نقلني الله تعالى إلى صلب عبد الله، ونقل أبا بكر إلى صلب أبي قحافة ونقل عمر إلى صلب الخطاب ونقل عثمان إلى صلب عفان ونقل عليا إلى صلب أبي طالب ثم اختارهم لي أصحابا، فجعل أبا بكر صديقا، وعمر فاروقا، وعثمان ذا النورين، وعليا وصيا، فمن سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى، ومن سب الله أكبه الله في النار على منخريه**). (الحديث الثالث عشر بعد المائة) أخرج المحب الطبري في رياضه وعهدته عليه أنه صلي الله عليه وسلم: قال (**أخبرني جبريل أن الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده وأمرني أن آخذ تفاحة من الجنة وأعصرها في حلقه فعصرتها في فيه فخلق الله من النطفة الأولى أنت، ومن الثانية أبا بكر، ومن الثالثة عمر، ومن الرابعة عثمان، ومن الخامسة عليا. فقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أكرمتهم؟ فقال الله تعالى: هؤلاء خمسة أشياخ من ذريتك، وهم أكرم عندي من جميع خلقي**). أي (**أنت أكرم الأنبياء والرسل وهم أكرم أتباع الرسل. فلما عصى آدم ربه قال يا رب**

بحرمة أولئك الأشياخ الخمسة الذين فضلتهم إلاّ تبت عليّ فتاب الله عليه)
(الحديث الرابع عشر بعد المائة) أخرج البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عام حنين فلما التقينا كان للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل عليّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر فقلت ما بال الناس؟ قال: أمر الله عز وجلّ ثم رجعوا فجلس النبي صلى الله عله وسلم فقال: (**من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه**). فقلت من يشهد لي؟ ثم جلست. فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثله فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. ثم قال مثله فقمت فقال (**ما لك يا أبا قتادة**) فأخبرته. فقال (**رجل صدق وسلبه عندي فأرضه مني**) فقال أبو بكر: لاها الله إذا لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**صدق أعطه سلبه فأعطانيه**) الحديث. وفي رواية له فقال أبو بكر: أصيبغ -أي بإهمال أوله وإعجام آخره أو عكسه تحقير له بوصفه باللون الردئ أو مذمة بسواد اللون وبغيره أو وصف له بالمهانة والضعف أو تصغير صبغ شاذا، شبهه به لضعف افتراسه وما يوصف به من الضعف لأنه لما عظم أبا قتادة بجعله كالأسد ناسب أن يصف خصمه بضده- وقوله يدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي الأندلسي: سمعت بعض أهل العلم. وقد جرى ذكر هذا الحديث فقال: لو لم يكن من فضيلة أبي بكر إلاّ هذا فإنه بثاقب علمه وشدة جزامته وقوة رأيه وإنصافه وصحة تدقيقه وصدق تحقيقه بادر إلى القول بالحق فزجر وأفتى وحكم وأمضى وأخبر في الشريعة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بحضرته وبين يديه بما صدقه فيه وأجرى عليه قوله وهذا من خصائصه الكبرى إلى ما لا يحصى من فضائله الأخرى.

الفصل الرابع

(فيما ورد من كلام العرب والصحابة والسلف الصالح في فضله)

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبوي قط إلاّ وهما يدينان الدين و لم يمر علينا يوم إلاّ يأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر رضي الله عنه نحو أرض الحبشة مهاجرا حتى إذا بلغ برك الغماد -بفتح الموحدة وكسرها وبالغين المعجمة المكسورة وقد تضم - واد في أقاصي هجر قاله الزركشي، وقال غيره: مدينة بالحبشة- لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة. فقال أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر. أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. فقال ابن الدغنة: فإن مثلك لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار، فارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج رجل يكسب المعدوم، ويصل الرحم ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق. فلم تكذب قريش لجوار ابن الدغنة الحديث بطوله، وفيه من الخصوصيات لأبي بكر ما لا يخفى على ما تأمله فإنه اشتمل على هجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وما وقع له في تلك السفرة من المآثر والفضائل والكرامات والخصوصيات التي لم يقع نظير واحدة منها لغيره من الصحابة، وينبغي لك أن تتأمل فيما وصفه به ابن الدغنة بين أشراف قريش من تلك الأوصاف الجليلة المساوية لما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم، فسكت أشراف قريش على تلك الأوصاف و لم يطعنوا فيها بكلمة مع ما هم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته بسبب إسلامه فإن هذا منهم اعتراف أي آعتراف بأن أبا بكر كان مشهورا بينهم بتلك الأوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن أحدا أن ينازع فيها ولا أن يجحد شيئا منها، وإلاّ لبادروا إلى جحدها بكل طريق أمكنهم لما تحلوا به من قبيح العداوة له

بسبب ما كانوا يرون منه من صدق ولائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له وذبه عنه كما مر طرف من ذلك في شجاعته. وأخرج البخاري أن عمر قال: أبو بكر سيدنا والبيهقي أنه قال لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم. وعبد الله بن أحمد أنه قال: إن أبا بكر كان سابقا مبرزا. ومسدد في مسنده قال: لوددت أني شعرة في صدر أبي بكر وابن أبي الدنيا وابن عساكر أنه قال: وددت أني من أهل الجنة حيث أرى أبا بكر. وأبو نعيم أنه قال: لقد كان ريح أبي بكر أطيب من ريح المسك، وابن عساكر عن علي أنه دخل على أبي بكر وهو مسجي فقال ما أحد لقي الله بصحيفته أحب إليّ من هذا المسجي، وابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني عمر بن الخطاب أنه ما سابق أبا بكر إلى خير إلاّ سبقه أبو بكر، والطبراني عن علي قال: والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلاّ سبقنا اليه أبو بكر، والطبراني عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان (**هل قلت في أبي بكر شيئا؟**) فقال نعم فقال (**قل وأنا أستمع**). فقال:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال: (**صدقت يا حسان هو كما قلت**)، وهذا يصح أن ينظم في سلك الأحاديث السابقة لكن الرسالة أخرته إلى هنا، وابن سعد عن إبراهيم النخعي قال: كان أبو بكر يسمى الأواه لرأفته ورحمته، وابن عساكر عن الربيع بن أنس قال مكتوب في الكتاب الأول مثل أبي بكر مثل القطر أينما وقع نفع، وقال: نظرنا في صحابة الأنبياء فما وجدنا نبيا كان له صاحب مثل أبي بكر. وأخرج عن الزهري أنه قال من فضل أبي بكر أنه لم يشك في الله ساعة قط، وأخرج عن أبي حصين قال: ما ولد لآدم في ذريته بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر ولقد قام أبو بكر يوم الردة مقام نبي من الأنبياء،

والدينوري وابن عساكر قال: خص الله أبا بكر بأربع خصال لم يخص بها أحدا من الناس، سماه الصديق و لم يسم أحدا الصديق غيره وهو صاحب الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الهجرة وأمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة والمسلمون شهود، وابن أبي داود عن أبي جعفر قال كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يراه، والحاكم عن ابن المسيب قال كان أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم مكان الوزير فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانيه في الإسلام وثانيه في الغار وثانيه في العريش يوم بدر وثانيه في القبر و لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحدا، والزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال كان أبو بكر أحد عشرة من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية بشرف الإسلام، فكان إليه أمر الديات والغرم وذلك أن قريشا لم يكن لها ملك ترجع الأمور إليه بل كان في كل فصل ولاية عامة تكون لرئيسها فكانت في بني هاشم السقاية، والرفادة – ومعنى ذلك أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلاّ من طعامهم وشرابهم وكانت في عبد الدار الحجابة واللواء والندوة أي لا يدخل البيت أحد إلاّ بإذنهم وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار وإذا اجتمعوا لأمر إبراما ونقضا لا يكون اجتماعهم لذلك إلاّ في دار الندوة ولا ينفذ إلاّ بها وكانت لبني عبد الدار. ولقد أحسن النووي في تهذيبه حيث ترجم فيه الصديق بترجمة حسنة أشار فيها مع اختصارها إلى كثير من غرور فضائله ومواهبه التي قدمها مبسوطة مستوفاة فقال: من جملتها أجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازم الصدق فلم يقع منه هناة ما ولا وقفة في حال من الأحوال، وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة منها قصة يوم ليلة الإسراء وثباته، وجوابه للكفار في ذلك وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك عياله وأطفاله وملازمته له في الغار وسائر الطريق، ثم كلامه ببدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر في تأخر دخول مكة. ثم بكاؤه حين قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: (**إن عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة**)، ثم ثباته في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبة الناس وتسكينهم، ثم قيامه في قضية البيعة لمصلحة المسلمين ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام وتصميمه في ذلك، ثم قيامه في قتال أهل الردة ومناظرته الصحابة حتى حجهم بالدلائل وشرح الله صدورهم لما شرح له صدره من الحق وهو قتال أهل الردة، ثم تجهيز الجيوش إلى الشام ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه وأجل فضائله وهو استخلافه عمر وكم للصديق من موقف وأثر ومناقب وفضائل لا تحصى انتهى. وفي التهذيب أنه أحد الذين حفظوا القرآن كله وذكره جماعة غيره واعتمده بعض محققي المتأخرين المطلعين قال: وأما حديث أنس جمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة فمراده من الأنصار، وأما ما أخرجه ابن أبي داود عن الشعبي قال: مات أبو بكر الصديق ولم يجمع القرآن كله فهو مدفوع أو مؤول على أن المراد جمعه في المصحف على الترتيب الموجود اليوم، لأن عثمان هو الذي فعل ذلك. ومن فضائله العظيمة جمعه للقرآن فقد أخرج أبو يعلى عن علي قال أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر. إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين. وأخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر. فقال. أبو بكر إن عمر أتاني. فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلاّ أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكر. فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر. قال زيد وعمر عنده جالس لا يتكلم. فقال أبو بكر إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فو الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي صلى الله

عليه وسلم. فقال أبو بكر: هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكناف والعسب -أي العصى من الجريد- وصدر الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره: (**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ * فَاِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ لآ اِلَهَ اِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** * التوبة: ١٢٨-١٢٩). فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها (**ومن خواصه أيضا**) أنه أول خليفة فرض له رعيته العطاء. أخرج البخاري عن عائشة قالت لما استخلف أبو بكر قال: لقد علمتم قومي إن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين فيه. وأخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال لما بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده إبراد وهو ذاهب إلى السوق. فقال عمر: أين تريد، قال السوق قال تصنع ما ذا وقد وليت أمر المسلمين. قال فمن أين أطعم عيالي. قال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلق إلى أبي عبيدة. فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأوكسهم ولا أكسبهم وكسوة الشتاء والصيف إذا أخلقت شيئا رددته. وأخذت غيره ففرض له كل يوم نصف شاة وما كساه في البطن والرأس. وأخرج ابن سعد عن ميمون قال لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين. فقال زيدوني فإن لي عيالا وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة (وأخرج) الطبراني عن الحسن بن علي بن أبي طالب، قال لما احتضر أبو بكر قال يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبغ فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فانا كنا ننتفع بذلك حين نلي أمر المسلمين. فإذا مت فارددديه إلى عمر، فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر. فقال عمر رحمك الله يا أبا بكر ولقد أتعبت من جاء بعدك (وأخرج) ابن أبي الدنيا عن

أبي بكر بن حفص. قال قال أبو بكر لما احتضر لعائشة: يا بنية إنا ولينا أمر المسلمين. فلم نأخذ لنا دينارا ولا درهما ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين لا قليل ولا كثير إلاّ هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فاذا مت فابعثي بهن إلى عمر[١].

الباب الرابع

في خلافة عمر وفيه فصول

الفصل الأول في حقية خلافته

اعلم أنا لا نحتاج في هذا إلى قيام برهان على حقية خلافة عمر لما هو معلوم عند كل ذي عقل وفهم أنه يلزم من حقية خلافة أبي بكر حقية خلافة عمر، وقد قام الإجماع ونصوص الكتاب والسنة على حقية خلافة أبي بكر حقية خلافة عمر، وقد قام الإجماع ونصوص الكتاب والسنة على حقية خلافة أبي بكر فيلزم قيام الإجماع ونصوص الكتاب والسنة على حقية خلافة عمر لأن الفرع يثبت له من حيث كونه فرعا ما ثبت للأصل فحينئذ لا مطمع لأحد من الرافضة والشيعة في النزاع في حقية خلافة عمر لما قدمناه من الأدلة الواضحة القطعية على حقية خلافة مستخلفه؛ وإذا ثبت حقيتها قطعا صار النزاع فيها عنادا وجهلا وغباوة وإنكارا للضروريات ومن هذا وصفه كهؤلاء الجهلة الحمقى حقيق بأن يعرض عنه وعن أكاذيبه وأباطيله فلا يلتفت اليه ولا يعول في شيء من الأمور عليه - إذا تحقق ذلك فقد مر أن من أعظم فضائل الصديق استخلافه عمر على المسلمين لما حصل به من

---

(١) أوليات أبي بكر وخصائصه كثيرة ذكر أكثرها المحب الطبري في الرياض والسيوطي في تاريخ الخلفاء. وفي التراتيب الإدارية. أنه أول من سمي خليفة وأنه قيل له يا خليفة الله. فقال: أنا خليفة رسول الله وأطلقه عليه أصحاب رسول الله. قال ابن حزم: ولم يسم أحد من الصحابة أحدا غيره بهذا الاسم ولا ممن استخلفه رسول الله على المدينة أو على الصلوات في غزواته وحجته

عموم النفع وفتح البلاد وظهور الإسلام ظهورا تاما كما يأتي وتقدم في تلك الأحاديث التي في الخلافة التصريح بخلافة عمر في غير حديث كحديث (**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**) بطرقه السابقة، وكحديث أمره صلى الله عليه وسلم لأبي بكر بوضع حجره على جنب حجر النبي صلى الله عليه وسلم، وأمره لعمر أن يضع حجره إلى جنب أبي بكر ثم أمره لعثمان بوضع حجره إلى جنب حجر عمر ثم قال (**هؤلاء الخلفاء بعدي**)، وكحديث رؤياه صلى الله عليه وسلم أنه يترع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر ونزع دلوا أو دلوين ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غربا قال صلى الله عليه وسلم. (**فلم أر عبقريا يفري في الناس فريه**)، وكحديث (**الخلافة ثلاثون سنة**) وكحديث (**إن أول دينكم بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة**). فهذه الأحاديث كلها فيها دلالة أي دلالة على حقية خلافة عمر رضي الله عنه لو فرض عدم الإجماع عليها فكيف وقد قام الإجماع عليها ودلت عليها النصوص الدالة على خلافة أبي بكر.

الفصل الثاني

في استخلاف أبي بكر لعمر في مرض موته ونقدم عليه سبب مرضه

أخرج سيف والحاكم عن ابن عمر. قال كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمدا فما زال جسمه ينقص حتى مات، وصح عن ابن شهاب أن أبا بكر والحرث ابن كلدة كانا يأكلان خزيرة[١] أهديت لأبي بكر. فقال الحرث لأبي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله أن فيها سم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة، ولا ينافيه خبر (**اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**) لأن أخص أوصاف أبي بكر تسميته بالصديق كما علم مما مر فأوثر على وصف الشهادة لاشتراكه ولذلك لم يصف صلى الله

---

(١) الخزيرة. طعام شبه عصيدة بلحم وهي بلا لحم عصيدة وفي بعض الروايات حريرة بالمهملتين وهي دقيق يطبخ بلبن أو دسم

عليه وسلم نفسه إلاّ بالنبوة لأنها أخص أوصافه وإلاّ فهو صلى الله عليه وسلم مات بالسم أيضا لما في الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم صرح في مرض موته أنه من أكلة خيبر وأن تلك الأكلة لا زالت تعاوده صلى الله عليه وسلم حتى انقطع أبهره (وأخرج) الواقدي والحاكم عن عائشة قالت أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادي الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج إلى الصلاة وتوفي يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة.

(وأخرج) الواقدي من طرق أن أبا بكر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسألني عن أمر إلاّ وأنت أعلم به مني فقال أبو بكر وإن يكن فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به فقال على ذلك اللّهمّ علمي به أن سريرته خير من علانيته وأن ليس فينا مثله وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد اللّهمّ أعلمه الخير بعدك، يرضى للرضا ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، ودخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم ما أنت قائل لربك إذا سألك عن تولية عمر علينا وقد ترى غلظته، فقال أبو بكر بالله تخوفني، أقول: اللّهمّ استخلف عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت من ورائك ثم دعا عثمان فقال أكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب أني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا وأني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرا فإن عدل فذلك ظني فيه وعلمي به وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب (**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا اَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** * الشعراء: ٢٢٧)، والسلام عليكم ورحمة الله. ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر عمر خاليا فأوصاه بما أوصاه به ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يده فقال اللّهمّ إني لم أرد بذلك

إلاّ إصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم وأحرصهم على ما أرشد لهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك، ونواصيهم بيدك أصلح واليهم واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته (وأخرج) ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة أبو بكر حين استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استأجره والعزيز حين تفرس في يوسف فقال (**لامْرَأَتِهِ اَكْرِمِي مَثْوَيهُ** * يوسف: ٢١)، قيل ويلحق بهم سليمان بن عبد الملك حين استخلف عمر بن عبد العزيز (وأخرج) ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس: إني قد عهدت عهدا أفترضون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي فقال لا نرضى إلاّ أن يكون عمر قال فإنه عمر (وأخرج) ابن سعد عن شداد قال كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال: اللّهمّ إني شديد فليني وإني ضعيف فقوني وإني بخيل فسخني. قال الزهري استخلف عمر يوم توفي أبو بكر فقام بالأمر أتم قيام وكثرت الفتوح في أيامه كثرة عظيمة لم يقطع نظيرها في أيام خليفة بعده، كيف ومن ذلك أكثر إقليم الشام والعراق وفارس والروم ومصر والإسكندرية والمغرب، وقد أشار صلى الله عليه وسلم بذلك في سابع الأحاديث المارة الدالة على خلافة الصديق ولفظه عند الشيخين من بعض تلك الطرق عن ابن عمر وأبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فترعت منها ما شاء الله ثم أخذها أبو بكر فترع منها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت في يده غربا فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه[١] حتى روى الناس وضربوا بعطن**). ومن ثم أيضا عن العلماء أن هذه إشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر وإلى كثرة الفتوح وظهور الإسلام في زمن عمر.

---

(١) يفري فريه بتشديد الياء أي يعمل عمله ويقطع قطعه وروي بتخفيف الياء وسكون الراء وأنكر الخليل التثقيل

الفصل الثالث

(في سبب تسميته بأمير المؤمنين دون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(وأخرج) العسكري في الدلائل والطبراني في الكبير والحاكم من طريق ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر سليمان بن أبي خيثمة لأي ش كان يكتب من خليفة رسول الله في عهد أبي بكر ثم كان عمر كتب أولا -من خليفة- فمن أول من كتب من أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال حدثتني الشفاء، وكانت من المهاجرات أن أبا بكر كان يكتب من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمر كان يكتب من خليفة رسول الله حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله. فبعث اليه لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقال: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمر أنتما والله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بدا لك في هذا الاسم لتخرجن مما قلت فأخبره فقال أنت الأمير ونحن المؤمنون فجرى الكتاب بذلك من يومئذ وفي تهذيب النووي أن عديا ولبيدا المذكورين سمياه بذلك أي لأن عمر لم يقل له ذلك إلاّ تقليدا لهما، وقيل إن أول من سماه به المغيرة بن شعبة. (وأخرج) ابن عساكر عن معاوية ابن قرة قال كان يكتب من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرادوا أن يقولوا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هذا يطول قالوا لا ولكنا أمرناك علينا وأنت أميرنا قال نعم أنتم المؤمنون وأنا أميركم فكتب أمير المؤمنين ولا ينافي ما تقرر أن عبد الله بن جحش في سريته التي نزل فيها قوله تعالى (**يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ** * البقرة: ٢١٧) تسمى أمير المؤمنين لأن تلك تسمية كانت خاصة، والكلام في تسمية الخليفة بذلك فعمر أول من وضع عليه هذا الاسم من حيث الخلافة[١].

---

(١) ذكر السيوطي في المصباح الوهاج أن أبا بكر بعث أسامة على جيش للشام فكان الصحابة يدعونه بأمير المؤمنين وكان عمر يسلم عليه بأمير المؤمنين ثم توارث الخلفاء هذا اللقب

الباب الخامس

(في فضائله وخصوصياته وفيه فصول)

الفصل الأول في إسلامه

قال الذهبي أسلم في السنة السادسة من النبوة، وله سبع وعشرون سنة، وكان من أشراف قريش، وإليه فيهم كانت السفارة فكانوا إذا أرادوا حربا بعثوه رسولا، وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر أرسلوه له منافرا ومفاخرا، وكان إسلامه بعد أربعين رجلا أو تسعة وثلاثين أو خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة وثلاث وعشرين امرأة ففرح به المسلمون وظهر الإسلام بمكة عقب إسلامه. وقد أخرج الترمذي عن ابن عمر والطبراني عن ابن مسعود وأنس أن النبي صلى الله عليه وسلم: قال (**اللّهمّ أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل ابن هشام**) - وأخرج الحاكم عن ابن عباس والطبراني عن أبي بكر الصديق وثوبان أنه صلى الله عليه وسلم قال (**اللّهمّ أعز الدين بعمر بن الخطاب خاصة**) - وأخرج أحمد عن عمر قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت والله هذا شعر كما قالت قريش فقرأ (**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ** * ٤٠-٤١) فوقع في قلب الإسلام كل موقع - وأخرج ابن أبي شيبة عن جابر قال كان أول إسلام عمر أن عمر قال ضرب أختي المخاض ليلا فخرجت من البيت فدخلت في ستار الكعبة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر فصلى ما شاء الله ثم انصرف فسمعت شيئا لم أسمع مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا قلت عمر قال (**يا عمر ما تدعني لا ليلا ولا نهارا**) فخشيت أن يدعو عليّ فقلت أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله فقال (**يا عمر استره**) فقلت لا والذي بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك - وأخرج أبو يعلى والحاكم والبيهقي عن أنس قال خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال أين تعمد يا عمر فقال

أريد أن أقتل محمدا قال وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا قال ما أراك إلاّ قد صبوت قال أفلا أدلك على العجب؟ إن ختنك وأختك قد صبئا وتركا دينك فمشى عمر فأتاهما وعندهما خباب فلما سمع بحس عمر توارى في البيت فدخل فقال ما هذه الهينمة وكانوا يقرؤن طه قالا ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه يا عمر إن كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطئه وطئا شديدا فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها فقالت وهي غضبي إن كان الحق في غير دينك إني أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا عبده ورسوله فقال عمر أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فاقرؤه وكان يقرأ الكتاب فقالت أخته إنك رجس إنه (**لاَ يَمَسُّهُ الاَّ الْمُطَهَّرُونَ** * الواقعة: ٧٩)، فقم واغتسل وتوضأ فقام وتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ (**طه * مَآ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * الاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْاَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى * اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَاِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَاِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَاَخْفَى * اَللهُ لآ اِلَهَ الاَّ هُوَ لَهُ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنَى * وَهَلْ اَتَيكَ حَدِيثُ مُوسَى * اِذْ رَآ نَارًا فَقَالَ لاَهْلِهِ امْكُثُوا اِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ اَوْ اَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا اَتيهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * اِنِّي اَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ اِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَاَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * اِنَّنِي اَنَا اللهُ لآ اِلَهَ الاَّ اَنَا فَاعْبُدْنِي وَاَقِمِ الصَّلَوةَ لِذِكْرِي * طه: ١-١٤**). فقال عمر دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال أبشر يا عمر فاني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخميس: (**اللّهمّ أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام**) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصل الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس، فقال حمزة هذا عمر إن يرد الله به خيرا يسلم وإن لم يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا، والنبي صلى الله عليه وسلم يوحى إليه فخرج حتى أتى إلى عمر فأخذ بجامع ثوبه

وحمائل السيف فقال (**ما أنت بمنته يا عمر حتى يترل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة**)؛ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله. (وأخرج) البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل عن أسلم قال قال لنا عمر: كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم حار بالهاجرة في بعض طريق مكة إذ لقيني رجل فقال عجبا لك يا ابن الخطاب أنك تزعم أنك وأنك وقد دخل عليك الأمر في بيتك. قلت: وما ذا قال أختك قد أسلمت فرجعت مغضبا حتى قرعت الباب. قيل من هذا؟ قلت: عمر فتبادروا واختفوا. وقد كانوا يقرؤن في صحيفة بين أيديهم تركوها أو نسوها، فقامت أختي تفتح الباب. فقلت يا عدوة نفسها أصبوت؟ وضربت بشيء في يدي على رأسها، فسال الدم وبكت فقالت: يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد صبوت قال ودخلت حتى جلست على السرير، فنظرت إلى الصحيفة فقلت: ما هذا ناولنيها فقالت لست من أهلها أنت لا تطهر من الجنابة وهذا كتاب لا يمسه إلاّ المطهرون فما زلت حتى ناولتنيها ففتحتها فاذا فيها: بسم الله الرّحمن الرّحيم فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذعرت منه فألقيت الصحيفة ثم رجعت إلى نفسي فتناولتها فاذا فيها سبح لله ما في السموات والأرض فذعرت فقرأت إلى آمنوا بالله ورسوله فقلت أشهد أن لا إله إلاّ الله، فخرجوا إليّ مبادرين فكبروا وقالوا أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال (**اللّهمّ أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك إما أبو جهل بن هشام وإما عمر**) ودلوني على النبي صلى الله عليه وسلم في بيته بأسفل الصفا فخرجت حتى قرعت الباب فقالوا من؟ قلت: ابن الخطاب وقد علموا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اجترأ أحد يفتح الباب حتى قال افتحوا له فأخذ رجلان بعضدي حتى أتيا بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال (**خلوا عنه**) ثم أخذ بمجامع قميصي وجذبني اليه قال (**أسلم يا ابن الخطاب اللّهمّ أهده**) فتشهدت فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة وكانوا مستخفين فلم أشأ أن أرى رجلا

يضرب ويضرب إلاّ رأيته ولا يصيبني من ذلك شيء فجئت خالي، أي أبا جهل بن هشام وكان شريفا، فقرعت عليه الباب فقال من هذا؟ قلت ابن الخطاب وقد صبوت، قال لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب دوني فقلت ما هذا شيء فذهبت إلى رجل من عظماء قريش فناديته فخرج إليّ فقلت مثل مقالتي لخالي وقال لي مثل ما قال خالي ودخل وأجاف الباب دوني فقلت ما هذا بشيء إن المسلمين يضربون وأنا لا أضرب فقال لي رجل أتحب أن يعلم بإسلامك قلت نعم، قال فاذا جلس الناس في الحجر فأت فلانا لرجل لم يكن يكتم السر فقل له فيما بينك وبينه اني قد صبوت فانه قلما يكتم السر فجئت وقد اجتمع الناس في الحجر فقلت له فيما بينك وبينه اني قد صبوت قال او قد فعلت قلت نعم فنادى بأعلى صوته أن ابن الخطاب قد صبأ فبادروا إليّ فما زلت أضربهم ويضربوني واجتمع على الناس فقال خالي ما هذه الجماعة، قيل عمر قد صبأ فقام على الحجر فأشار لكل ألا إني قد أجرت ابن أختي فكفوا عني فكنت لا أشاء أن أرى رجلا من المسلمين يضرب ويضرب إلاّ رأيته فقلت ما هذا شيء حتى يصيبني فأتيت خالي فقلت جوارك رد عليك فما زلت أضرب وأضرب حتى أعزّ الله الإسلام.

الفصل الثاني

(في تسميته بالفاروق)

أخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس قال: سألت عمر لأي شيء سميت بالفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام فخرجت إلى المسجد فأسرع أبو جهل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسبه فأخبره حمزة فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل فنظر إليه فعرف أبو جهل الشر في وجهه فقال: ما لك يا أبا عمارة فرفع القوس فضرب بها أخدعه[١] فقطعه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر قال: ورسول الله

---

(١) الأخدعان. عرقان في جانب العنق

صلى الله عليه وسلم مختف في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي فانطلق حمزة فأسلم فخرجت بعده بثلاثة أيام فاذا فلان المخزومي فقلت له أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد قال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقا مني فقلت من هو؟ قال أختك وختنك فانطلقت فوجدت هينمة فدخلت فقلت ما هذا؟ فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربته وأدميته فقامت إليّ أختي وأخذت برأسي وقالت قد كان ذلك على رغم أنفك فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت أروني هذا الكتاب فقالت: إنه لا يمسه إلاّ المطهرون فقمت فاغتسلت فأخرجوا إليّ صحيفة فيها بسم الله الرّحمن الرّحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة (**طه * مَآ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * اِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْاَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى * اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَاِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَاِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَاَخْفَى * اَللهُ لآ اِلَهَ اِلاَّ هُوَ لَهُ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنَى** * طه: ١-٨) فتعظمت في صدري وقلت من هذا فرت قريش فأسلمت وقلت أين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فانه في دار الأرقم فأتيت فضربت الباب فاستمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر قال افتحوا له الباب فإن أقبل قبلنا منه وإن أدبر قتلناه فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاختفاء فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إليّ وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق بين الحق والباطل (وأخرج) ابن سعد عن ذكوان قال قلت لعائشة رضي الله عنها من سمى عمر الفاروق قالت: رسول الله صلى الله عليه وسلم. وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس قال لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر. والبزار والحاكم وصححه عن ابن عباس قال لما أسلم عمر قال المشركون قد

انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله (**يَآ اَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمِنَ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** * الأنفال: ٦٤). والبخاري وغيره عن ابن مسعود قال ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. وابن سعد عنه أيضا قال كان إسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت إمامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصل إلى البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا وسبيلنا (وأخرج) ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلاّ قوة فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزاد إلاّ بعدا. والطبراني عن ابن عباس بسند حسن أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب. وابن سعد عن صهيب قال لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعى إليه علانية وجلسنا حول البيت حلقا وطفنا بالبيت وانتصفنا فمن غلظ علينا رددنا عليه بعض ما يأتي به.

الفصل الثالث في هجرته

أخرج ابن عساكر عن علي قال ما علمت أحدا هاجر إلاّ مختفيا إلاّ عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهما وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين خلف المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه ويؤتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم أحد (وأخرج) عن البراء قال أول من قدم علينا مهاجرا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكبا فقلنا ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو على أثري ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه.

الفصل الرابع في فضائله

قد مر منها أربعة وثلاثون حديثا بل أكثر مقرونة ببعض أحاديث أبي بكر الدالة على خلافته وفضله

(والخامس والثلاثون) الخبر السابق آنفا (**اللّهمّ أعزّ الإسلام بعمر بن**

الخطاب) (والسادس والثلاثون) الخبر السابق آنفا أيضا لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر (والخبر السابع والثلاثون) الخبر السابق آنفا أيضا لما أسلم عمر قال المشركون لقد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله (**يَآ اَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنَ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**) (الحديث الثامن والثلاثون) أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فاذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر قلت لمن هذا القصر قالوا لعمر فذكرت غيرتك فوليت مدبرا**) فبكى وقال عليك أغار يا رسول الله (الحديث التاسع والثلاثون) أخرج أحمد والشيخان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**رأيتني دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفا**[١] **أمامي فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا بلال ورأيت قصرا أبيض بفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله انظر إليه فذكرت غيرتك**) (الحديث الأربعون) أخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال (**بينا أنا نائم شربت**) يعني اللبن (**حتى أنظر إلى الري يجري في أظفاري ثم ناولته عمر**) قالوا فما أولته يا رسول الله قال (**العلم**) (الحديث الحادي والأربعون) أخرج أحمد والشيخان والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض عليّ عمر وعليه قميص يجره**) قالوا فما أولته يا رسول الله قال (**الدين**) وفي رواية للحكيم الترمذي على ما ذا تؤول هذا يا رسول الله وفيها فمنهم من كان قميصه إلى سرته ومنهم من كان قميصه إلى ركبته ومنهم من كان قميصه إلى أنصاف ساقيه. وقوله (**الدين**) يجوز فيه النصب والرفع – وعبر بدله في هذه الرواية بالإيمان وقد قيل في

---

(١) الخشف والخشفة بسكون الشين الحس والحركة

وجه تعبير القميص بالدين أن القميص يستر العورة في الدنيا والدين يسترها في الآخرة. ويحجبها عن كل مكروه والأصل فيه (**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ** * الأعراف: ٢٦) واتفق المعبرون على ذلك. أعني تعبير القميص بالدين وأن طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده، وقال ابن العربي إنما أوله به لأنه يستر عورة الجهل كما أن القميص يستر عورة البدن وأما غير عمر فما يبلغ ثديه هو ما يستر قلبه عن الكفر وإن عصى وما يبلغ أسفل منه وفرجه باد هو من لم يستر رجله عن المشي للمعصية والذي يستر رجله هو الذي احتجب بالتقوى من جميع الوجوه والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص. وقال العارف ابن أبي جمرة المراد بالناس في الحديث مؤمنوا هذه الأمة وبالدين امتثال الأوامر واجتناب النواهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي، ويؤخذ من هذا الحديث أن كل ما يرى في القميص من حسن أو غيره عبر بالدين لابسه ونقصه إما لنقص الإيمان أو العمل. وفي الحديث أن أهل الدين يتفاضلون في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من أمثلة ما يحمد في المنام ويذم في اليقظة شرعا أعني جر القميص، لما ورد من الوعيد في تطويله (الحديث الثاني والأربعون) أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلاّ سلك فجا غير فجك**) (الحديث الثالث والأربعون) أخرج أحمد والبخاري عن أبي هريرة وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر**). وأخرج البخاري عن ابن عمر (**ما سمعت عمر لشيء قط يقول إني لأظنه كذا إلاّ كان كما يظن**)، بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، أي هو سويد بن قارب: فقال عمر لقد أخطأ ظني إن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم، عليّ بالرجل فدعا به: فقال له ذلك. فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجلا مسلما قال: فإني أعزم عليك إلاّ ما أخبرتني: قال كنت كاهنهم في

الجاهلية، قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك في الجاهلية قال بينما أنا يوما في السوق جاءتني أعرف منها الفزع فقالت ألم تر الجن وإبلاسها (الحديث الرابع والأربعون) أخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر وأبو داود والحاكم عن أبي ذر، وأبو يعلى والحاكم عن أبي هريرة، والطبراني عن بلال وعن معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه**) قال ابن عمر وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال، إلاّ أنزل القرآن على نحو ما قال عمر (الحديث الخامس والأربعون) أخرج أحمد والترمذي والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر والطبراني عن عصمة بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب**) وأخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري وغيره، وابن عساكر من حديث ابن عمر (الحديث السادس والأربعون) أخرج الترمذي عن عائشة: (**إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر**) (وأخرج) ابن عدي عنها (**رأيت شياطين الإنس والجن فروا من عمر**) (الحديث السابع والأربعون) أخرج ابن ماجة والحاكم عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أول من يصافحه الحق عمر وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة**)، والمصافحة هنا كناية عن مزيد الإنعام والإقبال. ومر أن أبا بكر أول من يدخل الجنة أيضا ويجمع بحمل ما هنا على أن الأولية في عمر نسبية أي الأول من يدخلها بعد أبي بكر (الحديث الثامن والأربعون) أخرج ابن ماجة والحاكم عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به**) (الحديث التاسع والأربعون) أخرج أحمد والبزار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**)، وأخرجه الطبراني من حديث عمر بن الخطاب وبلال ومعاوية بن أبي سفيان وعائشة (وأخرج) ابن منيع في مسنده عن علي قال: كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة[١] تنطق على لسان

---

(١) السكينة ما تسكن به النفس من الطمأنينة وغيرها كملك الإلهام أو ما يقع في النفس من معرفة

عمر (الحديث الخمسون) أخرج البزار عن ابن عمر، وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة، وابن عساكر عن الصعب بن جثامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**عمر سراج أهل الجنة**) (الحديث الحادي والخمسون) أخرج البزار عن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**هذا غلق الفتنة**) وأشار بيده إلي عمر لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم (الحديث الثاني والخمسون) أخرج الطبراني في الأوسط والحكيم في نوادر الأصول والضياء عن ابن عباس قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقال (**أقرئ عمر السلام وأخبره أن غضبه عز ورضاه حكم**). وفي رواية أتاني جبريل فقال: (**اقرئ عمر السلام وقل له إن رضاه حكم وإن غضبه عز**) (الحديث الثالث والخمسون) أخرج ابن عساكر عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الشيطان يفرق من عمر**) (وأخرج) أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه من طريق بريدة (**إن الشيطان ليفرق منك يا عمر**) (الحديث الرابع والخمسون) أخرج ابن عساكر وابن عدي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما في السماء ملك إلاّ وهو يوقر عمر ولا في الأرض شيطان إلاّ وهو يفرق من عمر**) (الحديث الخامس والخمسون) أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن الله باهى بأهل عرفة عامة وباهى بعمر خاصة**) وأخرج في الكبير مثله من حديث ابن عباس (الحديث السادس والخمسون) أخرج الطبراني والديلمي عن الفضل بن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الحق بعدي مع عمر حيث كان**).

(الحديث السابع والخمسون) أخرج الطبراني عن سديسة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلاّ خر لوجهه**)، وأخرجه الدارقطني في الأفراد من طريق سديسة عن حفصة (الحديث الثامن

والخمسون) أخرج الطبراني عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**قال لي جبريل: ليبك الإسلام على موت عمر**) (الحديث التاسع والخمسون) أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من أبغض عمر فقد أبغضني ومن أحب عمر فقد أحبني وإن الله باهى بالناس عشية عرفة عامة وباهى بعمر خاصة. وإنه لم يبعث الله نبيا إلاّ كان في أمته محدث وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر**)، قالوا يا رسول الله كيف محدث. قال (**تتكلم الملائكة على لسانه**) إسناده حسن (الحديث الستون) أخرج أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ما دخلت الجنة قط الاّ سمعت خشخشتك أمامي فاتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت: لمن هذا القصر قالوا: لرجل من العرب قلت أنا عربي لمن هذا القصر قالوا لرجل من قريش فقلت: أنا من قريش لمن هذا القصر قالوا لرجل من أمة محمد فقلت: أنا محمد لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب**) (الحديث الحادي والستون) أخرج أبو داود عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: له (**لا تنسنا يا أخي من دعائك**) (الحديث الثاني والستون) أخرج أحمد وابن ماجه عن عمر أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له (**يا أخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا**) (الحديث الثالث والستون) أخرج ابن النجار عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**الصدق بعدي من عمر حيث كان**) (الحديث الرابع والستون) أخرج الطبراني وابن عدي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان**) (الحديث الخامس والستون) أخرج أحمد والترمذي وابن حبان رضي الله عنه في صحيحه عن أنس وأحمد والشيخان عن جابر وأحمد عن بريدة وعن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**دخلت**

الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب فقلت: لمن هذا القصر قالوا لشاب من قريش فظننت أني أنا هو فقلت: ومن هو قالوا: عمر بن الخطاب فلولا ما علمت من غيرتك لدخلته) (الحديث السادس والستون) أخرج الترمذي والحاكم عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(ما طلعت الشمس على خير من عمر)** (الحديث السابع والستون) أخرج ابن سعد عن أيوب بن موسى مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل)** (الحديث الثامن والستون) أخرج الطبراني عن عصمة بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(ويحك إذا مات عمر فان استطعت أن تموت فمت)**.

الفصل الخامس

في ثناء الصحابة والسلف عليه

أخرج ابن عساكر عن الصديق قال. ما على ظهر الأرض رجل أحب إليّ من عمر وابن سعد عنه أنه قيل له في مرضه ما ذا تقول لربك وقد وليت عمر؟ قال أقول له وليت عليهم خيرهم، والطبراني عن علي قال إذا ذكر الصالحون فحيهلا[١] بعمر ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر، وابن سعد عن ابن عمر قال: ما رأيت أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قبض أجد ولا أجود من عمر، والطبراني والحاكم عن ابن مسعود قال: لو أن علم عمر يوضع في كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم. والزبير بن بكار عن معاوية قال: أما أبو بكر فلم يرد الدنيا و لم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا و لم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرا لبطن

(١) أصل حي أعجل، وهلا بمعنى صله أو حي بمعنى هلم. وهلا أي حثيثا. ويراد أسرع عند ذكره وتنوين هلا علم على النكرة

والحاكم: عن عليّ أنه دخل على عمر وهو مسجي فقال: رحمة الله عليك ما من أحد أحب إليّ أن ألقى الله بما في صحيفته بعد صحيفة النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المسجي، وتقدم لهذا طرق عن علي والطبراني والحاكم عن ابن مسعود قال: إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفهمنا في دين الله، والطبراني عن عمر بن ربيعة أن عمر قال لكعب الأحبار كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرن من حديد قال وما قرن من حديد: قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم قال ثم مه قال ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة ثم قال مه قال ثم يكون البلاء، وأحمد والبزار والطبراني عن ابن مسعود قال: فضل عمر بن الخطاب على الناس بأربع بذكر الأسرى يوم بدر أمر بقتلهم فأنزل الله (**لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ** * الأنفال: ٦٨) وبذكر الحجاب، أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن فقالت له زينب وإنك لتغار علينا يا ابن الخطاب والوحي يترل في بيوتنا فأنزل الله (**وَاِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ** * الأحزاب: ٥٣) وبدعوة النبي صلى الله (**اللّهمّ أيد الإسلام بعمر**)، وبرأيه في أبي بكر كان أول من بايعه، وابن عساكر عن مجاهد قال كنا نحدث أن الشياطين كانت مصفدة في إمارة عمر فلما أصيب بثت.

الفصل السادس

(في موافقات عمر للقرآن والسنة والتوراة)

أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال كان عمر يرى الرأي فيترل به القرآن، وأخرج ابن عساكر عن علي قال إن في القرآن لرأيا من رأى عمر. (وأخرج) عن ابن عمر مرفوعا (**ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلاّ جاء القرآن بنحو ما يقول عمر**). إذا تقرر ذلك فموافقاته كثيرة (الأولى والثانية والثالثة) أخرج الشيخان عن عمر قال (**وافقت ربي في ثلاث**) قلت. يا رسول الله لو اتخذنا مقام إبراهيم مصلى؟ فترلت (**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ اِبْرَهِيمَ مُصَلّىً** * البقرة: ١٢٥) وقلت يا رسول

الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن؟ فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت (**عَسَى رَبُّهُ اِنْ طَلَّقَكُنَّ اَنْ يُبْدِلَهُ اَزْوَاجًا خَيْراً مِنْكُنَّ** * التحريم: ٥) فنزلت كذلك (الرابعة) أسارى بدر أخرجا عن سالم عن عمر قال (**وافقت ربي في ثلاث في الحجاب، وفي أسارى بدر وفي مقام إبراهيم**) (الخامسة) تحريم الخمر. أخرج أصحاب السنن والحاكم أن عمر قال: (**اللّهمّ بين لنا في الخمر بيانا شافيا**) فأنزل الله تحريمها (السادسة) (**فَتَبَارَكَ اللهُ اَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** * المؤمنون: ١٤). أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال: قال عمر (**وافقت ربي في أربع**) نزلت هذه الآية (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ** * المؤمنون: ١٢) فلما نزلت (**قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين**) (السابعة) قصة عبد الله بن أبي وحديثها في الصحيح عنه أي عن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فقمت حتي وقفت في صدره فقلت يا رسول الله أعلى عدو الله بن أبي القائل يوم كذا وكذا كذا وكذا فو الله ما كان إلاّ يسيرا حتى نزلت (**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى اَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ اَبَدًا** * التوبة: ٨٤) (الثامنة) قصة الاستغفار. أخبر الطبراني عن ابن عباس قال لما أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لقوم من المنافقين قال عمر: سواء عليهم فأنزل الله (**سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ اَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ اَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ** * المنافقون: ٦) (التاسعة) الاستشارة في الخروج إلى بدر، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه في الخروج إلى بدر فأشار عمر بالخروج فنزل قوله تعالى (**كَمَآ اَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَاِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ** * الأنفال: ٥) (العاشرة) الاستشارة في قصة الإفك، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما استشار الصحابة في قصة الإفك قال عمر من زوجكها يا رسول الله؟ قال الله. قال: أفتظن أن ربك دلس عليك فيها (**سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ** * النور: ١٦) فنزلت كذلك (الحادية عشرة) قصته في

الصيام لما جامع زوجته. أخرج أحمد في مسنده أيضا لما جامع زورجته بعد الانتباه، وكان ذلك محرما في أول الإسلام فنزل (**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ اِلَى نِسَآئِكُمْ** * البقرة: ١٨٧) (الثانية عشرة) قوله تعالى (**مَنْ كَانَ عَدُوّاً** * البقرة: ٩٧) إلى آخره. أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة أقربها للموافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديا لقي عمر فقال: إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدوّ لنا، فقال عمر: من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين، فنزلت على لسان عمر الآية (الثالثة عشرة) (**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ** * النساء: ٦٥) (أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الأسود قال اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى بينهما. فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب. فأتيا اليه فقال الرجل: قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا. فقال ردنا إلى عمر فقال أكذاك قال نعم. فقال عمر. مكانكما حتى أخرج اليكما فخرج اليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فقال يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي. فقال: (**ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن**). فأنزل الله (**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي اَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (النساء: ٦٥) فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله وله شاهد موصول (الرابعة عشرة) الاستئذان في الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائما فقال: اللّهمّ حرم الدخول، فنزلت آية الاستئذان (الخامسة عشرة) موافقته لقوله تعالى: (**ثُلَّةٌ مِنَ الْاَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ** * الواقعة: ١٣-١٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن جابر وقصتها مذكورة في أسباب النزول (السادسة عشرة) موافقته في بعض الأذان، أخرج ابن عدي في الكامل من طريق عبد الله بن نافع، وهو ضعيف عن أبيه عن ابن عمر أن بلالا كان يقول إذا أذن: أشهد أن لا إله إلاّ الله حي على الصلاة. فقال له عمر قل في إثرها أشهد أن محمدا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**قل كما**

قال عمر)، والحديث الصحيح الثابت في أول مشروعية الأذان يرد هذا (السابعة عشرة) أخرج عثمان بن سعيد الدارمي من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال: ويل لملك الأرض من ملك السماء. فقال عمر إلاّ من حاسب نفسه فقال كعب الأحبار والذي نفسي بيده إنها في التوراة. فخر ساجدا[١]

الفصل السابع

(في كراماته)

(الأولى) أخرج البيهقي وأبو نعيم واللالكائي وابن الأعرابي والخطيب عن نافع عن ابن عمر باسناد حسن قال: وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر رضي الله عنه يخطب جعل ينادي يا سارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادي يا سارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله قال: قيل لعمر إنك تصيح بذلك وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم، وأخرج ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال يا سارية الجبل من استرعى الذئب فقد ظلم، فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم علي ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال. وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قابلوا من وجه واحد وان جازوا هلكوا فخرج مني ما تزعمون، أنكم سمعتموه. فقال: فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا، وأخرج أبو نعيم عن عمر بن الحارث قال: بينا عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة وقال يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن إنه لمجنون، فدخل عليه عبد الرحمن

---

(١) للسيوطي منظومة نسمي بقطف الثمر في موافقات عمر. وذكر في تاريخ الخلفاء أن أبا عبد الله الشيباني ذكر في كتابه فضائل الإمامين لعمر أحدا وعشرين موضعا ومنها رفع تلاوة الشيخ والشيخة إذا زنيا

بن عوف وكان يطمئن اليه فقال انك لتجعل لهم على نفسك مقالا، بينا أنت تخطب اذ أنت تصيح يا سارية الجبل أي شيء هذا؟ قال إني والله ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادي يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم، فقال أولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فانه مصنوع له (الثانية) أخرج أبو القاسم بن بشران من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال قال عمر بن الخطاب لرجل ما اسمك؟ قال جمرة، قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال اين مسكنك؟ قال الحرة قال بأيها قال بذات لظى قال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا، وأخرج مالك في الموطأ نحوه وكذلك أخرجه آخرون[١] (الثالثة) أخرج أبو الشيخ في العظمة بسنده إلى قيس بن الحجاج عمن حدثه قال لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلاّ بها قال وما ذاك قالوا إذا كان أحد عشر ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون ثم ألقناها في هذا النيل فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون في الإسلام أبدا وإن الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك. فكتب له أن قد أصبت بالذي فعلت وإن الإسلام يهدم ما كان قبله وبعث بطاقة في داخل كتابه وكتب إلى عمرو إني قد بعثت إليك بطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا

(١) وأخرجه ابن دريد في الأخبار المنثورة وابن الكلبي في الجامع كما ذكره السيوطي

تجر وإن كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى البطاقة عمرو في النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم (الرابعة) أخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول احبس هذه ثم يحدثه بالحديث فيقول له احبس هذه فيقول له كل ما حدثتك حق إلاّ ما أمرتني أن أحبسه (وأخرج) أيضا عن الحسين قال إن كان أحد يعرف الكذب إذا حدث به أنه كذب فهو عمر بن الخطاب (الخامسة) أخرج البيهقي في الدلائل عن أبي هدبة الحمصي قال أخبر عمر أن أهل العراق قد حصبوا أميرهم فخرج غضبان فصلى فسها في صلاته فلما سلم قال اللّهمّ إنهم قد لبسوا عليّ فألبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم قال ابن لهيعة وما ولد الحجاج يومئذ.

(خاتمة في نبذ من سيرته)

أخرج ابن سعد عن آصف بن قيس قال كنا جلوسا بباب عمر فمرت جارية فقالوا سرية أمير المؤمنين فقال: ما هي لأمير المؤمنين بسرية ولا تحل له، إنها من مال الله فقلنا فما ذا يحل له من مال الله تعالى؟ قال إنه لا يحل لعمر من مال الله إلاّ حلتين حلة الشتاء وحلة الصيف وما حج به واعتمر وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ثم أنا بعد رجل من المسلمين، وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق عن عمر قال إني أنزلت نفسي من مال الله مترلة ولي اليتيم من ماله، إن أيسرت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فان أيسرت قضيت، واحتاج للتداوي بعسل وفي بيت المال عكة فقال إن أذنتم لي وإلاّ فهي عليّ حرام فأذنوا له.

و مكث زمانا لا يأكل من مال بيت المال شيئا حتى أصابته خصاصة فاستشار الصحابة فقال قد شغلت نفسي في هذا المال فما يصلح لي منه فقال عليّ غداء

وعشاء فأخذ بذلك عمر وكانت جملة نفقته في حجه ستة عشر دينارا ومع ذلك يقول أسرفنا في هذا المال.

ولما كلمته حفصة وعبد الله وغيرهما فقالوا لو أكلت طعاما طيبا لكان أقوى لك على الحق قال أكلكم على هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت نصحكم ولكني تركت صاحبي على جادة فان تركت جادهما لم أدركهما في المترل.

قال وأصاب الناس سنة فما أكل عامئذ سمنا ولا سمينا. وقال مرة أخرى لمن كلمه في طعامه ويحك آكل طيباتي في الدنيا وأستمتع بها.

وقال لابنه عاصم وهو يأكل لحما: كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهى، وكان يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف في الأسواق على عاتقه الدرة يؤدب الناس بها ويمر بالنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به (وقال) أنس رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه، وقال أبو عثمان الفهري رأيت على عمر إزارا مرقوعا بأدم ولما حج لم يستظل الاّ تحت كساء أو نطع يلقيه على شجرة وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء وكان يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد منها أياما، وأخذ تبنة من الأرض وقال: يا ليتني هذه التبنة ليتني لم أك شيئا ليت أمي لم تلدني، وكان يدخل في يده في وبرة البعير ويقول إني لخائف أن أسأل عما بك، وحمل قربة على عنقه فقيل له في ذلك فقال إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها، وقال أنس تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة وكان قد حرم على نفسه السمن فنقر بطنه بأصبعه وقال إنه ليس عندنا غيره حتى يحيى الناس، ومن ثم تغير لونه في هذا العام حتى صار آدم، وقال أحب الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي، وقال ابن عمر ما رأيت عمر غضب قط فذكر الله عنده أو خوف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلاّ وقف عما كان يريد، وجئ له بلحم فيه سمن فأبى أن يأكلهما وقال كل واحد منهما أدم، وانكشف فخذه فرأى به أهل نجران علامة سوداء فقالوا هذا الذي نجد في كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا وقال له كعب الأحبار

إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فاذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة، وأمر عماله منهم سعد بن أبي وقاص فكتبوا أموالهم فشاطرهم فيها أخذ نصفها وأبقى لهم نصفها أخرج ذلك كله ابن سعد. وأخرج عبد الرزاق عن جابر أنه شكا إلى عمر ما يلقى من النساء فقال عمر: إنا لنجد ذلك حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي: ما تذهب إلاّ إلى فتيات بني فلان فتنظر إليهن. فقال له عبد الله بن مسعود: ما يكفيك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام شكا إلى الله خلق سارة فقيل له إنها خلقت من ضلع أعوج فألبسها على ما كان فيها ما لم تر عليها حرمة في دينها، ودخل عليه ابن له عليه ثياب حسنة فضربه بالدرة حتى أبكاه، وقال: رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها اليه. وأخرج الخطيب أنه وعثمان كانا يتنازعان في المسألة حتى يقول الناظر إنهما لا يجتمعان أبدا فما يفترقان إلاّ على أحسنه وأجمله.

الباب السّادس

(في خلافة عثمان رضي الله عنه وتلك تستدعي ذكر عهد عمر إليه بها وسببه ومقدماته توفي رضي الله عنه بعد صدوره من الحج شهيدا)

أخرج الحاكم عن ابن المسيب أنه لما نفر من منى وأناخ بالأبطح استلقى ورفع يده إلى السماء وقال: اللّهمّ كبر سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفرط. فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل، وقال له كعب: أجدك في التوراة تقتل شهيدا فقال: وأنى لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب؟. وأخرج البخاري عنه أنه قال: اللّهمّ ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك. وأخرج الحاكم أنه خطب فقال: رأيت كأن ديكا نقرني نقرة أو نقرتين، وإني لا أراه إلاّ حضر أجلي وإن قوما يأمروني أن أستخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فان عجل بي أمرا فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض. وقال له رجل: ألا تستخلف عبد الله بن عمر. فقال

له: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، أستخلف رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته، أي لأنه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها في الحيض، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر: (**مره فليراجعها**)، وكان لا يأذن لصبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب اليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر غلاما عنده يحسن أعمالا كثيرة فيها منافع للناس كالحدادة والنقش والنجارة ويصنع الأرحاء. فأذن له في دخول المدينة، وأسمه أبو لؤلؤة، وهو مجوسي فجاء لعمر يشتكي من ثقل خراجه، وهو أربعة دراهم كل يوم فقال له: ما خراجك بكثير. فانصرف مغضبا وقال: وسع الناس كلهم عدله غيري ثم بعد يسير أرسل اليه عمر فقال له: ألم أخبر أنك تقول لو اشاء لصنعت رحا تطحن بالريح فالتفت إلى عمر عابسا وقال: لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها. فلما ولى قال عمر لأصحابه: أوعدني العبد آنفا، وكان كذلك فأضمر قتله وأعد خنجرا وشحذه وسمه، ثم كمن له في الغلس بزاوية من زوايا المسجد حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة، وكان عمر يأمر بتسوية الصفوف قبل الإحرام فجاء أبو لؤلؤة إلى أن دنا من عمر فضربه بذلك الخنجر ثلاثا في كتفه وفي خاصرته، فوقع عمر، وطعن معه ثلاثة عشر رجلا فمات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه؛ وحمل عمر إلى أهله، وكادت تطلع الشمس فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج من جرحه فقالوا: لا بأس عليك فقال عمر إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال أما والله وددت أني خرجت منها كفافا لا عليّ ولا لي وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي، وأثنى عليه ابن عباس فقال: لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وقد جعلتها شورى في عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وأمر صهيبا أن يصلي بالناس وأجل الستة ثلاثا وكانت اصابته يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الأحد. وصح

أن الشمس انكسفت[١] يوم موته وناحت الجن عليه[٢]، وفي رواية أنه قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام ثم قال لابنه عبد الله انظر ما عليّ من الدين فحسبوه فوجدوه ستا وثمانين ألفا أو نحوها فقال إن وفى مال آل عمر أده من أموالهم والاّ فاسأل في بني عدي فان لم تف أموالهم فاسأل في قريش واذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب اليها فقالت: كنت أريده -تعني المكان- لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي، فأتى عبد الله فقال قد أذنت فحمد الله تعالى، وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف قال ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى الستة وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء فان أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك والاّ فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانة ثم قال: أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين والأنصار، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا في مثل ذلك من الوصية فلما توفي خرجنا به نمشي فسلم عليها عبد الله بن عمر فقال عمر يستأذن فقالت عائشة أدخلوه فأدخل فوضع ناك مع صاحبيه. فلما فرغ من دفنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير قد جعلت أمري إلى علي، وقال سعد قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن، وقال طلحة قد جعلت أمري إلى عثمان فخلا هؤلاء الثلاثة فقال عبد الرحمن: أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله اليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الأمة،

---

(١) كسوف الشمس لموت عمر رواه الطبراني عن عبد الرحمن بن يسار قال النور الهيثمي في مجمع الزوائد ورجاله ثقات وذكر المحب الطبري عن الحسن بن أبي جعفر أن الأرض أظلمت فجعل الصبي يقول يا أماه: أقامت القيامة؟ فتقول لا يا بني. ولكن قتل عمر بن الخطاب. وهذا يفسر ما أراده ابن يسار وإلاّ ففي البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد

(٢) نياحة الجن أخرجها ابن سعد عن سليمان بن يسار وأخرج الحاكم عن مالك بن دينار أنه سمع صوتا بجبل تبالة ينوح عليه بالشعر

فسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه إليّ والله عليّ أن لا آلوكم عن أفضلكم قال نعم فخلا بعلي وقال: لك من التقدم في الإسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال نعم، ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي، وكانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال، وروي أن الناس كانوا يجتمعون في تلك الأيام إلاّ عبد الرحمن يشاورونه ويناجونه فلا يخلو به رجل ذو رأي فيعدل بعثمان أحدا، ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة حمد الله وأثنى عليه وقال في كلامه: إني رأيت الناس يأبون إلاّ عثمان. أخرجه ابن عساكر وفي رواية أنه قال: أما بعد يا علي فاني قد نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا، ثم أخذ بيد عثمان فقال نبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار. (وأخرج) ابن سعد عن أنس قال: أرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال: كن في خمسين من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى فاهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحدا يدخل عليهم ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم وفي مسند أحمد عن أبي وائل قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا فقال ما ذنبي؟ قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر فقال فيما استطعت ثم عرضت ذلك على عثمان فقال نعم، ويروى أن عبد الرحمن قال لعثمان خلوة إن لم أبايعك فمن تشير عليّ قال علي وقال لعلي إن لم أبايعك فمن تشير عليّ قال عثمان ثم دعا الزبير فقال إن لم أبايعك فمن تشير عليّ فقال علي أو عثمان ثم دعا سعدا فقال له من تشير عليّ فأما أنا وأنت فلا نريدها فقال عثمان ثم استشار عبد الرحمن الاعيان فرأى هوى أكثرهم في عثمان (وأخرج) ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود أنه قال لما بويع عثمان أمرنا خير من بقي و لم نأل.

فثبت بذلك جميعه صحة بيعة عثمان وإجماع الصحابة عليها وأنه لا مرية في ذلك ولا نزاع فيه وأن عليا رضي الله عنه من جملة من بايعه وقد مر ثناؤه عليه وقول أنه غزا معه وأقام الحدود بين يديه. ومر أيضا أحاديث كثيرة دالة على خلافته وأنها بعد خلافة عمر فلا نحتاج إلى إعادة ذلك هنا، وأنها فرع عن خلافة عمر التي هي فرع عن خلافة الصديق وقد قام الإجماع وأدلة الكتاب والسنة على حقية خلافة أبي بكر ولزم من ذلك قيامها على حقية خلافة عمر ثم على حقية خلافة عثمان فكانت بيعة صحيحة وخلافة حقا لا مطعن فيها[١].

الباب السابع

(في فضائله ومآثره وفيه فصول)

(الفصل الأول في إسلامه وهجرته وغيرهما)

أسلم قديما وهو ممن دعاه الصديق إلى الإسلام وهاجر الهجرتين إلى الحبشة الأولى، والثانية إلى المدينة وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماتت عنده في ليالي غزوة بدر فتأخر عنها لتمريضها بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له بسهمه وأجره فهو معدود من البدريين بذلك، وجاء البشير بنصر المسلمين يوم دفنوها بالمدينة ثم زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها أم كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة قال العلماء: ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذا سمى ذا النورين فهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) استدل الباقلاني على صحة عقد عبد الرحمن لعثمان بأن المسلمين وفي مقدمتهم الصحابة رضوا به أمينا بعد تشاورهم أياما وعبد الرحمن من أجلة أهل العقد والحل وخير من يصلح لذلك لسبقه وعلمه وزهده في الخلافة مع أنه مرضي عنه وأن عثمان أهل لها وقد انقادت له الأمة ورضيته لها وخاطبوه بأمير المؤمنين وأن ما يروى بعد ذلك من شيء فهو باطل وأن مبايعة علي له ليست كما يقول الشيعة للتقية فان ذلك شيء باطن لا يترك بما يعلم من الظاهر

وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ومر أن الصديق جمعه أيضا، وإنما تميز عثمان بجمعه في المصحف على ترتيبه المعروف اليوم واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوته ذات الرقاع وإلى غطفان قال ابن إسحاق، وكان أول الناس إسلاما بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة وكان ذا جمال مفرط (وقد أخرج) ابن عساكر عن أسامة بن زيد قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مترل عثمان بصحفة فيها لحم فدخلت فاذا رقية جالسة فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ومرة إلى وجه عثمان فلما رجعت سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: دخلت عليهما قلت: نعم قال. فهل رأيت زوجا أحسن منهما؟ قلت لا يا رسول الله (وأخرج) ابن سعد أنه لما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوسقه رباطا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محدث والله لا أفكك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان: والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه (وأخرج) أبو يعلى عن أنس قال: أول من هاجر الى الحبشة بأهله عثمان بن عفان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط**) (وأخرج) ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم بعثمان قال لها: (**إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد**).

(الفصل الثاني في فضائله)

مر منها جملة في أحاديث أبي بكر وفضائله ومن جملة ما مر ما يدل على خلافته وأنها عقب خلافة عمر ومن جملته أيضا أنه وزن بالأمة بعد الشيخين فعدلها ثم رفع الميزان (الحديث الأول) أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال (**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة**) (الحديث الثاني) أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**أشد أمتي حياء عثمان بن عفان**)

(الحديث الثالث) أخرج الخطيب عن ابن عباس وابن عساكر عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إن الله تعالى أوحى إليّ أن أزوج كريمتي يعني رقية وأم كلثوم من عثمان**) (الحديث الرابع) أخرج أحمد ومسلم عن عائشة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت له وأنا على تلك الحالة أن لا يبلغ إلى حاجته**)[١] (الحديث الخامس) أخرج أحمد ومسلم عن عائشة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة**) (الحديث السادس) أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إن عثمان حيي تستحيي منه الملائكة**) (الحديث السابع) أخرج أبو نعيم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**عثمان أحيى أمتي وأكرمها**) (الحديث الثامن) أخرج أبو نعيم عن ابي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إن أشد هذه الأمة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان**) (الحديث التاسع) أخرج أبو يعلى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إن عثمان حيي ستير تستحيي منه الملائكة**) (الحديث العاشر) أخرج الطبراني عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إن عثمان لأول من هاجر بأهله إلى الله بعد لوط**) (الحديث الحادي عشر) أخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إنما نشبه عثمان بابينا إبراهيم**) (الحديث الثاني عشر) أخرج الطبراني عن أم عياش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**ما زوجت عثمان بأم كلثوم إلاّ بوحي من السماء**)[٢] (الحديث الثالث عشر) أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) كان عليه السلام مضطجعا على فراش عائشة وعليه مرط لها فأذن لأبي بكر ولعمر وهو على هذه الحال فلما استأذن عثمان جلس عليه السلام وأصلح عليه ثيابه وأمر عائشة أن تجمع عليها ثيابها ثم أذن له فسألته عائشة عن فزعه لعثمان وحده فقال لها الحديث

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط قال النور الهيثمي وإسناده حسن لما تقدمه من الشواهد

وسلم قال لعثمان: يا عثمان هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها (الحديث الرابع عشر) أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان (**يا عثمان إن الله مقمصك قميصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**)، وهذا من الأحاديث الظاهرة في خلافته الدالة دلالة واضحة على حقيقتها لنسبة القميص في الحديث المكنى به عن الخلافة إلى الله تعالى (الحديث الخامس عشر) أخرج أبو يعلى عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**عثمان بن عفان وليي في الدنيا ووليي في الآخرة**) (الحديث السادس عشر) أخرج ابن عساكر عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**عثمان في الجنة**) (الحديث السابع عشر) أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**لكل نبي خليل في أمته وإن خليلي عثمان بن عفان**)، ومر في أحاديث فضائل الصديق نحو هذا الحديث في حق الصديق أيضا وإنه لا ينافي الخبر المشهور (**لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا**) (الحديث الثامن عشر) أخرج الترمذي عن طلحة وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان**) (الحديث التاسع عشر) أخرج ابن عساكر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ليدخلن -بشفاعة عثمان سبعون ألفا كلهم قد استوجبوا النار- الجنة بغير حساب**) (الحديث العشرون) أخرج الطبراني عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**ما كان بين عثمان ورقية وبين لوط من مهاجر**) (الحديث الحادي والعشرون) أخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم بالله ولا أنشد إلاّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من جهز جيش العسرة فله الجنة**) فجهزهم، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**من حفر بئر رومة فله الجنة**) فحفرها فصدقوه بما قال (الحديث الثاني والعشرون)

أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله عليّ ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول (**ما على عثمان ما فعل بعد هذه**) (الحديث الثالث والعشرون) أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم (الحديث الرابع والعشرون) أخرج الترمذي عن أنس قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فبايع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم (**إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسول الله**) فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ونسبة الحاجة إلى الله تعالى على طريق الاستعارة والتمثيل المقرر في علم البيان (الحديث الخامس والعشرون) أخرج الترمذي عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال (**يقتل فيها هذا مظلوما**) لعثمان (الحديث السادس والعشرون) أخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال (**هذا يومئذ على الهدى**) فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فأقبلت اليه بوجهي فقلت هذا قال (**نعم**) (الحديث السابع والعشرون) أخرج الترمذي عن عثمان أنه قال يوم الدار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليّ عهدا فأنا صابر عليه وأشار بذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم في الخبر السابق (**إن الله مقمصك قميصا فان أرادك المنافقون**

على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني) (الحديث الثامن والعشرون) أخرج الحاكم عن أبي هريرة قال اشترى عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حين حفر بئر رومة وحين جهز جيش العسرة (الحديث التاسع والعشرون) أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**عثمان من أشبه أصحابي بي خلقا)** (الحديث الثلاثون) أخرج الطبراني عن عصمة بن مالك قال لما ماتت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عثمان قال رسول الله صلى الله عليه (**زوجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته وما زوجته إلاّ بوحي من السماء)** (الحديث الحادي والثلاثون) أخرج ابن عساكر عن علي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان (**لو أن لي أربعين ابنة لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة)** (الحديث الثاني والثلاثون) أخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه إنا نستحيي منه)** (الحديث الثالث والثلاثون) أخرج أبو يعلى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إن الملائكة لتستحيي من عثمان كما تستحيي من الله ورسوله)** (وأخرج) ابن عساكر عن الحسن أنه ذكر عنده حياء عثمان فقال (**إن كان ليكون في جوف البيت والباب عليه مغلق فيضع ثوبه ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه)** (الحديث الرابع والثلاثون) أخرج ابن عساكر من حديث أنس مرفوعا (**إن لله سيفا مغمودا في غمده ما دام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد ذلك السيف إلى يوم القيامة)** تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير[١].

---

(١) وفيه أيضا محمد بن داود بن دينار كما في تتريه الشريعة المرفوعة لابن عراق في باب المناقب

(الفصل الثالث)

(في نبذ من مآثره وبقية غرر من فضائله وفيما أكرمه الله به من الشهادة التي وعده بها النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر وهو الصادق المصدوق أنه مظلوم وأنه يومئذ على الهدى)

قال صلى الله عليه وسلم (**يقتل هذا مظلوما**)، وأشار إلى عثمان رضي الله عنه أخرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي وقال حسن غريب، وأخرجه أحمد فكان كما قال صلى الله عليه وسلم (**فاستشهد في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على هذه الآية: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ** * البقرة: ١٣٧). وفي الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم قال (**يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وإن الله عسى أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه يسيل دمه على قوله: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) انتهى وقد أخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يا عثمان تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ**) لكن قال الذهبي إنه حديث موضوع، أي قوله فيه وأنت تقرأ إلى آخره، وأما الإخبار بأصل القتل فصحيح كما في أحاديث كثيرة منها حديث البئر السابق آخر فضائل أبي بكر رضي الله عنه ومنها الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فمر رجل فقال: (**يقتل فيها هذا يومئذ ظلما**)، قال ابن عمر راويه: فنظرت فاذا هو عثمان. كان مقتله سنة خمس وثلاثين في أوسط أيام التشريق وصلى عليه الزبير وكان أوصى إليه ودفن في حش كوكب بالبقيع وهو أول من دفن به، وقيل ثامن عشر ذي الحجة يوم الجمعة وقيل لست بقين منه وعمره اثنتان وثمانون سنة على خلاف طويل فيه (وأخرج) ابن عساكر عن جمع أن قاتله رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال حمار (وأخرج) أحمد عن المغيرة بن شعبة أنه دخل عليه وهو محصور الحصر الآتي في الباب الآتي فقال له إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى وإني أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر إحداهن إما أن تخرج فتقاتلهم فان

معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما أن تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على راحلتك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وأنت بها، وإما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء وأما أن أخرج إلى مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم**) فلن أكون أنا، واما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأخرج) ابن عساكر عن أبي ثور الفهري قال: دخلت على عثمان وهو محصور فقال: لقد اختبأت عند ربي عشرا إني لرابع أربعة في الإسلام وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى وما تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما مرت بي جمعة منذ أسلمت إلاّ وأنا أعتق فيها رقبة إلاّ أن لا يكون عندي شيء فأعتقها بعد ذلك، أي فجملة ما أعتقه ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأخرج) ابن عساكر عن زيد بن أبي حبيب قال بلغني أن عامة الركب الذي ساروا إلى عثمان جنوا (وأخرج) ابن عساكر عن حذيفة قال (**أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلاّ تبع الدجال إن أدركه وإن لم يدركه آمن به في قبره**)، وعن ابن عباس (**لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء**)، وأخرج أيضا عن الحسن قال قتل عثمان وعلي غائب في أرض له فلما بلغه قال اللّهمّ إني لم أرض و لم أمالئ (وأخرج) الحاكم وصححه عن قيس بن عبادة قال سمعت عليا يوم الجمل يقول اللّهمّ أبرأ إليك من دم عثمان ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت والله إني لأستحيي أن أبايع قوما

قتلوا عثمان وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا فلما رجع الناس فسألوني البيعة قلت اللّهمّ إني مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت فقالوا يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي وقلت اللّهمّ خذ مني لعثمان حتى ترضى (وأخرج) ابن عساكر عن أبي خلدة الحنفي قال سمعت عليا يقول أن بني أمية يزعموني أني قتلت عثمان ولا والله الذي لا إله إلاّ هو ما قتلت ولا مالأت ولقد نهيت فعصوني (وأخرج) عن سمرة قال إن الإسلام كان في حصن حصين وأنهم ثلموا في الإسلام ثلمة عظيمة بقتلهم عثمان لا تنسد إلى يوم القيامة (وأخرج) عبد الرزاق أن عبد الله بن سلام كان يدخل على محاصري عثمان فيقول لا تقتلوه فو الله لا يقتله رجل منكم إلاّ لقي الله أجذم لا يدله وإن سيف الله لم يزل مغمودا وإنكم والله إن قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمد عنكم أبدا وما قتل نبي قط إلاّ قتل به سبعون ألفا ولا خليفة إلاّ قتل به خمسة وثلاثون ألفا قبل أن يجتمعوا (وأخرج) ابن عساكر عن عبد الرحمن المهدي قال: خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهم صبره على نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف (وأخرج) أبو نعيم في الدلائل عن ابن عمر أن جهجاه الغفاري قام إلى عثمان وهو يخطب فأخذ العصا من يده فكسرها على ركبته فما حال الحول حتى أرسل الله في رجله الآكلة فمات منها.

(**تتمة**) نقم الخوارج عليه رضي الله عنه أمورا هو منها برئ (منها) عزله أكابر الصحابة من أعمالهم وولاها دونهم من أقاربه كأبي موسى الأشعري عن البصرة وعمرو بن العاص عن مصر وعمار بن ياسر عن الكوفة والمغيرة بن شعبة عنها أيضا وابن مسعود عنها أيضا وأشخصه الى المدينة (وجوابه) أنه انما فعل ذلك لأعذار أوجبت عليه ذلك.

فأما أبو موسى فإن جند عمله شكوا شحه وجند الكوفة نقموا عليه أنه أمرهم بأمر عمر لهم بطاعته بفتح رامهرمز ففتحوها وسبوا نساءها وذراريها فلما بلغه ذلك قال: إني كنت أمنتهم فكتبوا لعمر فأمر بتحليفه فحلف فأمر برد ما أخذ

منهم فرفعوه لعمر فعتب عليه وقال: لو وجدنا من يكفينا عملك عزلناك فلما توفي عمر اشتد غضب الجندين عليه فعزله عثمان خوف الفتنة.

وأما عمرو بن العاص فلإكثار أهل مصر شكايته وقد عزله عمر لذلك ثم رده لما ظهر له التفصي مما شكوه منه وتوليته ابن أبي سرح بدله فهو وإن كان ارتد في زمنه صلى الله عليه وسلم فأهدر دمه يوم الفتح أسلم وصلح حاله بل ظهرت منه في ولايته إشارة محمودة كفتح طائفة كثيرة من تلك النواحي وكفاه فخرا أن عبد الله بن عمرو بن العاص قاتل تحت رايته ككثير من الصحابة بل وجدوه أقوم لسياسة الأمر من عمرو بن العاص ومن أحسن محاسنه لما قتل عثمان أنه لم يقاتل مسلما بعد قتاله المشركين.

وأما عمار فالذي عزله عمر لا عثمان. وأما المغيرة فأُنهي لعثمان انه ارتشى فلما رأى تصميمهم على ذلك ظهر أن المصلحة في عزله وإن كانوا كاذبين عليه.

وأما ابن مسعود فكان ينقم على عثمان كثيرا فظهرت له المصلحة في عزله على أن المجتهد لا يعترض عليه في أموره الاجتهادية، لكن أولئك الملاعين المعترضين لا فهم لهم بل ولا عقل (ومنها) أنه أسرف في بيت المال حيث أعطى أكثره لأقاربه، كالحكم الذي رده للمدينة وكان النبي صلى الله عليه وسلم نفاه عنها إلى الطائف، وكاتبه مروان أعطاه مائة ألف وخمس إفريقية والحرث أعطاه عشرا وما يباع بأسواق المدينة، وجاءه أبو موسى بحلية ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته، وأنفق أكثر بيت المال في ضياعه ودوره (وجواب ذلك) أن أكثر ذلك مختلق عليه، ورده الحكم إنما كان لكونه صلى الله عليه وسلم وعده بذلك لما استأذنه فنقله للشيخين فلم يقبلاه لكونه واحدا فلما ولى قضى بعلمه كما هو قول أكثر الفقهاء. على أن الحكم تاب مما نفي لأجله، والحق في مروان لما تعذر نقله من أثاث أفريقية وحيوانها اشتراه من أبي سرح الأمير بمائة ألف فقد نقد أكثر، وسبق مبشرا بفتحها فترك عثمان منه البقية جزاء لبشارته فان قلوب المسلمين كانت في غاية القلق بشدة أمر إفريقية

وللإمام أن يعطي البشير ما يراه لائقا بتعبه وخطر بشارته وتلك ألف إنما جهزها من مال بيت الحرث، وثروة عثمان جاهلية وإسلاما لا تنكر، وما ذكروه في العشور صحيح نعم جعل له السوق لينظر فيه بالمصلحة فوقع منه جور فعزله (وقصة) أبي موسى ذكرها ابن إسحاق بسند فيه مجهول وهو لا يكون حجة في ذلك وغنى عثمان الواسع واتصافه في غزوة تبوك بما هو مشهور عنه يمنع نسبة ذلك وأقل منه وأكثر إليه، غاية الأمر أنه لو سلم أنه أكثر من إعطاء أقاربه من بيت المال كان اجتهادا منه فلا يعترض به عليه، وزعم أنه منع أن لا يشتري أحد قبل وكيله وأن لا تسير سفينة من البحرين إلاّ في تجارته باطل، على أنه كان متبسطا في التجارات فلعله حمى سفينة أن لا يركب فيها غيره. وفوض لزيد بن ثابت نظر بيت المال ففضلت منه فضلة فصرفها في عمارة ما زاده في مسجده صلى الله عليه وسلم فتقولوا أنه صرفها في عمارة دوره، كما تقولوا أنه حمى لنفسه مع أنه حمى لإبل الصدقة، وأنه أقطع أكثر أراضي بيت المال مع أنه إنما هو في الإحياء على أنه عوض أشراف اليمن مثل ما تركوه من أراضيهم لما جاءوا إلى المدينة يستمروا بها تجاه الأعداء وذلك فيه مصلحة عامة فلا يعترض به (ومنها) أنه حبس عطاء ابن مسعود وأبي بن كعب ونفى أبا ذر إلى الربذة وأشخص عبادة بن الصامت من الشام إلى المدينة لما اشتكاه معاوية وهجر ابن مسعود وقال لابن عوف إنك منافق وضرب عمار بن ياسر وانتهك حرمة كعب بن عبدة فضربه عشرين سوطا ونفاه إلى بعض الجبال، وكذلك حرمة الأشتر النخعي (وجواب ذلك) أن حبسه لعطاء ابن مسعود وهجره له فلما بلغه عنه مما يوجب ذلك لا سيما وكل منهما مجتهد لا يعترض بما فعله أحدهما مع الآخر، نعم زعم أن عثمان أمر بضربه باطل، ولو فرضت صحته لم يكن بأعظم من ضرب عمر لسعد بن أبي وقاص بالدرة على رأسه حيث لم يقم له وقال إنك لم تهب الخلافة فأردت أن تعرف أن الخلافة لا تهابك ولم يتغير سعد من ذلك فابن مسعود أولى لأنه كان يجيب عثمان بما لا يبقى له حرمة ولا أبهة أصلا بل

رأى عمر أبيا يمشي وخلفه جماعة فعلاه بالدرة وقال أن هذا فتنة لك ولهم فلم يتغير أبي، على أن عثمان جاء لابن مسعود وبالغ في استرضائه فقيل قبله واستغفر له وقيل لا وكذلك ما وقع له مع أبي ذر فانه كان متجاسرا عليه بما يخرم أبهة ولايته فما فعله معه ومع غيره إنما هو صيانة لمنصب الشريعة وحماية لحرمة الدين، وإن عذر أبو ذر بقصده منه أن يجري على ما كان عليه الشيخان، على أنه جاء أن أبا ذر إنما اختار التحول اعتزالا للناس مع أمر عثمان له بعدمه، وقوله أقم عندي تغدو عليك اللقاح وتروح فقال لا حاجة لي في الدنيا وهي قضية باطلة من أصلها، وكذا قضية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وإنما كان متوحشا منه لأنه كان يجيئه كثيرا، ولم يضرب عمارا وإنما ضربه عثمان لما كرر إرسالهم اليه ليجئ إلى المسجد حتى يعاتبه في أشياء نقمها عليه وهو يعتذر اليه فلم يقبل وقد حلف عثمان وغلظ أنه لم يأمرهم بذلك ثم بالغ في استرضائه وظهر ما يدل على أنه رضي عنه.

وفعله بكعب ما ذكر، فعذره فيه أنه كتب اليه فاغلظ عليه ثم استدرك عثمان ذلك فبالغ في استرضائه فخلع قميصه ودفع اليه سوطا ليقتص منه فعفا ثم صار من خواصه.

وما فعله بالأشتر معذور فيه فانه رأس فتنة في زمان عثمان بل هو السبب في قتله بل جاء أنه هو الذي باشر قتله بيده فأعمى الله بصائرهم، كيف لم يذموا فعل هذا المارق وذموا فعل من شهد له الصادق بأنه الإمام الحق وأنه يقتل شهيدا مظلوما وأنه من أهل الجنة (ومنها) أنه أحرق المصاحف التي فيها القرآن (وجوابه) أن هذا من فضائله لأن حذيفة وغيره أنهوا إليه أن أهل الشام والعراق اختلفوا في القرآن يقول بعضهم لبعض قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرا، فرأى عثمان أن يجمع الناس على مصحف واحد فأخذ صحف أبي بكر التي جمع القرآن منها فانتسخ منها مصحفا وأمر الناس بالتزام ما فيه ثم كتب منه صحفا وأرسلها إلى البلدان وأمر بذلك لاختلاف الأمة، ومن ثم قال علي كرم الله وجهه والله لو وليت

لفعلت الذي فعل عثمان وقال لا تسبوا عثمان من جهة ذلك فانه لم يعمله إلاّ عن ملأ منا وقد بسطت هذه القصة وما فيها من الفوائد في شرح المشكاة (ومنها) تركه قتل عبيد الله بن عمر بقتله الهرمزان وجفينة وبنتا صغيرة لأبي لؤلؤة قاتل عمر مع إشارة علي والصحابة بقتله (وجواب ذلك) أن جفينة نصراني وابنة أبي لؤلؤة أبوها مجوسي وأمها حالها مجهول فلم يتحقق إسلامها، وأما الهرمزان فهو المشير والآمر لأبي لؤلؤة على قتل عمر وجماعة مجتهدون على أن الآمر يقتل كالمأمور، على أنه خشي ثوران فتنة عظيمة لما أراد قتله لو توفرت فيه الشروط فترك قتل عبيد الله واسترضى أهل الهرمزان (ومنها) إتمامه الصلاة بمنى لما حج بالناس (وجوابه) أن هذه مسألة اجتهادية فالاعتراض بها جهل قبيح وغباوة ظاهرة إذ أكثر العلماء على أن القصر جائز لا واجب (ومنها) أنه كان غادرا لما وقع له مع محمد بن أبي بكر رضي الله عنه مما يأتي قريبا (وجوابه) أنه حلف لهم كما يأتي فصدقوه إلاّ من في قلبه مرض (والحاصل) أنه صح عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أنه على الحق وأن له الجنة وأنه يقتل مظلوما وأمر باتباعه، ومن هو كذلك كيف يعترض عليه بأكثر تلك الترهات أو بجميع ما مر من الاعتراضات وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم أشار عليه أن سيتولى الخلافة وأن المنافقين سيراودونه على خلعه وأنه لا يطيعهم هذا، مع ما علم من سابقته وكثرة إنفاقه في سبيل الله وغيرهما مما مر في مآثره رضي الله تعالى عنه.

الباب الثّامن

(في خلافة علي كرم الله وجهه ولنقدم عليها قصة قتل عثمان رضي الله عنه لما أنها مترتبة على قتله بمبايعة أهل الحل والعقد له حينئذ كما يأتي)

(أخرج) ابن سعد عن الزهري قال: ولّي عثمان اثنتي عشرة سنة فلم ينقم عليه الناس عدة ست سنين، بل كان أحب إلى قريش من عمر لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم ثم توانى في أمرهم واستعمل أقاربه وأهل

بيته في الست الأواخر وأعطاهم المال متأولا في ذلك الصلة التي أمر الله بها وقال إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما كان لهما وإني أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر عليه ذلك (وأخرج) ابن عساكر عن الزهري قال قلت لابن المسيب هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان ما كان شأن الناس وشأنه؟ ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال ابن المسيب قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا فقلت كيف، قال لأنه لما ولي كره ولايته نفر من الصحابة لأنه كان يحب قومه فكان كثيرا ما يولي بني أمية ممن لم يكن له صحبة فكان يجئ من أمرائه ما تنكره الصحابة وكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم فلما كان في الست الأواخر استأثر بني عمه فولاهم دون غيرهم وأمرهم بتقوى الله، فولى عبد الله بن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه، وقد كان قبل ذلك من عثمان هناة إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر، وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فكتب إليه كتابا يتهدده فيه فأبي ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم، فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت عائشة إليه تقول له تقدم إليك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك، ودخل عليه علي بن أبي طالب فقال إنما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم فإن وجب عليه حق فانصفهم منه فقال لهم اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه فاشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه، وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح، فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاث من المدينة إذ هم بغلام

أسود على بعير يخبط البعير خبطا كانه رجل يطلب أو يطلب فقال أصحاب محمد ما قضيتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر فقال له رجل منهم هذا عامل مصر قال ليس هذا أريد وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه رجلا فأخذه وجاء به إليه، فقال له رجل غلام من أنت فاقبل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان فقال له محمد إلى من أرسلت قال إلى عامل مصر قال له بما ذا؟ قال برسالة قال معك كتاب قال لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه إداوة فاذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه، إذ أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجئ يتظلم إليّ منك حتى يأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالى. فلما قرأوا الكتاب فزعوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفعوا الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا ومن كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلاّ حنق على عثمان. وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار حنقا وغيظا، وقام أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلاّ وهو مغتم لما قرؤا الكتاب وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بني تيم وغيرهم، فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدري، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له أهذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: فأنت كتبت هذا الكتاب قال: لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به قال له علي: فالخاتم خاتمك. قال: نعم، قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به،

فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط. فعرفوا أنه خط مروان وشكوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى وكان مروان عنده في الدار فخرج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من عنده غضابا وشكوا في أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل إلاّ أن قوما قالوا لا يبرأ عثمان من قلوبنا إلاّ أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجلين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق، فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان وخشي عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: لا، قال أفيكم سعد؟ قالوا: لا، ثم قال: ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء؟ فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال: إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه. وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه وبعث عدة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى علي فخشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنة فأخذ بيد الرجلين فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ولا يعلم أحد ممن كان معه، لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت و لم يكن معه إلاّ امرأته، فقال لهما

محمد مكانكما فان معه امرأته، حتى أبدأكما بالدخول فاذا أنا ضبطته فادخلا فتوجآه حتى تقتلاه، فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فتوجآه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها أحد لما كان في الدار من الجلبة، وصعدت امرأته إلى الناس وقالت إن أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحا، فبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا فقال علي لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له نبايعك فمد يدك فلا بد من أمير. فقال علي ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلاّ أتى عليا فقالوا ما نرى أحدا أحق بها منك مد يدك نبايعك فبايعوه. وهرب مروان وولده وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر وأخبرت عليا والناس بما صنع، فدعا علي محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكرني أبي فقمت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته. فقالت امرأته صدق ولكنه أدخلهما. قال ابن سعد وكانت مبايعة علي بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة ويقال إن طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين، ثم خرجا إلى مكة وعائشة رضي الله عنها بها فأخذاها وخرجا إلى البصرة يطلبون بدم عثمان. وبلغ ذلك عليا فخرج إلى العراق فلقي بالبصرة طلحة والزبير ومن معهم وهي وقعة الجمل وكانت في جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين، وقتل بها طلحة والزبير وبلغ عدد القتلى ثلاثة عشر ألفا، وقد أقام علي في البصرة خمس عشرة ليلة ثم

انصرف إلى الكوفة، ثم خرج عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين ودام القتل بها أياما. فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص. وكتبوا بينهم كتابا أن يوافوا رأس الحول بأذرح[١] فينظروا في أمر الأمة، وافترق الناس ورجع معاوية إلى الشام وعلي إلى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا لا حكم إلاّ لله، وعسكروا بحروراء[٢] فبعث اليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم كثير وثبت قوم وساروا إلى النهروان[٣] فسار إليهم علي فقتلهم وقتل منهم ذي الثدية الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وذلك سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس بأذرح في شعبان من هذه السنة وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة فقدم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه، فتكلم فخلع عليا وتكلم عمرو فأمر معاوية وبايع له وتفرق الناس على هذا، وصار علي في خلاف من أصحابه حتى صار يعض على يديه ويقول أعصى ويطاع معاوية. هذا ملخص تلك الوقائع ولها بسط لا تحتمله هذه العجالة على أن الاختصار في هذا المقام هو اللائق فقد قال صلى الله عليه وسلم (**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**) وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة رضي الله عنها والزبير عليا كما أخرجه الحاكم وصححه البيهقي عن أم سلمة قالت: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضي الله عنها فقال (**انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت**)، ثم التفت إلى علي، فقال (**إن وليت من أمرها شيئا فارفق**) (وأخرج) البزار وأبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا (**أيتكن صاحبة الجمل الأحمر تخرج حتى تنبحها كلاب الحوءب[٤] فيقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت لا تنجو**) (وأخرج) الحاكم وصححه والبيهقي

---

(١) أذرح بضم الراء قرية بالشام

(٢) بلدة بالكوفة

(٣) بفتح النون وضمها ثلاث قرى بين واسط وبغداد

(٤) موضع بالبصرة بوزن كوكب

عن أبي الأسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له علي أنشدك الله، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**تقالته وأنت له ظالم**)، فمضى الزبير منصرفا، وفي رواية أبي يعلى والبيهقي فقال الزبير بلى ولكن نسيت.

(**تنبيه**) علم مما مر أن الحقيق بالخلاف بعد الأئمة الثلاثة هو الإمام المرتضى والولي المجتبى علي بن أبي طالب باتفاق أهل الحل والعقد عليه كطلحة والزبير وأبي موسى وابن عباس وخزمية بن ثابت وأبي الهيثم بن التهيان ومحمد بن سلمة وعمار بن ياسر. وفي شرح المقاصد عن بعض المتكلمين أن الاجماع انعقد على ذلك، ووجه انعقاده في زمن الشورى، على أنها له أو لعثمان وهذا إجماع على أنه لولا عثمان لكانت لعلي فحين خرج عثمان بقتله من البين علم أنها بقيت لعلي إجماعا، ومن ثم قال إمام الحرمين ولا اكتراث بقول من قال لا إجماع على إمامة علي فان الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتنة لأمور أخرى.

الباب التّاسع

(في مآثره وفضائله ونبذ من أحواله وفيه فصول)

(الفصل الأول في إسلامه وهجرته وغيرهما)

أسلم وهو ابن عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقيل دون ذلك قديما، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة أنه أول من أسلم ونقل بعضهم الإجماع عليه ومر الجمع بين هذا الإجماع. والاجماع على أن أبا بكر أول من أسلم، ونقل أبو يعلى عنه قال. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء (وأخرج) ابن سعد عن الحسن بن زيد قال لم يعبد الأوثان قط لصغره، أي ومن ثم يقال فيه كرم الله وجهه وألحق به الصديق في ذلك، لما قيل أنه لم يعبد صنما قط، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين وأحد السابقين إلى الإسلام وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين

وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه أبو الأسود الدؤلي وأبو عبد الرحمن السلمي وعبد الرحمن بن أبي ليلى ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياما حتى يؤدي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم يلحقه بأهله ففعل ذلك وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم سائر المشاهد إلاّ تبوك فانه صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة وقال له حينئذ (**أنت مني بمترلة هارون من موسى**) كما مر وله في جميع المشاهد الآثار المشهورة وأصلبه يوم أحد ست عشرة ضربة وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة سيما يوم خيبر، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتح يكون على يده كما في الصحيحين وحمل يومئذ باب حصنها على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وانهم جروه بعد ذلك فلم يحمله إلاّ أربعون رجلا وفي رواية أنه تناول بابا من الحصن -حصن خبير- فتترس به عن نفسه فلم يزل يقاتل وهو في يده حتى فتح الله عليه ثم ألقاه فأراد ثمانية أن يلقوه فما استطاعوا.

(الفصل الثاني في فضائله رضي الله عنه وكرم الله وجهه)

وهي كثيرة عظيمة شهيرة حتى قال أحمد، ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي، وقال اسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري. لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي[١] وقال بعض المتأخرين من ذرية أهل البيت النبوي وسبب ذلك والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيه على ما يكون بعده مما ابتلى به علي وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة، فاقتضى ذلك نصح

---

(١) وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات لم يرو لأحد من الصحابة في الفضائل أكثر مما روي لعلي رضي الله عنه وهي ثلاثة أقسام صحاح وحسان وقسم ضعاف وفيها كثرة وقسم موضوعات وهي كثيرة إلى الغاية ولعل بعضها ضلال وزندقة انتهى وفي كتاب تتريه الشريعة المرفوعة. قال الخليلي في الارشاد قال بعض الحفاظ تأملت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل علي وأهل بيته فزاد على ثلاثمائة ألف والله أعلم

الأمة باشهاره بتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحا للأمة أيضا، ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقصيه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج لعنهم الله بل قالوا بكفره اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحا للأمة ونصرة للحق.

ثم اعلم أنه سيأتي في فضائل أهل البيت أحاديث مستكثرة من فضائله فلتكن منك على ما ذكر فانه مر في كثير من الأحاديث السابقة في فضائل أبي بكر جمل من فضائل عليّ واقتصرت هنا على أربعين حديثا لأنها من غرر فضائله (الحديث الأول) أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص وأحمد والبزار عن أبي سعيد الخدري والطبراني عن أسماء بنت عميس وأم سلمة وحبيشي بن جنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة وعلي والبراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال (**أما ترضى أن تكون مني بمترلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي**)، ومر الكلام على هذا الحديث مستوفى في الثاني عشر من الشبه (الحديث الثاني) أخرج الشيخان أيضا عن سهل بن سعد والطبراني عن ابن عمر وابن أبي ليلى وعمران بن حصين، والبزار عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر (**لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**)، فبات الناس يذكرون -أي يخوضون ويتحدثون ليلتهم- أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقيل يشتكي عينيه قال فأرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى كان كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية. وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها علي أحب الرجال إليه (الحديث الثالث)

أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية. (**نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ** * آل عمران: ٦١). دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسينا فقال (**اللّهمّ هؤلاء أهلي**).

(الحديث الرابع) قال صلى الله عليه وسلم يوم غديرخم[١] (**من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه**) الحديث، وقد مر في حادي عشر الشبه وأنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابيا وأن كثيرا من طرقه صحيح أو حسن، ومر الكلام ثم على معناه مستوفى، وروى البيهقي أنه ظهر علي من البعد. فقال صلى الله عليه وسلم (**هذا سيد العرب**) فقالت عائشة. ألست سيد العرب، فقال (**أنا سيد العالمين وهو سيد العرب**)، ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ (**أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب**). وقال إنه صحيح و لم يخرجاه وله شواهد كلها ضعيفة كما بينه بعض محققي المحدثين. بل جنح الذهبي إلى الحكم على ذلك بالوضع وعلى فرض صحته فسيادته لهم إما من حيث النسب أو نحوه فلا يستلزم أفضليته على الخلفاء الثلاثة قبله لما مر من الأدلة الصريحة في ذلك (الحديث الخامس) أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم**) قيل يا رسول الله سمهم لنا قال (**علي منهم**) يقول ذلك ثلاثا وأبو ذر والمقداد وسلمان (الحديث السادس) أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي**) (الحديث السابع) أخرج الترمذي عن ابن عمر آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك و لم تؤاخ بيني وبين أحد فقال صلى الله عليه وسلم (**أنت أخي في الدنيا والآخرة**) (الحديث

---

(١) موضع على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين وهو بضم الخاء

الثامن) أخرج مسلم عن علي قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلى أنه لا يحبني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق، وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا (الحديث التاسع) أخرج البزار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله والطبراني والحاكم والعقيلي في الضعفاء وابن عدي عن ابن عمر والترمذي والحاكم عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. (**أنا مدينة العلم وعلي بابها**) وفي رواية (**فمن أراد العلم فليأت الباب**) وفي أخرى عند الترمذي عن علي (**أنا دار الحكمة وعلي بابها**). وفي أخرى عند ابن عدي (**علي باب علمي**). وقد اضطرب الناس في هذا الحديث فجماعة على أنه موضوع منهم ابن الجوزي والنووي وناهيك بهما معرفة بالحديث وطرقه حتى قال بعض محققي المحدثين لم يأت بعد النووي من يدانيه في علم الحديث فضلا عن أن يساويه. وبالغ الحاكم على عادته وقال إن الحديث صحيح وصوب بعض محققي المتأخرين المطلعين على الحديث أنه حديث حسن ومر الكلام عليه[١] (الحديث العاشر) أخرج الحاكم وصححه عن علي قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء فضرب صدري بيده ثم قال (**اللّهمّ اهد قلبه وثبت لسانه**) فو الذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين قيل: وسبب قوله صلى الله عليه وسلم (**أقضاكم علي**) السابق في أحاديث أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع جماعة من أصحابه فجاء خصمان. فقال أحدهما يا رسول الله إن لي حمارا وإن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حماري فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم. فقال صلى الله عليه وسلم (**اقض بينهما يا علي**)، فقال علي لهما أكانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدود والآخر مرسلا فقالا كان الحمار مشدودا والبقرة

---

(١) قال السيوطي هذا حديث حسن على الصواب لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي وقد بينت حاله في التعقبات على الموضوعات

مرسلة وصاحبها معها، فقال علي صاحب البقرة ضمان الحمار فأقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه وأمضى قضاءه (الحديث الحادي عشر) أخرج ابن سعد عن علي أنه قيل له ما لك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا قال إني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني (الحديث الثاني عشر) أخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الناس من شجر شتى وأنا وعلي من شجرة واحدة**) (الحديث الثالث عشر) أخرج البزار عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي (**لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك**) (الحديث الرابع عشر) أخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه إلاّ علي (الحديث الخامس عشر) أخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**النظر إلى علي عبادة**)، إسناده حسن (الحديث السادس عشر) أخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من آذى عليا فقد آذاني**) (الحديث السابع عشر) أخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من أحب عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله**) (الحديث الثامن عشر) أخرج أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة، قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**من سب عليا فقد سبني**) (الحديث العشرون) أخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن علي قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (**ان فيك مثلا من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمترل الذي ليس به، ألا وإنه يهلك في اثنان محب مفرط يقرظني بما ليس فيّ ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني**) (الحديث الحادي والعشرون) أخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان**

حتى يردا على الحوض (الحديث الثاني والعشرون) أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي (**أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه**) يعني قرنه (**حتى يبل منه هذه**) يعني لحيته، وقد ورد ذلك من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم.

(أخرج) أبو يعلى عن عائشة. قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم التزم عليا وقبله وهو يقول بأبي الوحيد الشهيد وروى الطبراني وأبو يعلى بسند رجاله ثقات إلاّ واحدا منهم فانه موثق أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال له يوما (**من أشقى الأولين**). قال الذي عقر الناقة يا رسول الله. قال (**صدقت**) قال (**فمن أشقى الآخرين**) قال لا علم لي يا رسول الله قال (**الذي يضربك على هذه**) وأشار صلى الله عليه وسلم إلى يافوخه فكان علي رضي الله عنه يقول لأهل العراق أي عند تضجره منهم وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه -يعني لحيته- من هذه ووضع يده على مقدم رأسه وصح أيضا أن ابن سلام قال له لا تقدم العراق فاني أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف. فقال علي وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو الأسود فما رأيت كاليوم قط محاربا يخبر بذا عن نفسه؟ (الحديث الثالث والعشرون) أخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال اشتكى الناس عليا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا. فقال (**لا تشكوا عليا فو الله إنه لأخيشن في ذات الله أو في سبيل الله**) (الحديث الرابع والعشرون) أخرج أحمد والضياء عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي**). فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئا ولا فتحته ولكني أمرت بشيء فاتبعته ولا يشكل هذا الحديث بما مر في أحاديث خلافة أبي بكر من أمره صلى الله عليه وسلم بسد الخوخ جميعها الاّ خوخة أبي بكر لأن ذلك فيه التصريح بأن أمره بالسند كان في مرض موته وهذا ليس فيه

ذلك فيحمل هذا على أمر متقدم على المرض فلأجل ذلك اتضح قول العلماء إن ذاك فيه إشارة إلى خلافة أبي بكر على أن ذاك الحديث أصح من هذا وأشهر. (الحديث الخامس والعشرون) أخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**ما تريدون من علي ما تريدون من على ما تريدون من علي إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي**) ومر الكلام في حادي عشر الشبه على هذا الحديث وبيان معناه وما فيه (الحديث السادس والعشرون) أخرج الطبراني عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي**) (الحديث السابع والعشرون) أخرج الطبراني عن جابر والخطيب عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب**) (الحديث الثامن والعشرون) أخرج الديلمي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**خير إخوتي علي وخير أعمامي حمزة**) (الحديث التاسع والعشرون) أخرج الديلمي أيضا عن عائشة والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب**) (الحديث الثلاثون) أخرج ابن النجار عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب**) (الحديث الحادي والثلاثون) أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن أبي ليلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس قال يا قوم اتبعوا المرسلين وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم**) (الحديث الثاني والثلاثون) أخرج الخطيب عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب**)[١]

([١]) الحديث من طريق أحمد بن محمد بن جوري العكبري قال ابن الجوزي في الواهيات لا أصل له وقال الذهبي فيه إنه باطل وسنده مظلم كما في تنزيه الشريعة

(الحديث الثالث والثلاثون) أخرج الحاكم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله**) (الحديث الرابع والثلاثون) أخرج الدارقطني في الأفراد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**علي باب حطة من دخل منه كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا**) (الحديث الخامس والثلاثون) أخرج الخطيب عن البراء والديلمي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**علي مني بمنزلة رأسي من بدني**) (الحديث السادس والثلاثون) أخرج البيهقي والديلمي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**علي يزهو في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا**) (الحديث السابع والثلاثون) أخرج ابن عدي عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين**)[١] (الحديث الثامن والثلاثون) أخرج البزار عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**يقضي ديني**) (الحديث التاسع والثلاثون) أخرج الترمذي والحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان**) (الحديث الأربعون) أخرج الشيخان عن سهل أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد عليا مضطجعا في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول (**قم أبا تراب**). فلذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى إليه لأنه صلى الله عليه وسلم كناه بها ومر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم إلاّ مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي**). وأخرج النسائي والحاكم عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إن كل نبي أعطي سبعة نجباء رفقاء وأعطيت أنا أربعة عشر، علي والحسن والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر**). الحديث. وأخرج ابن

---

(١) وروى مثله العقيلي مطولا وفي روايته ابن داهر وليست الآفة منه كما قال ابن حجر ولكن الآفة من غيره وجاء من حديث أبي ليلى الغفاري أخرجه أبو أحمد الحاكم في الكنى وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي معدود في الوضاعين كما ذكره الدارقطني

المظفر وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه ونحن في صلاة الغداة فقال (**إني تركت فيكم كتاب الله عز وجل وسنتي فاستنطقوا القرآن بسنتي فانه لن تعمي أبصاركم ولن تزل أقدامكم ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بهما**) ثم قال (**أوصيكم بهذين خيرا**) وأشار إلى علي والعباس، (**لا يكف عنهما أحد ولا يحفظهما علي إلاّ أعطاه الله نورا حتى يرد به علي يوم القيامة**) (وأخرج) ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن عوف قال. لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة انصرف إلى الطائف فحصرها سبع عشرة ليلة أو تسع عشرة ليلة ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (**أوصيكم بعترتي خيرا وإن موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة ولأبعثن إليكم رجلا مني أو كنفسي يضرب أعناقكم**) ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه ثم قال (**هو هذا**). وفيه رجل اختلف في تضعيفه وبقية رجاله ثقات وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته (**أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم إلاّ إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي**)، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال (**هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض فأسألهما ما خلفت فيهما**) (وأخرج) أحمد في المناقب عن علي قال طلبني النبي صلى الله عليه وسلم في حائط فضربني برجله وقال (**قم فو الله لأرضيك أنت أخي وأبو ولدي فقاتل على سنتي من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت**) (وأخرج) الدارقطن أن عليا قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاما طويلا من جملته: أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري قالوا اللّهمّ لا. ومعناه ما رواه عنترة عن علي الرضا أنه صلى الله عليه وسلم قال له (**أنت قسيم الجنة والنار فيوم القيامة تقول النار هذا لي**

وهذا لك)، وروى ابن السماك أن أبا بكر قال له رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له علي الجواز**).

(وأخرج) البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس وفيهم نزلت هذه الآية (**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** * الحج: ١٩) قال هم الذين بارزوا يوم بدر، علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

الفصل الثالث

في ثناء الصحابة والسلف عليه

(أخرج) ابن سعد عن أبي هريرة: قال قال عمر بن الخطاب علي أقضانا (وأخرج) الحاكم عن ابن مسعود قال: أقضى أهل المدينة علي (وأخرج) ابن سعد عن ابن عباس قال إذا حدثنا ثقة عن علي الفتيا لا نعدوها، أي لا نتجاوزها (وأخرج) عن سعيد بن المسيب قال عمر بن الخطاب: يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني عليا. وأخرج عنه قال لم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلاّ علي (وأخرج) ابن عساكر عن ابن مسعود قال أفرض أهل المدينة وأقضاها علي وذكر عند عائشة فقالت: إنه أعلم من بقي السنة وقال مسروق انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر وعلي وابن مسعود. وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له القدم في الإسلام والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والفقه في السنة والنجدة في الحرب والجود في المال (وأخرج) الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: (**ما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا إلاّ وعلي أميرها وشريفها**)، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر عليا إلاّ بخير (وأخرج) ابن عساكر عنه. قال ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي وأخرج عنه أيضا قال نزل في علي ثلاثمائة آية[١] (وأخرج) أبو يعلى عن أبي

---

(١) الأثران ضعيفان لا موضوعان كما في تتريه الشريعة

هريرة قال قال عمر بن الخطاب لقد أعطي علي ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إليّ من حمر النعم فسأل ما هي قال: تزويجه ابنته وسكناه في المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له والراية يوم خيبر. وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه (وأخرج) أحمد وابو يعلى بسند صحيح عن علي قال: ما رمدت ولا صرعت منذ مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهي وتفل في عيني يوم خيبر حين أعطاني الراية. ولما دخل الكوفة دخل عليه حكيم من العرب فقال والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهي كانت أحوج إليك منك إليها (وأخرج) السلفي في الطيوريات عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن علي ومعاوية فقال: اعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه شيئا فلم يجدوه فجاؤا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيدا منهم له.

الفصل الرابع

في نبذ من كراماته وقضاياه وكلماته الدالة على علو قدره علما وحكمة وزهدا ومعرفة بالله تعالى

(أخرج) ابن سعد عنه: قال والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا (وأخرج) ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال قال علي سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلاّ وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار أم في سهل أم جبل (وأخرج) ابن أبي داود عن محمد بن سيرين قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأ علي عن بيعة أبي بكر فلقيه أبو بكر فقال أكرهت إمارتي؟ فقال لا ولكن آليت لا أرتدي بردائي إلاّ إلى الصلاة حتى أجمع القرآن فزعموا أنه كتبه على تتريله قال محمد ابن سيرين لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم.

(ومن كراماته الباهرة) أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي صلى الله عليه وسلم في حجره والوحي يتزل عليه وعلي لم يصل العصر فما سرى عنه صلى

الله عليه وسلم إلاّ وقد غربت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**اللّهمّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعد ما غربت**): وحديث ردها صححه الطحاوي والقاضي في الشفاء وحسنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره وردوا على جمع قالوا إنه موضوع[١] وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردها في محل المنع بل نقول كما أن ردها خصوصية كذلك إدراك العصر الآن أداء خصوصية وكرامة علي أن في ذلك أعني إن الشمس إذا غربت ثم عادت هل يعود الوقت بعودها ترددا حكيته مع بيان المتجه منه في شرح العباب في أوائل كتاب الصلاة قال سبط ابن الجوزي: وفي الباب حكاية عجيبة حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق أنهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن أزدشير القباوي الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحدث ونمقه بألفاظه وذكر فضائل أهل البيت فغطت سحابة الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت فقام على المنبر وأومأ إلى الشمس وأنشدها:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي * مدحي لآل المصطفى ولنجله

واثني عنانك إن أردت ثناءهم * أنسيت إذ كان الوقوف لأجله

إن كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت (وأخرج) عبد الرزاق عن حجر المرادي قال قال لي علي. كيف بك إذا أمرت أن تلعنني؟ قلت: أو كائن ذلك قال نعم قلت فكيف أصنع؟ قال. العنى ولا تبرأ مني قال. فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج وكان أميرا من قبل عبد الملك بن مروان على اليمن أن ألعن علينا فقلت إن الأمير أمرني أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله، فما فطن لها إلاّ رجل. أي لأنه إنما لعن

---

(١) وللسيوطي جزء في تتبع طرق هذا الحديث سماه كشف اللبس في حديث رد الشمس وختمه بقوله: ومما يشهد لصحة ذلك قول الشافعي رضي الله عنه وغيره ما أوتي نبي معجزة إلاّ أوتي نبينا صلى الله عليه وسلم نظيرها أو أبلغ منها وقد صح أن الشمس حبست ليوشع ليالي قاتل الجبارين فلابد أن يكون لنبينا نظير ذلك والقول مبسوط في ابن كثير وتتريه الشريعة

الأمير و لم يلعن عليا، فهذا من كرامات علي وإخباره بالغيب.

ومن كراماته أيضا أنه حدث بحديث فكذبه رجل فقال له: أدعو عليك إن كنت كاذبا قال: ادع فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره (وأخرج) ابن المدائني عن مجمع أن عليا كان يكنس بيت المال ثم يصلي فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين.

وجلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فمر بهما ثالث فأجلساه فأكلوا الأرغفة الثمانية على السواء ثم طرح لهما الثالث ثمانية دراهم عوضا عما أكله من طعامهما فتنازعا فصاحب الخمسة أرغفة يقول إن له خمسة دراهم ولصاحب الثلاثة ثلاثة وصاحب الثلاثة يدعي أن له أربعة ونصفا فاختصما إلى علي، فقال لصاحب الثلاثة: خذ ما رضي به صاحبك وهو الثلاثة فإن ذلك خير لك فقال لا رضيت إلاّ بمر الحق فقال علي: ليس في مر الحق إلاّ درهم واحد فسأله عن بيان وجه ذلك فقال علي: أليست الثمانية أرغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة ولا يعلم أكثركم أكلا فتحملون على السواء فأكلت أنت ثمانية أثلاث والذي لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث والذي له خمسة عشر ثلثا فبقي له سبعة ولك واحد فله سبعة بسبعته ولك واحد بواحدك فقال: رضيت الآن.

وأتى برجل فقيل له زعم هذا أنه احتلم بأمي فقال: اذهب فأقمه في الشمس فاضرب ظله[١].

ومن كلامه: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، ما هلك امرؤ عرف قدره، قيمة كل امرئ ما يحسنه من عرف نفسه فقد عرف ربه. كذا نسب هذا إليه والمشهور أنه من كلام يحيى بن

---

(١) أثر كنس المسجد أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن المدائني وكذلك الحكاية التي بعده والتي بعدها

معاذ الرازي. المرء مخبوء تحت لسانه من عذب لسانه كثر إخوانه. بالبر يستعبد الحر. بشر مال البخيل بحادث أو وارث. لا تنظر الذي قال وانظر إلى ما قال، الجزع عند البلاء تمام المحنة. لا ظفر مع البغي لا ثناء مع الكبر. لا صحة مع النهم والتخم. لا شرف مع سوء الأدب. لا راحة مع الحسد لا سؤدد مع الانتقام. لا صواب مع ترك المشورة. لا مروءة للكذوب. لا كرم أعز من التقى، لا شفيع أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من العافية. لا داء أعيى من الجهل. المرء عدو ما جهله. رحم الله امرءا عرف قدره ولم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكر بالذنب. النصح بين الملإ تقريع. نعمة الجاهل كروضة على مزبلة. الجزع أتعب من الصبر. المسؤول حر حتى يعد. أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة، الحكمة ضالة المؤمن. البخل جامع لمساوئ العيوب. إذا حلت المقادير ضلت التدابير. عبد الشهوة أذل من عبد الرق. الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له. كفى بالذنب شفيعا للمذنب، السعيد من وعظ بغيره. الإحسان يقطع اللسان. أفقر الفقر الحمق. أغنى الغنى العقل. الطامع في وثاق الذل. ليس العجب ممن هلك كيف هلك بل العجب ممن نجا كيف نجا. احذروا نفار النعم فما شارد بمردود. أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع. إذا وصلت إليكم النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر. إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه. ما أضمر أحد شيئا إلاّ ظهر في فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه. البخيل يستعجل الفقر ويعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه. العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع. العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم حاكم والمال محكوم عليه. قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك. هذا يفتي وينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه. أقل الناس قيمة أقلهم علما إذ قيمة كل امرئ ما يحسنه. وكلامه رضي الله عنه في هذا الأسلوب البديع كثير تركته خوف الإطالة.

ومن كلامه أيضا كونوا في الناس كالنحلة في الطير ليس في الطير شيء إلاّ

وهو يستضعفها ولو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها، خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب.

ومنه. كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل متقبل!!.

ومنه. يا حملة القرآن اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا، حتى إن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله ومنه لا يخافن أحد منكم إلاّ ذنبه ولا يرجون إلاّ ربه ولا يستحيي من لا يعلم، أن يتعلم ولا يستحيي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم.

الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

ومنه. الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يرخص لهم في معاصي الله ولم يؤمنهم عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره.

ومنه. لا خير في عبادة لا علم فيها ولا خير في علم لا فهم معه ولا خير في قراءة لا تدبر فيها.

ومنه. ما أبردها على كبدي إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول: الله أعلم.

ومنه. من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه.

ومنه. سبع من الشيطان، شدة الغضب، وشدة العطاس، وشدة التثاؤب، والقيئ، والرعاف والنجوى، والنوم عند الذكر.

ومنه. الحزم سوء الظن، وهو حديث ولفظه (**إن من الحزم سوء الظن**).

ومنه. التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والعقل خير صاحب والأدب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب.

وقال -لما سئل عن القدر- طريق مظلم لا تسلكه، وبحر عميق لا تلجه، سر الله قد خفى عليك فلا تفشه أيها السائل، إن الله خلقك كما شاء أو كما شئت؟ قال بل كما شاء قال فيستعملك كما شاء.

وقال إن للنكبات نهايات لابد لأحد إذا نكب أن ينتهي إليها فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها فإن في رفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها (وسئل) عن السخاء فقال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم وأثنى عليه عدو له فأطراه فقال: إني لست كما تقول وأن فوق ما في نفسك، وقال جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والنغص في اللذة، قيل وما النغص؟ قال لا ينال شهوة حلال إلاّ جاءه ما ينغصه إياها، وقال له عدوه ثبتك الله، فقال على صدرك. ولما ضربه ابن ملجم قال للحسن وقد دخل عليه باكيا يا بني احفظ عني أربعا وأربعا قال: وما هن يا أبت؟ قال إن أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الكرم حسن الخلق قال فالأربع الأخر؟ قال: إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب وإياك ومصادقة البخيل فإنه يخذلك في أحوج ما تكون إليه وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه، وقال له يهودي متى كان ربنا فتغير وجهه وقال لم يكن مكان ولا كينونة كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية انقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي، وافتقد درعا وهو بصفّين فوجدها عند يهودي فحاكمه فيها إلى قاضيه شريح وجلس بجنبه وقال لولا أن خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**لا تسوّوا بينهم في المجالس**) وفي رواية (**أصغروهم من حيث أصغرهم الله**) ثم ادعى بها فأنكر اليهودي فطلب شريح بينة من علي فأتى بقنبر والحسن فقال له شريح شهادة الابن لأبيه لا تجوز فقال اليهودي أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمدا رسول

الله وأن الدرع درعك (وأخرج) الواقدي عن ابن عباس قال: كان مع علي أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فنزل فيه (**اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** * البقرة: ٢٧٤)، وقال معاوية لضرار بن حمزة صف لي عليا فقال اعفني فقال أقسمت عليك بالله فقال كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطلق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته. وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن. وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، ونحن –والله– مع تقريبه إيانا وقربه منا –لا نكاد نكلمه هيبة له. يعظم أهل الدين ويقرّب المساكين. لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم –أي اللديغ– ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري إليّ أو إليّ تشوفت؟ هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان –والله– كذلك.

وسبب مفارقة أخيه عقيل له. أنه كان يعطيه كل يوم من الشعير ما يكفي عياله فاشتهى عليه أولاده مريسا فصار يُوفِّر كل يوم شيئا قليلا حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمنا وتمرا وصنع لهم فدعوا عليا إليه فلما جاء وقدم له ذلك سأل عنه فقصوا عليه ذلك فقال: أو كان يكفيكم ذاك بعد الذي عزلتم منه؟ قالوا نعم، فنقص مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم وقال لا يحل لي أزيد من ذلك. فغضب. فحمى له حديدة وقربها من خده وهو غافل فتأوه فقال تجزع من هذه وتعرضني لنار جهنم؟ فقال: لأذهبن إلى من يعطيني تبرا ويطعمني تمرا فلحق بمعاوية.

وقد قال معاوية يوما لولا علم بأني خير له من أخيه ما أقام عندنا وتركه.

فقال له عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي وأسأل الله خاتمة خير.

وأخرج ابن عساكر أن عقيلا سأل عليا فقال إني محتاج وإني فقير فأعطني، قال اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم فألح عليه فقال لرجل خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقال له دق هذه الأقفال وخذ ما في هذه الحوانيت. قال تريد أن تتخذني سارقا؟ قال: وأنت تريد أن تتخذني سارقا؟ أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم قال. لآتين معاوية قال أنت وذاك فأتى معاوية فسأله فأعطاه مائة ألف ثم قال اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به علي وما أوليتك، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إني أخبركم أني أردت عليا على دينه فاختار دينه وإني أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه * وقال معاوية لخالد بن معمر لم أحببت عليا علينا؟ قال على ثلاث خصال، على حلمه إذا غضب وعلى صدقة إذا قال، وعلى عدله إذا حكم * ولما وصل إليه فخر من معاوية قال لغلامه اكتب إليه، ثم أملى عليه:

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يمسي ويضحي * يطير مع الملائكة ابن أمي

وبنت محمد سكني وعرسي * منوط لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد إبناي منها * فأيكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الإسلام طرا * غلاما ما بلغت أوان حلمي

قال البيهقي: إن هذا الشعر مما يجب على كل أحد متوان في علي حفظه ليعلم مفاخره في الإسلام انتهى ومناقب علي وفضائله أكثر من أن تحصى، ومن كلام الشافعي رضي الله عنه:

إذا نحن فضلنا عليا فإننا * روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل

وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته * رميت بنصب عند ذكري للفضل

فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما * بحبهما حتى أوسد في الرمل

وقال أيضا رضي الله عنه:

قالوا ترفّضت قلت كلا * ما الرفض ديني ولا اعتقادي

لكن توليت غير شك * خير إمام وخير هادي

إن كان حب الولي رفضا * فإنني أرفض العباد

وقال أيضا رضي الله عنه:

يا راكبا قف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها والناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضا كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أني رافضي

قال البيهقي: وإنما قال الشافعي ذلك حين نسبه الخوارج إلى الرفض حسدا وبغيا، وله أيضا وقد قال المزني إنك رجل توالي أهل البيت فلو عملت في هذا الباب أبياتا فقال:

وما زال كتما منك حتى كأنني * برد جواب السائلين لأعجم

وأكتم ودي مع صفاء مودتي * لتسلم من قول الوشاة وأسلم

الفصل الخامس

(في وفاته رضي الله عنه)

سببها أنه لما طال النزاع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، والبرك وعمرو التيميين فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: عليا ومعاوية وعمرو بن العاص ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمرو أنا لكم بعمرو، وتعاهدوا على أن ذلك يكون ليلة حادي عشر أو ليلة سابع عشر رمضان، ثم توجه كل منهم إلى مصر صاحبه. فقدم ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد ووافقه منهم شبيب بن عجرة الأشجعي وغيره فلما

كانت ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين استيقظ علي سحرا وقال لابنه الحسن: رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك خيرا، فقال لي ادع الله عليهم فقلت اللّهمّ أبدلني بهم خيرا لي منهم وأبدلهم بي شرا لهم مني، وأقبل عليه الأوز يصحن في وجهه فطردوهن فقال دعوهن فإنهن نوائح، ودخل عليه المؤذن فقال الصلاة فخرج علي الباب ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة فشد عليه شبيب فضربه بالسيف فوقع سيفه بالباب وضربه ابن ملجم بسيفه فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل دماغه وهرب، فشبيب دخل منزله فدخل عليه رجل من بني أمية فقتله. وأما ابن ملجم فشد عليه الناس من كل جانب فلحقه رجل من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه، وأخذ السيف منه وجاء به إلى علي فنظر إليه وقال: النفس بالنفس إذا ما مت فاقتلوه كما قتلني وإن سلمت رأيت فيه رأيي، وفي رواية والجروح قصاص. فأمسك وأوثق. وأقام علي الجمعة والسبت وتوفي ليلة الأحد وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وصلى عليه الحسن وكبر عليه سبعا ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلا أو بالقرى. موضع يزار الآن أو بين منزله والجامع الأعظم أقوال ثم قطعت أطراف ابن ملجم وجعل في قوصرة وأحرقوه بالنار، وقيل بل أمر الحسن بضرب عنقه ثم حرقت جيفته أم الهيثم بنت الأسود النخعية وكان علي في شهر رمضان الذي قتل فيه يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر ولا يزيد على ثلاث لقم ويقول أحب أن ألقى الله وأنا خميص فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها أكثر الخروج والنظر إلى السماء وجعل يقول والله ما كذبت ولا كذبت وأنها الليلة التي وعدت فلما خرج وقت السحر ضربه ابن ملجم الضربة الموعود بها كما قدمنا في أحاديث فضائله وعمّى قبر علي لئلا ينبشه الخوارج وقال شريك: نقله ابنه الحسن إلى المدينة. وأخرج ابن عساكر أنه لما قتل حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم في مسيرهم ليلا إذ ندّ

الجمل الذي عليه فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه فلذلك يقول أهل العراق: هو في السحاب وقال غيره إن البعير وقع في بلاد طئ فأخذوه ودفنوه وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون سنة، وقيل أربع وستون، وقيل خمس وستون، وقيل سبع وخمسون وقيل ثمان وخمسون.

وسئل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: (**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** * الأحزاب: ٢٣) فقال: اللّهمّ غفرا هذه الآية نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فأما عبيدة فقضى نحبه شهيدا يوم بدر وحمزة قضى نحبه شهيدا يوم أحد، وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه وأشار بيده إلى لحيته ورأسه، عهد عهده إلى حبيبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، ولما أصيب دعا الحسن والحسين رضي الله عنهم فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء زوي منها عنكما، وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم أنصارا، واعملا لله ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر إلى ولده محمد بن الحنفية فقال له: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم. فقال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك، ولا تواثق أمرا دونهما، ثم قال أوصيكما به فإنه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه. ثم لم ينطق إلاّ بلا إله إلاّ الله إلى أن قبض كرم الله وجهه، وروي أن عليا جاءه ابن ملجم يستحمله فحمله ثم قال رضي الله عنه.

أريد حياته ويريد قتلي * عذيرَك من خليلك من مراد

ثم قال: هذا والله قاتلي فقيل له ألا تقتله فقال فمن يقتلني؟ وفي المستدرك عن السدي قال كان ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج يقال لها قطام فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتْلَ علي وفي ذلك يقول الفرزدق.

فلم أرَ مهرا ساقه ذو سماحة * كمهر قطام بينا غير معجم

وفي رواية (من فصيح وأعجم).

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم

فلا مهر أعلى من علي وإن علا * ولا فتك إلاّ دون فتك ابن ملجم[١]

الباب العاشر

(في خلافة الحسن وفضائله ومزاياه وكرامته وفيه فصول)

(الفصل الأول في خلافته)

هو آخر الخلفاء الراشدين بنص[٢] جده صلى الله عليه وسلم، ولى الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياما، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقا لما أخبر به جده الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله. (**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**). فإن تلك الستة الأشهر هي المكملة لتلك الثلاثين، فكانت خلافته منصوصا عليها وقام عليها إجماع من ذكر، فلا مرية في حقيتها، ولذا ناب معاوية عنه وأقر له بذلك كما ستعلمه مما يأتي قريبا في خطبته حيث قال. إن معاوية نازعني حقا وهو لي دونه، وفي كتاب الصلح والنزول عن الخلافة لمعاوية. وبعد تلك الأشهر الستة سار إلى معاوية في أربعين ألفا وسار إليه معاوية فلما تراءى الجمعان علم الحسن أنه لن يغلب أحد الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى، فكتب إلى معاوية يخبر أنه يصير الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده وعلى أن لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضي عنه ديونه، فأجابه معاوية إلى ما طلب إلاّ عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث إليه برق أبيض،

---

(١) وللنسائي كتاب خصائص علي ولأبي عبد الله التزاري في تاريخه (الأنوار العلوية)

(٢) لما رواه البزار والبيهقي في الاعتقاد. كما في حضرات التجلي لمحمد صديق خان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعا. (**الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك**). وأخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان قال سعيد بن جمهان قال لي سفينة أمسك بخلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة وذكر السيوطي أنه لم يكن في الثلاثين إلاّ أيام الخلفاء الأربعة وأيام الحسن وقد أقام في الخلافة نحو ستة أشهر وأياما وتنازل عنها حقنا للدماء في سنة إحدى وأربعين

وقال اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه. كذا في كتب السير.

والذي في صحيح البخاري عن الحسن البصري رضي الله عنه قال استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص لمعاوية إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها -فقال معاوية- وكان والله خير الرجلين - أي عمرو- إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور المسلمين من لي بنسائهم من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الرحمن بن عامر، فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فدخلا عليه وتكلما وقالا له وطلبا إليه، فقال لهم الحسن بن علي رضي الله عنهما: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عامت في دمائها، قالا له فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك قال: من لي بهذا؟ قالا: نحن لك به فما سألهما شيئا إلاّ قالا نحن لك به فصالحه انتهى. ويمكن الجمع بأن معاوية أرسل إليه أولا فكتب الحسن إليه يطلب ما ذكر ولما تصالحا كتب به الحسن كتابا لمعاوية صورته (**بسم الله الرّحمن الرّحيم** هذا ما صالح عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهدا، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وأن لا يبتغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة، سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق أشهد عليه فلان بن فلان وكفى بالله شهيدا.

ولما انبرم الصلح التمس معاوية من الحسن أن يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم

أنه قد بايع معاوية وسلم إليه الأمر فأجابه إلى ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس إن أكيس الكيس التقي وأحمق الحمق الفجور إلى أن قال: وقد علمتم أن الله تعالى جل ذكره وعز اسمه هداكم بجدي وأنقذكم من الضلالة وخلصكم من الجهالة وأعزكم به بعد الذلة وكثركم به بعد القلة، إن معاوية نازعني حقا هو لي دونه فنظرت إصلاح الأمة وقطع الفتنة وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه وقد بايعته ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ولم أرد بذلك إلاّ إصلاحكم وبقاءكم وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. ومما شرح الله به صدره في هذا الصلح ظهور معجزة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله في حق الحسن (**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**) رواه البخاري وأخرج الدولابي أن الحسن قال إن كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء لوجه الله، وحقن دماء المسلمين. وكان نزوله عنها سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع الأول وقيل الآخر، وقيل في جمادي الأولى، فكان أصحابه يقولون له «يا عار المؤمنين» فيقول: العار خير من النار وقال له رجل: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك، ثم ارتحل من الكوفة إلى المدينة وأقام بها.

الفصل الثاني

في فضائله

(الحديث الأول) أخرج الشيخان عن البراء، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه، ويقول (**اللّهمّ إني أحبه فأحبه**) (الحديث الثاني) أخرج البخاري عن أبي بكرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: (**إن ابني هذا سيد ولعل الله**

أن يصلح به بين فئتين من المسلمين).

(الحديث الثالث) أخرج البخاري عن ابن عمر، قال قال النبي صلى الله عليه وسلم. (**هما ريحانتاي من الدنيا**) يعني الحسن والحسين (الحديث الرابع) أخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**) (الحديث الخامس) أخرج الترمذي عن أسامة بن زيد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين على وركيه، فقال (**هذان ابناي وابنا ابنتي، اللّهمّ إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما**) (الحديث السادس) أخرج الترمذي عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال (**الحسن والحسين**) (الحديث السابع) أخرج الحاكم عن ابن عباس، قال. أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجل فقال: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ونعم الراكب هو**) (الحديث الثامن) أخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن الزبير قال: أشبه[١] أهل النبي صلى الله عليه وسلم به وأحبهم إليه الحسن، رأيته يجئ وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما يترله حتى يكون هو الذي يترل ولقد رأيته وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر (الحديث التاسع) أخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع لسانه للحسن بن علي فإذا رأى الصبي حمرة اللسان يهش إليه (الحديث العاشر) أخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال قام الحسن بن علي

---

(١) وروى البخاري عن أنس في الحسين. أشبههم برسول الله رواه عنه ابن سيرين وعنه أيضا لم يكن أشبه برسول الله من الحسن وروى الترمذي عن علي أنه لم ير قبل النبي ولا بعده مثله وجمع الحافظ بين هذه الروايات بأن قول ابن سيرين في الحسين كان بعد موت الحسن أو أن كل واحد منهما أشد شبها في بعض أعضائه كما أخبر على أن الحسن أشبه رسول الله بما بين الرأس إلى الصدر والحسين بما كان أسفل من ذلك والمراد بالمنفي في قول علي الشبه التام في كل الأعضاء وذكروا من أشبه النبي عليه السلام فبلغوا عشرا نظمهم الحافظ في الفتح

يخطب، فقام رجل من أزدشنوءة فقال: أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه على حبوته وهو يقول (**من أحبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب**) ولولا كرامة النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثت به أحدا (الحديث الحادي عشر) أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر، قال. كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فيجئ الحسن وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره مرة وعلى رقبته فيرفعه النبي صلى الله عليه وسلم رفعا رفيقا فلما فرغ من الصلاة قالوا يا رسول الله إنك تصنع بهذا الصبي شيئا لا تصنعه بأحد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (**إن هذا ريحانتي وإن هذا ابني سيد وحسبي أن يصلح الله تعالى به بين فئتين من المسلمين**) (الحديث الثاني عشر) أخرج الشيخان عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**اللّهمّ إني أحبه وأحب من يحبه**) يعني الحسن وفي رواية: (**اللّهمّ إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه**) قال أبو هريرة فما كان أحد أحب إليّ من الحسن بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال. وفي حديث أبي هريرة أيضا عند الحافظ السلفي قال ما رأيت الحسن بن علي قط إلاّ فاضت عيناي دموعا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وأنا في المسجد فأخذ بيدي واتكأ عليّ حتى جئنا سوق بني قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد، ثم قال ادع ابني قال: فأتى الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول (**اللّهمّ إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه**) ثلاث مرات. وروى أحمد (**من أحبني وأحب هذين**) يعني حسنا وحسينا (**وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة**) ورواه الترمذي بلفظ كان معي في الجنة وقال حديث غريب وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب نظير ما في قوله تعالى (**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** * النساء: ٦٩).

الفصل الثالث

في بعض مآثره

كان رضي الله عنه سيدا كريما حليما زاهدا ذا سكينة ووقار وحشمة، جوادا ممدوحا وسيأتي بسط شيء من ذلك (أخرج) أبو نعيم في الحلية أنه قال: إني لاستحيي من ربي أن ألقاه و لم أمش إلى بيته فمشى عشرين حجة (وأخرج) الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد بين يديه (وأخرج) أبو نعيم أنه خرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات حتى إنه كان ليعطي نعلا ويمسك نعلا ويعطي خفا ويمسك خفا، وسمع رجلا يسأل ربه عز وجل عشرة آلاف درهم فبعث بها إليه وجاءه رجل يشكو عليه حاله وفقره وقلة ذات يده بعد أن كان مثريا. فقال ما هذا حق سؤالك يعظم لدي معرفتي بما يجب لك ويكبر علي ويدي تعجز عن نيلك ما أنت أهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتفال والاهتمام لما أتكلفه فعلت فقال: يا ابن بنت رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية وأعذر على المنع فأحضر الحسن وكيله وحاسبه وقال: هات الفاضل. فأحضر خمسين ألف درهم وقال ما فعلت في الخمسمائة دينار التي معك؟ قال: هي عندي، قال أحضرها، فأحضرها. فدفعها والخمسين ألفا إلى الرجل واعتذر. وأضافته هو والحسين وعبد الله بن جعفر عجوز فأعطاها ألف دينار وألف شاة وأعطاها الحسين مثل ذلك وأعطاها عبد الله بن جعفر مثلهما ألفي شاة وألفي دينار (وأخرج) البزار وغيره عنه أنه لما استخلف بينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وهو ساجد، ثم خطب الناس. فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم (**اِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** * الأحزاب: ٣٣) فما زال يقولها حتى ما بقي أحد في المسجد إلاّ وهو يبكي (وأخرج) ابن سعد عن عمير بن إسحاق أنه لم يسمع منه

كلمة فحش إلاّ مرة كان بينه وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض فقال: ليس له عندنا إلاّ ما أرغم أنفه قال. فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه، وأرسل إليه مروان يسبه وكان عاملا على المدينة ويسب عليا كل جمعة على المنبر فقال الحسن لرسوله: ارجع إليه فقل له: إني والله لا أمحو عنك شيئا مما قلت بأن أسبك ولكن موعدي وموعدك الله فإن كنت صادقا فجزاك الله خيرا بصدقك وإن كنت كاذبا فالله أشد نقمة. وأغلظ عليه مروان مرة وهو ساكت ثم امتخط بيمينه فقال له الحسن: ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج؟ أف لك فسكت مروان. وكان رضي الله عنه مطلاقا للنساء وكان لا يفارق امرأة إلاّ وهي تحبه وأحصن تسعين امرأة (وأخرج) ابن سعد عن علي أنه قال: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن، فإنه رجل مطلاق، فقال رجل من همدان. لتزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق، ولما مات بكى مروان في جنازته. فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه؟ فقال: إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا، وأشار بيده إلى الجبل (وأخرج) ابن عساكر أنه قيل له إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إليّ من الغنى والسقم أحب من الصحة إليّ فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل إلى حسن اختيار الله لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار الله له.

وكان عطاؤه كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية في بعض السنين فحصل له إضاقة شديدة قال: فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي ثم أمسكت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: كيف أنت يا حسن؟ فقلت بخير يا أبت وشكوت إليه تأخر المال عني فقال: أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك؟ قلت: نعم يا رسول الله فكيف أصنع؟ فقال قل (**اللّهمّ اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك، اللّهمّ وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته إليه رغبتي ولم تبلغه مسألتي ولم يجر على لساني مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا أرحم**

الراحمين) قال: فو الله ما أنجحت فيه أسبوعا حتى بعث إليّ معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت. الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي فقال: يا بني هكذا من رجا الخالق و لم يرج المخلوق. ولما احتضر قال لأخيه يا أخي إن أباك قد استشوف لهذا الأمر فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ثم استشوف لها وصرفت عنه إلى عمر ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان فلما قتل عثمان بويع ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة فلا أعرفن بما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك وقد كنت طلبت إلى عائشة رضي الله عنها أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم؛ فإذا مت فاطلب ذلك إليها وما أظن القوم إلاّ سيمنعونك فإن فعلوا فلا تراجعهم، فلما مات أتى الحسين عائشة رضي الله عنها فقالت: نعم وكرامة، فمنعهم مروان فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة، ثم دفن بالبقيع إلى جنب أمه رضي الله عنهما.

وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي دس إليها يزيد أن تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت، فمرض أربعين يوما، فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال لها: إنا لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا. وبموته مسموما شهيدا جزم غير واحد من المتقدمين كقتادة وأبي بكر بن حفص والمتأخرين كالزين العراقي في مقدمة شرح التقريب. وكانت وفاته سنة تسع وأربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين أقوال، والأكثرون على الثاني كما قاله جماعة وغلط الواقدي ما عدا الأول؛ سيما من قال سنة ست وخمسين ومن قال سنة تسع وخمسين. وجَهِدَ به أخوه أن يخبره بمن سقاه فلم يخبره وقال الله أشد نقمة إن كان الذي أظن وإلاّ فلا يقتل بي والله برئ، وفي رواية يا أخي قد حضرت وفاتي ودنا فراقي لك وإني لاحق بربي وأجد كبدي تقطّع وإني لعارف من أين دهيت فأنا

أخاصمه إلى الله تعالى فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشيء فإذا أنا قضيت نحبي فقمصني وغسلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أجدد به عهدا ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فادفني هناك وأقسم عليك بالله أن لا تريق في أمري بجّة دم وفي رواية إني يا أخي سقيت السم ثلاث مرات لم أسقه مثل هذه المرة فقال: من سقاك؟ قال: ما سؤالك عن هذا تريد أن تقاتلهم؟ أكل أمرهم إلى الله. أخرجه ابن عبد البر وفي أخرى لقد سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبها بعود فقال له الحسين: أي أخي من سقاك؟ قال وما تريد إليه أتريد أن تقتله؟ قال نعم قال لئن كان الذي أظن فالله أشد نقمة وإن كان غيره فلا يقتل بي برئ. ورأى كأن مكتوبا بين عينيه قل هو الله أحد فاستبشر به هو وأهل بيته فقصوها على ابن المسيب فقال إن صدقت رؤياه فقل ما بقي من أجله فما بقي إلاّ أياما حتى مات. وصلى عليه سعيد بن العاصي لأنه كان واليا على المدينة من قبل معاوية ودفن عند جدته بنت أسد بقبته المشهورة وعمره سبع وأربعون سنة كان منها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع سنين ثم مع أبيه ثلاثون سنة ثم خليفة ستة أشهر ثم تسع سنين ونصف سنة بالمدينة.

الباب الحادي عشر

في فضائل أهل البيت النبوي وفيه فصول

ولنقدم على ذلك أصله. وهو تزويج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة من علي كرم الله وجههما وذاك أواخر السنة الثانية من الهجرة على الأصح وكان سنها خمس عشرة سنة ونحو نصف سنة. وسنه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها حتى ماتت وأراده فمنعه صلى الله عليه وسلم خوفا عليها لشدة غيرتها، عن أنس كما عند ابن أبي حاتم ولأحمد نحوه قال: جاء أبو بكر وعمر يخطبان فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع إليهما شيئا فانطلقا إلى علي كرم

الله وجهه يأمرانه بطلب ذلك قال علي فنبهاني لأمر فقمت أجر ردائي حتى أتيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجني فاطمة؟ قال: وعندك شيء؟ قلت فرسي وبدني، فقال أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها فبعتها بأربعمائة وثمانين فجئته بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة فقال أي بلال ابتع لنا بها طيبا، وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف. وقال لعلي إذا أتتك فلا تحدث شيئا حتى آتيك. فجاءت مع أم أيمن فقعدت من جانب البيت وأنا في جانب وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أههنا أخي؟ فقالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك؟ قال نعم ودخل صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت إلى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال (**اللّهمّ إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**) ثم قال لها (**أدبري**) فأدبرت فصبه بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك لعلي ثم قال: (**ادخل بأهلك بسم الله والبركة**) وفي رواية أخرى عن أنس أيضا عند أبي الخير القزويني الحاكمي. خطبها بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهم فقال قد أمرني ربي بذلك. قال أنس ثم دعاني النبي صلى الله عليه وسلم بعد أيام فقال (**ادع أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الأنصار**)، فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان علي غائبا قال صلى الله عليه وسلم (**الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع سلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد**) صلى الله عليه وسلم (**إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أو شج به الأرحام**) -أي ألف بينها- (**وجعلها مختلطة مشتبكة وألزم الأنام فقال عز من قائل (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** * الفرقان: ٥٤) **فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل و (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ**

الْكِتَابِ * الرعد: ٣٨-٣٩) **ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي)** ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال (**انتهبوا**) فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال (**إن الله عزّ وجلّ أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك؟**) قال قد رضيت بذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم (**جمع الله شملكما وأعز جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا**) قال أنس: فو الله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب.

(**تنبيه**) ظاهر هذه القصة لا يوافق مذهبنا من اشتراط الإيجاب والقبول فورا بلفظ التزويج أو النكاح دون نحو رضيت، واشتراط عدم التعليق لكنها واقعة حال محتملة أن عليا قبل فورا لما بلغه الخبر وعندنا أن من زوج غائبا بإيجاب صحيح كما هنا فبلغه الخبر فقال فورا قبلت تزويجها أو قبلت نكاحها صح. وقوله إن رضي بذلك ليس تعليقا حقيقيا لأن الأمر منوط برضا الزوج وإن لم يذكر فذكره تصريح بالواقع، ووقع لبعض الشافعية ممن لم يتقن الفقه هنا كلام غير ملائم فليجتنب.

(**تنبيه آخر**) أشار الذهبي في الميزان إلى أن هذه الرواية كذب فقال في ترجمة محمد بن دينار أتى بحديث كذب ولا يدري من هو انتهى قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في لسان الميزان والخبر المذكور أسنده عن أنس قال: بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ غشيه الوحي فلما سرى عنه قال إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي فانطلق فادع أبا بكر وعمر وسمى جماعة من المهاجرين وبعددهم من الأنصار فلما أخذوا مجالسهم خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال (**الحمد لله المحمود بنعمته**) فذكر الخطبة والعقد وقدر الصداق وذكر البشر والدعاء. أخرجه ابن عساكر في ترجمته عن أبي القاسم النسيب بسند له إلى محمد بن شهاب بن أبي الحياء عن عبد الملك بن عمر عن يحيى بن معين عن محمد هذا عن هشيم عن يونس بن عبد عن الحسين عن أنس قال: ابن عساكر غريب ثم نقل عن محمد بن طاهر أنه

ذكره في تكملة الكامل والراوي فيه جهالة انتهى وبه يعلم أن إطلاق الذهبي كونه كذبا فيه نظر وإنما هو غريب في سنده مجهول وسيأتي في الآية الثانية عشرة بسط يتعلق بذلك وفيه عن النسائي بسند صحيح ما يرد على الذهبي ويبين أن للقصة أصلا أصيلا فليكن منك على ذكر[١].

الفصل الأول

(في الآيات الواردة فيهم)

الآية الأولى قال الله تعالى (**اِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** * الأحزاب: ٣٣) أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين، لتذكير ضمير عنكم وما بعده، وقيل نزلت في نسائه لقوله (**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ** * الأحزاب: ٣٤). ونسب لابن عباس ومن ثم كان مولاه عكرمة ينادي به في السوق وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم وحده وقال آخرون نزلت في نسائه لأنهن في بيت سكناه ولقوله تعالى (**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ**) وأهل بيته نسبه وهم من تحرم الصدقة عليهم. واعتمده جمع ورجحوه وأيده ابن كثير بأنهن سبب النزول وهو داخل قطعا إما وحده على قول أو مع غيره علي الأصح وورد في ذلك أحاديث منها ما يصلح متمسكا للأول ومنها ما يصلح متمسكا للآخر وهو أكثرها فلذا كان هو المعتمد كما تقرر.

ولنذكر من تلك الأحاديث فنقول جملة (أخرج) أحمد عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في خمسة النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين وأخرجه ابن جرير مرفوعا بلفظ (**أنزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي والحسن**

---

(١) هذه الرواية أخرجها الخطيب في تلخيص المتشابه وحكم ابن الجوزي بوضعها قال السيوطي وأخرجها ابن عساكر وذكر أن هذا الخبر من وضع محمد بن دينار العرقي في رواية أنس ووضعه أيضا على جابر وقال ابن عراق قال الذهبي في تلخيصه: فيه من الركة أشياء والله أعلم وذكره في القسم الذي لم يخالف فيه ابن الجوزي من تنزيه الشريعة

والحسين وفاطمة)، وأخرجه الطبراني أيضا ولمسلم أنه صلى الله عليه وسلم أدخل أولئك تحت كساء عليه وقرأ هذه الآية، وصح أنه صلى الله عليه وسلم جعل على هؤلاء كساء وقال (**اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وحامتي**) -أي خاصتي- (**أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**) فقالت أم سلمة وأنا معهم قال (**إنك على خير**)، وفي رواية أنه قال بعد تطهيرا (**أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم**) وفي أخرى ألقى عليهم كساء ووضع يده عليهم ثم قال: (**اللّهمّ إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد**)، وفي أخرى أن الآية نزلت ببيت أم سلمة فأرسل صلى الله عليه وسلم إليهم وجللهم بكساء ثم قال نحو ما مر وفي أخرى أنهم جاؤا واجتمعوا فنزلت فان صحتا حمل على نزولها مرتين، وفي أخرى أنه قال (**اللّهمّ أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**) ثلاثا وأن أم سلمة قالت له: ألست من أهلك؟ قال (**بلى**) وأنه أدخلها الكساء بعد ما قضى دعاءه لهم وفي أخرى أنه لما جمعهم ودعا لهم بأطول مما مر قال واثلة وعلي يا رسول الله فقال (**اللّهمّ وعلى واثلة**)، وفي رواية صحيحة قال واثلة وأنا من أهلك قال (**وأنت من أهلي**) قال واثلة إنها لمن أرجى ما أرجو، قال البيهقي وكأنه جعله في حكم الأهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا وأشار المحب الطبري إلى أن هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة وبيت فاطمة وغيرهما وبه جمع بين اختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم، وما جللهم به وما دعا به لهم وما أجاب به واثلة وأم سلمة وأزواجه. ويؤيد ذلك رواية أنه قال نحو ذلك لهؤلاء وهم في بيت فاطمة، وفي رواية أنه ضم إلى هؤلاء بقية بناته وأقاربه وأزواجه، وصح عن أم سلمة فقلت يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ فقال (**بلى إن شاء الله**).

وذهب الثعلبي إلى أن المراد من أهل البيت في الآية جميع بني هاشم. ويؤيده الحديث الحسن أنه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال (**يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي**

هذه) فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقال آمين وهي ثلاثا وفي رواية فيها من وثقه ابن معين وضعفه غيره (**ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا**) وذلك قوله عزّ وجلّ (**اِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) والحاصل أن أهل بيت السكنى داخلون في الآية لأنهم المخاطبون بها ولما كان أهل بيت النسب تخفي إرادتهم منها بين صلى الله عليه وسلم بما فعله مع من مر أن المراد من أهل البيت هنا ما يعم أهل بيت سكناه كأزواجه وأهل بيت نسبه وهم جميع بني هاشم والمطلب وقد ورد عن الحسن من طرق بعضها سنده حسن وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فبنت النسب مراد في الآية كبيت السكنى ومن ثم أخرج مسلم عن زيد بن أرقم أنه لما سئل أنساؤه من أهل بيته؟ فقال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الله الصدقة عليهم فأشار إلى أن نساءه من أهل بيت سكناه الذين امتازوا بكرامات وخصوصيات أيضا لا من أهل بيت نسبه وإنما أولئك من حرمت عليهم الصدقة.

ثم هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بـــ«إنما المفيدة لحصر إراته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنهم وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة وسيأتي في بعض الطرق تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته إذ منه إلهام الإنابة إلى الله تعالى وإدامة الأعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا -ولذا لم تتم للحسن- عُوضوا عنها بالخلافة الباطنة حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمن لا يكون إلاّ منهم وممن قال يكون من غيرهم الأستاذ أبو العباس المرسي كما نقله عنه تلميذه التاج بن عطاء الله ومن تطهيرهم تحريم صدقة الفرض -بل والنفل على قول لمالك- عليهم لأنها أوساخ الناس مع كونها تنبئ عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه وعوضوا عنها خمس الفئ والغنيمة المنبئ عن عزّ الآخذ وذلّ المأخوذ منه ومن

ثم كان المعتمد دخول أهل بيت النسب في الآية ولذا اختصوا بمشاركته صلى الله عليه وسلم في تحريم صدقة الفرض والزكاة والنذر والكفارة وغيرها وخالف بعض المتأخرين فبحث أن النذر كالنفل وليس كما قال، وأشار صلى الله عليه وسلم بحرمة النفل وإن كان على جهة عامة أو غير متقوم على الأصح واختار الماوردي حل صلاته في المساجد وشربه من سقاية زمزم وبئر رومة. واستدل الشافعي رضي الله عنه لحل النفل لهم بقول الباقر لما عوتب في شربه من سقايات بين مكة والمدينة إنما حرم علينا الصدقة المفروضة ووجهه أن مثله لا يقال من قبل الرأي لتعلقه بالخصائص فيكون مرسلا لأن الباقر تابعي جليل وقد اعتضد مرسله بقول أكثر أهل العلم، وتحريم ذلك يعم بني هاشم والمطلب ومواليهم قيل وأزواجه، وهو ضعيف وإن حكى ابن عبد البر الإجماع عليه، ولزوم نفقتهن بعد الموت لا يحرم الأخذ إلاّ من جهة الفقر والمسكنة بخلافه بجهة أخرى كدين أو سفر كما هو مقرر في الفقه، وفي خبر أنها تحل لبعض بني هاشم من بعض لكنه ضعيف مرسل فلا حجة فيه. وشربه صلى الله عليه وسلم من سقاية زمزم واقعة حال تحتمل أن الماء الذي فيها من نزعه صلى الله عليه وسلم أو نزع مأذونه فلم يتحقق أنه من صدقة العباس، وحكمة ختم الآية بتطهير المبالغة في وصولهم لأعلاه وفي رفع التجوز عنه، ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاب المفيد إلى أنه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف، ثم أكد صلى الله عليه وسلم ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله (**اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي**) إلى آخر ما مر وبإدخاله نفسه معهم في العدّ لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه، بل في رواية أنه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة إلى علي قد هم، وأكده أيضا بطلب الصلاة عليهم بقوله (**فاجعل صلاتك**) إلى آخر ما مر، وأكده أيضا بقوله (**أنا حرب لمن حاربهم**) إلى آخر ما مر أيضا، وفي رواية أنه قال بعد ذلك (**ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى**)، وفي أخرى (**والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذويّ**) فأقامهم مُقام نفسه ومن ثم

صح أنه صلى الله عليه وسلم قال (**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي**)، وألحقوا به أيضا في قصة المباهلة في آية (**قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ اَبْنَآءَنَا وَاَبْنَآءَكُمْ** * آل عمران: ٦١) فغدا صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسن آخذا بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد في آية المباهلة كما أنهم من جملة المراد بآية (**اِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** * الأحزاب: ٣٣) فالمراد بأهل البيت فيها وفي كل ما جاء في فضلهم أو فضل الآل أو ذوي القربى جميع آله صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنوا بني هاشم والمطلب وخبر آلي كل مؤمن تقي ضعيف بالمرة ولو صح لتأيد به. جمع بعضهم بين الأحاديث بأن الآل في الدعاء لهم في نحو الصلاة يشمل كل مؤمن تقي وفي حرمة الصدقة عليهم مختص بمؤمن بني هاشم والمطلب وأيد ذلك الشمول بخبر البخاري (**ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثا اللّهمّ اجعل رزق آل محمد قوتا**)، وفي قول إن الآل هم الأزواج والذرية فقط.

(الآية الثانية) قوله تعالى: (**اِنَّ اللهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** * الأحزاب: ٥٦)، صحح عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال، (**قولوا اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد**) إلى آخره فسؤالهم بعد نزول الآية وإجابتهم باللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد إلى آخره دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية وإلاّ لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر، فلما أجيبوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به وأنه صلى الله عليه وسلم أقامهم في ذلك مقام نفسه لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم ومن ثم لما أدخل من مر في الكساء قال (**اللّهمّ إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم**) معه ويروى: (**لا تصلوا على الصلاة البتراء**) فقالوا وما

الصلاة البتراء قال (**تقولون: اللّهمّ صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللّهمّ صل على محمد وعلى آل محمد**) ولا ينافي ما تقرر حذف الآل في الصحيحين قالوا يا رسول الله: كيف نصلي عليك؟ قال: (**قولوا اللّهمّ صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم**) إلى آخره لأن ذكر الآل ثبت في روايات اخر وبه يعلم أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك كله فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر ثم عطف الأزواج والذرية على الآل في كثير من الروايات يقتضي أنهما ليس من الآل وهو واضح في الأزواج بناء على الأصح في الآل أنهم مؤمنوا بني هاشم والمطلب وأما الذرية فمن الآل على سائر الأقوال فذكرهم بعد الآل للإشارة إلى عظيم شرفهم[١] روى أبو داود: (**من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللّهمّ صل على النبي محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد**). وقولهم علمنا كيف نسلم عليك أشاروا به إلى السلام عليه في التشهد كما قاله البيهقي وغيره ويدل له خبر مسلم أمرنا الله أن نصلي عليك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أننا لم نسأله ثم قال صلى الله عليه وسلم (**اللّهمّ صل على محمد وعلى آل محمد**) الحديث. وزاد آخره والسلام كما قد علمتم أي من العلم، ويروى من التعليم لأنه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة وصح أن رجلا قال: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا صلى الله عليك فصمت صلى الله عليه وسلم حتى أحببنا أن الرجل لم يسأله فقال:

---

(١) ذكر السخاوي في القول البديع اختلاف العلماء في المراد بالآل في صيغة الصلاة على النبي عليه السلام في التشهد قال فالمرجع أنهم من حرمت عليهم الصدقة وذكر أنه اختيار الجمهور ونص الشافعي وأن مذهب أحمد أنهم أهل بيته وقيل المراد أزواجه وذريته قال: وتعقب بأنه ثبت الجمع بين الثلاثة فيحمل على أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظه غيره والمراد بالآل في التشهد الأزواج ومن حرمت عليهم الصدقة ويدخل فيهم الذرية فبذلك يجمع بين الأحاديث

﴿إذا أنتم صليتم عليّ فقولوا اللّهمّ صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد﴾ الحديث. لا يقال تفرد به ابن إسحاق ومسلم لم يخرج له إلاّ في المتابعات. لأنا نقول الأئمة وثقوه وإنما هو مدلس فقط وقد زالت علة التدليس بتصريحه فيه بالتحديث فاتضح أن ذلك خرج مخرج البيان للأمر الوارد في الآية ويوافقه قوله: ﴿**قولوا**﴾ فإنها صيغة أمر وهو للوجوب وما صح عن ابن مسعود بتشهد الرجل في الصلاة ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه فهذا الترتيب منه لا يكون من قبل الرأي فيكون في حكم المرفوع وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله و لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء ومحل البداءة بالتحميد والثناء على الله تعالى جلوس التشهد. وبهذا كله اتضح قول الشافعي رضي الله عنه بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد لما علمت منه أنه صح عنه صلى الله عليه وسلم الأمر بوجوبها فيه ومن أنه صح عن ابن مسعود تعيين محلها وهو بين التشهد والدعاء فكان القول بوجوبها لذلك الذي ذهب إليه الشافعي هو الحق الموافق لصريح السنة ولقواعد الأصوليين ويدل له أيضا أحاديث صحيحة كثيرة استوعبتها في شرحي الرشاد والعباب مع بيان الرد الواضح على من شنع على الشافعي وبيان أن الشافعي لم يشذ بل قال به قبله جماعة من الصحابة كابن مسعود وابن عمر وجابر وأبي مسعود البدري وغيرهم. والتابعين كالشعبي والباقر وغيرهم كاسحاق بن راهويه وأحمد بل لمالك قول موافق للشافعي رجحه جماعة من أصحابه، قال شيخ الإسلام خاتمة الحفاظ ابن حجر لم أر عن أحد من الصحابة والتابعين التصريح بعدم الوجوب إلاّ ما نقل عن إبراهيم النخعي مع إشعاره بأن غيره كان قائلا بالوجوب انتهى. فزعم أن الشافعي شذ وأنه خالف ذلك فقهاء الأمصار مجرد دعوى باطلة لا يلتفت إليها ولا يعول عليها. ومن ثم قال ابن القيم أجمعوا على مشروعية الصلاة

عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد وإنما اختلفوا في الوجوب والاستحباب ففي تمسك من لم يوجبها بعمل السلف نظر لأنهم كانوا يأتون بها في صلاتهم فإن أريد بعملهم اعتقادهم احتاج إلى نقل صريح عنهم بعدم الوجوب وأنى يوجد ذلك قال وأما قول عياض إن الناس شنعوا على الشافعي فلا معنى له فأي شناعة في ذلك لأنه لم يخالف في ذلك نصا ولا إجماعا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه ولله در القائل حيث قال:

وإذا محاسني اللاتي أدل بها * صارت ذنوبا فقل لي كيف أعتذر

واعلم أن النووي نقل عن العلماء كراهة إفراد الصلاة والسلام عليه ومن ثم قال بعض الحفاظ: كنت أكتب الحديث فأكتب الصلاة فقط فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم. فقال: أما تتم الصلاة في كتابك فما كتبت بعد ذلك إلاّ صليت عليه وسلمت، ولا يحتج بتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لأن السلام سبقها في التشهد فلا إفراد فيه، وقد جاء ذكر الصلاة مقرونة بالسلام في مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الطبراني في الدعاء مرفوعا وكذا في غيره وإنما حذف في بعض المواطن اختصارا وكذا حذف الآل[١] (وقد أخرج) الديلمي أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته اللّهمّ صل على محمد وآله**). وكأن قضية الأحاديث السابقة وجوب الصلاة على الآل في التشهد الأخير كما هو قول الشافعي خلافا لما يوهمه كلام الروضة وأصلها ورجحه بعض أصحابه ومال إليه البيهقي. ومن ادعى الاجماع على عدم الوجوب فقد سها لكن بقية الأصحاب قد ذهبوا إلى أن اختلاف تلك الروايات من أجل أنها وقائع متعددة فلم يوجبوا إلاّ ما اتفقت الطرق عليه وهو أصل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وما زاد فهو من قبيل الأكمل، ولذا استدلوا على عدم وجوب قوله كما

(١) قال السخاوي: قال شيخنا وفيه أي في قول النووي – نظر: نعم يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا أما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فإنه يكون ممتثلا

صليت على إبراهيم بسقوطه في بعض الطرق وللشافعي رضي الله عنه.

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق ظهر قوليه[١].

(الآية الثالثة) قوله تعالى: (**سَلاَمٌ عَلَى اِلْ يَاسِينَ** * الصافات: ١٣٠). فقد نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بذلك سلام على آل محمد وكذا قاله الكلبي، وعليه فهو صلى الله عليه وسلم داخل بالطريق الأولى أو النص كما في اللّهمّ صل على آل أبي أوْفى لكن أكثر المفسرين على أن المراد الياس عليه السلام وهو قضية السياق.

(**تنبيه**) لفظ السلام في نحو هذه الجملة خبر مراد به الإنشاء والطلب على الأصح، والطلب يستدعي مطلوبا منه فطلبه تعالى من غيره محال، فالمراد بسلامه تعالى على عباده إما بشارتهم بالسلامة وإما حقيقة الطلب فكأنه طلب من نفسه، إذ سلامه تعالى يرجع لكلامه النفسي الأزلي وتضمنه الطلب منه لإنالة السلامة الكاملة للمسلم عليه غير محال إذ هي طلب نفسي مقتض لتعلق الإرادة به والطلبُ من النفس معقول يعلمه كل أحد من نفسه، فالحاصل أنه تعالى طلب لهم منه إنالتهم السلامة الكاملة فيتعلق ذلك بهم في الوقت الذي أراد الله تعالى تخصيصهم به كما في أمره ونهيه المتعلقين بنا مع قدمهما. وذكر الفخر الرازي أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم يساوونه في خمسة أشياء، في السلام قال السلام عليك أيها النبي وقال سلام على آل ياسين وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد وفي الطهارة. قال تعالى طه أي يا

---

(١) ذكر السخاوي مذاهب العلماء في حكم الصلاة على النبي عليه السلام وأنها عشرة وذكر اختلافهم في الوجوب العيني أو الكفائي وفي المجلس مرة أو كلما ذكر اسمه الشريف وذكر أدلتهم مع البسط والتحقيق في القول البديع وابن القيم في جلاء الأفهام

طاهر وقال ويطهركم تطهيرا وفي تحريم الصدقة وفي المحبة قال تعالى (**فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ** * آل عمران: ٣١) وقال (**قُلْ لاَ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** * الشورى: ٢٣).

(الآية الرابعة) قوله تعالى (**وَقِفُوهُمْ اِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** * الصافات: ٢٤) أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**وَقِفُوهُمْ اِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**) عن ولاية علي، وكأن هذا هو مراد الواحدي بقوله روي في قوله تعالى (**وَقِفُوهُمْ اَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**) أي عن ولاية عليّ وأهل البيت، لأن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجرا إلاّ المودة في القربى، والمعنى أنهم يُسألون هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبي صلى الله عليه وسلم أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة انتهى وأشار بقوله: كما أوصاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأحاديث الواردة في ذلك وهي كثيرة وسيأتي منها جملة في الفصل الثاني.

ومن ذلك حديث مسلم عن زيد بن أرقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ((**أما بعد**) **أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيبه وإني تارك فيكم الثّقلين، أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به**) وحث فيه ورغب فيه ثم قال (**وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي**) ثلاث مرات. فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال بلى إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل عباس، قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم (وأخرج) الترمذي وقال حسن غريب أنه صلى الله عليه وسلم قال (**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله عز وجلّ حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني**

فيهما) (وأخرجه) أحمد في مسنده بمعناه، ولفظه (**إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثّقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بم تخلفوني فيهما**). وسنده لا بأس به وفي رواية أن ذلك كان في حجة الوداع وفي أخرى مثله يعني كتاب الله كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومثلهم -أي أهل بيته- كمثل باب حطة من دخله غفرت له الذنوب. وذكر ابن الجوزي لذلك في العلل المتناهية وهم أو غفلة عن استحضار بقية طرقه بل في مسلم عن زيد بن أرقم أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك يوم غديرخم -وهو ماء بالجحفة- كما مر وزاد أذكركم الله في أهل بيتي قلنا لزيد من أهل بيته نساؤه؟ قال لا أيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أهله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده وفي رواية صحيحة (**إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي**) زاد الطبراني (**إني سألت ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم**) وفي رواية (**كتاب الله وسنتي**) وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأن السنة مبينة له فأغنى ذكره عن ذكرها والحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة ثم اعلم أن الحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه وفي بعض تلك الطرق إنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الهجرة بأصحابه وفي أخرى أنه قال ذلك بغديرخم وفي أخرى أنه قال لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف كما مر ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة وفي رواية عند الطبراني عن ابن عمر آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه

وسلم (**اخلفوني في أهل بيتي**) وفي أخرى عند الطبراني وأبي الشيخ (**إن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته**) قلت ما هن قال (**حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي**) وفي رواية للبخاري عن الصديق من قوله يا أيها الناس ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته أي احفظوه فيهم فلا تؤذوهم (وأخرج) ابن سعد والملا في سيرته أنه صلى الله عليه وسلم قال (**استوصوا بأهل بيتي خيرا فإني أخاصمكم عنهم غدا ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار**) وأنه قال (**من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهدا**) (وأخرج) الأول (**أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**) والثاني حديث (**في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وإنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون**) (وأخرج) أحمد خبر: (**الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت**)، وفي خبر حسن (**ألا إن عيبتي وكرشي أهل بيتي والأنصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**).

(**تنبيه**) سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وعترته، وهي بالمثناة الفوقية الأهل والنسل والرهط الأدنون ثقلين لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية، ولذا حث صلى الله عليه وسلم على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم وقال (**الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت**) وقيل: سميا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض ويؤيده الخبر السابق ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة وقد مر بعضها وسيأتي الخبر الذي في قريش وتعلموا منهم فانهم أعلم منكم فإذا ثبت هذا

العموم لقريش فأهل البيت أولى منهم بذلك لأنهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش[١] وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أمانا لأهل الأرض كما يأتي ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي إلى آخره. ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته ومن ثم قال أبو بكر علي عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذين حث على التمسك بهم فخصه لما قلنا وكذلك خصه صلى الله عليه وسلم بما مر يوم غديرخم. والمراد بالعيبة والكرش في الخبر السابق آنفا أنهم موضع سره وأمانته ومعادن نفائس معارفه وحضرته إذ كل من العيبة والكرش مستودع لما يخفى فيه مما به القوام والصلاح لأن الأول لما يحرز فيه نفائس الأمتعة والثاني مستقر الغذاء الذي به النمو وقوام البنية وقيل هما مثلان لاختصاصهم بأموره الظاهرة والباطنة، إذ مظروف الكرش باطن والعيبة ظاهر وعلى كل فهذا غاية في التعطف عليهم والوصية بهم. ومعنى وتجاوزوا عن مسيئهم أي في غير الحدود وحقوق الآدميين. وهذا أيضا محمل لخبر الصحيحين أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم. ومن ثم ورد في رواية إلاّ الحدود، وفسرهم الشافعي بأنهم الذين لا يعرفون الشر ويقرب منه قول غيره هم أصحاب الصغائر دون الكبائر، وقيل من إذا أذنب تاب.

(الآية الخامسة) قوله تعالى: (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا** * آل عمران: ١٠٣). أخرج الثعلبي في تفسيرها عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال: نحن حبل الله الذي قال الله فيه (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا**)، وكان جده زين العابدين إذا تلا قوله تعالى (**يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** *

(١) يوصف أهل البيت بأربعة ألفاظ الآل وأهل البيت وذو القربى والعترة. وقيل في العترة إنهم العشيرة وقيل الذرية. كما في الزرقاني على المواهب

التوبة: ١١٩) يقول دعاء طويلا يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية وعلى وصف المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمة الدين والشجرة النبوية ثم يقول: وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا بآرائهم واتهموا مأثور الخبر إلى أن قال: فالى من يفزع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام هذه الملة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضا والله تعالى يقول: (**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** * آل عمران: ١٠٥) فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكم إلى أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده و لم يدع الخلق سدى من غير حجة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلاّ من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب.

(الآية السادسة) قوله تعالى. (**اَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتَيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه** * النساء: ٥٤). أخرج أبو الحسن المغازلي عن الباقر رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية نحن الناس والله.

(الآية السابعة) قوله تعالى (**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيهِمْ** * الأنفال: ٣٣) أشار صلى الله عليه وسلم إلى وجود ذلك المعنى في أهل بيته وإنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو صلى الله عليه وسلم أمانا لهم، وفي ذلك أحاديث كثيرة يأتي بعضها، ومنها (**النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي**) أخرجه جماعة كلهم بسند ضعيف. وفي رواية ضعيفة أيضا (**أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون**). وفي أخرى لأحمد (**فاذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض**). وفي رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين: (**النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس**)،

وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضا: (**إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا**). وفي رواية مسلم (**ومن تخلف عنها غرق**). وفي رواية (**هلك وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له**)، وفي رواية (**غفر له الذنوب**). وقال بعضهم يحتمل أن المراد بأهل البيت الذين هم أمان —علماؤهم— لأنهم الذين يهتدى بهم كالنجوم والذين إذا فقدوا جاء أهل الارض من الآيات ما يوعدون، وذلك عند نزول المهدي لما يأتي في أحاديثه أن عيسى يصلي خلفه ويقتل الدجال في زمنه وبعد ذلك تتابع الآيات، بل في مسلم (**أن الناس بعد قتل عيسى للدجال يمكثون سبع سنين ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال حبة من خير أو إيمان إلاّ قبضه فيبقى شرار في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا**) الحديث. قال ويحتمل وهو الأظهر عندي أن المراد بهم سائر أهل البيت فان الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي صلى الله عليه وسلم جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته، لأنهم يساوونه في أشياء مر عن الرازي بعضها ولأنه قال في حقهم: (**اللّهمّ إنهم مني وأنا منهم**) ولأنهم بضعة منه بواسطة أن فاطمة أمهم بضعته فأقيموا مقامه في الأمان انتهى ملخصا، ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مر أن من أحبهم وعظمهم شكرا لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وسلم وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان، ومر في خبر: إن من حفظ حرمة الإسلام وحرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة رحمه حفظ الله تعالى دينه ودنياه، ومن لا لم يحفظ دنياه ولا آخرته. وورد (**برد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين السبابتين**) ويشهد له خبر: (**المرء مع من أحب**). وبباب حطة أن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحاء أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سببا للمغفرة وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سببا لها كما سيأتي قريبا.

(الآية الثامنة) قوله تعالى (**وَاِنّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ**

اهْتَدَى * طه: ٨٢) قال ثابت البناني اهتدى إلى ولاية أهل بيته صلى الله عليه وسلم، وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر أيضا. وأخرج الديلمي مرفوعا (**إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار**)[١]. وأخرج أحمد أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد الحسنين وقال: (**من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة**) ولفظ الترمذي وقال حسن غريب (**وكان معي في الجنة**). ومعنى المعية هنا معية القرب والشهود لا معية المكان والمترل. وأخرج ابن سعد عن علي أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين. قلت يا رسول الله: فمحبونا؟ قال من ورائكم. ومر في فضائل أبي بكر رضي الله عنه أنه أول من يدخل الجنة. وفي فضائل عمر رضي الله عنه ذلك أيضا، ومر الجمع بينهما بما يعلم به محمل هذا الحديث.

ولا تتوهم الرافضة والشيعة قبحهم الله من هذه الأحاديث إنهم يحبون أهل البيت لأنهم أفرطوا في محبتهم حتى جرهم ذلك إلى تكفير الصحابة وتضليل الأمة، وقد قال علي، يهلك فيّ محب مفرط يقرظني بما ليس فيّ، ومر خبر (**لا يجتمع حب علي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن**) وهؤلاء الضالون الحمقى أفرطوا فيه وفي أهل بيته فكانت محبتهم عارا عليهم وبوارا قالتهم الله أنى يؤفكون. وأخرج الطبراني بسند ضعيف أن عليا أتى يوما البصرة بذهب وفضة فقال أبيضا وأصفرا غري غيري غري أهل الشام غدا إذا ظهروا عليك فشق قوله ذلك على الناس فذكر ذلك له فأذن في الناس فدخلوا عليه فقال إن خليلي صلى الله عليه وسلم قال (**يا علي انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابا مقمحين**) ثم جمع على يده إلى عنقه يريهم الاقماح وشيعته هم أهل السنة لأنهم الذين أحبوهم

---

(١) الحديث من رواية أبي هريرة قال ابن الجوزي. فيه محمد بن زكريا الغلابي وهو من عمله وقال ابن عراق: وفيه أيضا بشر بن إبراهيم الأنصاري وجاء من حديث علي قلت يا رسول الله لم سميت فاطمة قال (**إن الله فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة**). أخرجه ابن عساكر وفي سنده من ينظر فيه كما في تتريه الشريعة

كما أمر الله ورسوله وأما غيرهم فأعداؤه في الحقيقة لأن المحبة الخارجة عن الشرع الحائدة عن سنن الهدى هي العداوة الكبرى فلذا كانت سببا لهلاكهم كما مر آنفا عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وأعداؤهم الخوارج ونحوهم من أهل الشام لا معاوية ونحوه من الصحابة لأنهم متأولون فلهم أجر وله هو وشيعته أجران رضي الله تعالى عنهم. ويؤيد ما قلناه من أن أولئك المبتدعة الرافضة والشيعة ونحوهما ليسوا من شيعة علي وذريته بل من أعدائهم كما أخرجه صاحب المطالب العالة عن علي ومن جملته: أنه مر على جمع فأسرعوا إليه قياما فقال من القوم؟ فقالوا من شيعتك يا أمير المؤمنين. فقال لهم خيرا ثم قال يا هؤلاء ما لي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبتنا فأمسكوا حياء فقال له من معه نسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم فقال شيعتنا هم العارفون بالله العاملون بأمر الله أهل الفضائل الناطقون بالصواب مأكولهم القوت وملبوسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع نجعوا لله بطاعته وخضعوا اليه بعبادته مضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم رامقين أسماعهم على العلم بربهم نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت منهم في الرخاء رضوا عن الله تعالى بالقضاء فلولا الآجال التي كتب الله تعالى لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى لقاء الله والثواب وخوفا من أليم العقاب عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكئون وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون، صبروا أياما قليلة فأعقبهم راحة طويلة أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبتهم فأعجزوها أما الليل فصافون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن ترتيلا يعظون أنفسهم بأمثاله ويستشفون لدائهم بدوائه تارة وتارة يفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يمجدون جبارا عظيما ويجأرون اليه في فكاك رقابهم هذا ليلهم فأما نهارهم فحكماء بررة علماء أتقياء براهم خوف باريهم فهم كالقداح تحسبهم مرضى أو قد خولطوا وما هم بذلك بل خامرهم من

عظمة ربهم وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم وذهلت منه عقولهم فاذا أشفقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ترى لأحدهم قوة في دين، وحزما في لين وإيمانا في يقين. وحرصا على علم وفهما في فقه. وعلما في حلم وكيسا في قصد، وقصدا في غنى وتجملا في فاقة وصبرا في شفقة وخشوعا في عبادة ورحمة لمجهود وإعطاء في حق ورفقا في كسب. وطلبا في حلال ونشاطا في هدى واعتصاما في شهوة لا يغره ما جهله ولا يدع احصاء ما عمله يستبطئ نفسه في العمل وهو من صالح عمله على وجل يصبح وشغله الذكر ويمسي وهمه الشكر يبيت حذرا من سنة الغفلة ويصبح فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ورغبته فيما يبقى وزهادته فيما يفنى وقد قرن العلم بالعمل والعلم بالحلم دائما نشاطه بعيدا كسله قريبا أمله قليلا زَلَله متوقعا أجله عاشقا قلبه شاكرا ربه قانعا نفسه محرزا دينه كاظما غيظه آمنا منه جاره سهلا أمره معدوما كبره بينا صبره كثيرا ذكره لا يعمل شيئا من الخير رياء ولا يتركه حياء. أولئك شيعتنا وأحبتنا ومنا ومعنا، الا هؤلاء شوقا اليهم فصاح بعض من معه –وهو همام بن عباد بن خيثم وكان من المتعبدين– صيحة فوقع مغشيا عليه فحركوه فاذا هو فارق الدنيا فغسل وصلى عليه أمير المؤمنين ومن معه. فتأمل وفقك الله لطاعته وأدام عليك من سوابغ نعمه وحمايته هذه الأوصاف الجليلة الرفيعة الباهرة الكاملة المنيعة تعلم أنها لا توجد إلاّ في أكابر العارفين لأئمة الوارثين فهؤلاء هم شيعة علي رضي الله تعالى عنه وأهل بيته. وأما الرافضة والشيعة ونحوهما أخوان الشياطين وأعداء الدين وسفهاء العقول ومخالفوا الفروع والأصول ومنتحلوا الضلال ومستحقوا عظيم العقاب والنكال فهم ليسوا بشيعة لأهل البيت المبرئين من الرجس المطهرين من شوائب النقص والدنس لأنهم أفرطوا وفرطوا في جنب الله فاستحقوا منه أن يبقيهم متحيرين في مهالك الضلال والاشتباه وإنما هم شيعة إبليس اللعين وخلفاء أبنائه المتمردين فعليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين وكيف يزعم

محبة قوم من لم يتخلق قط بخلق من أخلاقهم ولا عمل في عمره بقول من أقوالهم ولا تأسى في دهره بفعل من أفعالهم ولا تأهل لفهم شيء من أحوالهم ليست هذه محبة في الحقيقة بل بغضة عند أئمة الشريعة والطريقة إذ حقيقة المحبة طاعة المحبوب وإيثار محابه ومرضاته على محاب النفس ومرضاتها والتأدب بآدابه وأخلاقه ومن ثم قال عليّ كرم الله وجهه لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر لأنهما ضدان وهما لا يجتمعان.

(الآية التاسعة) قوله تعالى: (**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ اَبْنَآءَنَا وَاَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَاَنْفُسَنَا وَاَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِين** * آل عمران: ٦١). قال في الكشاف لا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء وهم عليّ وفاطمة والحسنان لأنها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه، وعلي خلفهما فعلم أنهم المراد من الآية وأن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة.

ويوضح ذلك أحاديث نذكرها مع ما يتعلق بها تتميما للفائدة فنقول: صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال على المنبر: (**ما بال أقوام يقولون إن رحم رسول الله**) صلى الله عليه وسلم (**لا ينفع قومه يوم القيامة بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض**). وفي رواية ضعيفة وإن صححها الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن قائلا قال لبريدة ان محمدا لن يغني عنك من الله شيئا فخطب ثم قال: (**ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينفع بل حتى**) -جبأ وحكم- أي هما قبيلتان من اليمن (**إني لأشفع فأشفع حتى إن من أشفع له فيشفع حتى إن إبليس ليتطاول طمعا في الشفاعة**)[١] (وأخرج) الدارقطني أن عليا يوم الشورى احتج على

(١) ألف ابن عابدين رسالة في ذلك تسمى «العلم الظاهر في نفع النسب الطاهر» ذكر فيها من السنة ما يدل على المطلوب ثم قال؛ ولا يعارض ذلك أيضا ما تقدم من الأحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم (**كل سبب ونسب منقطع**) لأنه صلى الله عليه وسلم لا يملك لأحد من الله شيئا لا ضرا ولا نفعا ولكن الله يملكه نفع أقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لا يملك إلاّ ما يملكه الله له

أهلها فقال لهم: أنشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرحم مني ومن جعله صلى الله عليه وسلم نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري قالوا اللّهمّ لا الحديث (وأخرج) الطبراني (**ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب عليّ بن أبي طالب**) (وأخرج) أبو الخير الحاكمي وصاحب كنوز المطالب في بني أبي طالب أن عليا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده العباس فسلم فرد عليه صلى الله عليه وسلم السلام وقام فعانقه وقبل ما بين عينيه وأجسله عن يمينه فقال له العباس أتحبه قال (**يا عم والله لله أشد حبا له مني إن لله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا**) زاد الثاني في روايته (**إنه إذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسماء أمهاتهم سترا عليهم إلاّ هذا وذريته فانهم يدعون بأسمائهم لصحة ولادتهم**)، وأبو يعلى والطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال (**كل بني أم ينتمون إلى عصبة إلاّ ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم**) وله طرق يقوي بعضها بعضا. وقول ابن الجوزي بعد أن أورد ذلك في العلل المتناهية أنه لا يصح غير جيد كيف وكثرة طرقه ربما توصله إلى درجة الحسن. بل صح عن عمر أنه خطب أم كلثوم من علي فاعتل بصغرها وبأنه أعدها لابن أخيه جعفر فقال له: ما أردت الباءة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فاني أنا أبوهم وعصبتهم**)، وفي رواية أخرجها البيهقي والدارقطني بسند رجاله من أكابر أهل البيت أن عليا عزل بناته لولد أخيه جعفر فلقيه عمر رضي الله تعالى عنهما فقال له: يا أبا الحسن أنكحني ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: قد حبستهن لولد أخي جعفر فقال عمر: إنه والله ما على وجه الأرض من يرصد من حسن صحبتها ما أرصد فانكحني يا أبا الحسن، فقال: قد أنكحتكها، فعاد عمر إلى مجلسه بالروضة مجلس المهاجرين والأنصار فقال هنوني قالوا بمن يا أمير المؤمنين، قال

بأم كلثوم بنت علي وأخذ يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**كل صهر أو سبب أو نسب ينقطع يوم القيامة إلاّ صهري وسببي ونسبي**) وإنه كان لي صحبة فأحببت أن يكون لي معها سبب. وبهذا الحديث المروي من طرقية أهل البيت يزداد التعجب من إنكار جماعة من جهلة أهل البيت في أزمنتنا تزويج عمر بأم كلثوم. لكن لا عجب لأن أولئك لم يخالطوا العلماء ومع ذلك استولى على عقولهم جهلة الروافض فأدخلوا فيها ذلك فقلدوهم فيه وما دروا أنه عين الكذب ومكابرة للحس إذ من مارس العلماء وطالع كتب الأخبار والسنن علم ضرورة أن عليا زوجها له وأن إنكار ذلك جهل وعناد ومكابرة للحس وخبال في العقل وفساد في الدين وفي رواية للبيهقي أن عمر لما قال: فأحببت أن يكون لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب ونسب، قال علي للحسنين زوجا عمكما فقالا هي امرأة من النساء تختار لنفسها فقام علي مغضبا فأمسك الحسن ثوبه وقال لا صبر لنا على هجرانك يا أبتاه فزوجاه. وفي رواية أن عمر صعد المنبر فقال أيها الناس إنه والله ما حملني عليّ الإلحاح على علي في ابنته إلاّ أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**كل حسب ونسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة إلاّ حسبي ونسبي وسببي وصهري**) فأمر بها علي فزينت وبعث بها اليه فلما رآها قام اليها وأجلسها في حجره وقبلها ودعا لها فلما قامت أخذ بساقها وقال لها: قولي لأبيك قد رضيت قد رضيت فلما جاءت قال لها ما قال لك فذكرت له جميع ما فعله وما قاله وأنكحها إياه فولدت له زيدا مات رجلا. وفي رواية أنه لما خطبها إليه قال حتى استأذن فاستأذن ولد فاطمة فأذنوا له وفي رواية أن الحسين سكت وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أبتاه من بعد عمر صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي وهو عنه راض ثم ولى الخلافة فعدل، فقال له أبوه صدقت ولكن كرهت أن أقطع أمرا دونكما ثم قال لها إنطلقي إلى أمير المؤمنين فقولي له إن أبي يقرئك السلام ويقولو لك إنا قد قضينا حاجتك التي طلبت فأخذها عمر وضمها اليه وأعلم من

عنده أنه تزوجها فقيل له إنها صبية صغيرة فذكر الحديث السابق. وفي آخره أردت أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب وصهر، وتقبيله وضمه لها على جهة الإكرام لأنها لصغرها لم تبلغ حدا تشتهي حتى يحرم ذلك ولولا صغرها لما بعث بها أبوها ذلك، ثم حديث عمر هذا جاء عن جماعة آخرين من الصحابة كالمنذر وابن عباس وابن الزبير وابن عمر قال الذهبي وإسناده صالح.

(تنبيه) علم مما ذكر في هذه الأحاديث عظيم نفع الانتساب إليه صلى الله عليه وسلم ولا ينافيه ما في أحاديث أخر من حثه لأهل بيته على خشية الله واتقائه وطاعته وأن القرب إليه يوم القيامة إنما هو بالتقوى فمن ذلك الحديث الصحيح أنه لما نزل قوله تعالى (**وَاَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْاَقْرَبِينَ** * الشعراء: ٢١٤) دعا قريشا فاجتمعوا فعم وخص وطلب منهم ان ينقذوا أنفسهم من النار إلى أن قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها (وأخرج) أبو الشيخ عن ابن حبان: يا بني هاشم لا يأتين الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على ظهورهم وتأتون بالدنيا على ظهوركم لا أغني عنكم من الله شيئا (وأخرج) البخاري في الأدب المفرد أن أوليائي يوم القيامة المتقون وإن كان نسب أقرب من نسب لا تأتي الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون: يا محمد فأقول هكذا وهكذا وأعرض في كلا عطفيه (وأخرج) الطبراني أن أهل بيت هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي وليس كذلك إنما أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا (وأخرج) الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول: **(إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين)**، زاد البخاري لكن لهم رحم سأبلها ببلالها -يعني سأصلها بصلتها- ووجه عدم المنافاة كما قاله المحب الطبري وغيره من العلماء أنه صلى الله عليه وسلم لا يملك لأحد شيئا لا نفعا ولا ضرا لكن الله عز وجل يملكه نفع أقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لا يملك

إلاّ ما يملكه له مولاه كما أشار إليه بقوله: (**غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها**) وكذا معنى قوله: (**لا أغني عنكم من الله شيئا**)، أي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني به الله من نحو شفاعة أو مغفرة وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل والحرص على أن يكونوا أولى الناس حظا في تقوى الله وخشيته. ثم أومأ إلى حق رحمه إشارة إلى إدخال نوع طمأنينة عليهم، وقيل هذا قبل علمه بأن الانتساب إليه نفع وبأنه يشفع في إدخال قوم الجنة بغير حساب ورفع درجات آخرين وإخراج قوم من النار، ولما خفي ذلك الجمع عن بعضهم حمل حديث (**كل سبب ونسب**) على أن المراد أن أمته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ينسبون إليه بخلاف أمم الأنبياء لا ينسبون إليهم وهو بعيد. وإن حكاه وجها في الروضة، بل يرده ما مر من استناد عمر إليه في الحرص على تزوجه بأم كلثوم وإقرار علي والمهاجرين والأنصار له على ذلك. ويرده أيضا ذكر الصهر والحسب مع السبب والنسب كما مر. وغضبه صلى الله عليه وسلم لما قيل إن قرابته لا تنفع على أن في حديث البخاري ما يقتضي نسبة بقية الأمم إلى أنبيائهم فإن فيه يجئ نوح عليه السلام وأمته فيقول الله تعالى: (**هل بلغت**) فيقول: أي رب نعم فيقول لأمته: (**هل بلغكم**)، الحديث وكذا جاء في غيره واعلم أنه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق (**إن أوليائي منكم المتقون**) وقوله (**إنما وليي الله وصالح المؤمنين**) أن نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من أهل بيته وإن لم تنتف لكن ينتفي عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه بارتكابهم ما يسوؤه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عمن يقول له منهم يوم القيامة يا محمد كما في الحديث السابق وقد قال الحسن بن الحسن السبط لبعض الغلاة فيهم: ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصيناه فأبغضونا. ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا، والله إني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب

ضعفين وإن يوتى المحسن منا أجره مرتين وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى: (**يَانِسَآءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ** (الأحزاب: ٣٠).

(**خاتمة**) علم من الأحاديث السابقة اتجاه قول صاحب التلخيص من أصحابنا. من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن أولاد بناته ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم وأولاد بنات غيره لا ينسبون إلى جدهم من الكفاءة وغيرها، وأنكر ذلك القفال وقال لا خصوصية بل كل أحد ينسب اليه أولاد بناته ويرده الخبر السابق كل بني أم ينتمون إلى عصبة إلى آخره. ثم معنى الانتساب اليه صلى الله عليه وسلم الذي هو من خصوصياته أنه يطلق عليه أنه أب لهم وأنهم بنوه حتى يعتبر ذلك في الكفاءة فلا يكافئ شريعة هاشمي غير شريف. وقولهم إن بني هاشم بالمطلب أكفاء محله فيما عدا هذا الصورة كما بينته بما فيه في إفتاء طويل مسطر في الفتاوى. وحتى يدخلون في الوقف على أولاده والوصية لهم، وأما أولاد بنات غيره فلا يجري فيهم مع جدهم لأمهم هذه الأحكام. نعم يستوي الجد للأب والأم في الانتساب إليهما من حيث تطلق الذرية والنسل والعقب عليهم فأراد صاحب التلخيص بالخصوصية ما مر وأراد القفال بعدمها هذا وحينئذ فلا خلاف بينهما في الحقيقة[١].

ومن فوائد ذلك أيضا أنه يجوز أن يقال للحسنين أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أب لهما اتفاقا، ولا يجري فيه القول الضعيف لأنه لا يجوز أن يقال له صلى الله عليه وسلم أب المؤمنين ولا عبرة بمن منع ذلك حتى في الحسنين من الأمويين للخبر الصحيح الآتي في الحسن أن ابني هذا سيد: ومعاوية وإن نقل عنه ذلك لكن نقل عنه ما يقتضي أنه رجع عن ذلك وغير معاوية من بقية الأمويين المانع لذلك لا يعتد به. وعلى الأصح فقوله تعالى: (**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَآ اَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ** *

---

(١) ذكر القاسمي في كتابه شرف الأسباط الأدلة على شمول البنوة والذرية لأولاد البنات وأعقابهم حفدة وأسباط وتوسع في ذلك وذكر فتاوى العلماء في باب الوقف بأن الذرية والعقب والنسل والبنين والأولاد تتناول أولاد البنات

الأحزاب: ٤٠) إنما سيق لانقطاع حكم التبني لا لمنع هذا الإطلاق المراد به أنه أبو المؤمنين في الاحترام والإكرام.

(الآية العاشرة) قوله تعالى: (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** * ٥) نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قال: رضي محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وقاله السدي انتهى (وأخرج) الحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم**) (وأخرج) الملا (**سألت ربي أن لا يدخل النار أحد من أهل بيتي فأعطاني ذلك**) (وأخرج) أحمد في المناقب أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلاّ بكم**).

(وأخرج) الطبراني عن علي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**أول من يرد على الحوض أهل بيتي ومن أحبني من أمتي**)، وهو ضعيف والذي صح (**أول من يرد على الحوض فقراء المهاجرين**)، فان صح الأول أيضا حمل على أن أولئك أول من يرد بعد هؤلاء (وأخرج) المخلص والطبراني والدارقطني: (**أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولا أفضل**). وعند البزار والطبراني وغيرهما (**أول من أشفع له من أمتي من أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف**). ويجمع بينهما بأن ذاك فيه ترتيب من حيث القبائل وهذا فيه ترتيب من حيث البلدان، فيحتمل أن المراد البداءة في قريش بأهل المدينة ثم مكة ثم الطائف وكذا في الأنصار ثم من بعدهم ومن أهل مكة بذلك على هذا الترتيب ومن أهل الطائف بذلك كذلك.

(وأخرج) تمام والبزار والطبراني وأبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار**) وفي رواية (**فحرمها الله**

وذريتها على النار)[١] (وأخرج) الحافظ أبو القاسم الدمشقي أنه صلى الله عليه وسلم قال (**يا فاطمة لم سميت فاطمة**) قال علي: لم سميت فاطمة يا رسول الله؟ قال: (**إن الله قد فطمها وذريتها من النار**) (وأخرج) النسائي (**أن ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث إنما سماها فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار**) (وأخرج) الطبراني بسند رجاله ثقات أنه صلى الله عليه وسلم قال لها: (**إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك**). وورد أيضا (**يا عباس إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك**). وصح (**يا بني عبد المطلب**) وفي رواية (**يا بني هاشم إني قد سألت الله عز وجل لكم أن يجعلكم رحماء نجباء وسألته أن يهدي ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم**) (وأخرج) الديلمي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**نحن بنوا عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلي وجعفر بن أبي طالب والحسن والحسين والمهدي**)، وفي حديث ضعيف عن علي شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس فقال لي (**أما ترضى أن تكون رابع أربعة، أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا**) (وأخرج) أحمد في المناقب أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي: (**أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزوجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا**). ومر عن علي في الآية التاسعة بيان صفة تلك الشيعة

---

(١) أخرج ابن عدي من حديث ابن مسعود من طريق عمر بن غياث مرفوعا (**إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار**) وابن غياث من شيوخ الشيعة ضعفه الدارقطني والذهبي وللحديث شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني من قول الرسول لفاطمة: (**إن الله غير معذبك ولا ولدك**). قال في مجمع الزوائد رجاله ثقات. وخصه محمد الرضا بالحسن والحسين وعم الولد أبو كريب فيمن أطاع من أولادها في النسب. وأما الحديث الذي بعده فقد تقدم القول فيه وأما حديث (**إن ابنتي فاطمة حوراء**) فأخرجه الخطيب وليس بثابت وفيه غير واحد من المجهولين ورواية أسماء أيضا بأنها لم تر لفاطمة حيضا ولا نفاسا. أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى وهو باطل كما ذكره ابن عراق

فراجع ذلك فإنه مهم، وبه تبين لك أن الفرقة المسماة بالشيعة الآن إنما هم شيعة إبليس لأنه استولى على عقولهم فأضلها ضلالا مبينا (وأخرج) الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي (**أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرياتنا وشيعتنا عن إيماننا وشمائلنا**). وسنده ضعيف لكن يشهد له ما صح عن ابن عباس أن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته وإن كانوا دونه في العمل ثم قرأ: (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِاِيمَانٍ اَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** * الطور: ٢١) (وأخرج) الديلمي (**يا علي إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك فأبشر فانك الأنزع البطين**) وهو ضعيف، وكذا خبر (**أنت وشيعتك تردون على الحوض**) رواه مرويين (**مبيضة وجوهكم وإن عدوك يردون على الحوض ظماء مقمحين**)، ضعيف أيضا، ومربيان صفات شيعته فاحذر من غرور الضالين وتمويه الجاحدين الرافضة والشيعة ونحوهما (**قَاتَلَهُمُ اللهُ اَنّٰى يُؤْفَكُونَ** * المنافقون: ٤) قوله تعالى (**اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** * البينة: ٧) (أخرج) الحافظ جمال الدين الذرندي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم لعلي: (**هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضابا مقمحين**). قال: ومن عدوي؟ قال: (**من تبرأ منك ولعنك**). وخبر (**السابقون إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهم**). قيل ومن هم يا رسول الله؟ قال: (**شيعتك يا علي ومحبوك فيه كذاب**). واستحضر ما مر في صفات شيعته واستحضر أيضا الأخبار السابقة في المقدمات أول الباب في الرافضة (وأخرج) الدارقطني (**يا أبا الحسن أما أنت وشيعتك في الجنة وإن قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام. ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون**) قال الدارقطني: لهذا الحديث عندنا طرقات كثيرة، ثم

أخرج عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كانت ليلتي وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندي فأتته فاطمة فتبعها علي رضي الله عنهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**يا علي أنت وأصحابك في الجنة أنت وشيعتك في الجنة إلاّ أنه ممن يحبك أقوام يصغرون الإسلام يلفظونه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم لهم نبز يقال لهم الرافضة فجاهدهم فإنهم مشركون**)، قالوا يا رسول الله: ما العلامة فيهم؟ قال: (**لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون على السلف**). ومن ثم قال موسى بن علي بن الحسين بن علي وكان فاضلا عن أبيه عن جده إنما شيعتنا من أطاع الله ورسوله وعمل أعمالنا.

(الآية الثانية عشرة) قوله تعالى: (**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ** * الزخرف: ٦١). قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين إن هذه الآية نزلت في المهدي وستأتي الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوي وحينئذ ففي الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة وعلي رضي الله عنهما وأن الله ليخرج منهما طيبا وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة. وسر ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم. ودعا لعلي بمثل ذلك وشرح ذلك كله يعلم بسياق الأحاديث الدالة عليه (وأخرج) النسائي بسند صحيح أن نفرا من الأنصار قالوا لعلي رضي الله عنه لو كانت عندك فاطمة فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم يعني ليخطبها. فسلم عليه فقال له ما حاجة ابن أبي طالب، قال فذكرت فاطمة فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا وأهلا فخرج إلى الرهط من الأنصار ينتظرونه فقالوا له: ما وراءك قال ما أدري غير أنه قال لي مرحبا وأهلا، قالوا يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب فلما كان بعد ما زوجه قال له يا علي إنه لابد للعرس من وليمة قال سعد رضي الله عنه عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة فلما كان ليلة البناء قال: يا علي لا تحدث شيئا حتى تلقاني فدعا صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ به ثم أفرغه على علي وفاطمة رضي الله

تعالى عنهما فقال (**اللّهمّ بارك لهما في نسلهما**) وفي رواية (**في شملهما**) -وهو بالتحريك الجماع- وفي أخرى (**شبليهما**) قيل وهو مصحف فان صحت فالشبل ولد الأسد فيكون ذلك كشفا وإطلاعا منه صلى الله عليه وسلم على أنها تلد الحسنين فأطلق عليهما شبلين وهما كذلك (وأخرج) أبو علي الحسن بن شاذان أن جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي فدعا صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه فقال (**الحمد لله المحمود بنعمته**) الخطبة المشهورة[١] ثم زوج عليا وكان غائبا وفي آخرها فجمع الله شملهما وطيب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وآمن الأمة، فلما حضر علي تبسم صلى الله عليه وسلم وقال له (**إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك؟**) فقال: رضيتها يا رسول الله، ثم خر علي ساجدا لله شكرا فلما رفع رأسه قال له صلى الله عليه وسلم (**بارك الله لكما وبارك فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب**) قال أنس رضي الله عنه والله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وأخرج أكثره أبو الخير القزويني الحاكمي. والعقد له مع غيبته سائغ لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن ينكح من شاء لمن شاء بلا إذن لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، على أنه يحتمل أنه بحضور وكيله ويحتمل أنه إعلام لهم بما سيفعله وقوله رضيتها، يحتمل أنه إخبار عن رضاه بوقوع العقد السابق من وكيله فهي واقعة حال محتملة.

وأخرج أبو داود السجستاني أن أبا بكر خطبها فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عمر فأعرض عنه فأتيا عليا فنبهاه إلى خطبتها فجاء فخطبها فقال صلى الله عليه وسلم (**ما معك**) فقال فرسي وبدني قال. (**أما فرسك فلا بد لك منه وأما**

---

(١) هذه القصة وهذه الخطبة أخرجها الخطيب في تلخيص المتشابه من حديث أنس وابن عساكر من حديث جابر والروايتان باطلتان وفي الروايتان الثانية محمد بن دينار العرفي كما في تنزيه الشريعة

بدنك فبعها وأتني بها)، فباعها بأربعمائة وثمانين ثم وضعها في حجره فقبض منها قبضة وأمر بلال أن يشتري بها طيبا، ثم أمرهم أن يجهزوها فعمل لها سرير مشرط ووسادة من أدم حشوها ليف وملأ البيت كثيبا يعني رملا وأمر أم أيمن أن تنطلق إلى ابنته وقال لعلي لا تعجل حتى آتيك ثم أتاهم صلى الله عليه وسلم فقال لأم أيمن (**ههنا أخي**) قالت أخوك وتزوجه ابنتك قال: (**نعم**) فدخل على فاطمة ودعا بماء فأتته بقدح فيه ماء فمج فيه، ثم نضح على رأسها وبين ثدييها وقال: (**اللّهمّ إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**)، ثم قال لعلي: (**ائتني بماء**) فعلمت ما يريد فملأت القعب فأتيته به فنضح منه على رأسي وبين كتفي وقال: (**اللّهمّ إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم**). ثم قال (**ادخل بأهلك على اسم الله تعالى وبركته**)، وأخرج أحمد وأبو حاتم نحوه وقد ظهرت بركة دعائه صلى الله عليه وسلم في نسلهما فكان منه من مضى ومن يأتي ولو لم يكن في الآتين إلاّ الإمام المهدي لكفى وسيأتي في الفصل الثاني – جملة مستكثرة من الأحاديث المبشرة به. ومن ذلك ما أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وآخرون: (**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**). وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه: (**لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم لبعث الله فيه رجلا من عترتي**)، وفي رواية (**رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا**)، وفي رواية لمن عدا الأخير: (**لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي**). وفي أخرى لأبي داود والترمذي (**لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما**) وأحمد وغيره (**المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة**) والطبراني (**المهدي منا يختم الدين بنا كما فتح بنا**) والحاكم في صحيحه (**يحل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلاطينهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى**

لا يجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلا من عترتي أهل بيتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يحبه ساكن الأرض وساكن السماء، وترسل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها لا تمسك فيها شيئا يعيش فيهم سبع سنين أو ثمانيا أو تسعا يتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله بأهل الأرض من خيره). وروى الطبراني والبزار نحوه (**وفيه يمكث فيكم سبعا أو ثمانيا فان أكثر فتسعا)**. وفي رواية لأبي داود والحاكم (**يملك فيكم سبع سنين)** وفي أخرى للترمذي: (**إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا فيجيء إليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله)**، وفي رواية (**فيلبث في ذلك ستا أو سبعا أو ثمانيا أو تسع سنين)**، وسيأتي أن الذي اتفقت عليه الأحاديث سبع سنين من غير شك[١] (وأخرج) أحمد ومسلم (**يكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال حثيا ولا يعده عدا)**، وابن ماجه مرفوعا (**يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه)**، وصح أن اسمه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه اسم أبيه، وأخرج ابن ماجه: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فئة من بني هاشم فلما رآهم صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه، فقال (**إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء شديدا وتطريدا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملؤها جورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي)**،

---

(١) هذه الرواية الصحيحة ترد قول الشيعة بأنه محمد بن الحسن العسكري وما وجد في كتب الشعراني بأنه هو مدسوس عليه. واختلاف الروايات في أنه من ولد الحسن أو الحسين يمكن الجمع بينها بأنه من ولد الحسن أو الحسين وللآخر فيه ولادة من جهة أمهاته. وكذلك يقال في رواية إنه من ولد العباس. ولا يعرف اسم أمه من طريق صحيح

وفي سنده من هو سئ الحفظ مع اختلاطه في آخر عمره (وأخرج) أحمد عن ثوبان مرفوعا (**إذا رأيتم الرايات السود قد خرجت من خراسان فأتوها ولو حبوا على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي**) وفي سنده ضعيف له مناكير. وإنما أخرج له مسلم متابعة ولا حجة في هذا والذي قبله لو فرض أنهما صحيحان لمن زعم أن المهدي ثالث خلفاء بني العباس (وأخرج) نصير بن حماد مرفوعا (**هو رجل من عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي**) (وأخرج) أبو نعيم (**ليبعثن الله رجلا من عترتي أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الأرض عدلا يفيض المال فيضا**) (وأخرج) الروياني والطبراني وغيرهما: (**المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير في الجو يملك عشرين سنة**).

وأخرج الطبراني مرفوعا (**يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء فيقول المهدي تقدم فصل بالناس فيقول عيسى إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي خلف رجل من ولدي**)، الحديث وفي صحيح ابن حبان في إمامة المهدي نحوه، وصح مرفوعا (**ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا فيقول لا إن بعضكم أئمة على بعض تكرمة الله هذه الأمة**) (وأخرج) ابن ماجه والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يزداد الأمر إلاّ شدة ولا الدنيا إلاّ إدبارا ولا الناس إلاّ شحا ولا تقوم الساعة إلاّ على شرار الناس ولا مهدي إلاّ عيسى بن مريم**) -أي لا مهدي على الحقيقة سواه لوضعه الجزية وإهلاكه الملل المخالفة لملتنا- كما صحت به الأحاديث، أولا مهدي معصوما إلاّ هو ولقد قال إبراهيم بن ميسرة لطاوس: عمر بن عبد العزيز المهدي قال لا إنه لم يستكمل العدل كله أي فهو من جملة المهديين وليس الموعود به آخر الزمان وقد صرح أحمد وغيره بأنه من المهديين المذكورين في قوله صلى الله عليه وسلم (**عليكم**

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي). ثم تأويل حديث (**لا مهدي إلاّ عيسى)** إنما هو على تقدير ثبوته وإلاّ فقد قال الحاكم أوردته تعجبا لا محتجا به، وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد، وقد قال الحاكم أنه مجهول، واختلف عنه في إسناده وصرح النسائي بأنه منكر، وجزم غيره من الحفاظ بأن الأحاديث التي قبله أي الناصة على أن المهدي من ولد فاطمة أصح إسناده (وأخرج) ابن عساكر عن علي: إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وسلم جمع الله أهل المشرق وأهل المغرب فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة وأما الابدال فمن أهل الشام. وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليهم بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب. والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض**) (وأخرج) الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة: (**نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك**) والمراد أنه يتشعب منهما قبيلتان ويكون من نسلهما خلق كثير ومنا المهدي[١] (وأخرج) ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال (**لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي يملك جبل الديلم والقسطنطينية**) وصح عند الحاكم

---

(١) أحاديث المهدي كثيرة متواترة ألف فيها كثير من الحفاظ منهم أبو نعيم وقد جمع السيوطي ما ذكره أبو نعيم وزاد عليه في العرف الوردي في أخبار المهدي. وللمؤلف ابن حجر فيه: كتاب المختصر في علامات المهدي المنتظر

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (**منا أهل البيت أربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي**). فان أراد بأهل البيت ما يشمل جميع بني هاشم ويكون الثلاثة الأول من نسل العباس والأخير من نسل فاطمة فلا إشكال فيه. وإن أراد أن هؤلاء الأربعة من نسل العباس أمكن حمل المهدي في كلامه على ثالث خلفاء بني العباس لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية لما أوتيه من العدل التام والسيرة الحسنة، ولأنه جاء في الحديث الصحيح أن اسم المهدي يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه، اسم أبيه. والمهدي هذا كذلك لأنه محمد بن عبد الله المنصور ويؤيد ذلك خبر ابن عدي (**المهدي من ولد العباس عمي**). لكن قال الذهبي تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم وكان يضع الحديث ولا ينافي هذا الحمل وصف ابن عباس للمهدي في كلامه بأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأمل البهائم والسباع في زمنه وتلقى الأرض أفلاذ كبدها. أي أمثال الاسطوان من الذهب والفضة. لأن هذه الأوصاف يمكن تطبيقها على المهدي العباسي وإذا أمكن حمل كلامه على ما ذكرناه لم يناف الأحاديث الصحيحة السابقة أن المهدي من ولد فاطمة لأن المراد بالمهدي فيها الآتي آخر الزمان الذي يأتم به عيسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم.
ورواية أنه يلي الأمر بعد المهدي اثنا عشر رجلا: ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين وآخر من غيرهم واهية جدا. كما قاله شيخ الإسلام والحافظ الشهاب ابن حجر أي مع مخالفتها للأحاديث الصحيحة أنه آخر الزمان وأن عيسى يأتم به، ولخبر الطبراني (**سيكون من بعدي خلفاء ثم من بعد الخلفاء أمراء ثم من بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا. ثم يؤمر القحطاني فو الذي بعثني بالحق ما هو دونه**)، وفي نسخة ما يقوونه على ما حملنا عليه كلام ابن عباس، يمكن أن يحمل على ما رواه هو عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها والمهدي وسطها**)، أخرجه أبو نعيم فيكون المراد به المهدي العباسي ثم رأيت بعضهم

قال المراد بالوسط في خبر (**لن تهلك أمة أنا أولها ومهديها وسطها والمسيح بن مريم آخرها ما قبل الآخر**) (وأخرج) أحمد والماوردي أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ويرضى عنه ساكن الأرض والسماء ويقسم المال صحاحا بالسوية ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى إنه يأمر مناديا فينادي من له حاجة إليّ فما يأتيه أحد إلاّ رجل واحد يأتيه فيسأله فيقول ائت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول: أنا رسول المهدي إليك لتعطيني مالا فيقول أحث فيحثي مالا يستطيع أن يحمله فيلقى حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمل فيخرج به فيقول: أنا كنت أجشع أمة محمد نفسا كلهم دعي إلى هذا المال فتركه غيري فيرد عليه فيقول إنا لا نقبل شيئا أعطيناه فيلبث في ذلك ستا أو سبعا أو ثمانيا أو تسع سنن ولا خير في الحياة بعده**)[١].

(**تنبيه**) الأظهر أن خروج المهدي قبل نزول عيسى وقيل بعده: قال أبو الحسين الآجري قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها على المصطفى صلى الله عليه وسلم بخروجه وإنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلا وأنه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه انتهى وما ذكره من أن المهدي يصلي بعيسى هو الذي دلت عليه الأحاديث كما علمت وأما ما صححه السعد

---

(١) اختفاء العسكري وظهوره لخواص شيعته يناقض ما روي عن أبي عبد الله الحسين بأنه لا يعرفه إلاّ الأولياء وما يروى عن الباقر من ظهوره واختفائه هو ما ذكره علماء السنة في المهدي من أنه يغيب غيبة طويلة وأخرى قصيرة يختفي بجبال الطائف ثم يظهر ويختفي بجبال مكة ولا يسمى ظهور العسكر لخواص شيعته ظهورا وليس بسرداب بذي طوى كما يقولونه ولظهوره علامات ذكرها السيوطي والبرزنجي في الإشاعة. واختلاف الروايات في مدة حكمه من خمس سنين إلى أربعين جمع بينها ابن حجر في القول المختصر: بأن الكل صحيح. وإن ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الأكثر على كل المدة والأقل على غاية الظهور

التفتازاني من أن عيسى هو الإمام بالمهدي لأنه أفضل. فإمامته أولى فلا شاهد له فيما علله به لأن القصد بإمامة المهدي لعيسى إنما هو إظهار أنه نزل تابعا لنبينا حاكما بشريعته غير مستقل بشيء من شريعة نفسه واقتداؤه ببعض هذه الأمة مع كونه أفضل من ذلك الإمام الذي اقتدى به فيه من إذاعة ذلك وإظهاره ما لا يخفى على أنه يمكن الجمع بأن يقال أن عيسى يقتدي بالمهدي أولا لإظهار ذلك الغرض ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل وبه يجتمع القولان.

وروى أبو داود في سننه أنه من ولد الحسن وكأن سره ترك الحسن الخلافة لله عزّ وجلّ شفقة على الأمة فجعل الله القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة إليها من ولده ليملأ الأرض عدلا ورواية كونه من ولد الحسين واهية جدا ومع ذلك لا حجة فيه لما زعمته الرافضة أن المهدي هو الإمام أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمة الآتين في الفصل الآتي على إعتقاد الإمامية.

ومما يرد عليهم ما صح أن اسم أبي المهدي يوافق اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم، واسم أبي محمد الحجة لا يوافق ذلك ويرده أيضا قول علي مولد المهدي بالمدينة ومحمد الحجة هذا إنما ولد بسر من رأى سنة خمس وخمسين ومائتين. ومن المجازفات والجهالات زعم بعضهم أن رواية أنه من أولاد الحسن ورواية اسم أبيه اسم أبي كل منهما وهم. وزعمه أيضا أن الأمة اجتمعت على أنه من أولاد الحسين وأنى له بتوهيم الرواة بالتشهي ونقل الاجماع بمجرد التخمين والحسد والقائلون من الرافضة بأن الحجة هذا هو المهدي يقولون لم يخلف أبوه غيره ومات وعمره خمس سنين آتاه الله فيها الحكمة كما آتاها يحيى عليه الصلاة والسلام صبيا وجعله إماما في حال الطفولية كما جعل عيسى. كذلك توفي أبوه بسر من رأى وتستر هو بالمدينة. وله غيبتان صغرى من منذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته. وكبرى وفي آخرها يقوم وكان فقده يوم الجمعة سنة ست وتسعين ومائتين. فلم يدر أين ذهب

خاف على نفسه فغاب. قال ابن خلكان: والشيعة ترى فيه أنه المنتظر والقائم المهدي وهو صاحب السرداب عندهم، وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون خروجه آخر الزمان من السرداب بسر من رأى، دخله في دار أبيه وأمه تنظر إليه سنة خمس وستين ومائتين وعمره حينئذ تسع سنين فلم يعد يخرج إليها وقيل دخله وعمره أربع وقيل سبعة عشر انتهى ملخصا والكثير على أن العسكري لم يكن له ولد لطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات، فدل طلبه أن أخاه لا ولد له وإلاّ لم يسعه الطلب، وحكى السبكي عن جمهور الرافضة أنهم قائلون بأنه لا عقب للعسكري وأنه لم يثبت له ولد بعد أن تعصب قوم لاثباته. وأن أخاه جعفرا أخذ ميراثه. وجعفر هذا ضللته فرقة من الشعية ونسبوه للكذب في ادعائه ميراث أخيه. ولذا سموه واتبعته فرقة وأثبتوا له الإمامة. والحاصل أنهم تنازعوا في المنتظر بعد وفاة العسكري على عشرين فرقة وأن الجمهور غير الإمامية على أن المهدي غير الحجة هذا. إذ تغيب شخص هذه المدة المديدة من خوارق العادات فلو كان هو لكان وصفه صلى الله عليه وسلم بذلك أظهر من وصفه بغير ذلك مما مر.

ثم المقرر في الشريعة المطهرة أن الصغير لا تصح ولايته، فكيف ساغ لهؤلاء الحمقى المغفلين أن يزعموا إمامة من عمره خمس سنين وأنه أوتي الحكم صبيا مع أنه صلى الله عليه وسلم يخبر به ما ذلك إلاّ مجازفة وجراءة على الشريعة الغراء قال بعض أهل البيت: وليت شعري من المخبر لهم بهذا وما طريقه، ولقد صاروا بذلك وبوقوفهم بالخيل. على ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولي الألباب ولقد أحسن القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي * كلمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم * ثلثتم العنقاء والغيلانا

وزعمت فرقة من الشيعة أن الإمام المهدي هو أبو القاسم محمد بن علي بن عمر بن الحسين السبط، حبسه المعتصم فنقبت شيعته الحبس وأخرجوه وذهبوا به

فلم يعرف له خبر. وفرقة أن الإمام المهدي محمد بن الحنفية. قيل فقد بعد أخويه السبطين وقيل قبلهما وأنه حي بجبال رضوي، و لم يتعد الرافضة من أهل البيت زيد بن علي بن الحسين مع إنه إمام جليل من الطبقة الثالثة من التابعين، بايعه كثيرون من الكوفة وطلبت منه الرافضة أن يتبرأ من الشيخين لينصروه فقال: بل أتولاهما فقالوا إذا نرفضك. فقال اذهبوا فأنتم الرافضة. فسموا بذلك من حينئذ وكان جملة من تابعه خمسة عشر ألفا. وعند مبايعتهم. قال له بعض بني العباس يا ابن عم لا يغرنك هؤلاء من نفسك ففي أهل بيتك لك أتم العبر وفي خذلانهم إياهم كفاية. ولما أبى إلاّ الخروج تقاعد عنه جماعة ممن بايعه وقالوا الإمام جعفر الصادق ابن أخيه الباقر فلم يبق معه إلاّ مائتا رجل وعشرون رجلا، فجاء الحجاج بجموعه فهزم زيدا وأصابه سهم في جبهته فمات فدفن بأرض نهر وأجرى الماء عليه. ثم علم الحجاج به فنبشه ثم بعث برأسه وصلب جثته سنة إحدى أو اثنتين وعشرين ومائة واستمر مصلوبا حتى مات هشام بن عبد الملك وقام الوليد فدفنه وقيل بل كتب لعامله اعمد إليّ عجل أهل العراق فحرقه ثم انسفه في اليم نسفا ففعل به ذلك. ورؤي النبي صلى الله عليه وسلم مستندا إلى جذعه المصلوب عليه وهو يقول للناس هكذا يفعلون بولدي، وروى غير واحد أنهم صلبوه مجردا فنسجت العنكبوت على عورته في يومه. و لم يعدوا أيضا اسحاق بن جعفر الصادق مع جلالة قدره حتى كان سفيان بن عيينة يقول عنه حدثني الثقة الرضي. وذهبت فرقة من الشيعة إلى إمامته. ثم من عجيب تناقض الرافضة أنهم لم يدعوها لزيد واسحاق مع جلالتهما وادعاء زيد لها ومن قواعدهم أنها تثبت لمن ادعاها من أهل البيت وأظهر خوارق العادة الدالة على صدقه وادعوها لمحمد الحجة مع أنه لم يدعها ولا أظهر ذلك، لغيبته عن أبيه صغيرا على ما زعموا واختفائه بحيث لم يره إلاّ آحاد زعموا رؤيته وكذبهم غيرهم فيها وقالوا لا وجود له أصلا كما مر فكيف يثبت له ذلك بمجرد الإمكان. ويكتفي العاقل بذلك في باب العقائد. ثم أي فائدة في إثبات الإمامة لعاجز عن أعبائها. ثم ما هي الطريق

المثبتة لأن كل واحد من الأئمة المذكورين ادعى الإمامة بمعنى ولاية الخلق وأظهر الخوارق على ذلك، مع أن الطافح من كلماتهم الثابتة دال على أنهم لا يدعون ذلك بل يبعدون منه وإن كانوا أهلا له، ذكر ذلك بعض أهل البيت النبوي الذين طهر الله قلوبهم من الزيغ والضلال ونزه عقولهم من السفه وتناقض الآراء لتمسكهم بوضح البرهان وصحيح الاستدلال وألستنتهم عن الكذب والبهتان الموجب لأولئك غاية البوار والنكال.

(الآية الثالثة عشرة) قوله تعالى (**وَعَلَى ٱلاَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَيهُمْ** * الأعراف: ٤٦) (أخرج) الثعلبي في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (**الأعراف موضع عال من الصراط عليه العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين. يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه**). وأورد الديلمي وابنه معا لكن بلا إسناد أن عليا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**اللّهمّ ارزق من أبغضني وأهل بيتي كثرة المال والعيال**). **كفاهم بذلك أن يكثر مالهم فيطول حسابهم وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم**). وحكمة الدعاء عليهم بذلك أنه لا حامل على بغضه صلى الله عليه وسلم وبغض أهل بيته إلاّ الميل إلى الدنيا لما جبلوا عليه من محبة المال والولد فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بتكثير ذلك مع سلبهم نعمته فلا يكون إلاّ نقمة عليهم لكفرانهم نعمة من هدوا على يديه إيثارا للدنيا بخلاف من دعا له صلى الله عليه وسلم بتكثير ذلك كأنس رضي الله عنه إذًا القصد به كون ذلك نعمة عليهم فيتوصل به إلى ما رتبه عليه من الأمور الأخروية والدنيوية النافعة.

(الآية الرابعة عشرة) قوله تعالى (**قُلْ لاَ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْه اَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا اِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * اَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا فَاِنْ يَشَاِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِه اِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا**

تَفْعَلُونَ * الشورى: ٢٣-٢٥).

اعلم أن هذه الآية مشتملة على مقاصد وتوابع (المقصد الأول) في تفسيرها (أخرج) أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودهم. قال (**علي وفاطمة وابناهما**)، وفي سنده شيعي غال لكنه صدوق. وروى أبو الشيخ وغيره عن علي كرم الله وجهه فينا آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلاّ كل مؤمن ثم قرأ: (**قُلْ لاَ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**) (وأخرج) البزار والطبراني عن الحسن رضي الله عنه من طرق بعضها حسان أنه خطب خطبة من جملتها من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم تلا: (**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي اِبْرَهِيمَ** * يوسف: ٣٨) ثم قال أنا ابن البشير أنا ابن النذير ثم قال: وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودهم وموالاهم: فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (**قُلْ لاَ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**)، وفي رواية الذين افترض الله موهم على كل مسلم وأنزل فيهم (**قُلْ لاَ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**) واقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت (وأخرج) الطبراني عن زين العابدين أنه لما جئ به أسيرا عقب مقتل أبيه الحسين رضي الله عنهما وأقيم على درج دمشق قال بعض جفاة أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة. فقال له ما قرأت (**قُلْ لاَ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**). قال وأنتم هم قال نعم، وللشيخ الجليل شمس الدين ابن العربي رحمه الله:

رأيت ولائي آل طه فريضة * على رغم أهل البعد يورثني القربا

فما طلب المبعوث أجرا على الهدى * بتبليغه إلاّ المودة في القربى

(وأخرج) أحمد عن ابن عباس في -**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**-

قال: المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم. ونقل الثعلبي والبغوي عنه أنه لما نزل قوله تعالى (**قُلْ لاَ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**)، قال قوم في نفوسهم ما يريد إلاّ أن يحثنا على قرابته من بعده فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم أنهم اتهموه فأنزل (**اَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا**) الآية فقال القوم يا رسول الله إنك صادق فنزل (**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِه**) ونقل القرطبي وغيره عن السدي أنه قال في قوله تعالى (**اِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**) غفور لذنوب آل محمد شكور لحسناتهم. ورأى ابن عباس حمل القربى في الآية على العموم ففي البخاري وغيره عنه أن ابن جبير لما فسر القربى بآل محمد قال له. عجلت -أي في التفسير- إنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن في قريش إلاّ كان له فيه قرابة فقال إلاّ أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. وفي رواية عنه (**قل لا أسألكم على ما أدعوكم عليه أجرا إلاّ المودة تودوني بقرابتي فيكم وتحفظوني في ذلك**)، وفي أخرى عنه إنهم لما أبوا أن يبايعوه أنزل الله عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: (**يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني**) وتبعه على ذلك عكرمة فقال. كانت قريش تصل الأرحام في الجاهلية. فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم إلى الله خالفوه وقاطعوه فأمرهم بصلة الرحم التي بينهم وبينه. فقال (**إن لم تحفظوني فيما جئت به فاحفظوني لقرابتي فيكم**) وجرى على ذلك أيضا قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ويؤيده أن السورة مكية. ورواية نزولها بالمدينة لما فخرت الأنصار على العباس وابنه ضعيفة. وعلى فرض صحتها تكون نزلت مرتين ومع ذلك فهذا كله لا ينافي ما مر من تخصيص القربى بالآل لأن من ذهب إليه كابن جبير اقتصر على أخص أفراد القربى وبين أن حفظهم أكد من حفظ بقية تلك الأفراد، ويستفاد من الاقتصار عليها طلب مودته صلى الله عليه وسلم وحفظه بالأولى لأنه إذا طلب حفظهم لأجله فحفظه هو أولى بذلك وأحرى، ولذا لم ينسب ابن جبير إلى الخطأ

بل إلى العجلة، أي عن تأمل أن القصد من الآية العموم والأهم منها أولا وبالذات ودّه صلى الله عليه وسلم.

ومما يؤيد أنه لا مضادة بين تفسيري ابن جبير وابن عباس أن ابن جبير كان يفسر الآية تارة بهذا وتارة بهذا فافهم صحة إرادة كل منهما فيها، بل جاء عن ابن عباس ما يوافق تفسير ابن جبير وهو روايته للحديث الذي ذكرنا أن في سنده شيعيا غاليا ولا ينافي ذلك كله أيضا تفسيرها بأن المراد إلاّ التودد إلى الله. لما أخرجه غير واحد عن ابن عباس مرفوعا (**لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجرا إلاّ أن تودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته**)، ووجهه عدم المنافاة أن من جملة مودة الله سبحانه والتقرب إليه مودة رسوله وأهل بيته، وذكر بعض معاني اللفظ لا ينافي ما لا يضاده منها فضلا عما يومئ ويشير إليه. وقيل الآية منسوخة لأنها نزلت بمكة والمشركون يؤذونه، أمرهم بمودته وصلة رحمه. فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه ألحقه الله بإخوانه من الأنبياء فأنزل: (**قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ اَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ اِنْ اَجْرِيَ اِلاَّ عَلَى اللهِ** * سبأ: ٤٧) ورده البغوي بأن مودته صلى الله عليه وسلم وكف الأذى عنه ومودة أقاربه والتقرب إلى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أي الباقية على ممر الأبد فلم يجز ادعاء بنسخ الآية الدالة على ذلك لأن هذا الحكم الذي دلت عليه باق مستمر فكيف يدعي رفعه ونسخه، وإلاّ المودة استثناء منقطع -أي لكني أذكركم أن تودوا القرابة التي بيني وبينكم- فليس ذلك أجرا في مقابلة أداء الرسالة حتى تكون هذه الآية منافية للآية المذكورة التي استدلوا بها على النسخ. وقد بالغ الثعلبي في الرد عليهم فقال: وكفى قبحا بقول من زعم أن التقرب إلى الله بطاعته ومودة نبيه وأهل بيته صلى الله عليه وسلم منسوخ انتهى ويصح دعوى أنه متصل بخبر الملا في سيرته: (**إن الله جعل أجري علكم المودة في القربى وإني سائلكم عنهم غدا**)، وحينئذ فتسمية ذلك أجرا مجاز.

المقصد الثاني

فيما تضمنته تلك الآية من طلب محبة آله

صلى الله عليه وسلم وأن ذلك من كمال الإيمان

ولنفتتح هذا المقصد بآية أخرى ثم نذكر الأحاديث الواردة فيه قال الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً** * مريم: ٩٦).

(أخرج) الحافظ السلفي عن محمد بن الحنفية أنه قال في تفسير هذه الآية: لا يبقى مؤمن إلاّ وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته. وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله عزّ وجلّ وأحبوا أهل بيتي لحبي**)، وذكر ابن الجوزي لهذا في العلل المتناهية وهم (وأخرج) البيهقي وأبو الشيخ والديلمي أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من نفسه وتكون أهلي أحب إليه من أهله وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته**) (وأخرج) الديلمي أنه صلى الله عليه وسلم قال (**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن والحديث**). وصح أن العباس شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلقون من قريش من تعبيسهم في وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم، فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا حتى احمر وجهه وعرق ما بين عينيه وقال (**والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله**). وفي رواية صحيحة أيضا (**ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني**)، وفي أخرى (**والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ولرسوله، أترجو مراد شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب**). وفي أخرى (**لن يبلغوا خيرا حتى يحبوكم لله ولقرابتي**)، وفي أخرى (**ولا يؤمن أحدهم حتى يحبكم لحبي، أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب**) وبقى له طرق أخرى كثيرة.

وقدمت بنت أبي لهب المدينة مهاجرة فقيل لها لا تغني عنك هجرتك أنت بنت حطب النار، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاشتد غضبه ثم قال على منبره (**ما بال أقوام يؤذوني في نسبي وذوي رحمي، ألا ومن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**) أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني وابن منده والبيهقي بألفاظ متقاربة وسميت تلك المرأة في رواية درة وفي أخرى سبيعة، فأما هما لواحدة اسمان أو لقب واسم أو لامرأتين وتكون القصة تعددت لهما، وخرج عمر والأسلمي وكان من أصحاب الحديبية مع علي رضي الله عنهما إلى اليمن فرأى منه جفوة فلما قدم المدينة أذاع شكايته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (**لقد آذيتني**)، فقال أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله، فقال (**بل من آذى عليا فقد آذاني**) أخرجه أحمد، زاد ابن عبد البر (**من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**).

وكذلك وقع لبريدة أنه كان مع علي في اليمن فقدم مغاضبا عليه وأراد شكايته بجارية أخذها من الخمس، فقيل له أخبره ليسقط على من عينيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع من وراء الباب فخرج مغضبا فقال: (**ما بال أقوام ينتقصون عليا، من أبغض عليا فقد أبغضني ومن فارق عليا فقد فارقني إن عليا مني وأنا منه خلق من طينتي وأنا خلقت من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) يا بريدة أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية**) إلى آخر الحديث أخرجه الطبراني وفيه حسين الأشقر ومر أنه شيعي غال. وفي خبر ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله عزّ وجلّ وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله إلاّ بمعرفة حقنا**). ويوافقه قول كعب الأحبار وعمر بن عبد العزيز ليس أحد من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ له شفاعة (وأخرج) أبو الشيخ والديلمي (**من لم يعرف**

حق عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدى ثلاث إما منافق وإما ولد زانية وإما امرؤ حملت به أمه في غير طهر) (وأخرج) الديلمي **(من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبني ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي)**. ومر في الآية الثامنة ما له كبير تعلق بما نحن فيه فراجعه (وأخرج) أبو بكر الخوارزمي أنه صلى الله عليه وسلم خرج عليهم ووجهه مشرق كدائرة القمر فسأله عبد الرحمن بن عوف فقال **(بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوج عليا من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقا)** يعني صكاكا **(بعدد محبي أهل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور، دفع إلى كل ملك صكا فاذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت إلاّ دفعت اليه صكا فيه فكاكه من النار فصار أخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار)** (وأخرج) الملا **(لا يحبنا أهل البيت إلاّ مؤمن تقي ولا يبغضنا إلاّ منافق شقي)**. ومر خبر أحمد والترمذي **(من أحبني وأحب هذين)** يعني حسنا وحسينا **(وأباهما وأمهما كان معي في الجنة)**. وفي رواية **(في درجتي)** زاد داود ومات متبعا لسنتي، وبها يعلم أن مجرد محبتهم من غير اتباع للسنة كما يزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم بالسنة لا يفيد مدعيها شيئا من الخير، بل تكون عليه وبالا وعذابا أليما في الدنيا والآخرة. وقد مر عن علي في الآية الثامنة بيان صفات شيعته الذين تنفعهم محبته ومحبة أهل بيته فراجع تلك الأوصاف فإنها تقضي على هؤلاء المنتحلين حبهم مع مخالفتهم بأنهم وصلوا إلى غاية الشقاوة والحماقة والجهالة والغباوة رزقنا الله دوام محبتهم واتباع هديهم آمين.

وأما خبر **(يا علي إن أهل شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما فيهم من الذنوب والعيوب وجوههم كالقمر ليلة البدر)** فموضوع كأحاديث كثيرة من هذا النمط بينها ابن الجوزي في موضوعاته[١] (وأخرج) الثعلبي في تفسير: **(قُلْ لاَ**

---

(١) وهي في تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق والفوائد المجموعة للشوكاني وفي الأحاديث المتقدمة بعض منها مما اختلف في وضعه

اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى * الشورى: ٢٣) حديثا طويلا من هذا النمط قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر آثار الوضع لائحة عليه. وحديث (**من أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه كنت أنا وهو في عليين: ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وكف يده فهو في الدرجة التي تليها. ومن أحبنا بقلبه وكف عنا لسانه ويده فهو في الدرجة التي تليها**) في سنده رافضي غال في الرفض ورجل آخر متروك.

المقصد الثالث

فيما أشارت إليه من التحذير من بغضهم

صح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار**) (وأخرج) أحمد مرفوعا: (**من أبغض أهل البيت فهو منافق**) (وأخرج) هو والترمذي عن جابر: (**ما كنا نعرف المنافقين إلاّ ببغضهم عليا**). وخبر (**من أبغض أحدا من أهل بيتي فقد حرم شفاعتي**) موضوع. وهكذا خبر (**من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهوديا وإن شهد أن لا إله إلاّ الله**) فهو موضوع أيضا كما قاله ابن الجوزي كالعقيلي وغير هذين مما مر وما يأتي مغن عنهما (وأخرج) الطبراني بسند ضعيف عن الحسن رضي الله عنه مرفوعا (**لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلاّ ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار**) وفي رواية له ضعيفة أيضا من جملة قصة طويلة أنت الساب عليا لئن وردت عليه الحوض وما أراك ترده لتجدنه مشمرا حاصرا عن ذراعيه يذود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم (وأخرج) الطبراني: (**يا علي معك يوم القيامة عصا من عصى الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض**). وأحمد (**أعطيت في علي خمسا هن أحب إليّ من الدنيا وما فيها. أما واحدة فهو بين يدي الله حتى يفرغ من الحساب، وأما الثانية: فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته، وأما الثالثة: فواقف على حوضي يسقي من عرف من أمتي**) الحديث. ومر خبر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي (**إن عدوك يردون على الحوض ظماء**

مقمحين) (وأخرج) الديلمي مرفوعا (**بغض بني هاشم والأنصار كفر وبغض العرب نفاق)** وصحح الحاكم خبر أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثا أن يثبت قائمكم وأن يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت الله أن يجعلكم جودا)** وفي رواية (**نجدا**) من النجدة -الشجاعة وشدة البأس- (**نجباء رحماء فلو أن رجلا صفن بين الركن والمقام)** -أي جمع قدميه- (**فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد)** صلى الله عليه وسلم (**دخل النار**)، وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال (**ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله عز وجلّ، والمكذب بقدر الله، والمتسلط على أمتي بالجبروت ليذل من أعز الله ويعز من أذل الله والمستحل حرمة الله)** وفي رواية (**لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك للسنة)** وفي رواية زيادة سابع وهو (**المستأثر بالفئ**) (وأخرج) أحمد عن أبي دجانة كان يقول: لا تسبوا عليا ولا أهل هذا البيت إن جارا لنا قدم من الكوفة فقال ألم تروا هذا الفاسق إبن الفاسق إن الله قتله يعني الحسين فرماه الله بكوكبين في عينيه وطمس الله بصره.

(**تنبيه**) قال القاضي في الشفاء ما حاصله من سب أبا أحد من ذريته صلى الله عليه وسلم ولم تقم قرينة على إخراجه صلى الله عليه وسلم من ذلك قتل، وعلم من الأحاديث السابقة وجوب محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبلزوم محبتهم صرح البيهقي والبغوي وغيره أنها من فرائض الدين بل نص عليه الشافعي فيما حكي عنه من قوله.

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن أنزله

وفي توثيق عرى الإيمان للبزار عن الإمام الخولي ما حاصله، إن خواص العلماء يجدون في قلوبهم مزية تامة بمحبته صلى الله عليه وسلم ثم محبة ذريته لعلمهم باصطفاء نطفهم الكريمة ثم بمحبة أولاد العشرة المبشرين بالجنة ثم أولاد بقية الصحابة وينظرون إليهم اليوم نظرهم إلى آبائهم بالأمس لو رأوهم وينبغي الإغضاء عن

انتقادهم ومن ثم ينبغي أن الفاسق من أهل البيت لبدعة أو غيرها إنما تبغض أفعاله لا ذاته لأنها بضعة منه صلى الله عليه وسلم وإن كان بينه وبينها وسائط[١] (وأخرج) أبو سعيد في شرف النبوة وابن المثنى أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**). فمن آذى أحدا من ولدها فقد تعرض لهذا الخطر العظيم لأنه أغضبها ومن أحبهم فقد تعرض لرضاها وإذا صرح العلماء بأنه ينبغي إكرام سكان بلده صلى الله عليه وسلم وإن تحقق منهم إبتداع أو نحوه رعاية لحرمة جواره الشريف فما بالك بذريته الذين هم بضعة منه وروي في قوله تعالى (**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا** * الكهف: ٨٢) أنه كان بينهم وبين الأب الذي حفظ فيه سبعة أو تسعة آباء ومن ثم قال جعفر الصادق: احفظونا فينا ما حفظ الله العبد الصالح في اليتيمين وما انتقد ذريته صلى الله عليه وسلم محب لمحمد صلى الله عليه وسلم.

المقصد الرابع

مما أشارت إليه الآية الحث على صلتهم وإدخال السرور عليهم

(أخرج) الديلمي مرفوعا (**من أراد التوسل إليّ وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم**). وورد عن عمر من طرق أنه قال للزبير انطلق بنا نزور الحسن بن علي رضي الله عنهما فتباطأ عليه الزبير فقال أما علمت أن عيادة بني هاشم فريضة وزيارتهم نافلة أراد أن ذلك فيهم آكد منه في غيرهم لا حقيقة الفريضة. فهو على حد قوله صلى الله عليه وسلم (**غسل الجمعة واجب**) (وأخرج) الخطيب مرفوعا (**يقوم الرجل للرجل إلاّ بني**

---

(١) ذكر أحمد شاه ولي الله الدهلوي في كتابه «التفهيمات الإلهية»! إني رأيت أرواح أئمة أهل البيت في حظيرة القدس بأتم وجه وأجمل وضع. وعلمت أن منكرهم والمشاحن لهم في خطر عظيم لكن وجوههم منصرفة إلى الباطن والخلافة لا تستتب إلاّ لمن كان وجهه منصرفا إلى الظاهر فبهذا السبب طلبوا الخلافة وما نالوها على وجهها وكذلك كل من له رسوخ قدم في حظيرة القدس فان الإنكار عليه وإضمار الوحر منه يورث الخزي في البعد من الله تعالى

هاشم فإنهم لا يقومون لأحد) (وأخرج) الطبراني مرفوعا أنه **(من اصطنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يدا فلم يكافئه بها في الدنيا فعليّ مكافأته غدا إذا لقيني)**. زاد الثعلبي في رواية لكن في سندها كذاب **(وحرمت الجنة على من ظلمني في أهل بيتي وآذاني في عترتي)**. وفي خبر ضعيف **(أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه)** (وأخرج) الملا في سيرته أنه صلى الله عليه وسلم أرسل أبا ذر ينادي عليا فرأى رحى تطحن في بيته وليس معها أحد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال **(يا أبا ذر أما علمت أن لله ملائكة سياحين في الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد)** صلى الله عليه وسلم (وأخرج) أبو الشيخ من جملة حديث طويل، **(يا أيها الناس إن الفضل والشرف والمترلة والولاية لرسول الله)** صلى الله عليه وسلم **(وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل)**.

المقصد الخامس

مما أشارت إليه الآية من توقيرهم وتعظيمهم والثناء عليهم

ومن ثم كثر ذلك من السلف في حقهم اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان يكرم بني هاشم كما مر، ودرج على ذلك الخلفاء الراشدون فمن بعدهم (أخرج) البخاري في صحيحه عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليّ أن أصل من قرابتي، وفي رواية أحب إليّ من قرابتي، وفي أخرى والله لئن أصلكم أحب إليّ من أن أصل قرابتي لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعظم الذي جعله الله له على كل مسلم. وهذا قاله رضي الله عنه على سبيل الاعتذار لفاطمة رضي الله عنها عن منعه إياها ما طلبت منه من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد مر الكلام على ذلك في الشبه مبسوطا (وأخرج) أيضا عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته، وصح عنه أيضا أنه حمل الحسن على عنقه مع ممازحته لعلي رضي الله عنهم. بقوله وهو

حامل له بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي، وعلي يضحك، ويوافقه قول أنس كما في البخاري عنه: لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن لكنه قال ذلك في الحسين رضي الله عنهم وطريق الجمع بينهما قول علي كما أخرجه الترمذي وابن حبان عنه: الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرأس إلى الصدر والحسين أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك، وورد في جماعة من بني هاشم وغيرهم أنهم يشبهونه صلى الله عليه وسلم أيضا. وقد ذكرت عدهم في شرحي لشمائل الترمذي (وأخرج) الدارقطني أن الحسن جاء لأبي بكر رضي الله عنهما وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنزل عن مجلس أبي فقال: صدقت والله إنه لمجلس أبيك ثم أخذه وأجلسه في حجره وبكى: فقال علي رضي الله عنه أما والله ما كان عن رأيي فقال: صدقت والله ما اتهمتك فانظر لعظم محبة أبي بكر وتعظيمه وتوقيره للحسن حيث أجلسه على حجره، وبكى ووقع للحسن نحو ذلك مع عمر وهو على المنبر فقال له منبر أبيك والله لا منبر أبي: فقال علي والله ما أمرت بذلك فقال عمر: والله ما اتهمناك، زاد ابن سعد أنه أخذه فأقعده إلى جنبه وقال وهل أنبت الشعر على رؤسنا إلاّ أبوك، أي إن الرفعة ما نلناها إلاّ به (وأخرج) العسكري عن أنس قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ أقبل عليّ فسلم ثم وقف ينظر موضعا نجلس فيه فنظر صلى الله عليه وسلم في وجوه الصحابة أيهم يوسع له وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يمينه فتزحزح له عن مجلسه وقال له ههنا يا أبا حسن فجلس بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر فعرف السرور في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال (**يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل**) (وأخرج) ابن شاذان عن عائشة أن أبا بكر فعل نظير ذلك مع العباس أيضا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وتأسى في ذلك به صلى الله عليه وسلم فقد أخرج البغوي عن عائشة رضي الله عنها لقد رأيت من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس أمرا عجيبا (وأخرج) الدارقطني

أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه وكان كاتب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا جاء العباس بن عبد المطلب تنحى أبو بكر وجلس العباس مكانه.

(وأخرج) ابن عبد البر أن الصحابة كانوا يعرفون للعباس فضله فيقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه رضي الله عنهم وكان أبو بكر يكثر النظر إلى وجه علي فسألته عائشة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**النظر إلى وجه علي عبادة**). ومر نحو هذا وأنه حديث حسن، ولما جاء أبو بكر وعلي لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بستة أيام قال علي تقدم يا خليفة رسول الله فقال أبو بكر: ما كنت لأتقدم رجلا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه (**عليّ مني كمترلتي من ربي**) أخرجه ابن السمان.

(وأخرج) الدارقطني عن الشعبي قال: بينما أبو بكر جالس إذ طلع علي فلما رآه قال: من سره أن ينظر إلى أعظم الناس مترلة وأقربهم قرابة وأفضلهم حالة وأعظمهم حقا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هذا الطالع (وأخرج) أيضا أن عمر رأى رجلا يقع في علي فقال: ويحك أتعرف عليا هذا ابن عمه وأشار إلى قبره صلى الله عليه وسلم والله ما آذيتَ إلاّ هذا في قبره وفي رواية فانك إن أبغضته آذيت هذا في فبره، وسنده ضعيف (وأخرج) أيضا عن ابن المسيب قال قال عمر رضي الله تعالى عنهما. تحببوا إلى الأشراف وتودّدوا واتقوا على أعراضكم من السفلة واعلموا أنه لا يتم شرف إلاّ بولاية علي رضي الله تعالى عنه (وأخرج) البخاري أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال اللّهمّ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذا قحطنا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون.

وفي تاريخ دمشق إن الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر لاستسقين غدا بمن يسقيني الله به فلما أصبح غدا

للعباس فدق عليه الباب فقال: مَنْ؟ قال عمر. قال: ما حاجتك؟ قال: اخرج حتى نستسقي الله بك، قال: اقعد فأرسل إلى بني هاشم أن تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم، فأتوه فأخرج طيبا فطيبهم ثم خرج وعليّ أمامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هشام خلف ظهره فقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثم أتى المصلى فوقف فحمد الله وأثنى عليه وقال اللّهمّ إنك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل أن تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا اللّهمّ فكما تفضلت في أوله تفضل علينا في آخره. قال جابر فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحا فما وصلنا إلى منازلنا إلاّ خوضا فقال العباس أنا المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات وأشار إلى أن أباه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقي (وأخرج) الحاكم أن عمر لما استسقى بالعباس خطب فقال: يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده يعظمه ويفخمه ويبر قسمه فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس فاتخذوه وسيلة إلى الله عز وجل فيما نزل بكم (وأخرج) ابن عبد البر من وجوه عن عمر أنه لما استسقى به. قال: اللّهمّ إنا نتقرب إليك بعم نبيك ونستشفع به فاحفظ فيه نبيك كما حفظت الغلامين بصلاح أبيهما وأتيناك مستغفرين ومستشفعين الخير. وفي رواية لابن قتيبة اللّهمّ إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكثرة رجاله فإنك تقول وقولك الحق ﴿**وَاَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ اَبُوهُمَا صَالِحًا** * الكهف: ٨٢﴾ فحفظتهما لصلاح أبيهما فاحفظ اللّهمّ نبيك في عمه فقد دنونا به إليك مستشفعين. (وأخرج) ابن سعد أن كعبا قال لعمر إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابتهم سنة استسقوا بعصبة نبيهم فقال عمر هذا العباس انطلقوا بنا إليه فأتاه فقال يا أبا فضل ما ترى ما الناس فيه وأخذ بيده وأجلسه معه على المنبر وقال اللّهمّ إنا قد توجهنا إليك بعم نبيك ثم دعا العباس (وأخرج) إبن عبد البر أن العباس لم يمر بعمر وعثمان رضي الله عنهم

راكبين إلاّ نزلا حتى يجوز إجلالا لعم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمشي وهما راكبان (وأخرج) الزبير بن بكار عن ابن شهاب أن أبا بكر وعمر زمن ولايتهما كان لا يلقاه واحد منهما راكبا إلاّ نزل وقاد دابته ومشى معه حتى يبلغ مترله أو مجلسه فيفارقه (وأخرج) ابن أبي الدنيا أن عمر لما أراد أن يفرض للناس قالوا له: ابدأ بنفسك فأبى وبدأ بالأقرب فالأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يأت قبيلته إلاّ بعد خمس قبائل، وفرض للبدريين خمسة آلاف ولمن ساواهم إسلاما ولم يشهد بدرا خمسة آلاف وللعباس اثني عشر ألفا وللحسنين كأبيهما، ومن ثم قال ابن عباس إنه كان يحبهما لأنه فضلهما في العطاء على أولاده (وأخرج) الدارقطني أنه قال لفاطمة: ما من الخلق أحد أحب إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك (وأخرج) أيضا أن عمر سأل عن علي، فقيل له ذهب إلى أرضه فقال اذهبوا بنا إليه، فوجدوه يعمل فعملوا معه ساعة ثم جلسوا يتحدثون فقال له علي: يا أمير المؤمنين أرأيت لو جاءك قوم من بني إسرائيل فقال لك أحدهم أنا ابن عم موسى صلى الله عليه وسلم أكانت له عندك أثرة على أصحابه؟ قال نعم. قال: فأنا والله أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه، قال فترع عمر رداءه فبسطه فقال: لا والله لا يكون لك مجلس غيره حتى نفترق. فلم يزل جالسا عليه حتى تفرقوا، وذكر علي له ذلك إعلاما بأن ما فعله معه من مجيئه إليه وعمله معه في أرضه وهو أمير المؤمنين إنما هو لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فزاد عمر في إكرامه وأجلسه على ردائه (وأخرج) أيضا أن عمر سأل عليا عن شيء فأجابه فقال له عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن (وأخرج) أيضا أن الحسن استأذن على عمر فلم يأذن له. فجاء عبد الله بن عمر فلم يأذن له. فمضى الحسن فقال عمر عليّ به. فجاء فقال يا أمير المؤمنين قلت إن لم يؤذن لعبد الله لا يؤذن لي. فقال أنت أحق بالإذن منه وهل أنبت الشعر في الرأس بعد الله إلاّ أنتم. وفي رواية له إذا جئت فلا تستأذن (وأخرج) أيضا أنه جاءه أعرابيان يختصمان فأذن

لعلي في القضاء بينهما فقضى فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا. فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال ويحك ما تدري من هذا؟ هذا مولاك ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن (وأخرج) أحمد أن رجلا سأل معاوية عن مسألة فقال اسأل عنها عليا فهو أعلم فقال: يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحب إليّ من جواب علي. قال بئس ما قلت: لقد كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزه بالعلم عزّا. ولقد قال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي. وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه. وأخرجه آخرون بنحوه لكن زاد بعضهم: قم لا أقام الله رجليك -ومحا اسمه من الديوان- ولقد كان عمر يسأله ويأخذ عنه ولقد شهدته إذا أشكل عليه شيء قال ههنا علي. وصلى زيد بن ثابت على جنازة أمه كما قاله ابن عبد البر فقربت له بغلته ليركب فأخذ ابن عباس بركابه فقال: خل عنك يا ابن عمر رسول الله فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء، لأنه كان يأخذ عنه العلم فقبّل زيد يده وقال: هكذا أمِرْنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم. وصح عنه أنه كان يأتي لبيت بعض الصحابة ليأخذ عنه الحديث فيجده قائلا فيتوسد رداءه على بابه فتسفي الريح التراب على وجهه فإذا خرج ورآه قال: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك. فيقول: لا. أنا أحق أن آتيك وحج ابن عباس مع معاوية رضي الله عنهما، وكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم. وقال عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن حسن ابن حسين: إذا كانت لك حاجة فاكتب لي بها فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي، ولما دخلت عليه فاطمة بنت علي وهو أمير المدينة أخرج من عنده وقال لها ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إليّ منكم، ولأنتم أحب إليّ من أهل بيتي وقال أبو بكر بن عياش كما في الشفاء لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إليّ من أن أقدمهما عليه.

ولما ضرب جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة مالكا رضي الله عنه ونال منه وحمل مغشيا عليه وأفاق قال: أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل ثم سئل فقال: خفت أن أموت وألقى النبي صلى الله عليه وسلم وأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي. ولما قدم المنصور المدينة أراد إقادة من جعفر فقال: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منه سوط إلاّ وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ودخل عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط على عمر ابن عبد العزيز وهو حديث السن وله وفرة فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه فلامه قومه فقال: إن الثقة حدثني حتى كأني أسمعه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها**). وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها.

(وأخرج) الخطيب أن أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان إذا جاءه شيخ أو حدث من قريش أو الأشراف قدمهم بين يديه وخرج وراءهم. وكان أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يعظم أهل البيت كثيرا ويتقرب بالانفاق على المتسترين منهم والظاهرين حتى قيل إنه بعث إلى متستر منهم باثني عشر ألف درهم وكان يحض أصحابه على ذلك. ولمبالغة الشافعي فيهم صرح بأنه من شيعتهم حتى قيل كيت وكيت. فأجاب عن ذلك بما قدمناه عنه من النظم البديع وله أيضا:

آل النبي ذريعتي * وهم إليه وسيلتي

أرجو بهم أعطى غدا * بيدي اليمين صحيفتي

وقارف الزهري ذنبا فهام على وجهه. فقال له زين العابدين: قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك فقال الزهري: الله أعلم حيث يجعل رسالته فرجع إلى أهله وماله.

(**خاتمة**) فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم مما حصل على آله ومما أصاب مسيئهم من الانتقام الشديد، وفي آداب أخرى قال صلى الله عليه وسلم: إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا، وإن أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو

المغيرة وبنو مخزوم صححه الحاكم لكن فيه إسماعيل والجمهور على أنه ضعيف لسوء حفظه وممن وثقه البخاري فقد نقل الترمذي عنه أنه ثقة مقارب الحديث ومن أشد الناس بغضا لأهل البيت مروان بن الحكم، وكأن هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال. كان لا يولد لأحد مولود إلاّ أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن المعلون، وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال: لما بايع معاوية رضي الله تعالى عنه لابنه يزيد قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر سنة هرقل وقيصر فقال له مروان أنت الذي أنزل الله فيك: والذي قال لوالديه أف لكما. فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت: كذب والله ما هو به ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه ثم روي عن عمرو بن مرة الجهني -وكانت له صحبة رضي الله تعالى عنه- أن الحكم بن العاص استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته، فقال (**ائذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلاّ المؤمن منهم وقليل ما هم يترفهون في الدنيا ويضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق**). قال ابن ظفر وكان الحكم هذا يرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل كذا ذكر ذلك كله الدميري في حياة الحيوان ولعنته صلى الله عليه وسلم للحكم وابنه لا تضرهما لأنه صلى الله عليه وسلم تدارك ذلك بقوله مما بينه في الحديث الآخر: إنه بشر يغضب كما يغضب البشر وأنه سأل ربه أن من سبه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون ذلك رحمة وزكاة وكفارة وطهارة. وما نقله عن ابن ظفر في أبي جهل لا تأويل عليه فيه بخلافه في الحكم فانه صحابي وقبيح أي قبيح أن يرمى صحابي بذلك فليحمل على أنه إن صح ذلك كان يرمى به قبل الإسلام ومر في أحاديث المهدي أنه صلى الله عليه وسلم رأى فتية من بني هاشم فاغرورقت عيناه وتغير لونه ثم قال (**إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل**

بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا) (وأخرج) ابن عساكر **(أول الناس هلاكا قريش وأول هلاك قريش هلاك أهل بيتي)** ونحوه للطبراني وأبي يعلى.

(واعلم) أنه يتأكد في حق الناس عامة وأهل البيت خاصة رعاية أمور: (الأول) الاعتناء بتحصيل العلوم الشرعية فانه لا فائدة في نسب من غير علم. ودلائل الحث على الاعتناء بالعلوم الشرعية وآدابها وآداب العلماء والمتعلمين وتفصيل ذلك كله ظاهر معروف من كتب الأئمة فلا نطول به (الثاني) ترك الفخر بالآباء وعدم التعويل عليهم من غير اكتساب للعلوم الدينية. فقد قال تعالى: **(اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ اَتْقَيكُمْ** * الحجرات: ١٣). وفي البخاري وغيره أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي الناس أكرم؟ فقال: **(أكرمهم عند الله أتقاهم)**، وروى ابن جرير وغيره **(إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة إلاّ عن أعمالكم، إن أكرمكم عند الله أتقاكم)**، وروى أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال: **(أنظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلاّ أن تفضله بتقوى)**.

(وأخرج) أيضا من جملة خطبته صلى الله عليه وسلم وهو بمنى **(يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ولا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود إلاّ بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم)** (وأخرج) القضاعي وغيره مرفوعا: **(من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)**. وهو في مسلم من جملة حديث، وسبق في هذا الباب تخصيصه صلى الله عليه وسلم لأهل بيته بالحث على تقوى الله وخشيته وتحذيرهم على أن لا يكون أحد أقرب إليه منهم بالتقوى يوم القيامة، وأن لا يؤثروا الدنيا على الآخرة اغترارا بأنسابه، وأن أولياءه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة المتقون من كانوا حيث كانوا وقد ذكر أهل السير أن زيد بن موسى الكاظم خرج على المأمون فظفر به فأرسله إلى أخيه الآتي علي الرضا، فوبخه بكلام كثير من جملته، ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سفكت الدماء وأخفت السبيل وأخذت المال من غير حله، أغرك حمقى أهل الكوفة، وأن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال (**إن فاطمة قد أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار**)، هذا لمن خرج من بطنها مثل الحسن والحسين فقط لا لي ولك، والله ما نالوا ذلك إلاّ بطاعة الله، فان أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعة الله إنك إذا لأكرم على الله منهم انتهى. فتأمل ذلك فما أعظم موقعه ممن وفقه الله من أهل هذا البيت المكرم، فإن من تأمل ذلك منهم لم يغتر بنسبه ورجع إلى الله سبحانه عما هو عليه مما لم يكن عليه المتقدمون الأئمة من آبائه، واقتدى بهم في عظم مآثرهم وزهدهم وعباداهم وتحليهم بالعلوم السنية والأحوال والخوراق الجليلة أعاد الله علينا من بركاهم وحشرنا في زمرة محبيهم آمين (وأخرج) أبو نعيم عن محمد الجواد الآتي ابن علي الرضا المتقدم آنفا أنه سئل عن حديث: (**إن فاطمة أحصنت فرجها**) الحديث المذكور فقال بما مر عن أبيه: ذاك خاص بالحسن والحسين. ولما استشار زيد أباه زين العابدين في الخروج نهاه وقال أخشى أن تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفياني إلاّ قتل فكان كما قال أبوه كما مرت قصته في هذا الباب (وأخرج) أحمد وغيره ما حاصله أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قدم من سفر أتى فاطمة وأطال المكث عندها ففي مرة صنعت لها مسكين من ورق وقلادة وقرطين وستر باب بيتها فقدم صلى الله عليه وسلم ودخل عليها ثم خرج وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس على المنبر فظنت أنه إنما فعل ذلك لما رأى ما صنعته فأرسلت به إليه ليجعله في سبيل الله فقال فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله في الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء ثم قام فدخل صلى الله عليه وسلم عليها، زاد أحمد أنه صلى الله عليه وسلم أمر ثوبان أن يدفع ذلك إلى بعض أصحابه وبأن يشتري لها قلادة من عصب وسوارين من عاج وقال: إن هؤلاء أهل بيتي ولا أحب أن يأكلوا طيباهم في حياهم الدنيا فتأمل ذلك تجد الكمال ليس إلاّ بالتحلي بالزهد والورع والدأب في الطاعات، والتخلي عن

سائر الرذالات وليس في التخلي بجمع الأموال ومحبة الدنيا والترفع بها إلاّ غاية المتاعب والنقائص والمثالب، ولقد طلق على الدنيا ثلاثا وقال: لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ومر في فضائله طرف من ذلك (الثالث) تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لأنهم خير الأمم بشهادة قوله تعالى: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠)، وخير هذه الأمة بشهادة الحديث المتفق على صحته: (**خير القرون قرني**). وقد قدمت في المقدمة الأولى من هذا الكتاب من الأحاديث الدالة على فضلهم وكمالهم ووجوب محبتهم واعتقاد كمالهم وبراءتهم من النقائص والجهالات والإقرار على باطل ما تقر به العيون وتزول به عمن أراد الله توفيقه وهدايته ما توالى عليه من المحن والغبون والفتون، فاحذر أن تكون إلاّ مع السواد الأعظم من هذه الأمة أهل السنة والجماعة وأن تتخلف مع أولئك المتخلفين عن الكمالات إخوان الأهوية والبدع والضلال والحمق والجهالات فلا ينفعك حينئذ نسب وربما سلبت الإسلام فألحقت بأبي جهل وأبي لهب (الرابع) اعلم أن ما أصيب به الحسين رضي الله تعالى عنه في يوم عاشوراء كما سيأتي بسط قصته إنما هو الشهادة الدالة على حظوته ورفعته ودرجته عند الله وإلحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه لم ينبغ أن يشتغل إلاّ بالاسترجاع امتثالا للأمر وإحرازا لما رتبه تعالى عليه بقوله (**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** * البقرة: ١٥٧) ولا يشتغل ذلك اليوم إلاّ بذلك ونحوه من عظائم الطاعات كالصوم، وإياه ثم إياه أن يشغله ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين وإلاّ لكان يوم وفاته صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وأحرى[١] أو ببدع الناصبة المتعصبين على أهل البيت أو الجهال المقابلين الفاسد بالفاسد والبدعة بالبدعة والشر بالشر من إظهار غاية الفرح والسرور واتخاذه

---

(١) وما في كتاب المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة لعبد الحسين الموسوي لا ينهض قليلا على جواز شيء من ذلك لضعف ثبوته ودلالته

عيدا وإظهار الزينة فيه كالخضاب والاكتحال، ولبس جديد الثياب وتوسيع النفقات وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات واعتقادهم أن ذلك من السنة والمعتاد، والسنة ترك ذلك كله فانه لم يرد في ذلك شيء يعتمد عليه ولا أثر صحيح يرجع له (وقد سئل) بعض أئمة الحديث والفقه عن الكحل والغسل والحناء وطبخ الحبوب ولبس الجديد وإظهار السرور يوم عاشوراء. فقال لم يرد فيه حديث صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين لا من الأربعة ولا من غيرهم ولم يرد في الكتب المعتمدة في ذلك صحيح ولا ضعيف، وما قيل إن من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل لم يمرض كذلك ومن وسع على عياله فيه وسع الله عليه سائر سنته وأمثال ذلك مثل فضل الصلاة فيه وأنه كان فيه توبة آدم واستواء السفينة على الجودي إنجاء إبراهيم من النار وإفداء الذبيح بالكبش ورد يوسف على يعقوب فكل ذلك موضوع إلاّ حديث التوسعة على العيال، لكن في سنده من تكلم فيه[١] فصار هؤلاء لجهلهم يتخذونه موسما وأولئك لرفضهم يتخذونه مأتما وكلاهما مخطئ مخالف للسنة كذا ذكر ذلك جميعه بعض الحفاظ[٢] وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة، مع روايته خبر: إن من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا، لكنه قال إنه منكر، ومن ثم أورده

---

(١) حديث التوسعة على العيال. صححه العراقي والحافظ ابن ناصر. وله طرق كثيرة بعضها على شرط مسلم ورواية ابن عبد البر صحيحة والضعيف منها إذا ضم إلى بعضه يتقوى ببعض كما ذكره السخاوي والسيوطي وألف العراقي فيه جزءً لخصه السيوطي في التعقبات وذكر ابن الجوزي أن إسناده فيه مجهول، وهو سليمان بن أبي عبد الله ولكن ابن حبان قد وثقه

(٢) قال ابن كثير: وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء. ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق. وتعلق المسوح على الدكاكين. ويظهر الناس الحزن والبكاء. وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتذ موافقة للحسين لأنه قتل عطشان، ثم يخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة. وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية لأنه قتل في دولتهم انتهى

ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الحاكم قال بعض الحفاظ، ومن غير تلك الطريق، ونقل المجد اللغوي عن الحاكم أن سائر الأحاديث في فضله -غير الصوم وفضل الصلاة فيه والإنفاق- والخضاب والادهان والاكتحال وطبخ الحبوب كله موضوع[١] ومفترى، وبذلك صرح ابن القيم أيضا فقال: حديث الاكتحال والادهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين والكلام فيمن خص يوم عاشوراء بالكحل، وما مر من أن التوسعة فيه لها أصل هو كذلك فقد أخرج حافظ الإسلام الزين العراقي في أماليه من طريق البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته**). ثم قال: عقبه هذا حديث في إسناده لين لكنه حسن على رأي غير ابن حبان، وله طريق آخر صححه الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وفي زيادات منكرة، وظاهر كلام البيهقي أن حديث التوسعة حسن على رأي غير ابن حبان أيضا فإنه رواه من طرق عن جماعة من الصحابة مرفوعا ثم قال: وهذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة لكنها إذا ضم بعضها إلى بعض أحدثت قوة، وإنكار ابن تيمية أن التوسعة لم يرد فيها شيء عنه صلى الله عليه وسلم لما علمت، وقول أحمد إنه حديث لا يصح أي لذاته، فلا ينفي كونه حسنا لغيره والحسن لغيره يحتج به كما بين في علم الحديث.

(الخامس) ينبغي لكل أحد أن يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب إليه صلى الله عليه وسلم أحد إلاّ بحق، و لم تزل أنساب أهل البيت النبوي مضبوطة عل تطاول الأيام، وأحسابهم التي بها يتميزون محفوظة عن أن يدعيها الجهال واللئام، قد ألهم الله من يقوم بتصحيحها في كل زمان، ومن يعتني بحفظ تفاصيلها في كل أوان. خصوصا أنساب الطالبين والمطلبيين. ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة ببني فاطمة من بين ذوي الشرف

---

(١) قال ابن رجب في لطائف المعارف: كل ما روي في فضل الاكتحال والاختضاب والاغتسال في يوم عاشوراء موضوع لم يصح

كالعباسيين والجعافرة بلبس الأخضر إظهارا لمزيد شرفهم قيل وسببه أن المأمون أراد أن يجعل الخلافة فيهم -أي ويدل عليه ما يأتي في ترجمة علي الجواد من أنه عهد إليه بالخلافة فاتخذ لهم شعارا أخضر وألبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والأحمر مختلف في تحريمه والأصفر شعار اليهود في آخر الأمر- ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس. فبقى ذلك شعار الأشراف العلويين من بني الزهراء، لكنهم اختصروا الثياب إلى قطعة ثوب خضراء توضع على عمائمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن ثم في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن قلاوون أن يمتازوا على الناس بعصائب خضر على العمائم ففعل ذلك بأكثر البلاد كمصر والشام وغيرهما[١]، وفي ذلك يقول ابن جابر الأندلسي الأعمى نزيل حلب، وهو صاحب شرح ألفية ابن مالك المسمى بالأعمى والبصير:

جعلوا لأبناء الرسول علامة * إن العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة في كريم وجوههم * تغني الشريف عن الطراز الأخضر

وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن أحسنه قول الأديب محمد بن إبراهيم ابن بركة الدمشقي المزني:

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر بأعلام على الأشراف

والأشرف السلطان خصهم بها * شرفا ليعرفهم من الأطراف

هذا وقد ورد التحذير العظيم عن الانتساب إلى غير الآباء وأنه كافر ملعون، ففي

---

(١) كان يطلق في الصدر الأول اسم الشريف على كل من كان من أهل البيت من أولاد علي أو أولاد جعفر أو عقيل أو العباس وجرى على هذا الاصطلاح الذهبي فيمن يؤرخ له منهم وقصره الفاطميون على ذرية الحسنين فقط، ويطلق في بغداد على كل عباسي، وما صنعه الذهبي أولى كما قاله السيوطي ولبس العلامة الخضراء لا يمنع من أرادها من شريف وغيره ولا يؤمر بها من تركها من شريف وغيره إلاّ لغرض شرعي كما ذكره السيوطي في العجالة الزرنبية، وأما العمامة الخضراء فأحدثها محمد الشريف المتولي باشا مصر سنة أربع بعد الألف كما ذكره الخفاجي

صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من انتسب إلى غير أبيه أو تولى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**)، والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة فلا نطيل بذكرها، أعاذنا الله من الكذب عليه وعلى أنبيائه وأوليائه وحشرنا في زمرة أهل هذا البيت النبوي المعظم المكرم، فإننا من محبيهم وخدمة جنابهم، ومن أحب قوما رجى أن يكون معهم بنص الحديث الصحيح، وهذا هو علالة الضعيف المقصر مثلي عن أن يعمل بأعمال الصادقين أو يتحلى بعلى أحوال المخلصين، لكن سعة الرجاء في مواهب ذي الجلال والإكرام، تفيض إن شاء الله علينا غاية القبول والإنعام، إنه أكرم كريم وأرحم رحيم.

الفصل الثاني

(في سرد أحاديث واردة في أهل البيت ومر أكثر هذا في الفصل الأول ولكن قصدت سردها في هذا الفصل ليكون ذلك أسرع للاستحضار)

(الحديث الأول): أخرج الديلمي عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي**). وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**من أحب أن ينسأ**) -أي يؤخر- (**في أجله وأن يمتع بما خوله الله فليخلفني في أهلي خلافة حسنة فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره وورد على يوم القيامة مسودا وجهه**) (الحديث الثاني) أخرج الحاكم عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك**)، وفي رواية البزار عن ابن عباس، وعن ابن الزبير، وللحاكم عن أبي ذر أيضا (**مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**). (الحديث الثالث) أخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما: (**أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي**

واتبعني من أهل اليمن ثم من سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولا أفضل) (الحدث الرابع) أخرج الحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(خيركم خيركم لأهلي من بعدي)** (الحديث الخامس) أخرج الطبراني والحاكم عن عبد الله بن أبي أوفى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(سألت ربي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا يتزوج إليّ أحد من أمتي إلاّ كان معي في الجنة فأعطاني ذلك)**. (الحديث السادس) أخرج الشيرازي في الألقاب عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(سألت ربي أن لا أزوج إلاّ من أهل الجنة ولا أتزوج إلاّ من أهل الجنة)** (الحديث السابع) أخرج أبو القاسم بن بشران في أماليه عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(سألت ربي أن لا يدخل أحدا من أهل بيتي النار فأعطاني)** (الحديث الثامن) أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي)** (الحديث التاسع) أخرج ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(من صنع إلى أهل بيتي يدا كافأته عليها يوم القيامة)** (الحديث العاشر) أخرج الخطيب عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(من صنع صنيعة إلى أحد من خلف عبد المطلب في الدنيا فعليّ مكافأته إذا لقيني)**. (الحديث الحادي عشر) أخرج ابن عساكر عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: **(من آذى شعرة مني فقد آذاني ومن اذاني فقد آذى الله)**. (الحديث الثاني عشر) أخرج أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي)** (الحديث الثالث عشر) أخرج الحاكم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ، أن لا يعذبهم)** (الحديث الرابع عشر) أخرج ابن عدي والديلمي عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي ولأصحابي)**

(الحديث الخامس عشر) أخرج الترمذي عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن هذا ملك لم يترل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم عليّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**). (الحديث السادس عشر) أخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم**) (الحديث السابع عشر) أخرج ابن ماجه عن العباس بن عبد المطلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ما بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرئ الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتي**) (الحديث الثامن عشر) أخرج أحمد والترمذي عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة**). (الحديث التاسع عشر) أخرج ابن ماجه والحاكم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي**) (الحديث العشرون) أخرج الطبراني عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لكل بني أنثى عصبة ينتمون إليه إلاّ ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم**) (الحديث الحادي والعشرون) أخرج الطبراني عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**كل بني أنثى فان عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا عصبتهم وأنا أبوهم**) (الحديث الثاني والعشرون) أخرج الطبراني عن فاطمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**كل بني أنثى ينتمون إلى عصبتهم إلاّ ولد فاطمة فإني أنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم**) (الحديث الثالث والعشرون) أخرج أحمد والحاكم عن المسور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري**) (الحديث

الرابع والعشرون) أخرج البزار وأبو يعلى والطبراني والحاكم عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار**).

(ومما يندرج) في هذا السلك وسلك الخلفاء الأربعة السابق ذكرهم الأحاديث الواردة في قريش، لأنهم كلهم من قريش وهم ولد النضر بن كنانة فإن ما ثبت للأعم ثبت للأخص فلذا أثبتها على عد ما مر وأخرتها إلى هنا لتعم جميع قريش فقلت (الحديث الخامس والعشرون) أخرج الشافعي وأحمد رضي الله عنهما عن عبد الله بن حنطب قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال: (**أيها الناس قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها**).

(الحديث السادس والعشرون) أخرج البيهقي عن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**يا أيها الناس لا تتقدموا قريشا فتهلكوا ولا تخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها فانهم أعلم منكم، لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذي لها عند الله عز وجلّ**).

(الحديث السابع والعشرون) أخرج الشيخان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**)

(الحديث الثامن والعشرون) أخرج البخاري عن معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلاّ أكبه الله على وجهه في النار**)

(الحديث التاسع والعشرون) أخرج الطبراني عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أمان لأهل الأرض من الغرق القوس وأمان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش. قريش أهل الله فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس**) -و القوس هو المشور بقوس قزح سمي به لأنه أول ما رؤي في الجاهلية على قزح جبل بالمزدلفة، أو لأن قزح هو الشيطان ومن ثم قال علي لا تقل قوس قزح قزح هو الشيطان ولكنها قوس الله تعالى هي علامة كانت بين نوح -على نبينا وعليه أفضل

الصلاة والسلام- وبين ربه عز وجل وهي أمان لأهل الأرض من الغرق (الحديث الثلاثون) أخرج ابن عرفة العبدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أحبوا قريشا فإن من أحبهم أحبه الله**) (الحديث الحادي والثلاثون) أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن واثلة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**). وفي رواية (**إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلا واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزارا ثم اصطفى من نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب**) (الحديث الثاني والثلاثون) أخرج أحمد بسند جيد عن العباس قال: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقول الناس فصعد المنبر فقال: (**من أنا**) قالوا أنت رسول الله فقال: (**أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني من خيرهم فرقة وخلق القبائل فجعلني من خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني من خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا وأنا خيركم نفسا**).

(الحديث الثالث والثلاثون) أخرج أحمد والمحاملي والمخلص والذهبي وغيرهم عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**قال جبريل**) عليه السلام: (**قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم**) (الحديث الرابع والثلاثون) أخرج أحمد والترمذي والحاكم عن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من يرد هوان قريش أهانه الله**) (الحديث الخامس والثلاثون) أخرج أحمد ومسلم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الناس تبع لقريش في الخير والشر**) (الحديث السادس والثلاثون) أخرج أحمد عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أما بعد يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر ما لم**

تعصوا الله فاذا عصيتموه بعث الله عليكم من يلحوكم كما يلحي هذا القضيب) (الحديث السابع والثلاثون) أخرج أحمد ومسلم عن معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلاّ أكبه الله ما أقاموا الدين)** (الحديث الثامن والثلاثون) أخرج أحمد والنسائي والضياء عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الأئمة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ما إن استرحموا رحموا وإن استحكموا عدلوا وإن عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا)** (الحديث التاسع والثلاثون) أخرج الطبراني عن جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**يكون بعدي اثنا عشر أميرا كلهم من قريش)** (الحديث الأربعون) أخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أعطيت قريش ما لم يعط الناس أعطوا ما أمطرت السماء وما جرت به الأنهار وما سالت به السيول)** (الحديث الحادي والأربعون) أخرج الخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**اللّهمّ اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الأرض علما اللّهمّ كما أذقتهم عذابا أذقهم نوالا)**. وهذا العالم هو الشافعي رضي الله عنه كما قاله أحمد وغيره لأنه لم يحفظ لقريش من انتشر علمه في الآفاق ما حفظ للشافعي (الحديث الثاني والأربعون) أخرج الحاكم والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الأئمة من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها، وإن أمرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا له وأطيعوا، ما لم يخير أحدكم بين إسلامه وضرب عنقه، فإن خير بين إسلامه)**، أي تركه (**وضرب عنقه فليقدم عنقه)** (الحديث الثالث والأربعون) أخرج أحمد وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**انظروا قريشا فخذوا من قولهم وذروا فعلهم)** (الحديث الرابع والأربعون) أخرج البخاري في الأدب والحاكم والبيهقي عن أم هانئ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**فضل الله قريشا بسبع خصال، لم يعطها أحدا قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم فضل الله قريشا أني منهم، وأن النبوة فيهم**

وأن الحجابة فيهم وأن السقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم. لإيلاف قريش). وفي رواية للطبراني (**فضل الله قريشا بسبع خصال، فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد الله إلاّ قرشي وفضلهم بأن نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد غيرهم من العالمين وهي: لإيلاف قريش، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية)**.

الفصل الثالث

(في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها)

(الحديث الأول) أخرج أبو بكر في الغيلانيات عن أبي أيوب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط، فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق**). (الحديث الثاني) أخرج أيضا عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش أيها الناس غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الجنة**)[1]

(الحديث الثالث) أخرج أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن، ثم لا آذن ثم لا آذن إلاّ أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني يريبني ما يريبها ويؤذيني ما يؤذيها**) (الحديث الرابع) أخرج الشيخان عن فاطمة أن النبي صلى الله

([1]) أخرجه الحاكم وتمام في فوائده وابن بشران والخطيب وأبو بكر الشافعي وأبو الفتح الأزدي وحكم ابن الجوزي بوضعه والصحيح أنه ضعيف لا موضوع كما ذكره ابن عراق

عليه وسلم قال لها (**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلاّ حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي فاتقي الله واصبري فانه نعم السلف أنا لك**) (الحديث الخامس) أخرج أحمد والترمذي والحاكم عن ابن الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها**) (الحديث السادس) أخرج الشيخان عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: (**يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين**) (الحديث السابع) أخرج الترمذي والحاكم عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أحب أهلي إليّ فاطمة**) (الحديث الثامن) أخرج الحاكم عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلاّ مريم بنت عمران**) (الحديث التاسع) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: (**فاطمة أحب إليّ منك وأنت أعز عليّ منها**) (الحديث العاشر) أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد والطبراني عن عمر وعن علي وعن جابر وعن أبي هريرة وعن أسامة بن زيد وعن البراء، وابن عدي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**) (الحديث الحادي عشر) أخرج ابن عساكر عن علي وعن ابن عمر، وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر، والطبراني عن قرة وعن مالك ابن الحويرث، والحاكم عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما**) (الحديث الثاني عشر) أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (**أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل أن يسلم عليّ ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**) (الحديث الثالث عشر) أخرج الطبراني عن فاطمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أما حسن فله هيبتي وسؤددي وأما حسين فإن له جرأتي وجودي**). (الحديث الرابع عشر) أخرج

الترمذي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا**) (الحديث الخامس عشر) أخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن ابني هذين رحانتاي من الدنيا**) (الحديث السادس عشر) أخرج الترمذي وابن حبان عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**هذان ابناي وابنا ابنتي اللّهمّ إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما**) (الحديث السابع عشر) أخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان والحاكم عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**) (الحديث الثامن عشر) أخرج أبو داود عن المقدام بن معديكرب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**هذا مني**) يعني الحسن، (**وحسين من علي**) (الحديث التاسع عشر) أخرج البخاري وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلاّ ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلاّ ما كان من مريم**) (الحديث العشرون) أخرج أحمد وابن عساكر عن المقدام بن معديكرب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الحسن مني والحسين من علي**) (الحديث الحادي والعشرون) أخرج الطبراني عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الحسن والحسين سيفا العرش وليسا بمعقلين**) (الحديث الثاني والعشرون) أخرج أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن ابن هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**) يعني الحسن (الحديث الثالث والعشرون) أخرج البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه عن يعلى بن مرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب حسينا، الحسن والحسين سبطان من الأسباط**). (الحديث الرابع والعشرون) أخرج الترمذي عن أنس أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال: (**أحب أهل بيتي إليّ الحسن والحسن**) (الحديث الخامس والعشرون) أخرج أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني**) (الحديث السادس والعشرون) أخرج أبو يعلى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن**) (الحديث السابع والعشرون) أخرج البغوي وعبد الغني في الإيضاح عن سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**سمى هارون ابنيه شبرا وشبيرا وإني سميت ابني الحسن والحسين بما سمى به هارون ابنيه**) (وأخرج) ابن سعد عن عمران بن سليمان قال (**الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سميت العرب بهما في الجاهلية**) (الحديث الثامن والعشرون) أخرج ابن سعد والطبران عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه**) (الحديث التاسع والعشرون) أخرج أبو داود والحاكم عن أم الفضل بنت الحرث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا يعني الحسين وأتاني بتربة من تربة حمراء**) (وأخرج) أحمد لقد دخل على البيت ملك لم يدخل على قبلها فقال لي: إن ابنك هذا حسينا مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها قال فأخرج تربة حمراء. (الحديث الثلاثون) أخرج البغوي في معجمه من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**استأذن ملك القطر ربه أن يزورني فأذن له**) وكان في يوم أم سلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يا أم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل أحد**) فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه؟ قال (**نعم**) قال إن أمتك ستقتله وإن شئت أريك المكان الذي يقتل به

فأراه فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها. قال ثابت: كنا نقول إنها كربلاء وأخرجه أيضا أبو حاتم في صحيحه وروى أحمد نحوه وروى عبد بن حميد وابن أحمد نحوه أيضا لكن فيه أن الملك جبريل فان صح فهما واقعتان وزاد الثاني أيضا أنه صلى الله عليه وسلم شمها وقال ريح كرب وبلاء والسهلة بكسر أوله رمل خشن ليس بالدقاق الناعم وفي رواية الملا وابن أحمد في زيادة المسند، قالت ثم ناولني كفا من تراب أحمر وقال إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي أنه قد قتل قالت أم سلمة فوضعته في قارورة عندي وكنت أقول إن يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم وفي رواية عنها فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دما وفي أخرى ثم قال يعني جبريل ألا أريك تربة مقتله فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قارورة قالت أم سلمة فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلا يقول:

أيها القاتلون جهلا حسينا * أبشروا بالعذاب والتذليل

قد لعنتم على لسان ابن داو * د وموسى وحامل الإنجيل

قالت فبكت وفتحت القارورة فاذا الحصيات قد جرت دما (وأخرج) ابن سعد عن الشعبي قال مر علي رضي الله عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوى – قرية على الفرات– فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه ثم قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال (**كان عندي جبريل آنفا وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمني إياه فلم أملك عيني أن فاضتا**) ورواه أحمد مختصرا عن علي قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وروى الملا أن عليا مر بقبر الحسين فقال: ههنا مناخ ركابهم وههنا موضع رحالهم وههنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض (وأخرج) أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان

له مشربة درجتها في حجرة عائشة يرقي إليها إذا أراد لقي جبريل فرقى إليها وأمر عائشة أن لا يطلع عليها أحد فرقى حسين و لم تعلم به فقال جبريل من هذا؟ قال: (**ابني**) فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله على فخذه فقال جبريل ستقتله أمتك فقال صلى الله عليه وسلم: (**ابني**)، قال: نعم وإن شئت أخبرتك الأرض التي يقتل فيها فأشار جبريل بيده إلى الطف بالعراق فأخذ منها تربة حمراء فأراه إياها وقال هذه من تربة مصرعه.

(وأخرج) الترمذي أن أم سلمة رأت النبي صلى الله عليه وسلم باكيا وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال: (**قتل الحسين آنفا**) وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال: (**دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم**) فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم فاستشهد الحسين كما قال له صلى الله عليه وسلم بكربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضا بالطف قتله سنان بن أنس النخعي وقيل غيره يوم الجمعة عاشر المحرم سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة وأشهر، ولما قتلوه بعثوا برأسه إلى يزيد فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون بالرأس فبينما هم كذلك إذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم:

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس. أخرجه منصور بن عمار. وذكر غيره أن هذا البيت وجد بحجر قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بثلاثمئاة سنة، وأنه مكتوب في كنيسة من أرض الروم لا يدري من كتبه[١]. وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة عن نصرة الأزدية أنها قالت: لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء دما فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دما، وكذا روي في أحاديث غير هذه، ومما ظهر يوم قتله من

---

(١) في الرواية أنه وجد في حفيرة احتفرها رجل من نجران. أخرجه الحاكم أبو عبد الله في أماليه. قال ابن الجوزي من وضع مثل هذا فقد ألقى جلباب الحياء عن وجهه

الآيات أيضا أن السماء اسودت اسودادا عظيما حتى رؤيت النجوم نهارا و لم يرفع حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط[١] (وأخرج) أبو الشيخ أن الورس الذي كان في عسكرهم تحول رمادا وكان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافتهم حين قتله. وحكي ابن عيينة عن جدته أن جمالا ممن انقلب ورسه رمادا، أخبرها بذلك. ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران، فطبخوها فصارت مثل العلقم، وأن السماء احمرت لقتله وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس أن القيامة قد قامت و لم يرفع حجر في الشام إلاّ رؤي تحته دم عبيط (وأخرج) عثمان بن أبي شيبة أن السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضا، ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة في السماء، وقال أبو سعيد ما رفع حجر من الدنيا إلاّ وتحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دما بقى أثره في الثياب مدة حتى تقطعت، وأخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مر من أنهم مطروا دما. زاد أبو نعيم فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دما. وفي رواية أنه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة وأنه لما جئ برأس الحسين إلى دار زياد سالت حيطانها دما (وأخرج) الثعلبي أن السماء بكت وبكاؤها حمرتها وقال غيره: احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك، وأن ابن سيرين قال: أخبرنا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين، وذكر ابن سعد أن هذه الحمرة لم تر في السماء قبل قتله قال ابن الجوزي: وحكمته أن غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق تتره عن الجسمية. فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق إظهارا لعظم الجناية. قال: وأنين عباس وهو مأسور ببدر منع النبي صلى الله عليه وسلم النوم فكيف بأنين الحسين. ولما أسلم

---

(١) الدم العبيط: الطري غير النضيج

وحشي قاتل حمزة قال له النبي صلى الله عليه وسلم غيب وجهك عني فإني لا أحب أن أرى من قتل الأحبة. قال. وهذا والإسلام يجب ما قبله، فكيف بقلبه صلى الله عليه وسلم أن يرى من ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال * وما مر من أنه لم يرفع حجر في الشام أو الدنيا إلاّ رؤي تحته دم عبيط، وقع يوم قتل علي أيضا كما أشار إليه البيهقي بأنه حكي عن الزهري أنه قدم الشام يريد الغزو فدخل على عبد الملك فأخبره أنه يوم قتل علي لم يرفع حجر من بيت المقدس إلاّ وجد تحته دم ثم قال له: لم يبق من يعرف هذا غيري وغيرك فلا تخبر به قال فما أخبرت به إلاّ بعد موته، وحكي عنه أيضا أن غير عبد الملك أخبر بذلك أيضا. قال البيهقي: والذي صح عنه أن ذلك حين قتل الحسين، ولعله وجد عند قتلهما جميعا انتهى[١] (وأخرج) أبو الشيخ أن جمعا تذاكروا أنه ما من أحد أعان على قتل الحسين إلاّ أصابه بلاء قبل أن يموت، فقال شيخ أنا أعنت وما أصابني شيء، فقام ليصلح السراج فأخذته النار فجعل ينادي النار النار وانغمس في الفرات، ومع ذلك فلم يزل به حتى مات (وأخرج) منصور بن عمار أن بعضهم ابتلى بالعطش. وكان يشرب رواية ولا يروي، وبعضهم طال ذكره حتى كان إذا ركب الفرس لواه علي عنقه كأنه حبل * ونقل سبط ابن الجوزي عن السدي أنه أضافه رجل بكربلاء فتذاكروا أنه ما تشارك أحد في دم الحسين إلاّ مات أقبح موتة، فكذب المضيف بذلك وقال إنه ممن حضر، فقام آخر الليل يصلح السراج فوثبت النار في جسده فأحرقته. قال

---

(١) قال ابن كثير: ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم. وما رفع حجر إلاّ وجد تحته دم وأن أرجاء السماء احمرت. وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم. وأن الكواكب ضرب بعضها بعضا. وأمطرت السماء دما أحمر ونحو ذلك. وقال أيضا: وللشيعة والرافضة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة. وذكر أن ذلك من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى. وقد كان شيعيا وهو ضعيف الحديث عند الأئمة. وقال أيضا وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام فكانوا يطبخون الحبوب ويغتسلون ويلبسون أفخر الثياب ويتخذونه عيدا عنادا للروافض

السدي: فأنا والله رأيته كأنه حممة، وعن الزهري لم يبق ممن قتله إلاّ من عوقب في الدنيا إما بقتل أو عمي أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة، وحكى سبط ابن الجوزي عن الواقدي أن شيخا حضر قتله فقط فعمي، فسئل عن سببه فقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم حاسرا عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع، ورأى عشرة من قاتلي الحسين مذبوحين بين يديه، ثم لعنه وسبه بتكثيره سوادهم ثم أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى[١] (وأخرج) أيضا أن شخصا منهم علق في لبب فرسه رأس الحسين بن علي فرؤي بعد أيام ووجهه أشد سوادا من القار. فقيل له: إنك كنت أنضر العرب وجها فقال: ما مرت عليّ ليلة من حين حملت تلك الرأس إلاّ واثنان يأخذان بضبْعيّ ثم ينتهيان بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسفعني كما ترى، ثم مات على أقبح حالة (وأخرج) أيضا أن شيخا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وبين يديه طشت فيها دم والناس يعرضون عليه فيلطخهم حتى انتهيت إليه فقلت: ما حضرت. فقال لي هويت فأومأ إليّ بأصبعه فأصبحت أعمى * ومر أن أحمد روى أن شخصا قال: قتل الله الفاسق ابن الفاسق الحسين، فرماه الله بكوكبين في عينيه فعمي، وذكر البارزي عن المنصور أنه رأى رجلا بالشام وجهه وجه خنزير فسأله فقال: إنه كان يلعن عليا كل يوم ألف مرة. وفي الجمعة آلاف مرة وأولاده معه، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر مناما طويلا من جملته أن الحسن شكاه اليه فلعنه ثم بصق في وجهه فصار موضع بصاقه خنزيرا وصار آية للناس (وأخرج) الملا عن أم سلمة أنها سمعت نوح الجن على الحسين. وابن سعد عنها أنها بكت عليه حتى غشي عليها. وروى البخاري في صحيحه والترمذي عن ابن عمر. أنه سأله رجل عن دم البعوض طاهر أو لا؟ فقال

---

(١) قال ابن كثير: وأما الأحاديث في الفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح فإنه قل من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض وأكثرهم أصابهم الجنون. ومن المستبعد وقوع ما أخرجه منصور في الحادثة الثانية

له: ممن أنت؟ قال من أهل العراق. فقال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**هما ريحانتاي من الدنيا**).

وسبب مخرجه: أن يزيد لما استخلف سنة ستين أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين، ففر لمكة خوفا على نفسه فسمع به أهل الكوفة، فأرسلوا اليه أن يأتيهم ليبايعوه ويمحو عنهم ما هم فيه من الجور، فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه فأبى، فنهاه أن لا يذهب بأهله فأبى، فبكى ابن عباس وقال: وا حبيباه، وقال له ابن عمر نحو ذلك فأبى فبكى ابن عمر وقبل ما بين عينيه وقال: استودعك الله من قتيل. ونهاه ابن الزبير أيضا فقال له حدثني أبي إن لمكة كبشا به يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش * ومر قول أخيه الحسن له إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص، وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على أخيه الحسن رضي الله عنهما، ولما بلغ مسيره أخاه محمد بن الحنفية كان بين يديه طشت يتوضأ فيه فبكى حتى ملأه من دموعه، و لم يبق بمكة إلاّ من حزن لمسيره، وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا. وقيل أكثر من ذلك، وأمر يزيد ابن زياد فجاء إليه وقتله وأرسل برأسه إليه فشكره وحذره من الحسين، ولقي الحسين في مسيره الفرزدق فقال له بين لي خبر الناس فقال أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء يترل من السماء والله يفعل ما يشاء، وسار الحسين وهو غير عالم بما جرى لمسلم حتى كان على ثلاث من القادسية، تلقاه بالخبر ابن يزيد التميمي فقال له: ارجع فما تركت لك خلفي خيرا ترجوه، وأخبره الخبر وقدوم ابن زياد واستعداده له فهم بالرجوع، فقال أخو مسلم: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل، فقال لا يخر في الحياة بعدكم، ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء ثامن المحرم سنة إحدى

وستين، وكان لما شارف الكوفة سمع به أميرها عبد الله بن زياد فجهز إليه عشرين ألف مقاتل. فلما وصلوا إليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى. فقاتلوه، وكان أكثر الخارجين لقتاله كاتبوه وبايعوه ثم لما جاءهم أخلفوه وفروا عنه إلى أعدائه إيثارا للسحت العاجل على الخير الآجل. فحارب أولئك العدد الكثير ومعه من إخوته وأهله نيف وثمانون نفسا فثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا مع كثرة اعدائه وعددهم ووصول سهامهم ورماحهم إليه. ولما حمل عليهم وسيفه مصلت في يده أنشد يقول:

أنا ابن عليّ الحبر من آل هاشم * كفاني بهذا مفخرا حين أفخر

وجدّي رسول الله أكرمُ من مشى * ونحن سراج الله في الناس يزهر

وفاطمة أمي سلالة أحمد * وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقا * وفينا الهدى والوحي والخير يذكر

ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه، إذ هو الشجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحول. ولما منعوه وأصحابه الماء ثلاثا قال له بعضهم: أنظر إليه كأنه كبد السماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا. فقال له الحسين: اللّهمّ اقتله عطشا فلم يرو مع كثرة شربه للماء حتى مات عطشا. ودعا الحسين بماء ليشربه فحال رجل بينه وبينه بسهم ضربه فأصاب حنكه فقال: اللّهمّ أظمئه فصار يصيح: الحر في بطنه والبرد في ظهره، وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكافور وهو يصيح العطش فيؤتى بسويق وماء ولبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشربه ثم يصيح فيسقي كذلك إلى أن انقد بطنه، ولما استحر القتل بأهله -فإنهم لا زالوا يقتلون منهم واحدا بعد واحد حتى قتلوا ما يزيد على الخمسين- صاح الحسين أما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ خرج يزيد بن الحرث الرباحي من عسكر أعدائه راكبا فرسه. وقال يا ابن رسول الله لئن كنت أول من خرج عليك فإنني الآن من حزبك، لعلي أنال بذلك شفاعة جدك، ثم قاتل بين يديه حتى قتل، فلما في

أصحابه وبقي بمفرده حمل عليهم وقتل كثيرا من شجعانهم، فحمل عليه جمع كثيرون منهم حالوا بينه وبين حريمه، فصاح كفوا سفهاءكم عن الأطفال والنساء فكفوا، ثم لم يزل يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجراح وسقط إلى الأرض، فحزوا رأسه يوم عاشوراء عام أحد وستين، ولما وضعت بين يدي عبد الله بن زياد أنشد قاتله:

املأ ركابي فضة وذهبا * فقد قتلت الملك المحجبا

ومن يصلي القبلتين في الصبا * وخيرهم إذ يذكرون النسبا

قتلت خير الناس أما وأبا

فغضب ابن زياد من قوله، وقال إذا علمت ذلك فلم قتلته؟ والله لا نلت مني خيرا ولألحقنك به. ثم ضرب عنقه، وقتل معه من أخوته وبني أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا وقيل أحد وعشرون، قال الحسن البصري ما كان على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه.

ولما حملت رأسه لابن زياد جعله في طشت وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول به في أنفه، ويقول ما رأيت مثل هذا حسنا إن كان لحسن الثغر. وكان عنده أنس فبكى وقال كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وغيره. وروى ابن أبي الدنيا أنه كان عنده زيد بن أرقم فقال له ارفع قضيبك فو الله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكي، فقال ابن زياد أبكى الله عينيك لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك. فنهض وهو يقول أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة والله ليقتلن خياركم ويستعبدن شراركم، فبعدا لمن رضي بالذلة والعار. ثم قال يا ابن زياد لأحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على اليسرى ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال: (**اللّهمّ إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين**)، فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد. وقد انتقم الله من ابن زياد هذا، فقد صح عند

الترمذي أنه لما جئ برأسه ونصب في المسجد مع رؤس أصحابه جاءت حية فتخللت الرؤس حتى دخلت في منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت ثم جاءت ففعلت كذلك مرتين أو ثلاثا، وكان نصبها في محل نصبه لرأس الحسين وفاعل ذلك به هو المختار بن أبي عبيد، تبعه طائفة من الشيعة ندموا على خذلانهم الحسين وأرادوا غسل العار عنهم، ففرقة منهم تبعت المختار. فملكوا الكوفة وقتلوا الستة آلاف الذين قاتلوا الحسين أقبح القتلات وقتل رئيسهم عمر بن سعد، وخص شمر -قاتل الحسين على قول- بمزيد نكال وأوطؤا الخيل صدره وظهره، لأنه فعل ذلك بالحسين وشكر الناس للمختار ذلك، لكنه أنبأ آخرا عن خبث قبيح حتى زعم أنه يوحى إليه وأن ابن الحنفية هو المهدي ولما نزل ابن زياد الموصل في ثلاثين ألفا جهز له المختار سنة تسع وستين طائفة قتلوه هو وآصحابه على الفرات يوم عاشوراء، وبعث برؤسهم للمختار فنصبت في المحل الذي نصب فيه رأس الحسين ثم حولت إلى ما مر حتى دخلتها تلك الحية (ومن عجيب الاتفاق) قول عبد الملك بن عمير دخلت قصر الإمارة بالكوفة على ابن زياد والناس عنده سماطان ورأس الحسين رضي الله عنه على ترس عن يمينه، ثم دخلت على المختار فيه فوجدت رأس ابن زياد وعنده الناس كذلك، ثم دخلت على مصعب بن الزبير فيه فوجدت رأس المختار عنده كذلك، ثم دخلت على عبد الملك بن مروان فيه فوجدت عنده رأس مصعب كذلك، فأخبرته بذلك فقال: لا أراك الله الخامس ثم أمر بهدمه.

ولما أنزل ابن زياد رأس الحسين وأصحابه جهزها مع سبايا آل الحسين إلى يزيد. فلما وصلت إليه قيل إنه ترحم عليه وتنكر لابن زياد وأرسل برأسه وبقية بنيه إلى المدينة، وقال سبط ابن الجوزي وغيره المشهور أنه جمع أهل الشام وجعل ينكت الرأس بالخيزران، وجمع بأنه أظهر الأول وأخفى الثاني، بقرينة أنه بالغ في رفعة ابن زياد حتى أدخله على نسائه. قال ابن الجوزي وليس العجب إلاّ من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب وحمل آل النبي صلى الله عليه وسلم على أقتاب الجمال -أي

موثقين في الحبال والنساء مكشفات الرؤس والوجوه- وذكر أشياء من قبيح فعله. وقيل بل كانت الرأس في خزانته لأن سليمان بن عبد الملك رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يلاطفه ويبشره، فسأل الحسن البصري عن ذلك فقال لعلك صنعت إلى آله معروفا. قال نعم وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد فكسوته خمسة أثواب وصليت عليه مع جماعة من أصحابي وقبرته، فقال له الحسن هو ذلك سبب رضاه صلى الله عليه وسلم عليك فأمر سليمان للحسن بجائزة سنية. ولما فعل يزيد برأس الحسين ما مر كان عنده رسول قيصر فقال متعجبا، إن عندنا في بعض الجزائر في دير حافر حمار عيسى، فنحن نحج إليه كل عام من الأقطار وننذر النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم، فأشهد أنكم على باطل. وقال ذمي آخر بيني وبين داود سبعون أبا، وأن اليهود تعظمني وتحترمني وأنتم قتلتم ابن نبيكم. ولما كانت الحرس على الرأس كلما نزلوا منزلا وضعوه على رمح وحرسوه فرآه راهب في دير فسأل عنه فعرفوه به فقال: بئس القوم أنتم هل لكم في عشرة آلاف دينار ويبيت الرأس عندي هذه الليلة قالوا نعم، فأخذه وغسله وطيبه ووضعه على فخذه إلى عنان السماء، وقعد يبكي إلى الصبح ثم أسلم، لأنه رأى نورا ساطعا من الرأس إلى السماء. ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت. وكان مع اولئك الحرس دنانير أخذوها من عسكر الحسين ففتحوا أكياسها ليقتسموها فرأوها خزفا وعلى أحد جانبي كل منها (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** * ابراهيم: ٤٢) وعلي الآخر: (**سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا اَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** * الشعراء: ٢٢٧)، وسيأتي في الخاتمة الكلام في أنه هل يجوز لعن يزيد أو يمتنع - وسيق حريم الحسين إلى الكوفة كالأسارى فبكى أهل الكوفة، فجعل زين العابدين بن الحسين يقول: ألا إن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن ذا الذي قتلنا.

(وأخرج) الحاكم من طرق متعددة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**قال جبريل قال الله تعالى إني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفا وإني قاتل بدم الحسين بن**

علي سبعين ألفا) ولم يصب ابن الجوزي في ذكره لهذا الحديث في الموضوعات[١] وقتل هذه العدة بسببه لا يستلزم أنها كعدد عدة المقاتلين له، فان فتنته أفضت إلى تعصبات ومقاتلات تفي بذلك.

(وزين العابدين) هذا هو الذي خلف أباه علما وزهدا وعبادة وكان إذا توضأ للصلاة اصفر لونه، فقيل له في ذلك فقال ألا تدرون بين يدي من أقف. وحكي أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وحكى ابن حمدون عن الزهري أن عبد الملك حمله مقيدا من المدينة بأثقلة من حديد ووكل به حفظة فدخل عليه الزهري لوداعه فبكى وقال: وددت أني مكانك فقال: أتظن أن ذلك يكربني لو شئت لما كان، وإنه ليذكرني عذاب الله ثم أخرج رجليه من القيد ويديه من الغل ثم قال: لأجزت معهم على هذا يومين من المدينة فما مضى يومان إلاّ وفقدوه حين طلع الفجر وهم يرصدونه، فطلبوه فلم يجدوه، قال الزهري فقدمت على عبد الملك فسألني عنه فأخبرته فقال قد جاء في يوم فقده الأعوان فدخل علي فقال ما أنا وأنت، فقلت أقم عندي فقال لا أحب ثم خرج فو الله لقد امتلأ قلبي منه خيفة، أي ومن ثم كتب عبد الملك للحجاج أن يجتنب دماء بني عبد المطلب، وأمره بكتم ذلك فكوشف به زين العابدين فكتب إليه إنك كتبت للحجاج يوم كذا سرا في حقنا بني عبد المطلب بكذا وكذا وقد شكر الله لك ذلك، وأرسل به إليه فلما وقف عليه وجد تاريخه موافقا لتاريخ كتابه للحجاج ووجدا مخرج الغلام موافقا لمخرج رسوله للحجاج، فعلم أن زين العابدين كوشف بأمره فسر به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة وسأله أن لا يخليه مع صالح دعائه (وأخرج) أبو نعيم والسلفي لما حج هشام بن عبد الملك في حياة أبيه أو الوليد لم يمكنه أن يصل للحجر من الزحام فنصب له منبر إلى جانب زمزم وجلس ينظر إلى الناس وحوله جماعة من

---

(١) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات بسند موضوع وأخرجه الحاكم من طريق ستة أنفس عن أبي نعيم وقال صحيح ووافقه الذهبي في تلخيصه وقال على شرط مسلم

أعيان أهل الشام فبينا هو كذلك إذ أقبل زين العابدين، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال أهل الشام لهشام من هذا؟ قال لا أعرفه مخافة أن يرغب أهل الشام في زين العابدين فقال الفرزدق أنا أعرفه ثم أنشد:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمي إلى ذروة العز التي قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والعجم

القصيدة المشهورة ومنها:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا

فليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم

ثم قال:

من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجي ومعتصم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

فلما سمعها هشام غضب، وحبس الفرزدق بعسفان وأمر له زين العابدين باثني عشر ألف درهم، وقال: اعذر لو كان عندنا أكثر لوصلناك به فقال: إنما امتدحته لله لا لعطاء فقال زين العابدين رضي الله عنه: إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده، فقبلها الفرزدق ثم هجا هشاما في الحبس فبعث فأخرجه. وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح حتى إنه سبه رجل فتغافل عنه فقال له: إياك أعني فقال وعنك أعرض أشار إلى آية: (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** * الأعراف: ١٩٩). وكان يقول ما يسرني بنصيبي من الذل حمر النعم. توفي وعمره سبع وخمسون منها سنتان مع جده عليّ ثم عشر مع عمه الحسن ثم إحدى عشرة مع أبيه الحسين. وقيل سمه الوليد بن عبد الملك، ودفن بالبقيع عند عمه الحسن عن أحد عشر ذكرا وأربع إناث.

وارثه منهم عبادة وعلما وزهادة (أبو جعفر محمد الباقر) سمي بذلك: من بقر الأرض أي شقها وأثار مخبآتها ومكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف، ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة أو فاسدا لطوية والسريرة ومن ثَمّ قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه. صفا قلبه وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه وشرف خلقه وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة. وكفاه شرفا أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير: رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عليك فقيل له وكيف ذاك قال: كنت جالسا عنده والحسين في حجره وهو يداعبه فقال (**يا جابر يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده. ثم يولد له ولد اسمه محمد فان أدركته يا جابر فأقرئه مني السلام**). توفي سنة سبع عشر عن ثمان وخمسين سنة مسموما كأبيه، وهو علوي من جهة أبيه وأمه، ودفن أيضا في قبة الحسن والعباس بالبقيع وخلف ستة أولاد أفضلهم وأكملهم:

(جعفر الصادق)

ومن ثم كان خليفته ووصيه، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريج ومالك والسفيانين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السختياني، وأمه فروة بنت القاسم محمد ابن أبي بكر كما مر، وسعى به عند المنصور لما حج فلما حضر الساعي به يشهد قال له: أتحلف قال: نعم! فحلف بالله العظيم إلى آخره، فقال: أحلفه يا أمير المؤمنين بما أراه؟ فقال له حلفه. فقال له: قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا. وقال كذا وكذا، فامتنع الرجل ثم حلف فما تم حتى مات مكانه. فقال أمير المؤمنين لجعفر لا بأس عليك أنت المبرأ الساحة المأمون الغائلة، ثم انصرف فلحقه الربيع بجائزة حسنة وكسوة سنية

وللحكاية تتمة. ووقع نظير هذه الحكاية ليحيى بن عبد الله بن المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بأن شخصا زبيريا سعى به للرشيد فطلب تحليفه فتلعثم فزبره الرشيد فتولى يحيى تحليفه بذلك فما أتم يمينه حتى اضطرب وسقط لجنبه فأخذوا برجله وهلك، فسأل الرشيد يحيى عن سر ذلك فقال: تمجيد الله في اليمين يمنع المعاجلة في العقوبة. وذكر المسعودي أن هذه القصة كانت مع أخي يحيى هذا الملقب بموسى الجون وأن الزبيري سعى به للرشيد فطال الكلام بينهما ثم طلب موسى تحليفه فحلفه بنحو ما مر، فلما حلف قال موسى: الله أكبر حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جده علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حلف أحد بهذه اليمين. أي وهي تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي ما فعلت كذا وهو كاذب، إلاّ عجل الله له العقوبة قبل ثلاث والله ما كذبت ولا كذبت، فوكل عليّ يا أمير المؤمنين فان مضت ثلاث و لم يحدث بالزبيري حادث فدمي لك حلال، فوكل به، فلم يمض عصر ذلك اليوم حتى أصاب الزبيري جذام فتورم حتى صار كالزق، فما مضى إلاّ قليل وقد توفي. ولما أنزل في قبره انخسف قبره وخرجت رائحة مفرطة النتن فطرحت فيه أحمال الشوك فانخسف ثانيا فأخبر الرشيد بذلك فزاد تعجبه، ثم أمر لموسى بألف دينار وسأله عن سر تلك اليمين فروى له حديثا عن جده علي عن النبي صلى الله عليه وسلم (**ما من أحد يحلف بيمين مجد الله فيها إلاّ استحيا من عقوبته وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته إلاّ عجل الله له العقوبة قبل ثلاث**). وقتل بعض الطغاة مولاه فلم يزل ليلة يصلي ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الأصوات بموته، ولما بلغه قول الحكم بن عباس الكلبي في عمه زيد:

صلبنا لكم زيدا على جزع نخلة * و لم نر مهديا على الجذع يصلب

قال (**اللّهمّ سلط عليه كلبا من كلابك**) فافترسه الأسد (ومن مكاشفاته) أن ابن عمه عبد الله المحض كان شيخ بني هاشم وهو والد محمد الملقب بالنفس الزكية، ففي

آخر دولة بني أمية وضعفهم أراد بنو هاشم مبايعة محمد وأخيه، وأرسل لجعفر ليبايعهما فامتنع، فاتهم أنه يحسدهما فقال: والله ليست لي ولا لهما إنها لصاحب القباء الأصفر ليلعبن بها صبيانهم وغلمانهم وكان المنصور العباسي يومئذ حاضرا وعليه قباء أصفر، فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى هلكوا. وسبق جعفرا إلى ذلك والده الباقر. فانه أخبر المنصور بملك الأرض شرقها وغربها وطول مدته فقال له: وملكنا قبل ملككم قال نعم قال ويملك أحد من ولدي قال نعم قال فمدة بني أمية أطول أم مدتنا؟ قال: مدتكم وليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالاكرة، هذا ما عهد إلى أبي فلما أفضت الخلافة للمنصور بملك الأرض تعجب من قول الباقر (وأخرج) أبو القاسم الطبري من طريق ابن وهب قال سمعت الليث بن سعد يقول حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر في المسجد رقيت أبا قبيس فاذا رجل جالس يدعو فقال يا رب يا رب، حتى انقطع نفسه ثم قال: يا حي يا حي يا حي حتى انقطع نفسه ثم قال إلهي إني أشتهي العنب فاطعمنيه اللّهمّ وإن برداي قد خلقا فاكسني، قال الليث فو الله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا وليس على الأرض يومئذ عنب وإذا بردان موضوعان لم أر مثلهما في الدنيا، فأراد أن يأكل فقلت أنا شريكك فقال ولم فقلت لأنك دعوت وكنت أؤمن فقال تقدم وكل، فتقدمت وأكلت عنبا لم آكل مثله قط ما كان له عجم فأكلنا حتى شبعنا ولم تتغير السلة، فقال لا تدخر ولا تخبأ منه شيئا ثم أخذ أحد البردين ودفع إليّ الآخر فقلت أنا بي غني عنه فائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أخذ برديه الخلقين فنزل وهما بيده فلقيه رجل بالمسعى فقال أكسني يا ابن رسول الله مما كساك الله فانني عريان فدفعهما اليه فقلت من هذا قال جعفر الصادق فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئا فلم أقدر عليه انتهى.

توفي سنة أربع وثمانين ومائة مسموما أيضا على ما حكي، وعمره ثمان وستون سنة ودفن بالقبة السابقة عند أهله عن ستة ذكور وبنت.

منهم: (موسى الكاظم)

وهو وارثه علما ومعرفة وكمالا وفضلا سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه وكان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم، وسأله الرشيد كيف قلتم إنا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم أبناء علي فتلا: ومن ذريته داود وسليمان إلى أن قال وعيسى، وليس له أب وأيضا قال تعالى (**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ اَبْنَآءَنَا وَاَبْنَآءَكُمْ** * آل عمران: ٦١)، ولم يدع النبي صلى الله عليه وسلم عند مباهلته النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فكان الحسن والحسين هما الأبناء. (ومن بديع كراماته) ما حكاه ابن الجوزي والرامهرمزي وغيرهما عن شقيق البلخي أنه خرج حاجا سنة تسع وأربعين ومائة فرآه بالقادسية منفردا عن الناس، فقال في نفسه هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس لأمضين إليه ولأوبخنه فمضى اليه فقال يا شقيق (**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ اِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ اِثْمٌ** * الحجرات: ١٢) فأراد أن يحالله فغاب عن عينيه فما رآه إلاّ بواقصة يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر فجاء اليه ليعتذر فخفف في صلاته وقال: (**وَاِنّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ** * طه: ٨٢)، فلما نزلوا زمالة رآه على بئر فسقطت ركوته فيها فدعا فطغى الماء له حتى أخذها فتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فطرح منه فيها وشرب، فقال له أطعمني من فضل ما رزقك الله تعالى فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك فناولنيها فشربت منها، فإذا سويق وسكر ما شربت والله ألذ منه ولا أطيب ريحا فشبعت ورويت، وأقمت أياما لا أشتهي شرابا ولا طعاما ثم لم أره إلاّ بمكة وهو بغلمان وغاشية وأمور على خلاف ما كان عليه بالطريق. ولما حج الرشيد سعى به اليه وقيل له إن الأموال تحمل اليه من كل جانب حتى اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فقبض عليه وأنفذه لأميره بالبصرة عيسى بن جعفر بن المنصور فحبسه سنة، ثم كتب

له الرشيد في دمه فاستعفى وأخبر أنه لم يدع على الرشيد وأنه إن لم يرسل بتسليمه وإلاّ خلى سبيله فبلغ الرشيد كتابه فكتب للسدي بن ساهك بتسليمه وأمره فيه بأمر فجعل له سما في طعامه وقيل في رطب فتوعك ومات بعد ثلاثة أيام، وعمره خمس وستون سنة: وذكر المسعودي أن الرشيد رأى عليا في النوم معه حربة وهو يقول إن لم تحل عن الكاظم وإلاّ نحرتك بهذه فاستيقظ فزعا وأرسل في الحال والي شرطته اليه باطلاقه وثلاثين ألف درهم وأنه يخيره بين المقام فيكرمه أو الذهاب إلى المدينة ولما ذهب اليه قال له رأيت منك عجبا وأخبره أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه كلمات قالها فما فرغ منها إلاّ وأطلق، قيل وكان موسى الهادي حبسه أولا ثم أطلقه لأنه رأى عليا رضي الله عنه يقول: (**فَهَلْ عَسَيْتُمْ اِنْ تَوَلَّيْتُمْ اَنْ تُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ وَتَقَطِّعُوا اَرْحَامَكُمْ** * محمّد: ٢٢) فانتبه وعرف أنه المراد فأطلقه ليلا فقال له الرشيد حين رآه جالسا عند الكعبة: أنت الذي تبايعك الناس سرا؟ فقال: أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم. ولما اجتمعا أمام الوجه الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام قال الرشيد السلام عليك يا ابن عم سمعها من حوله، فقال الكاظم السلام عليك يا أبت فلم يحتملها وكانت سببا لإمساكه له وحمله معه إلى بغداد، وحبسه فلم يخرج من حبسه إلاّ ميتا مقيدا ودفن جانب بغداد الغربي، وظاهر هذه الحكايات التنافي إلاّ أن يحمل على تعدد الحبس وكانت أولاده حين وفاته سبعة وثلاثين ذكرا وأنثى.

منهم (علي الرضا)

وهو أنبههم ذكرا وأجلهم قدرا. ومن ثم أحله المأمون محل مهجته وأنكحه ابنته وأشركه في مملكته وفوض إليه أمر خلافته، فانه كتب بيده كتابا سنة إحدى ومائتين بأن عليا الرضا ولي عهده وأشهد عليه جمعا كثيرين. لكنه توفي قبله فأسف عليه كثيرا. وأخبر قبل موته بأنه يأكل عنبا ورمانا مبثوثا ويموت. وأن المأمون يريد دفنه خلف الرشيد فلم يستطع فكان ذلك كله كما أخبر به.

ومن مواليه: معروف الكرخي. أستاذ السري السقطي لأنه أسلم على يديه وقال لرجل يا عبد الله ارض بما يريد واستعد لما لابد منه فمات الرجل بعد ثلاثة أيام. رواه الحاكم. وروى الحاكم عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام في المترل الذي يترل الحجاج ببلدنا، فسلمت عليه فوجدت عنده طبقا من خوص المدينة فيه تمر صيحاني فناولني منه ثماني عشرة فتأولت أن أعيش عدهما، فلما كان بعد عشرين يوما قدم أبو الحسين علي الرضا من المدينة ونزل ذلك المسجد وهرع الناس بالسلام عليه فمضيت نحوه فاذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فيه وبين يديه طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، فسلمت عليه فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر فاذا عدهما بعدد ما ناولني النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلت زدني فقال: لو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدناك.

ولما دخل نيسابور كما في تاريخها وشق سوقها وعليه مظلة لا يرى من ورائها تعرض له الحافظان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى، فتضرعا إليه أن يريهم وجهه ويروي لهم حديثا عن آبائه فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكف المظلمة، وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة فكانت له ذؤابتان مدليتان على عاتقه والناس بين صارخ وباك ومتمرغ في التراب ومقبل لحافر بغلته فصاحت العلماء: معاشر الناس أنصتوا فأنصتوا واستملى منه الحافظان المذكوران فقال: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**حدثني جبريل قال سمعت رب العزة يقول لا إله إلاّ الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي**). ثم أرخى الستر واسر فعد أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا. وفي رواية أن

الحديث المروي، (**الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، ولعلهما واقعتان**). قال أحمد: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته. ونقل بعض الحفاظ أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل فسأل عمن يخبره بذلك، فدل علي علي الرضا فجاء فأجلسه معه على السرير وسأله فقال إن الله حرم لحم أولاد الحسنين على السباع فلتلق للسباع، فعرض عليها بذلك فاعترفت بكذبها، ثم قيل للمتوكل ألا تجرب ذلك فيه فأمر بثلاثة من السباع فجئ بها في صحن قصره ثم دعاه فلما دخل بابه أغلق عليه والسباع قد أصمت الأسماع من زئيرها فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكنت وتمسحت به ودارت حوله وهو يمسحها بكمه، ثم ربضت فصعد للمتوكل وتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة، فقيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه وقال أتريدون قتلى ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك.

ونقل المسعودي أن صاحب هذه القصة هو ابن ابن علي الرضا، هو علي العسكري وصوب لأن الرضا توفي في خلافة المأمون اتفاقا و لم يدرك المتوكل، وتوفي رضي الله عنه وعمره خمس وخمسون سنة عن خمسة ذكور وبنت.

أجلّهم (محمد الجواد) لكنه لم تطل حياته.

ومما اتفق أنه بعد موت أبيه بسنة واقف والصبيان يلعبون في أزقة بغداد إذ مر المأمون ففروا ووقف محمد وعمره تسع سنين، فألقى الله محبته في قلبه فقال له يا غلام ما منعك من الانصراف، فقال له مسرعا يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك وليس لي جرم فأخشاك والظن بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له، فأعجبه كلامه وحسن صورته فقال له: ما اسمك واسم أبيك؟ فقال: محمد بن علي الرضا فترحم على أبيه وساق جواده. وكان معه بزاة للصيد، فلما بعد عن العمار أرسل بازا على دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو في منقاره سمكة صغيرة وبها بقاء الحياة فتعجب من ذلك غاية العجب، ورأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم

ففروا إلاّ محمدا، فدنا منه وقال له ما في يدي فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكا صغارا يصيدها بازات الملوك والخلفاء فيختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى فقال له أنت ابن الرضا حقا، وأخذه معه وأحسن إليه وبالغ في إكرامه، فلم يزل مشفقا به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عظمته وظهور برهانه مع صغر سنه، وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفا من أنه يعهد إليه كما عهد إلى أبيه، فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه على كافة أهل الفضل علما ومعرفة وحلما مع صغر سنه فنازعوا في اتصاف محمد بذلك، ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمدا، فحضروا للخليفة ومعهم ابن أكثم وخواص الدولة فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد، فجلس عليه فسأله يحيى مسائل أجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه فقال له الخليفة: أحسنت أبا جعفر فان أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة، فقال له ما تقول في رجل نظر إلى امرأة أول النهار حراما ثم حلت له ارتفاعه ثم حرمت عليه عند الظهر ثم حلت له عند العصر ثم حرمت عليه المغرب ثم حلت له العشاء ثم حرمت عليه نصف الليل ثم حلت له الفجر، فقال يحيى لا أدري، فقال محمد هي أمة نظرها أجنبي بشهوة وهي حرام ثم اشتراها ارتفاع النهار فأعتقها الظهر وتزوجها العصر وظاهر منها المغرب وكفر العشاء وطلقها رجعيا نصف الليل وراجعها الفجر. فعند ذلك قال المأمون للعباسيين قد عرفتم ما كنتم تنكرون، ثم زوجه في ذلك المجلس بنته أم الفضل، ثم توجه بها إلى المدينة فأرسلت تشتكي منه لأبيها أنه تسري عليها، فأرسل إليها أبوها إنا لم نزوجك له لنحرم عليه حلالا فلا تعودي لمثله، ثم قدم بها يطلب من المعتصم لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين، وتوفي فيها في آخر القعدة ودفن في مقابر قريش في ظهر جده الكاظم، وعمره خمس وعشرون سنة -ويقال إنه سم أيضا- عن ذكرين وبنتين أجلهم:

(علي العسكري)

سمي بذلك لأنه لما وجه لإشخاصه من المدينة النبوية إلى سر من رأى وأسكنه بها وكانت تسمى العسكر فعرف بالعسكري وكان وارث أبيه علما وسخاء. ومن ثم جاءه أعرابي من أعراب الكوفة وقال: إني من المتمسكين بولاء جدك وقد ركبني دين أثقلني حمله ولم أقصد لقضائه سواك؛ فقال كم دينك فقال عشرة آلاف درهم فقال طب نفسا بقضائه إن شاء الله تعالى، ثم كتب له ورقة فيها ذلك المبلغ دينا عليه، وقال له ائتني به في المجلس العام وطالبني بها وأغلظ عليّ في الطلب، ففعل فاستمهله ثلاثة أيام فبلغ ذلك المتوكل فأمر له بثلاثين ألفا فلما وصلته أعطاها الأعرابي، فقال يا ابن رسول الله إن العشرة آلاف أقضي بها أربى فأبى أن يسترد منه من الثلاثين شيئا، فولى الأعرابي وهو يقول الله أعلم حيث يجعل رسالاته. ومر أن الصواب في قضية السباع الواقعة من المتوكل أنه هو الممتحن بها وأنها لم تقربه بل خضعت واطمأنت لما رأته، ويوافقه ما حكاه المسعودي وغيره أن يحيى بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط لما هرب إلى الديلم ثم أتى به الرشيد وأمر بقتله ألقى في بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله ولاذت بجانبه وهابت الدنو منه فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي، توفي رضي الله عنه بسر من رأى في جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن بداره وعمره أربعون وكان المتوكل أشخصه من المدينة إليها سنة ثلاث وأربعين فأقام بها إلى أن قضى عن أربعة ذكور وأنثى، أجلهم:

(أبو محمد الحسن الخالص)

وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ووقع لبهلول معه، أنه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما في أيديهم فقال أشتري لك ما تلعب به؟ فقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا، فقال له فلما ذا خلقنا قال للعلم والعبادة، فقال له من أين لك ذلك؟ قال من قول الله عز وجل (**اَفَحَسِبْتُمْ اَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَاَنَّكُمْ اِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ** * المؤمنون: ١١٥). ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن مغشيا عليه فلما أفاق قال له، ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك، فقال

اليك عني يا بهلول إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلاّ بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب نار جهنم. ولما حبس قحط الناس بسر من رأى قحطا شديدا فأمر الخليفة المعتمد بن المتوكل بالخروج للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يسقوا فخرج النصارى ومعهم راهب كلما مد يده إلى السماء هطلت، ثم في اليوم الثاني كذلك فشك بعض الجهلة وارتد بعضهم فشق ذلك على الخليفة فأمر بإحضار الحسن الخالص، وقال له أدرك أمة جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهلكوا، فقال الحسن يخرجون غدا وأنا أزيل الشك إن شاء الله، وكلم الخليفة في إطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم، فلما خرج الناس للاستسقاء ورفع الراهب يده مع النصارى غيمت السماء فأمر الحسن بالقبض على يده فاذا فيها عظم آدمي فأخذه من يده وقال استسق فرفع يده فزال الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك فقال الخليفة للحسن: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كشف من عظم نبي تحت السماء إلاّ هطلت بالمطر، فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال وزالت الشبهة عن الناس ورجع الحسن إلى داره. وأقام عزيزا مكرما وصلات الخليفة تصل اليه كل وقت إلى أن مات بسر من رأى ودفن عند أبيه وعمه وعمره ثمانية وعشرون سنة ويقال إنه سم أيضا و لم يخلف غير ولده:

(أبي القاسم محمد الحجة)

وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمى القاسم المنتظر قيل: لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب ومر في الآية الثانية عشرة قول الرافضة فيه إنه المهدي وأوردت ذلك مبسوطا فراجعه فإنه مهم[١].

---

(١) اختلف النسابون في أولاد سيدنا علي وفي أولاد أولاده اختلافا كثيرا وتجده بينا إذا قارنت ما ذكر من ذلك في ذخائر العقبى وصحاح الأخبار. وغاية الاختصار. وجمهرة ابن حزم. وذكروا أن المعقبين من أولاد سيدنا علي خمسة. وأن عقب الحسن من زيد. والحسن المثنى. وعقب الحسن المثنى من خمسة منهم عبد الله المحض. وعقب المحض في ستة، وذكروا أن الحسين لم يعقب إلاّ في علي الأصغر وهو علي زين العابدين كما في الرياض المستطابة للعامري وكذلك السيدة زينب ولدت عليا وأم كلثوم ورقية وقيل وجعفرا وعونا وعباسا

(الخاتمة)

(في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة رضوان الله عليهم، وفي قتال معاوية وعلي وفي حقية خلافة معاوية بعد نزول الحسن له عن الخلافة وفي بيان اختلافهم في كفر ولده يزيد وفي جواز لعنه وفي توابع وتتمات تتعلق بذلك)

وإنما افتتحت هذا الكتاب بالصحابة وختمته بهم، إشارة إلى أن المقصود بالذات من تأليفه تبرئتهم عن جميع ما افتراه عليهم أو على بعضهم من غلبت عليهم الشقاوة، وتردوا بأردية الحماقة والغباوة، ومرقوا من الدين واتبعوا سبيل الملحدين، وركبوا متن عمياء، وخبطوا خبط عشواء، فباؤا من الله بعظيم النكال، ووقعوا في أهوية الوبال والضلال، ما لم يداركهم الله بالتوبة والرحمة فيعظموا خير الأمم وهذه الأمة أماتنا الله على محبتهم وحشرنا في زمرتهم آمين.

(اعلم) أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم، فقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في آيات من كتابه منها قوله تعالى: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) فأثبت الله لهم الخيرية على سائر الأمم، ولا شيء يعادل شهادة الله لهم بذلك لأنه تعالى أعلم بعباده وما انطووا عليه من الخيرات وغيرها، بل لا يعلم ذلك غيره تعالى، فاذا شهد تعالى فيهم بأنهم خير الأمم وجب على كل أحد اعتقاد ذلك والإيمان به وإلاّ كان مكذبا لله في أخباره ولا شك أن من ارتاب في حقية شيء مما أخبر الله أو رسوله به كان كافرا باجماع المسلمين، ومنها قوله تعالى: (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ** * البقرة: ١٤٣) والصحابة في هذه الآية والتي قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة، فانظر إلى كونه تعالى (خلقهم عدولا وخيارا

ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة) وحينئذ فكيف يستشهد الله تعالى بغير عدول أو بمن ارتدوا بعد وفاة نبيهم إلاّ نحو ستة أنفس منهم كما زعمته الرافضة قبحهم الله ولعنهم وخذلهم، ما أحمقهم وأجهلهم وأشهدهم بالزور والافتراء والبهتان، ومنها قوله تعالى: (**يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَبِاَيْمَانِهِمْ** * التحريم: ٨) فآمنهم الله من خزيه ولا يأمن من خزيه في ذلك اليوم إلاّ الذين ماتوا والله سبحانه ورسوله عنهم راض، فأمنهم من الخزي صريح في موتهم على كمال الإيمان وحقائق الإحسان وفي أن الله لم يزل راضيا عنهم وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم. ومنها قوله تعالى: (**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ اذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** * الفتح: ١٨) فصرح تعالى برضاه عن أولئك وهم ألف ونحو أربعمائة، ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر، لأن العبرة بالوفاء على الإسلام فلا يقع الرضا منه تعالى إلاّ على من علم موته على الإسلام، وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضي عنه، فعلم أن كلا من هذه الآية وما قبلها صريح في رد ما زعمه وافتراه أولئك الملحدون الجاحدون حتى للقرآن العزيز، إذ يلزم من الإيمان به الإيمان بما فيه وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم وأنهم عدول خيار وأن الله لا يخزيهم وأنه رضي عنهم فمن لم يصدق بذلك فيهم فهو مكذب لما في القرآن ومن كذب بما فيه مما لا يحتمل التأويل كان كافرا جاحدا ملحدا مارقا، ومنها قوله تعالى: (**وَالسَّابِقُونَ الْاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْاَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** * التوبة: ١٠٠) وقوله تعالى (**يَآ اَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** * الأنفال: ٦٤) وقوله تعالى (**لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ اُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَاَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ اُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالاِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ اِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّآ اُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى اَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ**

هُمُ الْمُفْلحُونَ * وَالَّذينَ جَآؤُ منْ بَعْدهمْ يَقُولُونَ رَبنَا اغْفرْ لَنَا وَلاخْوَاننَا الَّذينَ سَبَقُونَا بِالْايمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبنَا غلاًّ للَّذينَ آمَنُوا رَبنَا انَّكَ رَؤُفٌ رَحيمٌ * الحشر: ٨-١٠). فتأمل ما وصفهم الله من هذه الآيات تعلم به ضلال من طعن فيهم من شذوذ المبتدعة ورماهم بما هم بريئون منه. ومنها قوله تعالى: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذينَ مَعَهُ اَشدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَيهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً منَ الله وَرضْوَاناً سيمَاهُمْ فِي وُجُوههمْ منْ اَثَرِ السُّجُود ذَلكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرية وَمَثَلُهُمْ فِي الانْجيلِ كَزَرْعٍ اَخرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقه يُعْجبُ الزُّرَّاعَ ليَغيظَ بهمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُو ا الصَّالحَات منْهُمْ مَغْفرَةً وَاَجْرًا عَظيماً *** الفتح: ٢٩). فانظر إلى عظيم ما اشتملت عليه هذه الآية، فان قوله تعالى محمد رسول الله، جملة مبينة للمشهود به في قوله: (**هُوَ الَّذي اَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدينِ الْحَقّ ليُظْهرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّه وَكَفَى بالله شَهيدًا *** الفتح: ٢٨)، ففيها ثناء عظيم على رسوله ثم ثنى بالثناء على أصحابه بقوله (**وَالَّذينَ مَعَهُ اَشدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ**) كما قال تعالى (**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بقَوْمٍ يُحبُّهُمْ وَيُحبُّونَهُ اَذلَّة عَلَى الْمُؤْمنينَ اَعزَّة عَلَى الْكَافرينَ يُجَاهدُونَ فِي سَبيلِ الله وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئمٍ ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يَشَآءُ وَاللهُ وَاسعٌ عَليمٌ *** المائدة: ٥٤) فوصفهم الله تعالى بالشدة والغلظة على الكفار وبالرحمة والبر والعطف على المؤمنين والذلة والخضوع لهم، ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص وسعة الرجاء في فضل الله ورحمته بابتغائهم فضله ورضوانه وبأن آثار ذلك الإخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت في وجوههم حتى إن من نظر اليهم بهره حسن سمتهم وهديهم ومن ثم قال مالك رضي الله تعالى عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وقد صدقوا في ذلك فان هذه الأمة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال الله تعالى في هذه الآية - ذلك مثلهم -أي وصفهم- في التوراة ومثلهم -أي وصفهم-

في الإنجيل كزرع أخرج شطأه -أي فراخه- فآزره -أي شده وقواه- فاستغلظ -أي شب فطال- فاستوى على سوقه يعجب الزراع -أي يعجبه قوته وغلظه وحسن منظره- فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار، ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك في رواية عنه بكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة قال: لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر، وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله تعالى عنهما في قوله بكفرهم، ووافقه أيضا جماعة من الأئمة، والأحاديث في فضل الصحابة كثيرة وقد قدمنا معظمها في أول هذا الكتاب، ويكفيهم شرفا أي شرف، ثناء الله عليهم في تلك الآيات كما ذكرناه، وفي غيرها ورضاه عنهم وأنه تعالى وعدهم جميعهم -لا بعضهم إذ من في منهم لبيان الجنس لا للتبعيض- مغفرة وأجرا عظيما، ووعد الله صدق وحق لا يتخلف ولا يخلف لا مبدل لكلماته. وهو السميع العليم.

فعلم أن جميع ما قدمناه من الآيات هنا ومن الأحاديث الكثيرة الشهيرة في المقدمة يقتضي. القطع بتعديلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام ببذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع الجائين بعدهم والمعدلين الذين يجيؤن من بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله، ولم يخالف فيه إلاّ شذوذ من المبتدعة الذين ضلوا وأضلوا فلا يلتفت إليهم ولا يعول عليهم، وقد قال إمام عصره أبو زرعة الرازي من أجل شيوخ مسلم: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حق والقرآن حق وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، فمن جرحهم إنما

أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به ألصق والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق وقال ابن حزم الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا، قال تعالى: (**لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ اَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ اُولَئِكَ اَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ اَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى** * الحديد: ١٠) وقال تعالى (**اِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى اُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** * الأنبياء: ١٠١) فثبت أن جميعهم من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية الأولى التي أثبتت لكل منهم الحسنى وهي الجنة، ولا يتوهم أن التقييد بالإنفاق أو القتال فيها وبالإحسان في الذين اتبعوهم باحسان يخرج من لم يتصف بذلك منهم لأن تلك القيود خرجت مخرج الغالب فلا مفهوم لها، على أن المراد من اتصف بذلك ولو بالقوة أو العزم. وزعم الماوري[١] اختصاص الحكم بالعدالة بمن لازمه ونصره دون من اجتمع به يوما أو لغرض غير موافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء، قال شيخ الإسلام العلائي: هو قول غريب يخرج كثيرا من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل ابن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن أبي العاص وغيرهم ممن وفَد عليه صلى الله عليه وسلم و لم يقم عنده إلاّ قليلا وانصرف، والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور وهو المعتبر انتهى.

ومما رد به عليه أن تعظيم الصحابة وإن قل اجتماعهم به صلى الله عليه وسلم

---

(١) ونقل هذا المذهب عن جماعة من الأصوليين منهم المازري وإليه يميل السعد التفتازاني وهو مردود بما ذكرناه في المقدمة وبأنه يخالف مذهب الأكثرين كالبخاري والخطيب وغيرهما والمؤلف يرد بذلك على المبتدعة والمعتزلة الذين يفسقون من قاتل عليا من أهل العراق والشام وقد صرحوا بذلك في طلحة والزبير وهما من المبشرين بالجنة وفي عائشة رضي الله عنها وجميع الصحابة ممن كان على عهد علي إما مقاتل معه أو له أو معتزل عن المعسكرين فلم يقاتله وامتنع عن قتاله جماعة. منهم أصحاب ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص واعتزل الفريقين حذيفة وابن مسلمة وأبو ذر وعمران بن حصين وأبو موسى الأشعري والجميع مجتهد متأول لا يخرج بما وقع منه عن العدالة. لأن عليا كان يأذن في قبول شهادتهم والصلاة معهم لعلمه أنهم مجتهدون فيما وقع منهم

كان مقررا عند الخلفاء الراشدين وغيرهم، وقد صح عن أبي سعيد الخدري أن رجلا من أهل البادية تناول معاوية في حضرته وكان متكئا فجلس، ثم ذكر أنه وأبا بكر ورجلا من أهل البادية نزلوا على أبيات فيهم امرأة حامل، فقال البدوي لها أبشرك أن تلدي غلاما، قالت نعم قال إن أعطيتني شاة ولدت غلاما، فأعطته فسمع لها أسجاعا ثم عمد إلى الشاة فذبحها وطبخها وجلسنا نأكل منها ومعنا أبو بكر فلما علم القصة قام فتقيأ كل شيء أكل، قال ثم رأيت ذلك البدوي قد أتى به عمر وقد هجا الأنصار فقال لهم عمر لولا أن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدري ما قال فيها لكفيتكموه انتهى. فانظر توقف عمر عن معاتبته فضلا عن معاقبته لكونه علم أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم تعلم أن فيه أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء كما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم (**والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**). وتواتر عنه صلى الله عليه وسلم: قوله (**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم**) وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين**)، وفي رواية (**أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجلّ**).

(واعلم) أنه وقع خلاف في التفضيل بين الصحابة ومن جاء بعدهم من صالحي هذه الأمة. فذهب أبو عمر بن عبد البر إلى أنه يوجد فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة. واحتج على ذلك بخبر (**طوبى لمن رآني وآمن بي مرة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات**). وبخبر عمر رضي الله تعالى عنه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال (**أتدرون أي الخلق أفضل إيمانا؟**) قلنا الملائكة قال (**وحق لهم بل غيرهم**) قلنا الأنبياء قال (**وحق لهم بل غيرهم**) ثم قال صلى الله عليه وسلم (**أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال**

يؤمنون بي ولم يروني فهم أفضل الخلق إيمانا) وبحديث (**مثل أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله**)، وبخبر (**ليدركن المسيح أقوما إنهم لمثلكم أو خير ثلاثا ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها**). وبخبر (**يأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين**) قيل منهم أو منا يا رسول الله قال: (**بل منكم**)، وبما روي أن عمر بن عبد العزيز لما ولّى الخلافة كتب إلى سالم بن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهم أن أكتب لي سيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها فكتب إليه سالم: إن عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر، لأن زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال أبو عمر: فهذه الأحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل إلاّ أهل بدر والحديبية قال: وخبر (**خير الناس قرني**) ليس على عمومه. لأنه جمع المنافقين وأهل الكبائر الذين قام عليهم وعلى بعضهم الحدود انتهى. والحديث الأول لا شاهد فيه للأفضلية والثاني ضعيف فلا يحتج به. لكن صحح الحاكم وحسن غيره خبر: يا رسول الله، هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال (**قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني**).

والجواب عنه وعن الحديث الثالث فانه حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى درجة الصحة وعن الحديث الرابع فانه حسن أيضا وعن الحديث الخامس الذي رواه أبو داود والترمذي: أن المفضول قد يكون فيه مزية لا يوجد في الفاضل. وأيضا مجرد زيادة الأجر لا تستلزم الأفضلية المطلقة. وأيضا الخيرية بينهما إنما هي باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه وهو عموم الطاعات المشتركة بين سائر المؤمنين. فلا يبعد حينئذ تفضيل بعض من يأتي على بعض الصحابة في ذلك. وأما ما اختص به الصحابة رضوان الله عليهم وفازوا به من مشاهدة طلعته صلى الله عليه وسلم ورؤية ذاته المشرفة المكرمة فأمر من رواه العقل إذ لا يسع أحدا أن يأتي من الأعمال وإن جلت بما يقارب ذلك فضلا عن أن يماثله ومن ثم سئل عبد الله بن المبارك وناهيك به جلالة

وعلما أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: الغبار الذي دخل أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز كذا وكذا مرة. أشار بذلك إلى أن فضيلة صحبته صلى الله عليه وسلم ورؤيته لا يعدلها شيء وبذلك علم الجواب عن استدلال أبي عمر بقضية عمر بن عبد العزيز وأن قول أهل زمنه له: أنت أفضل من عمر إنما هو بالنسبة لما تساويا فيه أن تصور من العدل في الرعية وأما من حيث الصحبة وما فاز به عمر من حقائق القرب ومزايا الفضل والعلم والدين الذي شهد له بها النبي صلى الله عليه وسلم فأنى لابن عبد العزيز وغيره أن يلحقوه في ذرة من ذلك. فالصواب ما قاله جمهور العلماء سلفا وخلفا لما يأتي. وعلم من قول أبي عمر إلاّ أهل بدر والحديبية أن الكلام في غير أكابر الصحابة ممن لم يفز إلاّ بمجرد رويته صلى الله عليه وسلم وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من بعده وإن من بعده لو عمل ما عساه أن يعمل لا يمكنه أن يحصل ما يقرب من هذه الخصوصية فضلا عن أن يساويها هذا فيمن لم يفز إلاّ بذلك فما بالك بمن ضم إليها أنه قاتل معه صلى الله عليه وسلم أو في زمنه بأمره أو نقل شيئا من الشريعة إلى من بعده أو أنفق شيئا من ماله بسببه فهذا مما لا خلاف في أن أحدا من الجائين بعده لا يدركه ومن ثم قال تعالى (**لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ اَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ اُولَئِكَ اَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ اَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى** * الحديد: ١٠).

(ومما) يشهد لما عليه الجمهور من السلف والخلف من أنهم خير خلق الله وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة والمقربين ما قدمته من فضائل الصحابة ومآثرهم أول الكتاب وهو كثير فراجعه، ومنه حديث الصحيحين: (**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ما بلغ مثل مد أحدهم ولا نصيفه**). وفي رواية لهما: فان أحدكم بكاف الخطاب، وفي رواية الترمذي: (**لو أنفق أحدكم**). الحديث، والنصيف بفتح النون لغة في الصنف. وروى الدارمي وابن عدي وغيرهما أنه صلى الله عله وسلم قال: (**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**). ومن ذلك

أيضا الخبر المتفق على صحته، (**خير القرون أو الناس أو أمتي. قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**). والقرن أهل زمن واحد متقارب اشتركوا في وصف مقصود ويطلق على زمن مخصوص، وقد اختلفوا فيه من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين، إلاّ التسعين والمائة والعشرة فلم يحفظ قائل بهما وما عداهما قال به قائل، وأعدل الأقوال قول صاحب المحكم هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن، والمراد بقرنه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة وآخر من مات منهم على الإطلاق بلا خلاف أبو الطفيل عامر بن وائلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه وكان موته سنة مائة على الصحيح، وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشرين ومائة وصححه الذهبي لمطابقته للحديث الصحيح، وهو قوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر: على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد، وفي رواية مسلم، (**أرأيتكم ليلتكم هذه فانه ليس من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة**) فأراد بذلك انخرام القرن بعد مائة سنة من حين مقالته. والقول بأن عكراش بن ذؤيب عاش بعد وقعة الجمل مائة سنة غير صحيح وعلى التترل فمعناه استكملها بعد ذلك لا أنه بقي بعدها مائة سنة كما قال الأئمة، وما قاله جماعة في رتن الهندي ومعمر المغربي ونحوهما، فقد بالغ الأئمة سيما الذهبي في تزييفه وبطلانه، قال الأئمة ولا يروج ذلك على من له أدنى مسكة من العقل[١] وأمر أفضلية قرنه صلى الله عليه وسلم على من يليه وهم التابعون بالنسبة إلى المجموع لا إلى كل فرد خلافا لابن عبد البر وكذا يقال في التابعين رضوان الله عليهم أجمعين وتابعيهم.

---

(١) ذكر العلماء في كتب الموضوعات بابا خاصا بالكذابين الذين ادعوا لقاء النبي صلى الله عليه وسلم وذكروا منهم سرباتك الهندي وجبير بن الحارث ومعمر بن بريك وقيس الأشج وعثمان ابن الخطاب البلوي وخوط بن مرة ورتن الهندي، وقد ألف الذهبي جزءا في رتن وأخباره وقال ولئن صححنا وجوده وظهوره بعد ستمائة فهو إما شيطان تبدي في صورة بشر فادعى الصحبة وطول العمر المفرط وافترى هذه الطامات أو شيخ ضال أسس لنفسه بيتا في جهنم بكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ذكره الصفدي في تقوية أخبار رتن قد رده القاضي برهان الدين ابن جماعة

(**ثم الصحابة أصناف**) مهاجرون، وأنصار وخلفاؤهم، ومن أسلم يوم الفتح أو بعده فأفضلهم إجمالا المهاجرون فمن بعدهم على الترتيب المذكور وأما تفصيلا فسباق الأنصار أفضل من جماعة من متأخري المهاجرين وسباق المهاجرين أفضل من سباق الأنصار ثم هم بعد ذلك يتفاوتون قرب متأخر إسلاما كعمر أفضل من متقدم كبلال. وقال أبو منصور البغدادي من أكابر أئمتنا أجمع أهل السنة أن أفضل الصحابة أبو بكر فعمر فعثمان فعلي فبقية العشرة المبشرين بالجنة فأهل بدر فباقي أهل أحد فباقي أهل بيعة الرضوان بالحديبية فباقي الصحابة انتهى، ومر اعتراض حكاية الإجماع بين علي وعثمان إلاّ إن أراد بالإجماع فيهما إجماع أكثر أهل السنة فيصح ما قاله حينئذ، هذا وقد أخرج الأنصاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال (**يا أبا بكر ليت أني لقيت إخواني**). فقال أبو بكر يا رسول الله نحن إخوانك قال: (**لا أنتم أصحابي إخواني الذين لم يروني وصدقوا بي وأحبوني حتى إني لأحب إلى أحدهم من ولده ووالده**) قالوا يا رسول الله أنحن إخوانك قال (**لا أنتم أصحابي ألا تحب يا أبا بكر قوما أحبوك بحبي إياك فأحبهم ما أحبوك بحبي إياك**) وقال صلى الله عليه وسلم (**من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبني ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي**). رواه الديلمي.

وقال صلى الله عليه وسلم (**يا أيها الناس احفظوني في أحبائي وأصهاري وأصحابي لا يطالبنكم الله بمظلمة أحد منهم فانها ليست مما يوهب**) رواه الخلعي وقال صلى الله عليه وسلم (**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي من أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**) ورواه المخلص الذهبي فهذا الحديث وما قبله خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه أيضا إشارة إلى أن حبهم إيمان وبغضهم كفر لأن

بغضهم إذا كان بغضا له صلى الله عليه وسلم كان كفرا بلا نزاع لخبر (**لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه**).

وهذا يدل على كمال قربهم منه من حيث أنزلهم مترلة نفسه حتى كأن أذاهم واقع عليه صلى الله عليه وسلم وفيه أيضا أن محبة من أحبه النبي صلى الله عليه وسلم كآله وأصحابه رضي الله تعالى عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أن محبته صلى الله عليه وسلم علامة على محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم علامة على بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوته وسبه وبغضه صلى الله عليه وسلم وعداوته وسبه علامة على بغض الله تعالى وسبه فمن أحب شيئا أحب من يحب وأبغض من يبغض قال الله تعالى: (**لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَآدَّ اللهَ وَرَسُولَهُ** * المجادلة: ٢٢) فحب اولئك أعني آله صلى الله عليه وسلم وأزاوجه وذرياته وأصحابه من الواجبات المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بالمشي على سنتهم وآدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال، ومزيد الثناء عليهم وحسنه بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد أثنى الله عليهم في آيات كثيرة من كتابه المجيد، ومن أثنى عليه فهو واجب الثناء، ومنه الاستغفار لهم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها أمروا بأن يستغفروا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسبوهم. رواه مسلم وغيره، على أن فائدة المستغفر عائد أكثرها اليه إذ يحصل بذلك مزيد الثواب قال سهل بن عبد الله التستري وناهيك به علما وزهدا ومعرفة وجلالة لم يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يوقر أصحابه.

(ومما) يوجب أيضا الإمساك عما شجر أي وقع بينهم من الاختلاف والإضطراب صفحا عن أخبار المؤرخين سيما جهلة الرافض وضلال الشيعة والمبتدعين القادحين في أحد منهم، فقد قال صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أصحابي

فأمسكوا والواجب أيضا على كل من سمع شيئا من ذلك أن يتثبت فيه ولا ينسبه إلى أحد منهم بمجرد رؤيته في كتاب أو سماعه من شخص، بل لابد أن يبحث عنه حتى يصح عنده نسبته إلى أحدهم، فحينئذ الواجب أن يلتمس لهم أحسن التأويلات وأصوب المخارج إذ هم أهل لذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول إيراده وقد مر لذلك منه جملة في بغضهم وما وقع من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات، وأما سبهم والطعن فيهم فان خالف دليلا قطعيا كقذف عائشة رضي الله عنها أو إنكار صحبة أبيها كان كفرا، وإن كان بخلاف ذلك كان بدعة وفسقا.

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب فلم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على حقيتها لعلي كما مر، فلم تهج الفتنة بسببها وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه فامتنع علي ظنا منه أن تسليمهم اليهم على الفور مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر علي يؤدي إلى اضطراب وتزلزل في أمر الخلافة التي بها انتظام كلمة أهل الإسلام سيما وهي في ابتدائها لم يستحكم الأمر فيها فرأى علي رضي الله عنه أن تأخير تسليمهم أصوب إلى أن يرسخ قدمه في الخلافة ويتحقق التمكن من الأمور فيها على وجهها ويتم له انتظام شملها واتفاق كلمة المسلمين. ثم بعد ذلك يلتقطهم واحدا فواحدا ويسلمهم إليهم، ويدل لذلك أن بعض قتلته عزم على الخروج على علي ومقاتلته لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان، وأيضا فالذين تمالؤا على قتل عثمان كانوا جموعا كثيرة كما علم مما قدمته في قصة محاصرتهم له إلى أن قتله بعضهم جمع من أهل مصر، قيل سبعمائة وقيل ألف وقيل خمسمائة وجمع من الكوفة وجمع من البصرة وغيرهم قدموا كلهم المدينة وجرى منهم ما جرى بل ورد أنهم هم وعشائرهم نحو من عشرة آلاف، فهذا هو الحامل لعلي رضي الله عنه على الكف عن تسليمهم

لتعذره كما عرفت ويحتمل أن عليا رضي الله عنه رأى أن قتلة عثمان بغاة حملهم على قتله تأويل فاسد استحلوا به دمه رضي الله تعالى عنه لإنكارهم عليه أمورا كجعله مروان ابن عمه كاتبا له ورده إلى المدينة بعد أن طرده النبي صلى الله عليه وسلم منها. وتقديمه أقاربه في ولاية الأعمال، وقضية محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما السابقة في مبحث خلافة عثمان مفصلة ظنوا أنها مبيحة لما فعلوه جهلا منهم وخطأ، والباغي إذا انقاد إلى الإمام العدل لا يؤاخذ بما أتلفه في حال الحرب عن تأويل دما كان أو مالا كما هو المرجح من قول الشافعي رضي الله عنه وبه قال جماعة آخرون من العلماء، وهذا الاحتمال وإن أمكن لكن ما قبله أولى بالاعتماد منه، فان الذي ذهب اليه كثيرون من العلماء أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة وإنما كانوا ظلمة وعتاة لعدم الاعتداد بشبههم ولأنهم أصروا على الباطل بعد كشف الشبهة وإيضاح الحق لهم، وليس كل من انتحل شبهة يصير بها مجتهدا لأن الشبهة تعرض للقاصر عن درجة الاجتهاد، ولا ينافي هذا ما هو المقرر في مذهب الشافعي رضي الله عنه من أن لهم شوكة دون تأويل لا يضمنون ما أتلفوه في حال القتال كالبغاة لأن قتل السيد عثمان رضي الله عنه لم يكن في قتال فانه لم يقاتل بل نهى عن القتال حتى إن أبا هريرة رضي الله عنه لما أراده قال له عثمان عزمت عليك يا أبا هريرة ألا رميت بسيفك إنما تراد نفسي وسأفي المسلمين بنفسي كما أخرجه ابن عبد البر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة.

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أيضا أن معاوية رضي الله عنه لم يكن في أيام علي خليفة وإنما كان من الملوك وغاية اجتهاده أنه كان له أجر واحد على اجتهاده، وأما علي فكان له أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته بل عشرة أجور لحديث (**إذا اجتهد المجتهد فأصاب فله عشرة أجور**)، واختلفوا في إمامة معاوية بعد موت علي رضي الله عنه فقيل: صار إماما وخليفة لأن البيعة قد تمت له وقيل لم يصر إماما لحديث أبي داود والترمذي والنسائي (**الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير**

ملكا) وقد انقضت الثلاثون بوفاة علي، وأنت خبير بما قدمته أن الثلاثين لم تتم بموت علي، وبيانه أنه توفي في رمضان سنة أربعين من الهجرة والأكثرون على أن وفاته سابع عشر ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم ثاني عشر ربيع الأول فبينهما دون الثلاثين بنحو ستة أشهر وتمت الثلاثون بمدة خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما فاذا تقرر ذلك فالذي ينبغي كما قاله غير واحد من المحققين أن يحمل قول من قال بامامة معاوية عند وفاة علي على ما تقرر من وفاته بنحو نصف سنة لما سلم له الحسن الخلافة، والمانعون لإمامته يقولون لا يعتد بتسليم الحسن الأمر اليه لأنه لم يسلمه إلاّ للضرورة لعلمه بأنه أعني معاوية لا يسلم الأمر للحسن وأنه قاصد للقتال والسفك إن لم يسلم الحسن الأمر اليه فلم يترك الأمر اليه إلاّ صونا لدماء المسلمين، ولك رد ما وجه به هؤلاء ما ذكر بأن الحسن كان هو الإمام الحق والخليفة الصدق، وكان معه من العدة والعدد ما يقاوم من مع معاوية فلم يكن نزوله عن الخلافة وتسليمه الأمر لمعاوية اضطراريا بل كان اختياريا، كما يدل عليه ما مر في قصة نزوله من أنه اشترط عليه شروطا كثيرة فالتزمها، ووفى له بها، وأيضا فقد مر عن صحيح البخاري أن معاوية هو السائل للحسن في الصلح، ومما يدل على ما ذكرته حديث البخاري السابق عن أبي بكر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: **(إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين).** فانظر إلى ترجيه صلى الله عليه وسلم الإصلاح به وهو صلى الله عليه وسلم لا يرجو إلاّ الأمر الحق الموافق للواقع، فترجيه للإصلاح من الحسن يدل على صحة نزوله لمعاوية عن الخلافة، وإلاّ لو كان الحسن باقيا على خلافته بعد نزوله عنها لم يقع بنزوله إصلاح و لم يحمد الحسن على ذلك، و لم يترج صلى الله عليه وسلم مجرد النزول من غير أن يترتب عليه فائدته الشرعية، وهو استقلال المنزول له بالأمر وصحة خلافته ونفاذ تصرفه ووجوب طاعته على الكافة وقيامه بأمور المسلمين، فكان ترجيه صلى

الله عليه وسلم لوقوع الإصلاح بين أولئك الفئتين العظيمتين من المسلمين بالحسن، فيه دلالة أي دلالة على صحة ما فعله الحسن وعلى أنه مختار فيه، وعلى أن تلك الفوائد الشرعية وهي صحة خلافة معاوية وقيامه بأمور المسلمين وتصرفه فيها بسائر ما تقتضيه الخلافة مترتبة على ذلك الصلح فالحق ثبوت الخلافة لمعاوية من حينئذ وأنه بعد ذلك خليفة حق وإمام صدق. كيف وقد أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية: (**اللّهمّ اجعله هاديا مهديا**)، وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**اللّهمّ علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب**). وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمر قال قال معاوية ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يا معاوية إذا ملكت فأحسن**)[١]. فتأمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له في الحديث الأول بأن الله يجعله هاديا مهديا، والحديث حسن كما علمت، فهو مما يحتج به على فضل معاوية وأنه لا ذم يلحقه بتلك الحروب لما علمت أنها مبنية على اجتهاد وأنه لم يكن له إلاّ أجر واحد لأن المجتهد إذا أخطأ لا ملام عليه ولا ذم يلحقه بسبب ذلك لأنه معذور ولذا كتب له أجر * ومما يدل لفضله الدعاء له في الحديث الثاني بأن يعلم ذلك ويوقي العذاب ولا شك أن دعاءه صلى الله عليه وسلم مستجاب فعلمنا منه أنه لا عقاب على معاوية فيما فعل من تلك الحروب بل له

---

(١) قال ابن راهويه لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل معاوية بن أبي سفان شيء وقال السيوطي أصح ما ورد في فضل معاوية رضي الله عنه حديث ابن عباس أنه كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم فقد أخرجه مسلم في صحيحه وبعده حديث العرباض: (**اللّهمّ علمه الكتابة**). وبعده حديث بن أبي عميرة. (**اللّهمّ اجعله هاديا مهديا**). ذكر ذلك ابن عراق في تتريه الشريعة. وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء. وقد ورد في فضله أحاديث قلما تثبت. وأما حديث إذا ملكت فأحسن فرواه البيهقي من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر وهو ضعيف. قال الحافظ في فتح الباري وقد صنف ابن أبي عاصم في مناقبه جزءا وكذلك أبو عمر غلام ثعلب وأبو بكر النقاش. وبقية القول سنبسطه في التعليق على كتاب تطهير الجنان فإنه به أليق

الأجر كما تقرر. وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم فئته المسلمين وساواهم بفئة الحسن في وصف الإسلام فدل على بقاء حرمة الإسلام للفريقين وأنهم لم يخرجوا بتلك الحروب عن الإسلام وأنهم فيه على حد سواء فلا فسق ولا نقص يلحق أحدهما لما قررناه من أن كلا منهما متأول تأويلا غير قطعي البطلان وفئة معاوية وإن كانت هي الباغية لكنه بغي لا فسق به لأنه إنما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه وتأمل أنه صلى الله عليه وسلم أخبر معاوية بأنه يملك وأمره بالإحسان تجد في الحديث إشارة إلى صحة خلافته وأنها حق بعد تمامها له بترول الحسن له عنها فان أمره بالاحسان المترتب على الملك يدل على حقيقة ملكه وخلافته وصحة تصرفه ونفوذ أفعاله من حيث صحة الخلافة لا من حيث التغلب لأن المتغلب فاسق معاقب لا يستحق أن يبشر ولا أن يؤمر بالاحسان فيما تغلب عليه بل إنما يستحق الزجر والمقت والإعلام بقبيح أفعاله وفساد أحواله. فلو كان معاوية متغلبا لأشار له صلى الله عليه وسلم إلى ذلك أو صرح له به فلما لم يشر له فضلا عن أن يصرح إلاّ بما يدل على حقية ما هو عليه علمنا أنه بعد نزول الحسن له خليفة حق وإمام صدق. ويشير إلى ذلك كلام أحمد. فقد أخرج البيهقي وابن عساكر عن ابراهيم بن سويد الأرمني قال قلت لأحمد بن حنبل من الخلفاء؟ قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي قلت فمعاوية قال لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي فأفهم كلامه أن معاوية بعد زمان علي -أي وبعد نزول الحسن له- أحق الناس بالخلافة. وأما ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن سعيد بن جمهان قال قلت لسفينة إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من أشر الملوك وأول الملوك معاوية فلا يتوهم منه أن لا خلافة لمعاوية، لأن معناه أن خلافته وإن كانت صحيحة إلاّ أنه غلب عليها مشابهة الملك لأنها خرجت عن سنن خلافة الخلفاء الراشدين في كثير من الأمور فهي حقة وصحيحة من حين نزول الحسن له واجتماع الناس أهل الحل والعقد عليه وتلك من حيث أنه وقع فيها أمور ناشئة عن اجتهادات

غير مطابقة للواقع لا يأثم بها المجتهد لكنها تؤخر عن درجات ذوي الاجتهادات الصحيحة المطابقة للواقع وهم الخلفاء الأربعة والحسن رضي الله عنهم فمن أطلق على ولاية معاوية أنها ملك أراد من حيث ما وقع في خلالها من تلك الاجتهادات التي ذكرناها ومن أطلق عليها أنها خلافة أراد أنه بنزول الحسن له واجتماع أهل الحل والعقد عليه صار خليفة حق مطاعا يجب له من حيث الطواعية والانقياد ما يجب للخلفاء الراشدين قبله.

ولا يقال ينظر ذلك فيمن بعده لأن أولئك ليسوا من أهل الاجتهاد بل منهم عصاة فسقة ولا يعدون من جملة الخلفاء بوجه بل من جملة الملوك بل من أشرارهم إلاّ عمر بن عبد العزيز فانه ملحق بالخلفاء الراشدين وكذلك ابن الزبير. وأما ما يستبيحه بعض المبتدعة من سبه ولعنه فله فيه أسوة أي أسوة بالشيخين وعثمان وأكثر الصحابة فلا يلتفت لذلك ولا يعول عليه فانه لم يصدر إلاّ من قوم حمقى جهلاء أغبياء طغاة لا يبالي الله بهم في أي واد هلكوا فلعنهم الله وخذلهم أقبح اللعنة والخذلان، وأقام على رؤسهم من سيوف أهل السنة وحججهم المؤيدة بأوضح الدلائل والبرهان، ما يقمعهم عن الخوض في تقيص أولئك الأئمة الأعيان، ولقد استعمل معاوية عمر وعثمان رضي الله عنهم وكفاه ذلك شرفا، وذلك أن أبا بكر لما بعث الجيوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان فلما مات أخوه يزيد استخلفه على دمشق فأقره ثم أقره عمر ثم عثمان وجمع له الشام كله فأقام أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة قال كعب الأحبار: لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية. قال الذهبي: توفي كعب قبل أن استخلف معاوية وصدق كعب فيما نقله فان معاوية بقى خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمر في الأرض بخلاف غيره ممن بعده فانه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك انتهى وفي إخبار كعب بذلك قبل استخلاف معاوية دليل على أن خلافته منصوص عليها في بعض كتب الله المنزلة فان كعبا كان حبرها فله من الاطلاع عليها والإحاطة بأحكامها ما

فاق سائر أحبار أهل الكتاب وفي هذا من التقوية لشرف معاوية وحقية خلافته بعد نزول الحسن له ما لا يخفى، وكان نزوله له عنها واستقراره فيها من ربيع الآخر أو جمادي الأولى سنة إحدى وأربعين فسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحد[١].

(اعلم) أن أهل السنة اختلفوا في تكفير يزيد بن معاوية وولي عهده من بعده فقالت طائفة إنه كافر لقول سبط ابن الجوزي وغيره المشهور: إنه لما جاءه رأس الحسين رضي الله عنه جمع أهل الشام وجعل ينكت رأسه بالخيزران وينشد أبيات الزبعري:

* ليت أشياخي ببدر شهدوا *

الأبيات المعروفة وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر، وقال ابن الجوزي فيما حكاه سبطه عنه ليس العجب من قتال ابن زياد للحسين وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثنايا الحسين وحمله آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على أقتاب الجمال، وذكر أشياء من قبيح ما اشتهر عنه. ورده الرأس إلى المدينة وقد تغيرت ريحه ثم قال: وما كان مقصوده إلاّ الفضيحة وإظهار الرأس، فيجوز أن يفعل هذا بالخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية وأضغان بدرية، لاحترم الرأس لما وصل اليه وكفنه ودفنه وأحسن ألى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وقالت طائفة ليس بكافر لأن الأسباب الموجبة للكفر لم يثبت عندنا منها شيء والأصل بقاؤه على إسلامه حتى يعلم ما يخرجه عنه

---

(١) قال أبو بكر بن العربي في العواصم عند الكلام على حديث (**الخلافة ثلاثون**). وهذا حديث لا يصح ولو صح فهو معارض ثم قال: فان قيل ألم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية. قلنا كثير ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال وهي أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها لما رأى من حسن سيرته وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور وإصلاح الجند والظهور على العدو وسياسة الخلق. وقد شهد له في صحيح الحديث بالفقه وشهد بخلافته في حديث أم حرام أن ناسا من أمته يركبون ثبج البحر الأخضر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة. وكان ذلك في ولايته

وما سبق أنه المشهور يعارضه ما حكي أن يزيد لما وصل اليه رأس الحسين قال رحمك الله يا حسين لقد قتلك رجل لم يعرف حق الأرحام وتنكر لابن زياد وقال قد زرع لي العداوة في قلب البر والفاجر ورد نساء الحسين ومن بقي من بنيه مع رأسه إلى المدينة ليدفن الرأس بها وأنت خبير بأنه لم يثبت موجب واحدة من المقالتين والأصل أنه مسلم فنأخذ بذلك الأصل حتى يثبت عندنا ما يوجب الإخراج عنه ومن ثم قال جماعة من المحققين إن الطريقة الثابتة القويمة في شأنه التوقف فيه وتفويض أمره إلى الله سبحانه لأنه العالم بالخفيات والمطلع على مكنونات السرائر وهواجس الضمائر، فال نتعرض لتكفيره أصلا لأن هذا هو الأحرى والأسلم، وعلى القول بأنه مسلم فهو فاسق شرير سكير جائر كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقد أخرج أبو يعلى في مسنده بسند لكنه ضعيف عن أبي عبيدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد**)، وأخرج الروياني في مسند عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (**أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد**)، وفي هذين الحديثين دليل أي دليل لما قدمته أن معاوية كانت خلافته ليست كخلافة من بعده من بني أمية فانه صلى الله عليه وسلم أخبر أن أول من يثلم أمر أمته ويبدل سنته يزيد، فافهم أن معاوية لم يثلم و لم يبدل وهو كذلك لما مر أنه مجتهد، ويؤيد ذلك ما فعله الإمام المهدي كما عبر به ابن سيرين وغيره وعمر بن عبد العزيز بأن رجلا نال من معاوية بحضرته فضربه ثلاثة أسواط مع ضربه لمن سمى ابنه يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطا كما سيأتي فتأمل فرقان ما بينهما وكان مع أبي هريرة رضي الله عنه علم من النبي صلى الله عليه وسلم بما مر عنه صلى الله عليه وسلم في يزيد فانه كان يدعو: اللّهمّ إني أعوذ بك من رأس الستين، وإمارة الصبيان، فاستجاب الله فتوفاه له سنة تسع وخمسين وكانت وفاة معاوية وولاية ابنه سنة ستين فعلم أبو هريرة بولاية يزيد في هذه السنة فاستعاذ منها لما علمه من قبيح أحواله بواسطة إعلام

الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بذلك، وقال نوفل بن أبي الفرات كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد فقال، قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فقال: تقول أمير المؤمنين فأمر به فضرب عشرين سوطا، ولإسرافه في المعاصي خلعه أهل المدينة فقد أخرج الواقدي من طرق أن عبد الله بن حنظلة ابن الغسيل قال والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء إن كان رجلا ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، وقال الذهبي ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله في عمره. وأشار بقوله ما فعل إلى ما وقع منه سنة ثلاث وستين فانه بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل لهم جيشا عظيما وأمرهم بقتالهم فجائوا اليهم وكانت وقعة الحرة على باب طيبة وما أدراك ما وقعة الحرة. ذكرها الحسن مرة فقال والله ما كاد ينجو منهم واحد، قتل فيها خلق من الصحابة ومن غيرهم فإنا لله وإنا إليه راجعون وبعد اتفاقهم على فسقه اختلفوا في جواز لعنه بخصوص اسمه، فأجازه قوم منهم ابن الجوزي ونقله عن أحمد وغيره فانه قال في كتابه المسمى بالرد على المتعصب العنيد، المانع من ذم يزيد سألني سائل عن يزيد بن معاوية فقلت له يكفيه ما به فقال: أيجوز لعنه فقلت قد أجازه العلماء والورعون منهم أحمد بن حنبل فانه ذكر في حق يزيد عليه اللعنة ثم روى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى الفراء أنه روى في كتابه المعتمد في الأصول باسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال قلت لأبي إن قوما ينسبوننا إلى تولى يزيد فقال يا بني وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله، ولم لا يلعن من لعنه الله في كتابه، فقلت وأين لعن الله يزيد في كتابه فقال في قوله تعالى (**فَهَلْ عَسَيْتُمْ اِنْ تَوَلَّيْتُمْ اَنْ تُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ وَتَقَطِّعُوا اَرْحَامَكُمْ * اُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ الله فَاَصَمَّهُمْ وَاَعْمَى اَبْصَارَهُمْ** * محمّد: ٢٢-٢٣) فهل يكون فساد أعظم من هذا القتل، وفي رواية فقال يا بني ما أقول في رجل لعنه الله في كتابه فذكره قال ابن الجوزي: وصنف القاضي أبو يعلى

كتابا ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيد ثم ذكر حديث من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا خلاف أن يزيد غزا المدينة بجيش وأخاف أهلها انتهى.

والحديث الذي ذكره رواه مسلم ووقع من ذلك الجيش من القتل والفساد العظيم والسبي وإباحة المدينة ما هو مشهور، حتى فض نحو ثلثمائة بكر وقتل من الصحابة نحو ذلك وممن قرأ القرآن نحو سبعمائة نفس وأبيحت المدينة أياما وبطلت الجماعة من المسجد النبوي أياما واختفت أهل المدينة أياما فلم يمكن أحدا دخول مسجدها حتى دخلته الكلاب والذئاب وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم. تصديقا لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرض أمير ذلك الجيش إلاّ بأن يبايعوه ليزيد على أنهم خوَل له إن شاء باع وإن شاء أعتق، فذكر له بعضهم البيعة على كتاب الله وسنة رسوله فضرب عنقه، وذلك في وقعة الحرة السابقة، ثم سار جيشه هذا إلى قتال ابن الزبير فرموا الكعبة بالمنجنيق وأحرقوها بالنار فأي شيء أعظم من هذه القبائح التي وقعت في زمنه ناشئة عنه، وهي مصداق الحديث السابق (**لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد**)، وقال آخرون لا يجوز لعنه إذ لم يثبت عندنا ما يقتضيه وبه أفتى الغزالي وأطال في الانتصار له وهذا هو اللائق بقواعد أئمتنا بما صرحوا به من أنه لا يجوز أن يلعن شخص بخصوصه إلاّ أن علم موته على الكفر كأبي جهل وأبي لهب وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا يجوز لعنه حتى إن الكافر الحي المعين لا يجوز لعنه لأن اللعن هو الطرد عن رحمة الله المستلزم لليأس منها وذلك إنما يليق بمن علم موته على الكفر وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا وإن كان كافرا في الحالة الظاهرة لاحتمال أن يختم له بالحسنى فيموت على الإسلام، وصرحوا أيضا بأنه لا يجوز لعن فاسق مسلم معين وإذا علمت أنهم صرحوا بذلك علمت أنهم مصرحون بأنه لا يجوز لعن يزيد وإن كان فاسقا خبيثا ولو سلمنا أنه أمر بقتل الحسين وسر به لأن ذلك خبث لم يكن عن استحلال

أو كان عنه لكن بتأويل ولو باطلا وهو فسق لا كفر، على أن أمره بقتله وسروره به لم يثبت صدوره عنه من وجه صحيح. بل كما حكي عنه ذلك حكى عنه ضده كما قدمته وأما ما استدل به أحمد على جواز لعنه من قوله (**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ** * النساء: ٥٢)، وما استدل به غيره من قوله صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم: (**وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**)، فلا دلالة فيهما لجواز لعن يزيد بخصوص اسمه والكلام إنما هو فيه وإنما الذي دل عليه جواز لعنه لا بذلك الخصوص وهذا جائز بلا نزاع ومن ثم حكي الاتفاق على أنه يجوز لعن من قتل الحسين رضي الله عنه أو أمر بقتله أو أجازه أو رضي به من غير تسمية ليزيد كما يجوز لعن شارب الخمر ونحوه من غير تعيين وهذا هو الذي في الآية والحديث إذ ليس فيهما تعرض للعن أحد بخصوص اسمه بل لمن قطع رحمه ومن أخاف أهل المدينة فيجوز اتفاقا أن يقال لعن الله من قطع رحمه ومن أخاف أهل المدينة ظلما وإذا جاز هذا اتفاقا لكونه ليس فيه تسمية أحد بخصوصه فكيف يستدل به أحمد وغيره على جواز لعن شخص معين بخصوصه مع وضوح الفرق بين المقامين، فاتضح أنه لا يجوز لعنه بخصوصه وأنه لا دلالة في الآية والحديث للجواز ثم رأيت ابن الصلاح من أكابر أئمتنا الفقهاء والمحدثين قال في فتاويه لما سئل عمن يلعنه لكونه أمر بقتل الحسين لم يصح عندنا أنه أمر بقتله رضي الله عنه، والمحفوظ أن الآمر بقتاله المفضي إلى قتله كرمه الله إنما هو عبيد الله بن زياد والي العراق إذ ذاك وأما سب يزيد ولعنه فليس شأن المؤمنين وإن صح أنه قتله أو أمر بقتله وقد ورد في الحديث المحفوظ أن لعن المسلم كقتله وقاتل الحسين رضي الله عنه لا يكفر بذلك وإنما ارتكب إثما عظيما وإنما يكفر بالقتل قاتل نبي من الأنبياء. والناس في يزيد ثلاث فرق: فرقة تتولاه وتحبه، وفرقة تسبه وتلعنه وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه وتسلك به مسلك سائر ملوك الإسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك، وهذه الفرقة هي المصيبة ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين؛ ويعلم قواعد الشريعة المطهرة جعلنا الله من أخيار أهلها آمين

انتهى لفظه بحروفه وهو نص فيما ذكرته وفي الأنوار من كتب أئمتنا المتأخرين. والباغون ليسوا بفسقة ولا كفرة ولكنهم مخطئون فيما يفعلونه ويذهبون اليه، ولا يجوز الطعن في معاوية لأنه من كبار الصحابة، ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره، فانه من جملة المؤمنين، وأمره إلى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، قاله الغزالي والمتولي وغيرهما.

قال الغزالي وغيره: ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فانه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين، تلقى الأئمة الدين عنهم رواية، ونحن تلقيناه من الأئمة دراية، فالطاعن فيهم مطعون طاعن في نفسه ودينه قال ابن الصلاح والنووي الصحابة كلهم عدول، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم مائة ألف وأربعة عشر ألف صحابي عند موته صلى الله عليه وسلم والقرآن والأخبار مصرحان بعدالتهم وجلالتهم ولما جرى بينهم محامل لا يحتمل ذكرها هذا الكتاب انتهى ملخصا وما ذكره من حرمة رواية قتل الحسين وما بعدها لا ينافي ما ذكرته في هذا الكتاب لأن هذا البيان الحق الذي يجب اعتقاده من جلالة الصحابة وبراءتهم من كل نقص، بخلاف ما يفعله الوعاظ الجهلة فانهم يأتون بالأخبار الكاذبة الموضوعة ونحوها ولا يبينون المحامل والحق الذي يجب اعتقاده فيوقعون العامة في بغض الصحابة وتنقيصهم بخلاف ما ذكرناه، فانه لغاية إجلالهم وتنزيههم هذا.

وقد بتر عمر يزيد لسوء ما فعله واستجابة لدعوة أبيه فانه ليم على عهده اليه فخطب وقال اللّهمّ إن كنت إنما عاهدت ليزيد لما رأيت من فعله، فبلغه ما أملته وأعنه، وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده وإنه ليس لما صنعت به أهلا فأقبضه قبل أن يبلغ ذلك فكان كذلك لأن ولايته كانت سنة ستين ومات سنة أربع وستين لكن عن ولد شاب صالح عهد اليه فاستمر مريضا إلى أن مات ولم يخرج إلى الناس ولا صلى بهم ولا أدخل نفسه في شيء من الأمور وكانت مدة خلافته أربعين يوما

وقيل شهرين وقيل ثلاثة أشهر. ومات عن إحدى وعشرين سنة وقيل عشرين ومن صلاحه الظاهر أنه لما ولى صعد المنبر فقال إن هذه الخلافة حبل الله وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه عليّ بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهينا بذنوبه، ثم قلد أبي الأمر وكان غير أهل له ونازع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصف عمره وانبتر عقبه وصار في قبره رهينا بذنوبه، ثم بكى وقال: إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباح الخمر وخرّب الكعبة.

ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلد مرارها فشأنكم أمركم، واللهِ لئن كانت الدنيا خيرا فقد نلنا منها حظا، ولئن كانت شرا فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها، ثم تغيب في منزله حتى مات بعد أربعين يوما على ما مر، فرحمه الله أنصف من أبيه وعرف الأمر لأهله كما عرفه عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الصالح رضي الله عنه، فقد مر عنه أنه ضرب من سمى يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطا، ولعظيم صلاحه وعدله، وجميل أحواله ومآثره، قال سفان الثوري كما أخرجه عنه أبو داود في سننه: الخلفاء الراشدون خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. وإنما لم يعد الحسن وابن الزبير مع صلاحية كل منهما أن يكون منهم، بل مر النص على أن الحسن منهم، لقصر مدة الحسن ولأن كلا منهما لم يتم له من نفاذ الكلمة واجتماع الأمة ما تم لعمر بن عبد العزيز، وعن ابن المسيب أنه قال: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر وعمر وعمر، فقال له حبيب: هذا أبو بكر وعمر قد عرفناهما، فمن عمر؟ قال: إن عشت أدركته، وإن مت كان بعدك هذا مع كون ابن المسيب مات قبل خلافة عمر، والظاهر أنه اطلع على ذلك من بعض الصحابة الذين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بكثير ما يكون بعده كأبي هريرة وحذيفة، وكذا يقال فيما يأتي عن عمر من التبشير بعمر، وورد من طرق أن الذئاب في أيام خلافته

رعت مع الشاة فلم تعد عليها إلاّ ليلة موته، وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان يبشر به ويقول: من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا، أخرجه الترمذي في تاريخه، وكان بوجه عمر بن عبد العزيز شجة ضربته دابة في جبهته وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول: إن كنت أشج بني أمية؟ فصدق ظن أبيه فيه. وأخرج ابن سعد أن عمر بن الخطاب قال: ليت شعري من ذو السنن من ولدي يملؤها عدلا كما ملئت جورا. وأخرج ابن عمر قال: كنا نتحدث أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر، فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شامة. وكانوا يرون أنه هو حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز. وأخرج البيهقي وغيره من طرق عن أنس: ما صليت وراء إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من هذا الفتى، يعني عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة من جهة الوليد بن عبد الملك فانه لما ولى الخلافة بعهد أبيه إليه بها أمر عمر عليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، وأخرج ابن عساكر عن ابراهيم بن أبي عيلة قال: دخلنا على عمر بن عبد العزيز يوم العيد والناس يسلمون عليه ويقولون: تقبل الله منا ومنك يا أمير المؤمنين فيرد عليهم ولا ينكر عليهم، قال بعض الحفاظ الفقهاء من المتأخرين. وهذا أصل حسن للتهنئة بالعيد والعام والشهر انتهى، وهو كما قال، فان عمر بن عبد العزيز كان من أوعية العلم والدين، وأئمة الهدى والحق، كما يعلم ذلك من طالع مناقبه الجليلة ومآثره العلية وأحواله السنية، وقد استوفى كثيرا منها أبو نعيم وابن عساكر وغيرهما. ولولا خوف الإطالة والانتشار لذكرت منها غررا مستكثرة، لكن فيما أشرت إليه كفاية.

(ولنختم) هذا الكتاب بحكاية جليلة نفيسة فيها فوائد غريبة وهي. أن أبا نعيم أخرج بسند صحيح عن رباح بن عبيدة قال. خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ يتوكأ على يده، فقلت في نفسي إن هذا الشيخ جاف، فلما صلى ودخل لحقته فقلت. أصلح الله الأمير من الشيخ الذي كان يتكئ على يدك قال. يا

رباح رأيته؟ قلت نعم، قال ما أحسبك إلاّ رجلا صالحا، ذاك أخي الخضر أتاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة وأني أساعدك فيها، فرحمه الله ورضي عنه[١] وأنا أسأل الله المنان الوهاب أن يلحقني بعباده الصالحين، وأوليائه العارفين، وأحبابه المقربين، وأن يميتني على محبتهم، ويحشرني في زمرتهم، وأن يديم لي خدمة جناب آل محمد وصحبه، ويمن عليّ برضاه وحبه، ويجعلني من الهادين المهديين، ائمة أهل السنة والجماعة، العلماء والحكماء السادة القادة العاملين، إنه أكرم كريم، وأرحم رحيم، دعواهم فيها سبحانك اللّهمّ وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، سرا وعلنا يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والصلاة والسلام التامان الأكملان، على أشرف خلقك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته عدد خلقك، ورضاء نفسك، وزنة عرشك. ومداد كلماتك، كلما ذكرك وذكره

---

(١) ذكر النووي في تهذيب الأسماء أن أكثر العلماء على أن الخضر حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح وحكاياتهم في رؤيته والإجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر وذكر أن ابن الصلاح أفتى بأنه حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم وأن أبا إسحاق الثعلبي قال الخضر على جميع الأقوال نبي معمر محجوب عن الأبصار - واجتماع الخضر بعمر بن عبد العزيز ذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة. وقال في الرواية التي أخرجها أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمر بن عبد العزيز انه أخرجها أيضا أبو عروبة الحراني في تاريخه. ويعقوب بن سفيان بسند قال فيه ابن حجر هذا أصلح إسناد وقفت عليه في هذا الباب وذكر أن الحافظ العراقي رجع عن القول بعدم حياته وأنه أدرك من كان يجتمع به ومنهم علم الدين البساطي المالكي قاضي لمالكية زمن الظاهر برقوق وللحافظ رسالة تسمى بالروض النضر بأنباء الخضر يميل فيها إلى القول بحياته

الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون.

(تتمة) لما فرغت من هذا الكتاب أعني الصواعق المحرقة رأيت -بعد أربع عشرة سنة وقد كتب منه من النسخ ما لا أحصي، ونقل إلى أقاصي البلدان والأقاليم كافصى الغرب وما وراء النهر، سمرقند وبخارى وكشمير وغيرها والهند واليمن- كتابا في مناقب أهل البيت، فيه زيادات على ما مر لبعض الحفاظ من معاصري مشايخنا وهو الحافظ السخاوي، وكان يمكن إلحاق زياداته لقلتها علي حواشي السنخ لكن لتفرقها تعذر ذلك فأردت أن ألخص هذا الكتاب مع زيادات في ورقات إن افردت فهي كافية في التنبيه على كثير من مآثرهم وإن ضمت لهذا الكتاب فهي مؤكدة تارة ومؤسسة أخرى (فأقول) إعلم أنه أشار في خطبة هذا الكتاب إلى بعض حط على ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للإمام الحافظ المحب الطبري، بأن فيه كثيرا من الموضع والمنكر فضلا عن الضعيف ثم نقل عن شيخه الحافظ العسقلاني أنه قال في حق المحب الطبري. إنه كثير الوهم في عزوه للحديث مع كونه لم يكن في زمنه مثله، ثم ذكر مقدمة في بيان فروع بني هاشم وفروع بني المطلب ولا حاجة لنا بذلك لأنه معروف مشهور أكثره، ولأن الغرض إنما هو ذكر ما يختص بآل البيت المطهر وفيه أبواب:

باب
(وصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم)

قال صلى الله عليه وسلم: **(ألا إن عيبتي التي آوى إليها أهل بيتي وإن كرشي الأنصار فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم)** حديث حسن وفي رواية، **(ألا إن عيبتي وكرشي أهل بيتي والأنصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم)** أي إنهم جماعتي وأصحابي الذين أثق بهم وأطلعهم على أسراري واعتمد عليهم. وكرشي باطني وعيبتي ظاهري وجمالي. وهذا غاية في التعطف عليهم والوصية بهم، ومعنى وتجاوزوا عن مسيئهم اقيلوهم عثراتهم فهو كحديث **(أقيلوا**

ذوي الهيآت) وصح من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر قوله تعالى (**قُلْ لاَ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** * الشورى: ٢٣) بأن المراد منه أنه ما من بطن من قريش إلاّ وللنبي صلى الله عليه وسلم اليها ولادة وقرابة قريبة أي ان لم تؤمنوا بما جئت به وتتابعوني عليه فلا أسألكم مالا وإنما أسألكم أن تحفظوا القرابة التي بيني وبينكم فلا تؤذوني ولا تنفروا الناس عنّي صلة للرحم التي بيني وبينكم، إذ أنتم في الجاهلية كنتم تصلون الأرحام ولا تدعوا غيركم من العرب يكون أولى منكم بحفظي ونصرتي، وتبعه على ذلك جماعة من تلامذته وغيرهم، ولكن خالفه أجلهم تلميذه الإمام سعيد بن جبير ففسر بحضرته الآية بأن المراد: قل لا أسألكم أيها الناس مالا على ما بلغته اليكم وإنما الذي أسألكموه أن تصلوا قرابتي وتودوني فيهم، وكان ابن جبير مع ذلك يفسر الآية بالوجه الأول أيضا أي وهو التحقيق لأنها صالحة لكل منهما، لكن يؤيد الأول أن السورة مكية وقد رد ابن عباس على ابن جبير تفسيره ولم يرجع اليه، وجاء من طريق ضعيفة أن ابن عباس فسرها بما فسر به ابن جبير ورفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قالوا يا رسول الله –عند نزول الآية– من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟. قال: (**علي وفاطمة وابناهما**) وفي طريق ضعيف أيضا لكن لها شاهد مختصر صحيح أن سبب نزول الآية افتخار الأنصار بآثارهم الحميدة في الإسلام على قريش فأتاهم صلى الله عليه وسلم في مجالسهم فقال (**ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي**) قالوا: بلى يا رسول الله قال (**ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك، أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك**) فما زال يقول لهم حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ورسوله فنزلت الآية وفي طريق ضعيفة أيضا أن سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وليس في يده شيء فجمع له الأنصار مالا، فقالوا يا رسول الله إنك ابن أختنا وقد هدانا الله بك وتنوبك نوائب وحقوق وليس معك سعة فجمعنا لك من أموالنا ما تستعين به عليها فنزلت.

وكونه ابن أختهم جاء في الرواية الصحيحة لأن أم عبد المطلب من بني النجار منهم، وفي حديث سنده حسن (**ألا إن لكل نبي تركة ووضيعة وإن تركتي ووضيعتي الأنصار فاحفظوني فيهم**). ويؤيد ما مر من تفسير ابن جبير أن الآية في الآل، ما جاء عن علي كرم الله وجهه قال نزلت فينا في الرحم آية لا يحفظ مودتنا إلاّ كل مؤمن ثم قرأ الآية، وجاء ذلك عن زين العابدين أيضا فانه لما قتل أبوه الحسين كرم الله وجهه جئ به أسيرا فأقيم على درج دمشق فقال رجل من أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له زين العابدين: أقرأت القرآن؟ قال نعم فبين له أن الآية فيهم وأنهم القربى فيها فقال وإنكم لأنتم هم قال نعم أخرجه الطبراني.

(وأخرج) الدولابي أن الحسن كرم الله وجهه قال في خطبته: أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال لنبينا صلى الله عليه وسلم (**قُلْ لاَ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا** * الشورى: ٢٣) واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت، وأورد المحب الطبري أنه صلى الله عليه وسلم قال (**إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وإني سائلكم غدا عنهم**)، وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدة أحاديث منها حديث (**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما**) قال الترمذي حسن غريب، وأخرجه آخرون ولم يصب ابن الجوزي في إيراده في العلل المتناهية، كيف وفي صحيح مسلم وغيره في خطبته قرب رابغ مرجعه من حجة الوداع قبل وفاته بنحو شهر (**إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور**) ثم قال (**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**) ثلاثا، فقيل لزيد بن أرقم راويه، من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيتيه قال نساؤه من أهل

بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قيل ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم، قيل كل هؤلاء حرم الصدقة، قال نعم. وفي رواية صحيحة كأني قد دعيت فأجبت (**إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما آكد من الآخر: كتاب الله عز وجل وعترتي**). أي بالمثناة (**فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض**)، وفي رواية (**وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض سألت ربي ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم**)، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيا لا حاجة لنا ببسطها، وفي رواية آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم (**أخلفوني في أهلي**). وسماهما ثقلين إعظاما لقدرهما إذ يقال لكل خطير شريف ثقلا، أو لأن العمل بما أوجب الله من حقوقهما ثقيل جدا. ومنه قوله تعالى (**اِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** * المزمل: ٤) أي له وزن وقدر لأنه لا يؤدي إلاّ بتكليف ما يثقل وسمي الأنس والجن ثقلين لاختصاصهما بكونهما قطان الأرض وبكونهما فضلا بالتمييز على سائر الحيوان، وفي هذه الأحاديث سيما قوله صلى الله عليه وسلم (**انظروا كيف تخلفوني فيهما وأوصيكم بعترتي خيرا وأذكركم الله في أهل بيتي**) الحث الأكيد على مودتهم ومزيد الإحسان اليهم وإحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة، كيف وهم أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وعقيل وبنيه وبني جعفر، وفي قوله صلى الله عليه وسلم (**لا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم**) دليل على أن من تأهل منهم للمراتب العلية، والوظائف الدينية، كان مقدما على غيره ويدل له التصريح بذلك في كل قريش كما مر في الأحاديث الواردة فيهم، وإذا ثبت هذا لجملة قريش فأهل البيت النبوي الذين هم غرة فضلهم ومحتد فخرهم والسبب في تميزهم على غيرهم بذلك أحرى وأحق وأولى وسبق عن زيد بن

أرقم أن نساءه صلى الله عليه وسلم من أهل بيته ثم قال ولكن أهل بيته إلي آخره ويؤخذ منه أنهم من أهل بيته بالمعنى الأعم دون الأخص وهو من حرمت عليه الصدقة، ويؤيد ذلك خبر مسلم أنه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فادخله ثم الحسين فادخله ثم فاطمة فادخلها ثم علي فأدخله رضي الله عنهم ثم قال: (**اِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** * الأحزاب: ٣٣) وفي رواية: (**اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي**) وفي أخرى أن أم سلمة أرادت أن تدخل معهم فقال صلى الله عليه وسلم بعد منعه لها (**أنت على خير**)، وفي أخرى أنها قالت يا رسول الله وأنا فقال: (**وأنت من أهل البيت العام**) بدليل الرواية الأخرى قالت وأنا قال (**وأنت من أهلي**) وكذا قال صلى الله عليه وسلم لواثلة لما قال يا رسول الله وأنا فقال (**أنت من أهلي**) وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي (**سلمان منا آل البيت**) وهو ما صح فاتخذه لنفسك فعده منهم باعتبار صدق صحبته وعظيم قربه وولائه. وفي سند كل ما عدا رواية مسلم فقال، وفي رواية اسامة (**منا آل البيت ظهر البطن**) وروى احمد عن أبي سعيد الخدري أن الذين نزلت فيهم الآية النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة وابناهما رضي الله عنهم وكذا اشتمل صلى الله عليه وسلم بملاءة علي عمه العباس وبنيه رضي الله عنهم وقال (**يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه**) فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين آمين وحديث مسلم أصح من هذا واهل البيت فيه غير اهله في حديث العباس وبنيه والمذكور لما مر أن له اطلاقين اطلاقا بالمعنى الأعم وهو ما يشمل جميع الآل تارة والزوجات أخرى، ومن صدق في ولائه ومحبته أخرى وإطلاقا بالمعنى الأخص وهم من ذكروا في خبر مسلم وقد صرح الحسن رضي الله عنه بذلك فانه حين استخلف وثب عليه رجل من بني أسد فطعنه وهو ساجد بخنجر لم يبلغ منه مبلغا ولذا عاش بعده عشر سنين فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم

وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله عز وجل فيهم (**اِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) قالوا ولأنتم هم قال نعم، وقول زيد بن أرقم أهل بيته من حرم الصدقة هو بضم المهملة وتخفيف الراء والمراد بالصدقة فيه الزكاة وفسرهم الشافعي وغيره ببني هاشم والمطلب وعوضوا عنها خمس الخمس من الفئ والغنيمة المذكور في سورتي الأنفال والحشر إذ هم المراد بذي القربى فيهما، قال البيهقي وفي تخصيصه صلى الله عليه وسلم بني هاشم والمطلب باعطائهم سهم ذوي القربى وقوله صلى الله عليه وسلم (**إنما بنو هاشم والمطلب شيء واحد**)، فضيلة أخري، وهي أنه حرم عليهم الصدقة وعوضهم عنها خمس الخمس فقال (**إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**) قال وذلك يدل أيضا على أن آله الذين أمرنا بالصلاة عليهم معه هم الذين حرم الله عليهم الصدقة وعوضهم عنها خمس الخمس فالمسلمون من بني هاشم والمطلب يكونون داخلين في صلاتنا على آل نبينا صلى الله عليه وسلم في فرائضنا ونوافلنا وفيمن أمرنا بحبهم انتهى. وقصر مالك وأبو حنيفة رضي الله عنهما تحريم الزكاة على بني هاشم وعن أبي حنيفة جوازها لهم مطلقا وقال الطحاوي إن حرموا سهم ذوي القربى وأبو يوسف تحل من بعضهم لبعض ومذهب أكثر الحنفية والشافعي وأحمد حل أخذهم النفل. وهو رواية عن مالك وعنه حل أخذ الفرض دون التطوع لأن الذي فيه أكثر وأسند المحب الطبري خبر (**استوصوا بأهل بيتي خيرا فاني أخاصمكم عنهم غدا، ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار**) قال الحافظ السخاوي لم أقف له على أصل أعتمده، وصح عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال ارقبوا محمدا -أي احفظوا عهده ووده صلى الله عليه وسلم- في أهل بيته.

باب
الحث على حبهم والقيام بواجب حقهم

صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزي أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي**)[١] (وأخرج) البيهقي وغيره (**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته**)، وصح أن العباس قال: يا رسول الله إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال: (**والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله**)، وفي رواية لابن ماجة عن ابن عباس كنا نلقى قريشا وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (**ما بال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجال من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني**)، وفي أخرى عند أحمد وغيره (**حتى يحبهم لله ولقرابتي**) وفي أخرى للطبراني جاء العباس رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت -أي بقريش والعرب- فقال صلى الله عليه وسلم (**لا يبلغ الخير**) أو قال (**الإيمان عبد حتى يحبكم لله ولقرابتي أترجو سهلب**) أي حي من مراد (**شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب**)، وفي أخرى للطبراني أيضا (**يا بني هاشم إني قد سألت الله عز وجل لكم أن يجعلكم نجباء رحماء، وسألته أن يهدي ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم**) وإن العباس رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم: فقال يا رسول الله إني انتهيت إلى قوم يتحدثون فلما رأوني سكتوا وما ذاك إلاّ أنهم يبغضونا، فقال صلى الله عليه وسلم: أو قد فعلوها (**والذي نفسي**

---

(١) الحديث رواه الترمذي وقال حسن غريب والحاكم أيضا وقد سبق القول فيه

بيده لا يؤمن أحد حتى يحبكم لحبي أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب!) وفي حديث بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم خرج مغضبا فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (**ما بال رجال يؤذوني في أهل بيتي والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي**). وفي رواية للبيهقي وغيره بعضها سنده ضعيف وبعضها سنده واه أن نسوة عيرن بنت أبي لهب بأبيها فغضب صلى الله عليه وسلم واشتد غضبه فصعد المنبر ثم قال. (**أيها الناس ما لي أوذي في أهلي فو الله إن شفاعتي لتنال قرابتي**)، وفي رواية (**ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**)، وفي أخرى (**ما بال رجال يؤذونني في قرابي ألا من آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى**)، وروى الطبراني أن أم هانئ أخت علي رضي الله عنهما بدا قرطاها فقال لها عمر. إن محمدا لا يغني عنك من الله شيئا، فجاءت إليه فاخترته فقال صلى الله عليه وسلم (**تزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي وإن شفاعتي تنال صداء وحكما**) -أي وهما قبيلتان من عرب اليمن- وروى البزار أن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي لها ابن فصاحت فصبرها النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت ساكتة فقال لها عمر صراخك إن قرابتك من محمد صلى الله عليه وسلم لا تغني عنك من الله شيئا فبكت فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكرمها ويحبها فسألها فاخبرته بما قال عمر فأمر بلالا فنادى بالصلاة فصعد المنبر ثم قال. (**ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الاّ نسبي سببي فالها موصولة في الدنيا والآخرة**) الحديث بطوله وفيه ضعفاء، وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر (**ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله**) صلى الله عليه وسلم (**لا تنفع قومه يوم القيامة والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرطكم على الحوض**).

ولا ينافي هذه الأحاديث ما في الصحيحين وغيرهما أنه لما نزل قوله تعالى (**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ** * الشعراء: ٢١٤) خرج فجمع قومه ثم عم وخص بقوله. (**لا أغني عنكم من الله شيئا**) (**حتى قال يا فاطمة بنت محمد**). إما لأن هذه الرواية محمولة على من مات كافرا أو أنها خرجت مخرج التغليظ والتنفير أو أنها قبل علمه بأنه يشفع عموما وخصوصا.

وجاء عن الحسن رضي الله عنه أنه قال لرجل يغلو فيهم: ويحكم أحبونا لله فان أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فابغضونا. فقال له الرجل إنكم ذوو قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته. فقال ويحكم، لو كان الله نافعنا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا وإني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفن، وورد (**إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار**).

(وأخرج) أبو الفرج الأصبهاني إن عبد الله بن الحسن بن علي رضي الله عنهم دخل يوما على عمر بن عبد العزيز وهو حدث السن، وله وفرة فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه، ثم أخذ بعكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه، وقال اذكرها عندك للشفاعة فلما خرج ليم على ما فعل به فقال حدثني الثقة حتى كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها**) وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها قالوا فما غمزك بطنه وقولك ما قلت فقال إنه ليس أحد من بني هاشم إلاّ وله شفاعة، ورجوت أن أكون في شفاعة هذا، وروى الطبراني بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم قال (**الزموا مودتنا أهل البيت فانه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع أحدا عمله إلاّ بمعرفة حقنا**) (وأخرج) الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه (**أنت وشيعتك**) أي أهل بيتك ومحبوكم الذين لم يبتدعوا بسب أصحابي ولا بغير ذلك (**تردون على الحوض رواء مرويين مبيضة وجوهكم وأن**

عدوكم يردون عليّ ظماء مقمحين). وفي رواية (**إن الله قد غفر لشيعتك ولمحبي شيعتك**). وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم. قال (**اللّهمّ اغفر للعباس ولولده مغفرة ظاهرة وباطنة مغفرة لا تغادر ذنبا اللّهمّ اخلفه في ولده**). وكذا دعا صلى الله عليه وسلم بالمغفرة للأنصار ولأبنائهم وأبناء أبنائهم ولمن أحبهم، وروى المحب الطبري حديث (**لا يحبنا أهل البيت إلاّ مؤمن تقي ولا يبغضنا إلاّ منافق شقي**) (وأخرج) الديلمي (**من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبني ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي**)، وحديث (**أحبوا أهلي وأحبوا عليا فان من أبغض أحدا من أهلي فقد حرم شفاعتي**). قال ابن عدي وابن الجوزي موضوع وحديث (**حب آل محمد يوما خير من عبادة سنة**). وحديث (**حبي وحب آل بيتي نافع في سبع مواطن أهوالها عظيمة**) وحديث (**معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب**). قال الحافظ السخاوي واحسب الثلاثة غير صحيحة الاسناد وحديث (**أنا شجرة وفاطمة حملها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرها والمحبون أهل بيتي ورقها في الجنة حقا حقا**)، وحديث (**إن أهل شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والذنوب وجوههم كالقمر ليلة البدر**) موضوعات، وحديث (**من مات على حب آل محمد مات شهيدا مغفورا له تائبا مؤمنا مستكمل الإيمان يبشره ملك الموت بالجنة ومنكر ونكير يزفانه إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها وفتح له بابان إلى الجنة ومات على السنة والجماعة، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله**) أخرجه مبسوطا الثعلبي في تفسيره، قال الحافظ السخاوي وآثار الوضع كما قال شيخنا -أي الحافظ ابن حجر- لائحة عليه، وحديث (**من أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه كنت أنا وهو في عليين ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وكف يده فهو في الدرجة التي**

تليها، ومن أحبنا بقلبه وكف عنا لسانه ويده فهو في الدرجة التي تليها)، في سنده غال في الرفض وهالك كذاب.

(وأخرج) الطبراني وأبو الشيخ حديث: (**إن لله عز وجلّ ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دينه ولا دنياه**)، قلت وما هن؟ قال: (**حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي**). وأخرج أبو الشيخ أيضا والديلمي. (**من لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدى ثلاث. إما منافق وإما لزنية وإما حملت به أمه في غير طهر**)[١].

باب

(مشروعية الصلاة عليهم تبعا للصلاة على مشرفهم صلى الله عليه وسلم)

صح يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: (**قولوا اللّهمّ صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**) الحديث. وفي بقية الروايات كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ قال: (**قولوا اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد**) الحديث، ويستفاد من الرواية الأولى أن أهل البيت من جملة الآل أو هم الآل لكن صح ما يصرح بأنهم بنو هاشم والمطلب، وهم أعم من أهل البيت ومر أن أهل البيت قد يراد بهم الآل وأعم منهم. ومنه حديث أبي داود. (**من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللّهمّ صلّ على محمد النبي وأزوجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد**)، وجاء بسند ضعيف عن واثلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جمع فاطمة وعليا والحسن والسحين تحت ثوبه (**اللّهمّ قد جعلت صلاتك ومغفرتك ورحمتك ورضوانك على إبراهيم وآل إبراهيم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم**). وقال واثلة وكنت

(١) الحديث أخرجه البارودي وابن عدي والبيهقي كما في راموز الأحاديث وفيه الزنية بالتعريف وهي اسم الزنا

واقفا على الباب فقلت وعليّ بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال: (**اللّهمّ وعلى واثلة**).

(وأخرج) الدارقطني والبيهقي حديث (**من صلى صلاة ولم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه**)، وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي رضي الله عنه أن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لكنه ضعيف، فمستنده الأمر في الحديث المتفق عليه (**قولوا: اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد**)، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح، وبقى لهذه الأحاديث تتمات وطرق بينتها في كتابي الدر المنضود[١].

باب

(دعائه صلى الله عليه وسلم بالبركة في هذا النسل المكرم)

روى النسائي في عمل اليوم والليلة أن نفرا من الأنصار قالوا لعلي رضي الله عنه: لو كانت عندك فاطمة؟ فدخل رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم يعني ليخطبها فسلم عليه فقال (**ما حاجتك يا ابن أبي طالب؟**) قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**مرحبا وأهلا**) لم يزده عليها فخرج إلى الرهط من الأنصار وهم ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟ قال. ما أدري غير أنه قال لي مرحبا وأهلا، قالوا: يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب، فلما كان بعد ذلك بعد ما زوجه قال: (**يا علي لابد للعرس من وليمة**) قال سعد رضي الله عنه. عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار

---

(١) في القول البديع للسخاوي مذاهب العلماء في حكم الصلاة على غير الأنبياء وهي المنع مطلقا بالاستقلال أو بالتبع وهو عن مالك واختيار القرطبي وأبي المعالي من الحنابلة والجواز تبعا فقط عن أبي حنيفة ومع الكراهة عن أحمد والجواز مطلقا وهو صنيع البخاري وذكر تفصيل ابن القيم وهو جواز ذلك مطلقا على آل الرسول وأزواجه وذريته وعلى الملائكة وأهل الطاعة عموما والكراهة على علي غير هؤلاء على التعيين والحرمة إذا جعل شعارا له كما تفعل رافضة لعلي رضي الله عنه

آصعا من ذرة، قال فلما كان ليلة البناء قال لا تحدث شيئا حتى تلقاني فدعا صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي وفاطمة رضي الله عنهما وقال: (**اللّهمّ بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما**) ورواه آخرون مع حذف بعضه.

باب
(بشارتهم بالجنة)

مر في الباب الثاني عدة أحاديث في أن لهم منه صلى الله عليه وسلم شفاعة مخصوصة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار**)، أخرجه تمام في فوائده والبزار والطبراني بلفظ (**فحرمها الله وذريتها على النار**)، وجاء عن علي بسند ضعيف قال شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدا في الناس فقال: (**أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا**). وفي رواية سندها ضعيف جدا أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي: (**إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا**). وروى ابن السدي والديلمي في مسنده: (**نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلي وجعفر ابنا أبي طالب والحسن والحسين والمهدي**)[١]. وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**وعدني ربي في بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم**). وجاء بسند رواته ثقات أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة: (**إن الله غير معذبك ولا ولدك**)[٢] وفي رواية أنه صلى الله عليه

---

(١) الحديث في الجامع الصغير من رواية ابن ماجه والحاكم

(٢) الحديث أخرجه الطبراني وقال في مجمع الزوائد رجاله ثقات وتقدم القول في معناه

وسلم قال للعباس. يا عباس (**إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك**). وفي رواية: (**يا عم سترك الله وذريتك من النار**). وروى المحب الطبري والديلمي وولده بلا إسناد حديث (**سألت ربي أن لا يدخل النار أحدا من أهل بيتي فأعطاني ذلك**). وروى المحب عن علي قال. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول. (**اللّهمّ إنهم عترة رسولك فهب مسيئهم لمحسنهم وهبهم لي ففعل**)، قلت ما فعل؟ قال (**فعله ربكم بكم ويفعله بمن بعدكم**)، وفي حديث قال السخاوي. (**لا يصح يا علي إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فابشر فانك الأنزع البطين**)، وروى أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبيا لو أخذت بخلقه الجنة ما بدأت إلاّ بكم**). وفي حديث سنده ضعيف (**أول من يرد على حوضي أهل بيتي ومن أحبني من أمتي**)، وصح (**أول الناس يرد على الحوض فقراء المهاجرين الشعث**).

(وأخرج) الطبراني والدارقطني وغيرهما (**أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي الأقرب فالأقرب ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني ثم اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم**) وفي رواية للبزار والطبراني وابن شاهين وغيرهم. (**أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف**).

باب

(الأمان ببقائهم)

(أخرج) جماعة بسند ضعيف خبر: (**النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي**) وفي رواية لأحمد وغيره (**النجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض وصح. النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف**) أي المؤدي لاستئصال الأمة (**فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا**

فصاروا حزب إبليس). وجاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا (**مثل أهل بيتي)** وفي رواية (**إنما مثل أهل بيتي)** وفي أخرى (**إن مثل أهل بيتي)** وفي رواية (**ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)**. وفي رواية (**من ركبها سلم ومن تركها غرق، وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له)**. وجاء عن الحسين كرم الله وجهه. (**من أطاع الله من ولدي واتبع كتاب الله وجبت طاعته)** وعن ولده زين العابدين رضي الله عنهما (**إنما شيعتنا من أطاع الله وعمل مثل أعمالنا)**. وعن المحب الطبري لأبي سعيد في شرف النبوة بلا إسناد حديث (**أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا. فمن تمسك بها اتخذ إلى ربه سبيلا)**. وأورد أيضا بلا إسناد حديث (**في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)** الحديث، وأشهر منه الحديث المشهور. (**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه)** إلى آخره وهذا هو مستند ابن عبد البر وغيره أن كل من حمل العلم و لم يتكلم فيه بجرح فهو عدل.

باب
(خصوصياتهم الدالة على عظيم كراماتهم)

جاء من طرق بعضها رجاله موثقون أنه صلى الله عليه وسلم قال. (**كل سبب ونسب منقطع)** وفي رواية (**ينقطع يوم القيامة إلاّ)** وفي رواية (**ما خلا سببي ونسبي يوم القيامة، وكل ولد أم)** وفي رواية (**وكل ولد أب فان عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم)**. وهذا الحديث رواه عمر رضي الله عنه لعلي رضي الله عنهما لما خطب منه بنته أم كلثوم فاعتل بصغرها فقال. إني لم أرد الباءة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره ثم قال. فأحببت أن يكون لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب ونسب، ولما تزوجها قال للناس ألا تهنوني؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر الحديث.

وفي رواية (**كل سبب وصهر منقطع إلاّ سببي وصهري**)، وفي رواية في سندها ضعف (**لكل بني أم عصبة ينتمون اليه إلاّ ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم**). وفي رواية (**فأنا أبوهم وأنا عصبتهم**)، وجاء من طرق يقوي بعضها بعضا خلافا لما زعمه ابن الجوزي (**أن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وأن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب**). وفي هذه الأحاديث دليل ظاهر لما قاله جمع من محققي أئمتنا أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن أولاد بناته ينسبون إليه في الكفاءة وغيرها أي حتى لا يكافئ بنت شرف ابن هاشمي غير شريف وأولاد بنات غيره إنما ينسبون لآبائهم لا إلى آباء أمهاتهم وفي البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر وهو ينظر للناس مرة وللحسن مرة. (**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين**). قال البيهقي، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم ابنه حين ولد وسمى إخوته بذلك وعن الحسن بسند حسن. كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت منه تمرة فألقيتها في فيّ فأخذها بلعابها ثم قال: (**إنّا آل محمد لا تحل لنا الصدقة**).

(وأخرج) أبو داود والنسائي وابن ماجه وآخرون خبر (**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**) وفي أخرى لأحمد وغيره، (**المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة**)، وفي أخرى للطبراني (**المهدي منا يختم الدين بنا كما فتح**). وروى أبو داود في سننه عن علي كرم الله وجهه أنه نظر إلى ابنه الحسن رضي الله عنه فقال: إن ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلا، وفي رواية إن عيسى صلى الله عليه وسلم يصلي خلفه، وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (**منا أهل مبيت أربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي**)، ثم ذكر بعض وصف كل من الثلاثة الأول ثم قال: (**وأما المهدي فانه يملأ الأرض عدلا كما**

ملئت جورا وتأمن البهائم والسباع وتلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة). وهذا كحديث، (**المهدي من ولد العباس عمي**)، وكحديث (**هذا**) أي العباس عمي (**أبو الخلفاء وإن من ولده السفاح والمنصور والمهدي، يا عم بي فتح الله هذا الأمر ويختمه برجل من ولدك**)، سند كل منهما ضعيف، وعلى تقدير صحتهما لا ينافي كون المهدي من ولد فاطمة المذكور في الأحاديث التي هي أصح وأكثر. لأنه مع ذلك فيه شعبة من بني العباس كما أن فيه شعبة من بني الحسين، وأما هو حقيقة فهو من ولد الحسن كما مر عن علي كرم الله وجهه.

(وأخرج) ابن المبارك عن ابن عباس أنه قال: (**المهدي اسمه محمد بن عبد الله ربعة مشرب بحمرة يفرج الله به عن هذه الأمة كل كرب ويصرف بعدله كل جور، ثم يلي الأمر من بعده إثنا عشر رجلا، ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين، وآخر من غيرهم، ثم يموت فيفسد الزمان**)، وحديث (**لا مهدي إلاّ عيسى بن مريم**) معلول، أو المراد لا مهدي كامل على الاطلاق إلاّ عيسى، جاء في رواية أشبه الخلق به صلى الله عليه وسلم من أهل بيته ولده إبراهيم -وفي أخرى فاطمة- في الحديث والكلام والمشية وفي أخرى صحيحة الحسن أي في الوجه والنصف الأعلى وفي أخرى الحسين أي فيما بقي، وعد المهدي ممن أشبهوه صلى الله عليه وسلم وهم كثيرون أقواهم شبها جماعة من أهل البيت المطهر غلط قائله بما مر أنه يشبهه خلقا لا خلقا (وأخرج) الطبراني والخطيب حديث (**يقوم الرجل لأخيه عن مقعده إلاّ بني هاشم فانهم لا يقومون لأحد**) وجاء عن ابن عباس بسند ضعيف أنه قال (**نحن أهل البيت شجرة النبوة مختلف الملائكة وأهل بيت الرسالة، وأهل بيت الرحمة ومعدن العلم**). وعن علي بسند ضعيف أيضا قال (**نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء وحزبنا حزب الله عز وجل، والفئة الباغية حزب الشيطان، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا**).

باب
(إكرام الصحابة ومن بعدهم لأهل البيت)

صح عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لعلي كرم الله وجهه والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليّ أن أصل من قرابتي، وحلف عمر للعباس رضي الله عنهما أن إسلامه أحب اليه من إسلام أبيه لو أسلم لأن إسلام العباس أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتى زين العابدين ابن عباس فقال له مرحبا بالحبيب ابن الحبب، وصلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة فقربت له بغلة ليركبها فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه فقال له خل عنك يا ابن عم رسول الله، فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل البيت بيت نبينا وأتى عبد الله بن حسن بن حسين عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال له إذا كانت لك حاجة فأرسل أو اكتب بها إليّ فاني أستحيي من الله أن يراك على بابي، وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم في حاجة لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إليّ أن أقدمهما عليه، وكان ابن عباس إذا بلغه حديث عن صحابي ذهب اليه فاذا رآه قائلا توسد رداءه على بابه، فتسفي الريح التراب على وجهه حتى يخرج فيقول ألا أرسلت إليّ فآتيك، فيقول له ابن عباس أنا أحق أن آتيك.

ودخلت فاطمة بنت علي على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فبالغ في إكرامها وقال والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إليّ منكم ولأنتم أحب إليّ من أهلي. وعوتب أحمد في تقريبه لشيعي فقال سبحان الله رجل أحب قوما من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو ثقة، وكان إذا جاءه شريف بل قرشي قدمه وخرج وراءه. وضرب جعفر بن سليمان والي المدينة مالكا حتى حمل مغشيا عليه فدخل عليه فأفاق فقال: أشهدكم أني قد جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك

فقال خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي (ولما) دخل المنصور المدينة مكن مالكا من القود من ضاربه فقال أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلاّ وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله.

وقال رجل للباقر وهو بفناء الكعبة: هل رأيت الله حيث عبدته فقال: ما كنت أعبد شيئا لم أره، قال وكيف رأيته؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. وزاد على ذلك ما أبهر السامعين، فقال الرجل الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقارف الزهري ذنبا فهام على وجهه فقال له زين العابدين: قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك فقال الزهري الله أعلم حيث يجعل رسالاته فرجع إلى أهله وماله وكان هشام بن اسماعيل يؤذي زين العابدين وأهل بيته وينال من علي، فعزله الوليد وأوقفه للناس وكان أخوف ما عليه أهل البيت، فمر عليهم فلم يتعرض له أحد منهم فنادى الله اعلم حيث يجعل رسالاته.

باب

(مكافأته صلى الله عليه وسلم لمن أحسن اليهم)

(أخرج) الطبراني حديث (**من صنع إلى احد من ولد عبد المطلب يدا فلم يكافئه بها في الدنيا فعليّ مكافأته غدا إذا لقيني**). وجاء بسند ضعيف (**أربعة أنا لهم مشفع يوم القيامة المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في امورهم عندما اضطروا اليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه**)، وفي رواية في سندها كذاب (**من اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها إذا لقني يوم القيامة وحرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي**).

باب

(إشارته صلى الله عليه وسلم بما حصل لهم من الشدة بعده)

قال صلى الله عليه وسلم (**إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا وان أشد قومنا بغضا بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم**) وصححه الحاكم واعترض بأن فيه من ضعفه الجمهور (وأخرج) ابن ماجة أنه صلى الله عليه وسلم رأى فتية من بني هاشم فاغرورقت عيناه فسئل فقال (**إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا**) الحديث (وأخرج) ابن عساكر (**أول الناس هلاكا قريش وأول قريش هلاكا أهل بيتي**) وفي رواية فما بقاء الناس بعدهم قال (**بقاء الحمار إذا كسر صلبه**).

باب

(التحذير من بغضهم وسبهم)

مر خبر: (**من أبغض أحدا من أهل بيتي حرم شفاعتي**)، وحديث (**لا يبغضنا إلاّ منافق شقي**)، وحديث (**من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله**)؛ وقال الحسن من عادانا فلرسول الله صلى الله عليه وسلم عادى، وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال (**والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار**) وروى أحمد وغيره (**من أبغض أهل البيت فهو منافق**)؛ وفي رواية (**بغض بني هاشم نفاق**) وجاء عن الحسن بسند ضعيف إياك وبغضنا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلاّ ذيد عن الحوض يوم القيامة بسباط من النار**)، وفي رواية (**من ابغضنا أهل البيت حشره الله يهوديا وإن شهد أن لا إله إلاّ الله**) ولكن سندها مظلم ومن ثم حكم ابن الجوزي كالعقيلي بوضعها وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال (**يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثا أن يثبت قائمكم وان يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت الله أن يجعلكم كرماء نجباء رحماء فلو ان رجلا صفن**) أي من الصفن وهو صف القدمين (**بين الركن**

والمقام فصلى وصام ثم لقي الله وهو يبغض آل بيت محمد) صلى الله عليه وسلم (دخل النار)، وورد (من سب أهل بيتي فانما يرتد عن الله والإسلام ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله ومن آذاني في عترتي فقد آذى الله ان الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو اعان عليهم أو سبهم، يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة فمن بغاهم العواثر كبه الله عز وجل لمنخريه مرتين، من يرد هوان قريش أهانه الله، خمسة أو ستة لعنتهم وكل نبي مجاب الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمستحل محارم الله ولمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك للسنة).

خاتمة في أمور مهمة

أولها: يتعين ترك الانتساب اليه صلى الله عليه وسلم إلاّ بحق. ففي البخاري (إن من أعظم الفري أن يدعي الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه ما لم تر) الحديث، وروي أيضا (ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلاّ كفر)، وروي ايضا (من ادعى إلى غير أبيه فالجنة حرام عليه)، وفي رواية (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، وروى جماعة أحاديث أخر -أن ادعاء نسب بالباطل أو التبري منه كذلك كفر، أي للنعمة أو ان استحل أو يؤدي اليه- ومن هنا توقف كثير من قضاء العدل عن الدخول في الانساب ثبوتا أو انتفاء لا سيما نسب أهل البيت الطاهر المطهر. وعجيب من قوم يبادرون إلى اثباته بأدنى قرينة مرجحة مموهة يسئلون عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

ثانيها: اللائق بأهل البيت المكرم المطهر ان يجروا على طريقة مشرفهم وسنته صلى الله عليه وسلم اعتقادا وعملا وعبادة وزهدا وتقوى، ناظرين إلى قوله تعالى (**انَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ اَتْقيكُمْ** * الحجرات: ١٣) وإلى قول مشرفهم صلى الله عليه وسلم وقد سئل أي الناس أكرم قال (**أكرمهم عند الله أتقاهم لله**) ثم قال (**خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**). وقال ابن عباس ليس احد أكرم من أحد إلاّ بتقوى الله. وقال صلى الله عليه وسلم كما عند احمد لأبي ذر (**انظر فانك لست بخير**

من احمر ولا أسود إلاّ ان تفضله بتقوى الله). وله ولغيره **(يا ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأسود على احمر إلاّ بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم لله)**. وللطبراني **(المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلاّ بالتقوى)**، وصح على نزاع فيه أنه صلى الله عليه وسلم خطب الناس بمكة فكان من جملة خطبته **(يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية)**، أي بفتح أوله وكسره، **(وتعاظمها)** أي عطف تفسير، **(بآبائها، فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله، ورجل شقي هين على الله، إن الله يقول (يَآ أَيُّهَا النَّاسُ انَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا انَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ اَتْقَيكُمْ انَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** * الحجرات: ١٣) ثم قال: **(أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم)**، وفي رواية سندها حسن **(لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه)**، أي يدحرجه **(إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب)**. ولمسلم **(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)**، ولأحمد **(إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد، كلكم بنو آدم ليس لأحد على أحد فضل إلاّ بدين أو تقوى)**، ولابن جرير والعسكري **(الناس لآدم وحواء إن الله لا يسألكم عن أحسابكم يوم القيامة إلاّ عن أعمالكم إن أكركم عند الله أتقاكم)** ولابن لال والعسكري **(الناس كلهم كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية)** أي متساوون في الصور وإنما يتفاوتون بالأعمال **(فلا تصحبن أحدا لا يرى لك من الفضل ما ترى له)**. ولأبي يعلى وغيره **(كرم المؤمن دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه)**. وقال عمر المفتخر بآبائه بقوله أنا ابن بطحاء مكة كدئها وكدائها إن يكن لك دين فلك كرم وإن يكن لك عقل فلك مروءة وإن يكن لك مال فلك شرف وإلاّ فأنت والحمار سواء. وصح حديث **(من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)**. وروى الطبراني **(أن أهل بيتي يرون أنهم أولى الناس بي**

وليس كذلك **إن أولى الناس بي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا**). وروى الشيخان (**إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين**). زاد البخاري تعليقا (**ولكن لهم رحم سأبلها ببلالها**)، أي سأصلها بصلتها التي تنبغي لها، واقتصر الطبراني في معجمه الكبير بلفظ (**إن لبني طالب عندي رحما سأبلها ببلالها**)، وكذا وقعت هذه الرواية عند مسلم في صحيحه، وهي محمولة على غير المسلم منهم وإلاّ فمنهم علي وجعفر رضي الله عنهما وهما من أخص الناس به صلى الله عليه وسلم لما لهما من السابقة والتقدم في الإسلام ونصرة الدين بل في حديث ورد موقوفا ومرفوعا صالح المؤمنين علي كرم الله وجهه. قال النووي ومعنى الحديث إن وليي من كان صالحا وإن بعد مني نسبه وقال غيره المعنى إني لا أوالي أحدا بالقرابة وإنما أحب الله لما له من الحق الواجب على العباد وأحب صالح المؤمنين لوجه الله تعالى وأوالي من والى الإيمان والصلاح سواء كانوا من ذوي رحمي أم لا ولكن أرعى لذوي الرحم حقهم فأصل رحمهم. وهذا يؤيد ما ورد آل محمد كل تقي. ومن ثم لما قال هاشمي لأبي العيناء تغض عني وأنت تصلي عليّ في كل صلاة في قولك اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد قال له إني أريد الطيبين الطاهرين ولست منهم. ورؤي أنصاري في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قيل بما ذا قال بالشبه الذي بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم قيل له أنت شريف قال لا قيل فمن أين الشبه قال كشبه الكلب إلى الراعي. قال ابن العديم. راوي ذلك فأولته بانتسابه إلى الأنصار. وقال غيره أولته بانتسابه إلى العلم خصوصا علم الحديث لقوله صلى الله عليه وسلم (**أولى الناس بي أكثرهم عليّ صلاة**) إذ هم أكثر الناس عليه صلاة صلى الله عليه وسلم.

تنبيه: تمسك بالآية والأحاديث السابقة من لم يعتبر الكفاءة في النكاح؟ واعتبرها الجمهور. ولا شاهد فيما ذكر لأنه بالنسبة لما ينفع في الآخرة وليس كلامنا فيه إنما الكلام في أن النسب العلي هل يفتخر به ذوو العقول في الدنيا أو لا؛ ولا

شك في الافتخار به وأن من أجبرها وليها على نكاح غير مكافئ لها في النسب يعد ذلك بخسا لحقها وعارا عليها بل صلاح الذرية ينفع في الآخرة، فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (**اَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** * الطور: ٢١)، أنه قال إن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته يوم القيامة وإن كانوا دونه في العمل وصح عنه أيضا في قوله تعالى: (**وَكَانَ اَبُوهُمَا صَالِحًا** * الكهف: ٨٢)، أنه قال حفظا بصلاح أبويهما، وما ذكر عنهما صلاحا، وقال سعيد بن جبير: يدخل الرجل الجنة فيقول أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجي فيقال له إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت أعمل لي ولهم فيقال لهم ادخلوا الجنة، ثم قرأ (**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَآئِهِمْ وَاَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ** * الرعد: ٢٣)، فإذا نفع الأب الصالح مع أنه السابع كما قيل في الآية، عموم الذرية فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين بالنسبة إلى ذريته الطيبة الطاهرة المطهرة، وقد قيل إن حمام الحرم إنما أكرم لأنه من ذرية حمامتين عششتا على غار ثور الذي اختفى فيه صلى الله عليه وسلم عند خروجه من مكة للهجرة.

(وقد حكى) التقي الفاسي عن بعض الأئمة أنه كان يبالغ في تعظيم شرفاء المدينة النبوية على مشرفهم ومشرفها أفضل الصلاة والسلام، وسبب تعظيمه لهم أنه كان منهم شخص اسمه مطير مات فتوقف عن الصلاة عليه، لكونه كان يلعب بالحمام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه فاطمة ابنته الزهراء رضي الله تعالى عنها فأعرضت عنه فاستعطفها حتى أقبلت عليه وعاتبته قائلة له أما يسع جاهنا مطيرا (وحكى أيضا) في ترجمة صاحب مكة الشريف أبي نمى محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني أنه لما مات امتنع الشيخ عفيف الدين الدلاصي من الصلاة عليه فرأى في المنام فاطمة رضي الله عنها وهي بالمسجد الحرام والناس يسلمون عليها وأنه رام السلام عليها فأعرضت عنه ثلاث مرات فتحامل عليها وسألها عن سبب إعراضها عنه فقالت يموت ولدي ولا نصلي عليه فتأدب واعترف

بظلمه بعدم الصلاة عليه.

(وحكى) التقي المقريزي عن يعقوب المغربي أنه كان بالمدينة النبوية في رجب سنة سبع عشرة وثمانمائة، فقال له الشيخ العابد محمد الفارسي وهما بالروضة المكرمة: إني كنت أبغض أشراف المدينة بني حسين لتظاهرهم بالرفض، فرأيت وأنا نائم تجاه القبر الشريف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (**يا فلان**) باسمي، (**ما لي أراك تبغض أولادي**)، فقلت حاش لله ما أكرههم وإنما كرهت ما رأيت من تعصبهم على أهل السنة فقال لي مسألة فقهية. (**أليس الولد العاق يلحق بالنسب**) فقلت بلى يا رسول الله فقال: (**هذا ولد عاق**)، فلما انتبهت صرت لا ألقي من بني الحسين أحدا إلاّ بالغت في إكرامه (وحكى أيضا) عن الرئيس الشمس العمري قال: سار الجمال محمود العجمي المحتسب ونوابه وأتباعه وأنا معه إلى بيت السيد عبد الرحمن الطباطبي فاتسأذن عليه فخرج وعظم عليه مجئ المحتسب إليه فقال له: يا سيدي حاللني قال مما ذا يا مولانا فقال: إنك لما جلست البارحة عند السلطان الظاهر برقوق فوقي عز ذلك عليّ وقلت في نفسي كيف يجلس هذا فوقي فلما كان الليل رأيت في منامي النبي صلى الله عليه وسلم. فقال يا محمود أتأنف أن تجلس تحت ولدي فبكى الشريف عند ذلك وقال يا مولانا من أنا حتى يذكرني النبي صلى الله عليه وسلم وبكى الجماعة ثم سألوه الدعاء وانصرفوا.

(وحكى) التقي بن فهد الحافظ الهاشمي المكي قال جاءني الشريف عقيل بن هميل وهو من الأمراء الهواشم فسألني عشاء فاعتذرت إليه و لم أفعل، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة أو في غيرها فأعرض عني، فقلت كيف تعرض عني يا رسول الله وأنا خادم حديثك فقال كيف لا أعرض عنك ويأتيك ولد من أولادي يطلب العشاء فلم تعشه، قال فلما أصبحت جئت الشريف واعتذرت إليه وأحسنت إليه بما تيسر.

(وحكى) الجمال عبد الغفار الأنصاري المعروف بابن نوح عن أم نجم الدين

بن مطروح وكانت من الصالحات قالت: حصل لنا غلاء بمكة أكل الناس فيه الجلود وكنا ثمانية عشر نفسا فكنا نعمل مقدار نصف قدح نكتفي به فجاءنا أربع عشرة قفة من الدقيق ففرق زوجي عشرة على أهل مكة وأبقى لنا أربعة فنام فانتبه يبكي فقلت له ما بالك؟ قال رأيت الساعة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وهي تقول لي. يا سراج تأكل البر وأولادي جياع، فنهض وفرق ما بقي على الأشراف وبقينا بلا شيء وما كنا نقدر على القيام من الجوع (وحكى) المقريزي عن المعز بن العز قاضي الحنابلة وكان من جلساء الملك المؤيد أنه رأى نفسه كأنه بالمسجد النبوي وكأن القبر الشريف انفتح وخرج النبي صلى الله عليه وسلم وجلس على شفيره وعليه أكفانه وأشار إليّ بيده فقمت إليه حتى دنوت منه فقال لي: قل للمؤيد يفرج عن عجلان يعني ابن سعيد أمير المدينة وكان محبوسا سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة قال فصعدت للمؤيد وأخبرته وحلفت له أني ما رأيت عجلان هذا قط، فلما انقضى المجلس قام بنفسه إليّ مرماة النشاب ثم استدعى عجلان من البرج وأفرج عنه وأحسن اليه قال التقي المقريزي: وعندي عدة حكايات صحيحة مثل هذا في حق بني الحسن وبني الحسين فإياك والوقيعة فيهم وإن كانوا على أي حالة لأن الولد ولد على كل حال صلح أو فجر (قال) ومن غريب ما اتفق أن السلطان -ولم يعينه- كحل الشريف مرداح بن مقبل بن مختار بن مقبل بن محمد بن راجح بن ادريس بن حسن بن أبي عزيز بن قتادة بن أويس بن مطاعن الحسني حتى تفقأت حدقتاه وسالتا وورم دماغه وانتفخ وأنتن، فتوجه بعد مدة من عماه إلى المدينة ووقف عند القبر المكرم وشكا ما به وبات تلك الليلة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فمسح عينيه بيده الشريفة فأصبح وهو يبصر، وعيناه أحسن ما كانتا، واشتهر ذلك في المدينة ثم قدم القاهرة فغضب السلطان ظنا منه أن من سملوه حابوه فأقيمت عنده البينة العادلة بأنهم شاهدوا حدقتيه سائلتين وأنه قدم المدينة أعمى ثم أصبح يبصر، وحكى رؤياه فسكن ما عند السلطان.

وأخبرني بعض الأشراف الصالحين ممن أجمع على صحة نسبه وصلاحه وصلاح آبائه قال: كنت بالمدينة الشريفة فرأيت شريفا عند مكاس يأكل من طعامه ويلبس من ثيابه فاشتد إنكاري على ذلك الشريف وساء اعتقادي فيه فبت عقب ذلك فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في مجلس حافل، والناس محيطون به صاف وراء صف وأنا في جملة الواقفين داخل الحلقة وإذا أنا أسمع قائلا يقول بصوت عال أحضروا الصحف وإذا بأوراق على رسم ما يكتب فيها مراسيم السلاطين جئ بها ووضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، ووقف إنسان بين يديه يعرضها على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يعطيها لأربابها، كل من طلع اسمه يعطى صحيفته، قال: فأول صحيفة عظيمة أخرجت وإذا بذلك الشريف الذي أنكرت عليه ينادي باسمه فخرج من حشو الحلقة حتى انتهى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطى صحيفته فأخذها وولى فرحا مسرورا قال فذهب عن قلبي جميع ما كان فيه على ذلك الشريف واعتقدت فيه وعلمت بتقديمه على سائر الحاضرين، أي وبان أن أكله من طعام ذلك المكاس إنما كان للضرورة التي تحل أكل الميتة (ومن ذلك) ما أخبرني به بعض أكابر أشراف اليمن وصالحيهم لما وقع من أمير الحجاج الفاجر المفسد المذموم المخذول ما سولت له نفسه الخبيثة من الهجوم على السيد الشريف صاحب مكة محمد أبي نمى زاد ترقيه وعلوه، ببيته بمنى يوم عيد النحر ليقتله هو وأولاده في ساعة واحدة أعاذهم الله من ذلك فظفروا به وأرادوا قتله وجميع جنده لكنه أعني السيد أبا نمى خشي على الحجاج أن يقتلوا عن آخرهم فلا يفضل منهم عقال فأمسك عن قتاله ثم ذهب ليلة النفر إلى مكة والناس في أمر مريج فلم يزدد ذلك الجبار إلاّ طغيانا، فنادى أن الشريف معزول، فلما سمعت الأعراب بذلك سقطوا على الحجاج ونهبوا منهم أموالا لا تعد وعزموا على نهب مكة بأسرها واستئصال الحجاج؛ والأمير وجنده. فركب الشريف جزاه الله عن المسلمين خيرا واثخن في العرب الجراح وقتل البعض فخمدوا واستمر ذلك الجبار بمكة والناس في

أمر مريج بحيث عطلت أكثر مناسك الحج والجماعات وقاسوا من الخوف والشدة ما لم يسمع بمثله ثم رحل ذلك الجبار وهو يتوعد الشريف بأنه يسعى في باب السلطان في عزله وقتله وكان ذلك كله سنة ثمان وخمسين وتسعمائة، قال ذلك الشريف فخرجت من مكة في تلك الأيام إلى جدة وأنا في غاية الضيق والوجل على الشريف وأولاده والمسلمين فلما قربت من جدة قبيل الفجر نزلت أستريح ساعة حتى يفتح سورها فرأيت في النوم النبي صلى الله عليه وسلم ومعه علي كرم الله وجهه وفي يده عصا معوجة الرأس وكأنه يضرب عن السيد الشريف أبي نمى ويقول لي أخبره بأنه لا يبالي بهؤلاء وأن الله ينصره عليهم. فما مضت إلاّ مدة يسيرة وإذا الخبر أتى من باب السلطان نصره الله وأيده بغاية الاجلال والتعظيم للسيد الشريف، فنصره الله على ذلك المفسد ومن أغراه على ذلك وعاد أمر المسلمين إلى ما عهدوه من الأمر الذي لم يعهدوه في غير ولايته. وأخبرني بعض الناس أنه رأى يوم النحر في تلك الشدة السيد بركات والد أبي نمى وكان السيد بركات يترجم بالولاية راكبا فرسا عظيمة ومعه السيد الجليل عبد القادر الجيلاني على فرس أخرى فقال يا مولانا السيد بركات إلى أين أنت ذاهب في هذه الهمة العظيمة فقال إلى نصرة السيد أبي نمى، وكانت تلك الرؤية موافقة لهجوم ذلك الفاجر فخذله الله وخيبه ورأى الناس في هذه الوقعة العجيبة الغريبة من المنامات الشاهدة بسلامة السيد أبي نمى وأولاده ما لا يحصى فللّه الحمد على ذلك (وأخبرنا) أن بعض صلحاء اليمن حج بعياله في البحر فلما وصلوا جدة فتشهم المكاسون حتى تحت ثياب النساء فاشتد غضبه فتوجه إلى الله في صاحب مكة السيد محمد بن بركات رحمه الله تعالى فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعرض عنه فقال لم ذا يا رسول الله قال أما رأيت في الظلمة من هو أظلم من ابني هذا فانتبه مرعوبا وتاب إلى الله أن يتعرض لأحد من الأشراف وإن فعل ما فعل.

(وحكى) بعض الصالحين أن فاجرا بمصر أخذ شريفة قهرا ليفجر بها وكان

أخص الناس بالسلطان وأقربهم عنده قال فتحيرت لأن العشاء قد صليت و لم يبق إلاّ الإقدام على ذلك الأمر فتوسلت ببعض الصالحين فلم يمض إلاّ يسير وإذا الطلب جاء اليه من السلطان فأخذوه وخرجت الشريفة سالمة وكان في تلك الأخذة هلاك ذلك الفاجر عاجلا ببركة تلك الشريفة (وحكى) لي بعض طلبة العلم أن إنسانا بمدينة فاس ثبت عليه القتل فأمر به القاضي ليقتل فأرسل السلطان وهو يقول للقاضي لا تقتله فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**لا تقتلوه**) فقال القاضي لابد من قتله، فأراده في اليوم الثاني فأرسل السلطان يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قائلا ذلك ثانيا، فلم يسمع القاضي وأراد قتله في اليوم الثالث فأرسل السلطان يقول رأيت النبي قائلا ذلك ثالثا فغلب القاضي وقال لا نترك الشرع بالمنام وإن تكرر فذهب به ليقتل وإذا إنسان تبرر لولي الدم وقد كان الناس عجزوا فيه أن يعفو فلم يعف، فبمجرد أن كلمه العفو عفا، فبلغ السلطان فأمر بالرجل فأحضر إليه فقال أصدقني ما شأنك فقال نعم قتلت من أثبت على قتله لكني كنت أنا وهو على شرب، فأراد أن يفجر بشريفة فمنعته فلم يمتنع عنها إلاّ بقتله فقتلته دفعا عن الزنا بها، فقال له السلطان صدقت ولولا ذلك ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهو يقول لي: (**لا تقتلوه**).

(ثالثا) اللائق بواجب حقهم وتعظيمهم وتوقيرهم والتأدب معهم أن يترلوا منازلهم وأن يعرف لهم شرفهم وأن يتواضع لهم في المجالس فان لحبهم وإكرامهم أثرا بينا (منه) ما رواه النجم بن فهد والمقريزي، أن بعض القراء كان إذا مر بقبر تمرلنك قرأ: (**خُذُوهُ فَغَلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** * الحاقة: ٣٠-٣١)، وكررها قال: فبينا أنا نائم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس وتمرلنك إلى جانبه قال فنهرته وقلت إلى هنا يا عدو الله وأردت أن آخذ بيده وأقيمه من جانب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم دعه فانه كان يحب ذريتي فانتبهت فزعا وتركت ما كنت أقرؤه على قبره في الخلوة (وأخبر) الجمال المرشدي والشهاب

الكوراني أن بعض أبناء تمرلنك أخبر أنه لما مرض تمرلنك مرض الموت اضطرب في بعض الأيام اضطرابا شديدا فاسود وجهه وتغير لونه، ثم أفاق فذكروا له ذلك فقال إن ملائكة العذاب أتوني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اذهبوا عنه فانه كان يحب ذريتي ويحسن إليهم فذهبوا -وإذا نفع حبهم هذا الظالم الذي لا أظلم منه فكيف بغيره. وينبغي أن يزاد في إكرام عالمهم وصالحهم فقد روى أبو نعيم حديث (**إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى يجلس في مجالس الملوك**). وليحذر الافراط في حبهم فقد قال صلى الله عليه وسلم كما رواه أحمد بن منيع وأبو يعلى حديث: (**يا علي يدخل النار فيك رجلان محب مفرط**) أي بتخفيف الراء (**ومبغض مفرط**) أي بتشديد الراء (**كلاهما في النار**). وما أحسن قول زين العابدين رضي الله عنه وعن أهل بيته، يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا. وقال مرة أخرى يا أهل العراق أحبونا بحب الإسلام فما زال حبكم بنا حتى صار سبة وأثنى قوم عليه فقال لهم ما أجرأكم أو أكذبكم على الله نحن من صاحلي قومنا فحسبنا أن نكون من صالحي قومنا. وقال بعضهم سألته وجماعة من أهل البيت جلوس، هل فيكم من هو مفترض الطاعة؟ قالوا من قال إن فينا هذا فهو والله كذاب وقال الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم لرجل ممن يغلو فيهم: ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فابغضونا قولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به منكم.

(**فائدة**) دخل زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم على هشام بن عبد الملك فسلم عليه بالخلافة وتكلم فخشي منه فقال: أنت الراجي للخلافة المنتظر لها وكيف ترجوها وأنت ابن أمة؟ فقال يا أمير المؤمنين إن تعييرك إياي بأمي ليس صوابا فان شئت أجبتك وإن شئت أمسكت، قال بل أجب فما أنت وجوابك قال: إنه ليس أحد أعظم عند الله عز وجل من نبي بعثه الله رسولا، فلو كانت أم الولد تقصر به عن بلوغ الأنبياء والرسل لم يبعث الله إسماعيل بن

إبراهيم عليهما السلام وكانت أمه مع أم إسحاق كأمي مع أمك. ولم يمنعه ذلك أن يبعثه الله نبيا وكان عند ربه مرضيا، وكان أبا العرب وأبا لخير النبيين وخاتم المرسلين، والنبوة أعظم من الخلافة، وما علا رجل بأمه وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن علي بن أبي طالب ثم خرج مغضبا، ولما ولى السفاح ورد عليه رأس مروان ابن محمد بمصر وأن عبد الحميد الطائي نبش هشاما بالرصافة وصلبه وحرقه بالنار، خر لله ساجدا وقال: الحمد لله قد قتلت بالحسين بن علي رضي الله عنهما مائتين من بني أمية وصلبت هشاما بزيد بن علي وقتلت مروان بأخي إبراهيم انتهى.

(نقل) من كتاب المختار في مناقب الأخيار للشيخ الإمام العالم العلامة أبي السعادات ابن الأثير رحمة الله تعالى عليه، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خرج إلى اليمن قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال: فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس علما كثيرا، وأتت عليه أربعمائة سنة إلاّ عشر سنين فلما رآني قال: أحسبك حرميا قال أبو بكر قلت نعم أنا من أهل الحرم قال وأحسبك تيميا قلت نعم أنا من تيم بن مرة أنا عبد الله بن عثمان بن عامر قال بقيت لي فيك واحدة قلت ما هي؟ قال تكشف لي عن بطنك قلت لا أفعل، أو تخبرني قال أجد في العلم الصحيح الزكي الصادق أن نبيا يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل فأما الفتى فحواس غمرات ودفاع معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه الأيسر علامة وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة إلاّ ما خفي عليّ قال أبو بكر فكشفت له عن بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي، فقال أنت هو ورب الكعبة وإني متقدم اليك في أمر فاحذره قلت وما هو قال إياك والميل عن طريق الهدى وتمسك بالطريقة الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك فقال أبو بكر: فقضيت في اليمن غرضي ثم أتيت الشيخ أودعه فقال أحامل أنت عني أبياتا قلتها في ذلك النبي قلت نعم فأنشد يقول:

ألم تر أني قد وهنت معاشري * ونفسي قد أصبحت في الحي مامنا
حييت وفي الأيام للمرء عبرة * ثلاث مئين ثم تسعين آمنا

وذكر أبياتا عدة منها:

وقد خمدت مني شرارة قوتي * وألفيت شيخا لا أطيق الشواحنا
فما زلت أدعو الله في كل حاضر * حللت به سرا وجهرا معالنا
فحي رسول الله عني فانني * على دينه أحيا وإن كنت واكنا

وقال أبو بكر فحفظت وصيته وشعره وقدمت مكة وبعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءني عقبة بن أبي معيط وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وصناديد قريش فقلت لهم هل نابتكم نائبة أو ظهر فيكم أمر قالوا يا أبا بكر أعظم الخطب، وأجل النوائب يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي، ولولا أنت ما انتظرنا فاذ قد جئت فأنت الغاية والكفاية قال أبو بكر فصرفتهم على حس ومس وسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل إنه في متزل خديجة فقرعت عليه الباب فخرج إليّ فقلت يا محمد فقدت من منازل أهلك واقموك بالفتنة وترك دين آبائك وأجدادك، قال يا أبا بكر إني رسول الله اليك وإلى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك على ذلك قال الشيخ الذي لقيته باليمن فقلت فكم من مشايخ لقيت باليمن واشتريت وأخذت وأعطيت قال الشيخ الذي أفادك الأبيات فقلت ومن خبرك بها يا حبيبي قال الملك العظيم الذي نبأ الأنبياء قبلي قلت مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله قال أبو بكر فانصرفت ولا بين لابتيها أشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بي انتهى. قال سفيان الثوري من فضل عليا على أبي بكر وعمر فقد عابهما وعاب من فضله عليهما، وقال جابر بن عبد الله قال لي محمد بن علي عليه السلام يا جابر بلغني أن أقواما بالعراق يتناولون أبا بكر وعمر ويزعمون أهم يحبونا ويزعمون أني أمرقم بذلك فبلغهم أني إلى الله منهم برئ والذي نفسي بيده لو وليت لتقربت بدمائهم إلى الله عز وجلّ، وقال سليمان كنت عند عبد الله بن الحسين بن حسن

فقال له رجل أصلحك الله من أهل ملتنا أحد ينبغي أن نشهدك عليه بشرك، قال نعم الرافضة أشهد أنهم مشركون فكيف لا يكونون مشركين ولو سألتهم أأذنب النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا نعم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولو قلت لهم أأذنب علي رضي الله عنه لقالوا لا ومن قال ذلك عليه فقد كفر، وقال محمد بن علي بن الحسين من فضلنا على أبي بكر وعمر فقد برئ من سنة جدنا ونحن خصماؤه عند الله، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم (**سيأتي قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة أين لقيتهم فاقتلهم فانهم مشركون**)، قلت يا رسول الله وما العلامة فيهم قال: (**يقرظونك بما ليس فيك ويطعنون على السلف الأول**) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم (**يخرج قبل قيام الساعة قوم يقال لهم الرافضة برآء من الإسلام**) ثم يجب الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة عند الله بعد النبيين والمرسلين وأحقهم بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان وهو عتيق ابن أبي قحافة رضي الله عنه، ونعلم أنه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن على وجه الأرض أحد بالوصف الذي قدمنا ذكره على غيره رحمة الله عليه، ثم من بعده على هذا الترتيب والصفة أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الفاروق، ثم من بعدهما على هذا الترتيب والنعت عثمان بن عفان وهو أبو عبد الله وأبو عمر وذو النورين.

ثم على هذا النعت والصفة من بعدهم أبو الحسن علي بن أبي طالب وهو الأنزع البطين صهر رسول الله رب العالمين، صلوات الله ورحمته وبركاته عليه وعليهم أجمعين. فبحبهم ومعرفة فضلهم قام الدين وتمت السنة وعدلت الحجة ونشهد للعشرة بالجنة بلا شك ولا استثناء وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح فهؤلاء لا يتقدمهم أحد في الفضل والخير، ونشهد لكل من

شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأن حمزة سيد الشهداء وجعفرا الطيار في الجنة والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ونشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالرضوان والتوبة والرحمة من الله لهم ثم بعد ذلك نشهد لعائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها الصديقة الطاهرة المبرأة من السماء على لسان جبريل إخبارا من الله متلوا في كتابه مثبتا في صدور الأمة ومصاحفها إلى يوم القيامة وأنها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم فاضلة وأنها زوجته وصاحبته في الجنة وهي أم المؤمنين في الدنيا والآخرة فمن شك في ذلك أو طعن فيه أو توقف عنه فقد كذب بكتاب الله وشك فيما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعم أنه من عند غير الله قال الله تعالى: (**يَعِظُكُمُ اللهُ اَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ اَبَدًا اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** * النور: ١٧) فمن أنكر هذا فقد برئ من الإيمان، ونحب جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراتبهم ومنازلهم أولا فأولا ونترحم على أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان أخي أم حبيبة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم خال المؤمنين أجمعين كاتب الوحي ونذكر فضائله ونروي ما روي فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال ابن عمر رضي الله عنهما، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**يدخل عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة**) فدخل معاوية رضي الله عنه[١] فتعلم أن هذا موضعه ومترلته ثم تحب في الله من أطاعه وإن كان بعيدا منك وخالف مرادك في الدنيا وتبغض في الله من عصاه ووالى أعداءه وإن كان قريبا منك ووافق هواك.

---

(١) وبقية الحديث: ثم قال من الغد مثل ذلك فدخل معاوية فقال رجل يا رسول الله هذا هو. ثم قال: (**أنت مني يا معاوية وأنا منك ولتزاحمني على باب الجنة كهاتين السبابة والوسطى**) رواه الديلمي عن ابن عمر وابن الجوزي في الواهبات وقال: وفيه عبد الله بن دينار لا يحتج به وعنه عبد العزيز بن يحيى المروزي قال الذهبي في الميزان مجهول فكأنه سرقه فإنه ليس بصحيح وقال ابن الجوزي وقد روي في ضد هذا لكل أمة فرعون وفرعون هذه الأمة معاوية وهذا ساقط

(نقل) من كتاب الغنية لطالبي الحق عز وجل تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة القطب الرباني أبي صالح عبد القادر الجيلي نفعنا الله ببركته في الدنيا والآخرة وفيه وقد روي عن إمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمة الله عليه رواية أخرى، أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثبتت بالنص الجلي والإشارة وهو مذهب الحسن البصري، وجماعة من أصحاب الحديث رضي الله عنهم، وجه هذه الرواية ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**لما عرج بي سألت ربي عز وجلّ أن يجعل الخليفة من بعدي علي بن أبي طالب، فقالت الملائكة يا محمد إن الله يفعل ما يشاء، الخليفة من بعدك أبو بكر**)، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، (**الذي بعدي أبو بكر، لا يثبت بعدي إلاّ قليلا**)، وفيه ولا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم لأن إمامنا أحمد بن محمد بن حنبل رحمة الله عليه قال من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**أفشوا السلام بينكم تحابوا**)، ولا يجالسهم ولا يقرب منهم ولا يهنيهم في الأعياد وأوقات السرور ولا يصل عليهم إذا ماتوا ولا يترحم عليهم إذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم في الله عز وجل معتقدا محتسبا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكبير، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**من نظر إلى صاحب بدعة بغضا له في الله ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن استحقر صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة، ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل الله على محمد**) صلى الله عليه وسلم، عن أبي المغيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أبى الله عز وجل أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**)، وقال فضيل بن عياض رحمه الله تعالى: (**من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإيمان من قلبه، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت الله عز وجل أن يغفر له وإن قل عمله، وإذا رأيت مبتدعا في**

طريق فخذ طريقا أخرى)، وقال فضيل بن عياض رضي الله عنه سمعت سفيان بن عيينة رضي الله عنه يقول: من تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله عز وجل حتى يرجع، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم المبتدع فقال صلى الله عليه وسلم: **(من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا)**، يعني بالصرف الفريضة وبالعدل النافلة.

باب
(في التخيير والخلافة)

وكان خير الناس بعده وبعد المرسلين أبا بكر الصديق رضي الله عنه وقد تواترت بذلك الأحاديث المستفيضة الصحيحة التي لا تعتل المروية في الأمهات والأصول المستقيمة التي ليست بمعلولة ولا سقيمة. قال سبحانه: **(وَلاَ يَاْتَلِ اُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ** * النور: ٢٢) فنعته بالفضل. ولا خلاف أن ذلك فيه رضوان الله عليه، وقال سبحانه **(ثَانِيَ اثْنَيْنِ اِذْ هُمَا فِي الْغَارِ اِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ** * التوبة: ٤٠) فشهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة وحلاه بثاني اثنين كما قال علي كرم الله وجهه: من يكون أفضل من اثنين الله ثالثهما. وقال سبحانه **(وَالَّذِي جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ** * الزمر: ٣٣) لا خلاف وهو قول جعفر الصادق رضوان الله عليه، وقول علي كرم الله وجهه إن الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر. وأي منقبة أبلغ من هذا، ولما أخبرنا سبحانه وتعالى أنه لا يستوي السابقون ومن بعدهم بقوله سبحانه وتعالى **(لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ اَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ اُولَئِكَ اَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ اَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى** * الحديد: ١٠) والخبر في البخاري مسطور أن عقبة بن أبي معيط وضع رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عنقه وخنقه به فأقبل أبو بكر يعدو حول الكعبة ويقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله قال فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر فضربوه حتى لم يعرف أنفه من وجهه فكان أول من

جاهد قاتل ونصر دين الله وأنه الشخص الذي به قام الدين وظهر، وهو أول القوم إسلاما، وذلك ظاهر جلي. وقال جابر ابن عبد الله الأنصاري: كنا ذات يوم على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتذاكر الفضائل فيما بيننا إذ أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (**أفيكم أبو بكر؟**) قالوا لا قال: (**لا يفضلن أحد منكم على أبي بكر فانه أفضلكم في الدنيا والآخرة**). وخبر أبي الدرداء المشهور قال: رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أمشي أمام أبي بكر وقال (**يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك، ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر**)، ومن وجه آخر (**أتمشي بين يدي من هو خير منك**) فقلت يا رسول الله أبو بكر خير مني قال: (**ومن أهل مكة جميعا**)، قلت يا رسول الله أبو بكر خير مني ومن أهل مكة جميعا قال (**ومن أهل المدينة جميعا**) قلت يا رسول الله أبو بكر خير مني ومن أهل الحرمين قال (**ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بعد النبيين والمرسلين خيرا وأفضل من أبي بكر**).

ونذكر في كثير منها تخيير عمر بعده ثم عثمان ثم علي (فمن) ذلك خبر أبي عقال وقد رواه مالك وقد سأل عليا كرم الله وجهه وهو على المنبر من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم أنا وإلاّ فصمت أذناي إن لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلاّ فعميت وأشار إلى عينيه إن لم أكن رأيته -يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم- يقول (**ما طلعت الشمس ولا غربت على رجلين أعدل ولا أفضل**) -وروي ولا أزكى ولا خيرا- (**من أبي بكر وعمر**)، وقد روى محمد بن الحنفية قال: سألت والدي عليا وأنا في حجره فقلت يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر قلت ثم من قال ثم عمر ثم حملتني حداثة سني قلت ثم أنت يا أبتي فقال: أبوك رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، وخبر أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر خير أهل السماء وخير أهل الأرض وخير

الأولين وخير الآخرين إلاّ النبيين والمرسلين، وقال صلى الله عليه وسلم (**علي وفاطمة والحسن والحسين أهلي وأبو بكر وعمر أهل الله وأهل الله خير من أهلي**)، وقال صلى الله عليه وسلم (**لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح**)، وخبر عمار ابن ياسر رضي الله عنه المشهور قال قلت يا رسول الله أخبرني عن فضائل عمر فقال: (**يا عمار لقد سألتني عما سألت عنه جبريل عليه السلام فقال لي يا محمد لو مكثت معك ما مكث نوح في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاما أحدثك في فضائل عمر ما نفدت وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر وقال قال لي ربي عز وجل: لو كنت متخذا بعد أبيك إبراهيم خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولو كنت متخذا بعدك حبيبا لاتخذت عمر حبيبا**). نقل ذلك من تفسير القرآن العظيم للبغوي رحمه الله تعالى في آخر سورة الحشر في قوله تعالى (**وَالَّذِينَ جَآؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ** * الحشر: ١٠) يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان بالمغفرة فقال: (**يَقُولُونَ رَبنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِاخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْايمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ** -غشا وحسدا وبغضا- **لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبنَا انَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ** * الحشر: ١٠) فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة و لم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لأن الله رتب المؤمنين على ثلاث منازل: المهاجرين والذين تبوؤا الدار والإيمان والذين جاؤا من بعدهم، فاجتهد أن لا تكون خارجا من أقسام المؤمنين * قال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والإيمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه المنازل أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنبأنا أبو اسحاق الثعلبي أنبأنا عبد الله بن جليد حدثنا أحمد بن عبد الله بن سليمان حدثنا ابن نمير حدثنا أبي عن اسماعيل بن ابراهيم عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: (**لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن**

آخرها أولها). قال مالك بن معرور قال عامر بن شراحيل الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالت أصحاب موسى عليه السلام وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا حواري عيسى عليه السلام وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم حجة ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حججهم أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة قال مالك بن أنس من ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء ثم تلا: (**مَآ اَفَآءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ اَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ** * الحشر: ٧) حتى أتى هذه الآية (**لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ اُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَاَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ اُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالاِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ اِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّآ اُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى اَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَآؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَنَا اغْفِرْ لَنَا وَلاِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْاِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَنَا اِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ** * الحشر: ٨-١٠) (نقل البغوي) رحمه الله في قوله: (**ثَانِيَ اثْنَيْنِ**) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: (**أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض**) قال الحسن بن الفضل من قال إن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لإنكار نص القرآن وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا لا كافرا. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا.

(خاتمة)

قال شيخ الإسلام مجتهد عصره التقي السبكي رحمه الله ورضي عنه: كنت بالجامع الأموي ظهر يوم الاثنين سادس عشر جمادي الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأحضر إليّ شخص شق صفوف المسلمين في الجامع وهم يصلون الظهر و لم يصل وهو يقول لعن الله من ظلم آل محمد وهو يكرر ذلك فسألته من هو؟ فقال أبو بكر قلت أبو بكر الصديق قال أبو بكر وعمر وعثمان ويزيد ومعاوية، فأمرت بسجنه وجعل غل في عنقه، ثم أخذه القاضي المالكي فضربه وهو مصر على ذلك وزاد فقال: إن فلانا عدو الله شهد عليه عندي بذلك شاهدان وقال: إنه مات على غير الحق وأنه ظلم فاطمة ميراثها وأنه -يعني أبابكر- كذب على النبي صلى الله عليه وسلم في منعه ميراثها وكرر عليه المالكي الضرب يوم الاثنين ويوم الأربعاء الذي يليه وهو مصر على ذلك ثم أحضروه يوم الخميس بدار العدل وشهد عليه في وجهه فلم ينكر و لم يقر ولكن صار كلما سئل يقول إن كنت قلت فقد علم الله تعالى فكرر السؤال عليه مرات وهو يقول هذا الجواب، ثم أعذر عليه فلم يبد دافعا ثم قيل له: تب فقال تبت عن ذنوبي وكرر عليه الاستتابة وهو لا يزيد في الجواب على ذلك، فطال البحث في المجلس على كفره وعدم قبول توبته، فحكم نائب القاضي بقتله فقتل، وسهل عندي قتله ما ذكرته من هذا الاستدلال فهو الذي انشرح صدري لتكفيره بسببه ولقتله لعدم توبته وهو مترع لم أجد غيري سبقني إليه إلاّ ما سيأتي في كلام النووي وضعفه، وأطال السبكي الكلام في ذلك. وها أنا أذكر حاصل ما قاله مع الزيادة عليه مما يتعلق بهذه المسألة وتوابعها منبها على ما أزيده بأي ونحوها فأقول: ادعى بعض الناس أن هذا الرجل الرافضي قتل بغير حق وشنع السبكي في الرد على مدعي ذلك بحسب ما ظهر له ورآه مذهبا وإلاّ فمذهبنا كما ستعلمه أنه لا يكفر بذلك فقال: كذب من قال إنه قتل بغير حق بل قتل بحق، لأنه كافر مصر على كفره، وإنما قلنا إنه كافر لامور:

أحدها قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: من رمى رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إن كان كما قال وإلاّ رجعت عليه، ونحن نتحقق أن أبا بكر مؤمن وليس عدو الله ويرجع على هذا القائل ما قاله بمقتضى نص هذا الحديث للحكم بكفره، وإن لم يعتقد الكفر كما يكفر ملقي المصحف بقذر وإن لم يعتقد الكفر، وقد حمل مالك رضي الله عنه هذا الحديث على الخوارج والذين كفروا أعلام الأمة، فما استنبطته من هذا الحديث موافق لما نص عليه مالك، أي فهو موافق لقواعد مالك لا لقواعد الشافعي رضي الله عنهما على أنه سيعلم مما سيأتي عن المالكية المعتمد عندهم في ذلك. وهذا الحديث وإن كان خبر واحد إلاّ أن خبر الواحد يعمل به في الحكم بالتكفير. وإن كان جحده لا كفر به إذ لا يكفر جاحد الظني بل القطعي، وقول النووي رحمه الله: إن حمل مالك للحديث على الخوارج ضعيف لأن المذهب الصحيح عدم تكفيرهم، فيه نظر وإنما يتجه ضعفه إن لم يصدر منهم سبب مكفر غير الخروج والقتال ونحوه وأما مع التكفير لمن تحقق إيمانه فمن أين للنووي ذلك انتهى. ويجاب بأن نص الشافعي رضي الله عنه وهو قوله أقبل شهادة أهل البدع والأهواء إلاّ الخطابية صريح فيما قاله النووي مع أن المعنى يساعده، وأيضا فتصريح أئمتنا في الخوارج بأنهم لا يكفرون وإن كفرونا لأنه بتأويل فله شبهة غير قطعية البطلان صريح فيما قاله النووي ويؤيده قول الأصولين إنما لم تكفر الشيعة والخوارج لكونهم كفروا أعلام الصحابة المستلزم لتكذيبه صلى الله عليه وسلم في قطعه لهم بالجنة لأن أولئك المكفرين لم يعلموا قطعا تزكية من كفروه على الإطلاق إلى مماته وإنما يتجه لكفرهم أن لو علم ذلك لأنهم حينئذ يكونون مكذبين له صلى الله عليه وسلم، وبهذا تعلم أن جميع ما يأتي عن السبكي إنما هو اختيار له مبني على غير قواعد الشافعية وهو قوله جواب الأصوليين المذكور إنما نظروا فيه لعدم الكفر لأنه لا يستلزم تكذيبه صلى الله عليه وسلم، ولم ينظروا لما قلناه إن الحديث السابق دال على كفره، وقد قال إمام الحرمين وغيره: يكفر نحو الساجد

لصنم وإن لم يكذب بقلبه ولا يلزم على ذلك كفر من قال لمسلم يا كافر لأن محل ذلك في المقطوع بإيمانهم كالعشرة المبشرين بالجنة وعبد الله بن سلام ونحوهم بخلاف غيرهم لأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى اعتبار الباطن بقوله: إن كان كما قال وإلاّ رجعت عليه. نعم يلحق عندي وإن لم يذكر ذلك متكلم ولا فقيه بمن ورد النص فيهم من أجمعت الأمة على صلاحه وإمامته كابن المسيب والحسن وابن سيرين ومالك والشافعي.

(فان قلت) الكفر جحد الربوبية أو الرسالة وهذا المقتول مؤمن بالله ورسوله وآله وكثير من صحابته فكيف يكفر (قلت) التكفير حكم شرعي سببه جحد ذلك أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جحدا وهذا منه فهذا أحسن الأدلة في المسألة وينضم اليه خبر الحلية، **(من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب)**، والخبر الصحيح: **(لعن المؤمن كقتله)** وأبو بكر أكبر أولياء المؤمنين فهذا المأخذ الذي ظهر لي في قتل هذا الرافضي وإن كنت لم أتقلده لا فتوى ولا حكما وانضم إلى احتجاجي بالحديث السابق ما اشتملت عليه أفعال هذا الرافضي من إظهاره ذلك في الملإ وإصراره عليه وإعلانه البدعة وأهلها وغمصه السنة وأهلها وهذا المجموع في هذه الشناعة وقد يحصل بمجموع أمور حكم لا يحصل بكل واحد منها وهذا معنى قول مالك تحدث للناس أحكام بقدر ما يحدث لهم من الفجور ولسنا نقول تتغير الأحكام بتغير الزمان بل باختلاف الصورة الحادثة. فهذا نهاية ما انشرح صدري له بقتل هذا الرجل له وأما السب وحده ففيه ما قدمته وما سأذكره وإيذاؤه صلى الله عليه وسلم أمر عظيم إلاّ أنه ينبغي ضابط فيه وإلاّ فالمعاصي كلها تؤذيه ولم أجد في كلام أحد من العلماء أن سب الصحابي يوجب القتل إلاّ ما يأتي من إطلاق الكفر من بعض أصحابنا وأصحاب أبي حنيفة، ولم يصرحوا بالقتل، وقد قال ابن المنذر لا أعلم أحدا يوجب القتل بمن سب من بعد النبي صلى الله عليه وسلم انتهى، نعم حكي القتل عن بعض الكوفيين وغيرهم بل حكاه بعض الحنابلة رواية عن أحمد

وعندي أنهم غلطوا فيه لأنهم أخذوه من قوله شتم عثمان زندقة وعندي أنه لم يرد أن شتمه كفر، وإلاّ لم يكن زندقة لأنه أظهرها وإنما أراد قوله المروي عنه في موضع آخر من طعن في خلافة عثمان فقد طعن في المهاجرين والأنصار، يعني أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أقام ثلاثة أيام ليلا ونهارا يطوف على المهاجرين والأنصار ويخلو بكل واحد منهم رجالهم ونسائهم ويستشيرهم فيمن يكون خليفة حتى اجتمعوا على عثمان فحينئذ بايعه فمعنى كلام أحمد أن شتم عثمان في الظاهر شتم له وفي الباطن تخطئة لجميع المهاجرين والأنصار وتخطئة جميعهم كفر فكان زندقة بهذا الاعتبار فلا يؤخذ منه أن شتم أبي بكر وعمر كفر هذا لم ينقل عن أحمد أصلا فمن خرج من أصحابه رواية عنه مما قاله في شتم عثمان بقتل ساب أبي بكر مثلا لم يصنع شيئا والضابط أن كل شتم قصد به أذى النبي صلى الله عليه وسلم كما وقع من عبد الله بن أبي كفر وما لا فلا كما وقع من مسطح في قصة الإفك، وفي الحديث الصحيح (**لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**). وفي حديث رجاله ثقات وإن قال الترمذي إنه غريب. (**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**) وقوله: أصحابي الظاهر أن المراد بهم من أسلم قبل الفتح وأنه خطاب لمن أسلم بعده بدليل تفاوت الإنفاق فيه الموافق له قوله تعالى: (**لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ** * الحديد: ١٠) فلا بد من تأويل بهذا أو بغيره ليكون المخاطبون غير الأصحاب الموصى بهم فهم كبار الأصحاب وإن شمل اسم الصحبة الجميع، وسمعت شيخنا التاج بن عطاء الله متكلم الصوفية على طريق الشاذلية يذكر في وعظه تأويلا آخر هو أنه صلى الله عليه وسلم له تجليات يرى فيها من بعده فهذا خطاب لمن بعده في حق جميع الصحابة الذين قبل الفتح وبعده فان ثبت ما قاله فالحديث شامل لجميعهم وإلاّ فهو فيمن قبل الفتح

ويلحق بهم في ذلك من بعده فانه بالنسبة لغير الصحابة كالذين بعد الفتح بالنسبة لمن قبله؛ وعلى كلا التقديرين فالظاهر أن هذه الحرمة ثابتة لكل واحد منهم أي وكلام النووي وغيره صحيح في ذلك ثم الكلام إنما هو في سب بعضهم أما سب جميعهم فلا شك أنه كفر وكذا سب واحد منهم من حيث هو صحابي لأنه استخفاف بالصحبة فيكون استخفافا به صلى الله عليه وسلم. وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول الطحاوي بغضهم كفر فبغض الصحابة كلهم وبغض بعضهم من حيث الصحبة لا شك أنه كفر وأما سب أو بغض بعضهم لأمر آخر فليس بكفر حتى الشيخين رضي الله عنهما نعم حكى القاضي في كفر سابهما وجهين: وجه عدم الكفر أن سب المعين أو بغضه قد يكون لأمر خاص به من الأمور الدنيوية أو غيرها. كبغض الرافضي لهما فانه إنما هو جهة الرفض وتقديمه عليا واعتقاده بجهله أنهما ظلماه وهما مبرآن عن ذلك، فهو معتقد لجهله أن ينتصر لعلي لقرابته رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فعلم أن بغض الرافضي للشيخين إنما هو لما استقر في ذهنه لجهله، وما نشأ عليه من الفساد من اعتقاد ظلمهما لعلي وليس كذلك، ولا علي يعتقد ذلك قطعا، ومأخذ تكفير الرافضي بذلك أنه يعود من اعتقاده ذلك فيهما نقص على الدين لأنهما الأصل بعد النبي صلى الله عليه وسلم في إقامة الدين وإظهاره ومجاهدة المرتدين والمعاندين ومن ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم أي لأنه الذي رأى قتال المرتدين مع مخالفة أكثر الصحابة له حتى أقام عليهم الأدلة الواضحة على قتال المرتدين ومانعي الزكاة إلى أن رجعوا اليه وقاتلوهم بأمر فكشف الله به وبهم تلك الغمة وأزال عن الإسلام والمسلمين تلك المحنة.

(ثانيها) أعني الأمور الدالة على قتل ذلك الرافضي أنه استحل لعن الشيخين وعثمان رضي الله عنهم باقراره بذلك، ومن استحل ما حرم الله فقد كفر، ولعن الصديق وسبه محرمان، واللعنة أشد، وتحريم لعن الصديق معلوم من الدين بالضرورة،

لما تواتر عنه من حسن إسلامه وأفعاله الدالة على ايمانه، وأنه دام على ذلك إلى أن قبضه الله تعالى، هذا لا يشك فيه ولا يرتاب وإن شك فيه الرافضي، نعم شرط الكفر بجحد الضروري أن يكون ضروريا عند الجاحد حتى يستلزم جحده حينئذ تكذيبه صلى الله عليه وسلم، وليس الرافضي يعتقد تحريم لعن أبي بكر فضلا عن كونه يعتقد أن تحريمه ضروري، وقد ينفصل عنه بأن تواتر تحريم ذلك عند جميع الخلق يلغي شبهة الرافضي التي غلظت على قلبه، حتى لم يعلم ذلك، وهذا محل نظر وجدل، وميل القلب إلى بطلان هذا القدر أي باعتبار ما ظهر للسبكي وإلاّ فقواعد المذهب قاضية بقبول هذا القدر بالنسبة لعدم التكفير، لأنه إنما يسب أو يلعن متأولا وإن كان تأويله جهلا وعصبية وحمية لكن باب الكفر يحتاط فيه كما هو مقرر في محله.

(ثالثها) إن هذه الهيئة الاجتماعية التي حصلت من هذا الرافضي ومجاهرته ولعنه لأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم واستحلاله ذلك على رؤس الأشهاد وهم أئمة الإسلام والذين أقاموا الدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم وما علم لهم من المناقب والمآثر كالطعن في الدين والطعن فيه كفر، فهذه ثلاثة أدلة ظهرت في قلبي أي باعتبار ما ظهر وإلاّ فمذهب الشافعي رضي الله عنه ما قد علمت.

(رابعها) المنقول عن العلماء. فمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أن من أنكر خلافة الصديق وعمر فهو كافر على خلاف حكاه بعضهم وقال الصحيح أنه كافر والمسألة مذكورة في كتبهم، في الغاية للسروجي والفتاوى الظهيرية، والأصل لمحمد بن الحسن، وفي الفتاوى البديعية، فانه قسم الرافضة إلى كفار وغيرهم، وذكر الخلاف في بعض طوائفهم، وفيمن أنكر إمامة أبي بكر وزعم أن الصحيح أنه يكفر وفي المحيط أن محمدا لا يجوّز الصلاة خلف الرافضة، ثم قال لأنهم أنكروا خلافة أبي بكر وقد اجتمعت الصحابة على خلافته، وفي الخلاصة من كتبهم وأن من أنكر خلافة الصديق فهو كافر وفي تتمة الفتاوى، والرافضي المتغالي الذي ينكر خلافة أبي

بكر يعني لا تجوز الصلاة خلفه.

وفي المرغيناني، وتكره الصلاة خلف صاحب هوى أو بدعة ولا تجوز خلف الرافضي ثم قال: وحاصله إن كان هوى يكفر به لا يجوز وإلاّ يجوز ويكره، وفي شرح المختار وسب أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفرا لكن يضلل فان عليا رضي الله عنه لم يكفر شاتمه، وفي الفتاوى البديعية من أنكر إمامة أبي بكر رضي الله عنه فهو كافر، وقال بعضهم هو مبتدع، والصحيح أنه كافر، وكذلك من أنكر خلافة عمر في أصح الأقوال، ولم يتعرض أكثرهم للكلام على ذلك، وأما أصحابنا الشافعيون فقد قال القاضي حسين في تعليقه من سب النبي صلى الله عليه وسلم يكفر بذلك ومن سب صحابيا فسق، وأما من سب الشيخين أو الختنين ففيه وجهان: أحدهما يكفر لأن الأمة أجمعت على إمامتهم، والثاني يفسق ولا يكفر. ولا خلاف أن من لا يحكم بكفره من أهل الأهواء لا يقطع بتخليده في النار، وهل يقطع بدخولهم النار وجهان انتهى.

وقال القاضي إسماعيل المالكي: إنما قال مالك في القدريّة وسائر أهل البدع يستتابون فان تابوا وإلاّ قتلوا لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب وهو فساده في مصالح الدنيا وقد يدخل في الدين من قطع سبيل الحج والجهاد وفساد أهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في الدنيا بما يلقونه بين المسلمين من العداوة، وقد اختلف قول مالك والأشعري في التكفير والأكثر على ترك التكفير، قال القاضي عياض لأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى ووصف الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم، وكذا الخوارج وسائر أهل الأهواء حجج للمكفرين، وقد يجيب الآخرون بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في غير الكفر تغليظا، وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك، وقوله في الخوارج اقتلوهم قتل عاد يقتضي الكفر، والمانع يقول هو حدّ لا كفر، قال القاضي عياض: في سبّ الصحابة قد اختلف العلماء فيه ومشهور مذهب مالك فيه الاجتهاد والأدب الموجع، قال مالك

رحمه الله: من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل وإن شتم الصحابة أدّب وقال أيضا: من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال أو كفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا انتهى. وقوله يقتل من نسبهم إلى ضلال أو كفر حسن إذا نسبهم إلى كفر لأنه صلى الله عليه وسلم شهد لكل منهم بالجنة، فان نسبهم إلى الظلم دون الكفر كما يزعم بعض الرافضة فهو محل التردد لأنه ليس من حيث الصحبة ولا لأمر يتعلق بالدين وإنما هو لخصوصيات تتعلق بأعيان بعض الصحابة، ويرون أن ذلك من الدين لا تنقيص فيه، ولا شك أن الروافض ينكرون ما علم بالضرورة ويفترون على الصحابة بما نعلم من الضرورة براءتهم منه، لكنه لا يقتضي تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم بل يزعمون أنه موافق له صلى الله عليه وسلم، ونحن نكذبهم في ذلك، فلم يتحقق إلى الآن من مالك ما يقتضي قتل من هذا شأنه، وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبا شديدا ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلاّ في سب النبي صلى الله عليه وسلم، قال سحنون: من كذب أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربا. وحكى ابن أبي زيد عن سحنون من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد انتهى، وقتل من كفر الأربعة ظاهر لأنه خلاف إجماع الأمة إلاّ الغلاة من الروافض، فلو كفر الثلاثة ولم يكفر عليا لم يصرح سحنون فيه بشيء وكلام مالك المتقدم أصرح فيه، وروي عن مالك رضي الله عنه من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل وقال أحمد بن حنبل فيمن سب الصحابة أما القتل فأجبن عنه لكن أضربه ضربا نكالا وقال أبو يعلى الحنبلي الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة إن كان مستحلا لذلك كفر. وإن لم يكن مستحلا

فسق ولم يكفر قال وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة وقال محمد بن يوسف الفريابي وسئل عمن شتم أبا بكر قال: كافر، قيل يصلى عليه قال: لا، وممن كفر الرافضة أحمد بن يونس وأبو بكر بن هانئ وقالا لا تؤكل ذبائحهم لأنهم مرتدون، وقال عبد الله بن إدريس أحد أئمة الكوفة ليس للرافضي شفعة لأنه لا شفعة إلاّ لمسلم وقال أحمد في رواية أبي طالب شتم عثمان زندقة وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق وممن قال بوجوب القتل على من سب أبا بكر وعمر عبد الرحمن بن أبزي الصحابي رضي الله عنه وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم مقداد بن الأسود رضي الله عنه فكلّم في ذلك فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا له وحدا لأمه ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره. لقوله صلى الله عليه وسلم **(من سب أصحابي فاجلدوه)** قال ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له وإن كان أحد من ولده هذا الصحابي حيا قام بما يجب له وإلاّ فمن قام من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه. قال: وليس هذا كحقوق غير الصحابة لخيريتهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولى القيام به ومن سب عائشة رضي الله عنها ففيه قولان أحدهما يقتل والآخر كسائر الصحابة يجلد جلد المفتري، قال وبالأول أقول. وروى أبو مصعب عن مالك من سب آل بيت محمد يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى يظهر توبته لأنه استخفاف بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفتى ابن مطرف فيمن أنكر تحليف امرأة بالليل، وقال لو كانت بنت أبي بكر ما حلفت إلاّ بالنهار، بالأدب الشديد لذكر ابنة أبي بكر في مثل هذا، قال هشام بن عمار سمعت مالكا يقول: من سب أبا بكر وعمر قتل ومن سب عائشة رضي الله

عنها قتل لأن الله تعالى يقول فيها (**يَعِظُكُمُ اللهُ اَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِه اَبَدًا اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** * النور: ١٧) فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل، قال ابن خضر وهذا قول صحيح واحتج المكفرون للشيعة والخوارج بتكفيرهم أعلام الصحابة رضي الله عنهم وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في قطعه لهم بالجنة وهو احتجاج صحيح فيمن ثبت عليه تكفير أولئك. ومر أن أئمة الحنفية كفروا من أنكر خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والمسألة في الغاية وغيرها من كتبهم كما مر، وفي الأصل لمحمد بن الحسن رحمه الله والظاهر أنهم أخذوا ذلك عن إمامهم أبي حنيفة رضي الله عنه وهو أعلم بالروافض لأنه كوفي والكوفة منبع الرفض؛ والروافض طوائف منهم من يجب تكفيره، ومنهم من لا يجب تكفيره فاذا قال أبو حنيفة بتكفير من ينكر إمامة الصديق رضي الله عنه فتكفير لاعنه عنده أولى أي إلاّ أن يفرق إذ الظاهر أن سبب تكفير منكر إمامته مخالفته للإجماع بناء على أن جاحد الحكم المجمع عليه كافر وهو المشهور عند الأصوليين وإمامته رضي الله عنه مجمع عليها من حين بايعه عمر ولا يمنع من ذلك تأخير بيعة بعض الصحابة فان الذين تأخرت بيعتهم لم يكونوا مخالفين في صحة إمامته ولهذا كانوا يأخذون عطاءه ويتحاكمون إليه فالبيعة شيء والإجماع شيء ولا يلزم من أحدهما الآخر ولا من عدم أحدهما عدم الآخر فافهم ذلك فانه قد يغلط فيه.

(فان قلت) شرط الكفر بإنكار المجمع عليه أن يعلم من الدين بالضرورة (قلت) وخلافة الصديق كذلك لأن بيعة الصحابة له ثبتت بالتواتر المنتهى إلى حد الضرورة فصارت كالمجمع عليه المعلوم بالضرورة وهذا لا شك فيه و لم يكن أحد من الروافض في أيام الصديق رضي الله عنه ولا في أيام عمر وعثمان وإنما حدثوا بعده. فمقالتهم حادثة، وجوابه أن الخلافة من الوقائع الحادثة وليست حكما شرعيا وجاحد الضروري إنما يكفر إذا كان ذلك الضروري حكما شرعيا كالصلاة والحج لاستلزامه تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف الخلافة المذكورة إلاّ أن يقال إنه

يتعلق بها أحكام شرعية كوجوب الطاعة وما أشبهه ومر عن القاضي حسين أن في كفر ساب الشيخين أو الختنين وجهين ولا ينافيه جزمه في موضع آخر بفسق ساب الصحابة، وكذا ابن الصباغ وغيره وحكوه عن الشافعي رضي الله عنه، لأنهما مسألتان فالثانية في مجرد السب وهو مفسق وإن كان المسبوب من آحاد الصحابة وأصاغرهم بخلاف الأولى فانها خاصة بسب الشيخين أو الختنين وهو أشد وأغلظ في الزجر بأن فيه وجها بالكفر وأما تكفير أبي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي، والذي أراه الكفر فيها قطعا موافقة لمن مر. ومر عن أحمد أن الطعن في خلافة عثمان طعن في المهاجرين والأنصار وصدق في ذلك فان عمر جعل الخلافة شورى بين ستة عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص فالثلاثة الأخيرون أسقطوا حقوقهم وعبد الرحمن لم يردها لنفسه وإنما أراد أن يبايع أحد الأولين عثمان أو عليا فاحتاط لدينه، وبقى ثلاثة أيام بلياليها لا ينام وهو يدور على المهاجرين والأنصار ويستشيرهم فيمن يتقدم عثمان أو علي، ويجتمع بهم جماعات وفرادى ورجالا ونساء ويأخذ ما عند كل واحد منهم في ذلك إلى أن اجتمعت آراؤهم كلهم على عثمان رضي الله عنهم، فبايعه فكانت بيعة عثمان عن إجماع قطعي من المهاجرين والأنصار فالطعن فيها طعن في الفريقين، ومن ثم قال أحمد أيضا شتم عثمان زندقة ووجهه أنه بظاهره ليس بكفر وبباطنه كفر لأنه يؤدي إلى تكذيب الفريقين كما علمت، فلا يفهم من كلامه كفر ساب الصحابي خلافا لبعض أصحابه كما مر. فتلخص أن سب أبي بكر كفر عند الحنفية. وعلى أحد الوجهين عند الشافعية، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد فليس بكفر، نعم قد يخرج عنه ما مر عنه في الخوارج أنه كفر فتكون المسألة عنده على حالين إن اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفر وإن كفر كفر فهذا الرافضي السابق ذكره كافر عند مالك وأبي حنيفة وأحد وجهي الشافعي، وزنديق عند أحمد بتعرضه إلى عثمان المتضمن لتخطئة المهاجرين والأنصار

وكفره هذا ردة لأن حكمه قبل ذلك حكم المسلمين والمرتد يستتاب فان تاب وإلاّ قتل، فكان قتله عن مذهب جمهور العلماء أو جميعهم لأن القائل بأن الساب لا يكفر لم يتحقق منه أنه يطرده فيمن يكفر أعلام الصحابة رضوان الله عليهم فأحد الوجهين عندنا إنما اقتصر على الفسق في مجرد السب دون التكفير وكذلك أحمد إنما جبن عن قتل من لم يصدر منه إلاّ السب والذي صدر من هذا الرجل أعظم من السب ومر أن الطحاوي قال في عقيدته وبغض الصحابة كفر، فيحتمل أن يحمل على مجموع الصحابة وأن يحمل على كل منهم، لكن إذا أبغضه من حيث الصحبة وأما جعل مجرد بغضه كفرا فيحتاج لدليل، وهذا الرافضي وأشباهه بغضهم للشيخين وعثمان رضي الله عنهم ليس لأجل الصحبة لأنهم يحبون عليا والحسنين وغيرهما بل لهوى أنفسهم واعتقادهم بجهلهم وعنادهم وظلمهم لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فالظاهر أنهم إذا اقتصروا على السب من غير تكفير ولا جحد مجمع عليه لا يكفرون.

(خامسها) يمكن التمسك أيضا في قتل هذا الرافضي، بأن هذا المقام الذي قامه لا شك أنه يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم: وإذاؤه موجب للقتل، بدليل الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال فيمن آذاه، من يكفيني عدوي، فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه أنا أكفيكه فبعثه اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله، لكن مر ما يخدش في ذلك وهو أن كل أذى لا يقتضي القتل وإلاّ يعم سائر المعاصي لأنها تؤذيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى (**اِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ** * الأحزاب: ٥٣) وهذا الرافضي إنما قصد بزعمه انتصاره لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقصد إيذاءه صلى الله عليه وسلم أي فلم يتضح دليل على قتله وأما الوقيعة في عائشة رضي الله عنها فموجب للقتل إما لأن القرآن شهد ببراءتها فقذفها تكذيب له وتكذيبه كفر وإما لكونها فراشا له صلى الله عليه وسلم والوقيعة فيها تنقيص له وتنقيصه كفر. وينبني على ذلك حكم الوقيعة في بقية أمهات

المؤمنين. فعلى الأول لا يكون كفرا وعلى الثاني يكون كفرا وهو الأرجح عند بعض المالكية، وإنما لم يقتل صلى الله عليه وسلم قذفة عائشة لأن قذفهم كان قبل نزول القرآن فلم يتضمن تكذيب القرآن ولأن ذلك حكم نزل بعد نزول الآية فلم ينعطف حكمه على ما قبلها.

(سادسها) مر في الخبر الصحيح (**لا تسبوا أصحابي من أحبهم أحبني ومن أبغضهم أبغضني ومن آذاهم آذاني**)، وهذا يشمل سائر الصحابة، لكنهم درجات فيتفاوت حكمهم في ذلك بتفاوت درجاتهم ومراتبهم والجريمة تزيد بزيادة من تعلقت به فلا يقتصر في سب أبي بكر رضي الله عنه على الجلد الذي يقتصر عليه في جلد غيره لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة فاذا انضاف إلى الصحبة غيرها مما يقتضي الاحترام لنصرة الدين وجماعة المسلمين وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك كان كل واحد من هذه الأمور يقتضي مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه فتزداد العقوبة، وليس ذلك التجدد حكما بعد النبي صلى الله عليه وسلم بل لأنه صلى الله عليه وسلم شرع أحكاما وأناطها بأسباب فنحن نتبع تلك الأسباب ونرتب على كل سبب منها حكمه، وكان الصديق في حياة النبي صلى الله عليه وسلم له حق السبق إلى الإسلام والتصديق والقيام في الله تعالى والمحبة التامة والإنفاق العظيم البالغ أقصى غايات الوسع والامكان على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والنصرة وغير ذلك من خصاله الحميدة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها، ثم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ترتبت له خصوصيات وفضائل أخر كخلافة التي قام فيها بما لم يمكن أن يقوم به أحد من الأمة بعده كما هو معلوم مقطوع به لا ينكره إلاّ معاند مكابر جاهل غبي وكمقاتلته لأهل الردة ومانعي الزكاة وما ظهر عنه في ذلك من الشجاعة التي لم يسبق أحد فيها غباره و لم يدرك آثاره فمن ذلك يزداد حقه وحرمته ويستحق من اجترأ عليه زيادة العذاب والنكال فلا يبعد لكونه من الدين والفضل بهذا المحل الأسنى

والمقام الأسمى أن يكون سابه طاعنا في الدين فيستحق القتل على ما مر. ولقد قتل الله بسبب يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام خمسة وسبعين ألفا. قال بعض العلماء وذلك دية كل نبي ويقال إن الله تعالى أوحى إلى نبينا صلى الله عليه وسلم (**أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا ولأقتلن بالحسين ابن ابنتك سبعين وسبعين ألفا**)[١] وهكذا الصديق رضي الله عنه يظهر الله تعالى حرمته وحقه باخزاء كثير من الروافض لعنهم الله الذين أخزاهم الله بقتل هذا الرافضي، وكانت ترتفع أنوفهم لو صفح عنه وقد قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه إن التعزير يجوز بالقتل، وتجرؤ هذا الرافضي على هذا المقام العليّ الذي هو مقام الصديق والخلفاء الراشدين من أعلى الأسباب المقتضية للتعزير الذي يجوز به عند أبي يوسف الارتقاء إلى القتل، أي فعلم أن قتل هذا الرافضي حق صحيح لا اعتراض عليه بناء على مذهب الحاكم الذي قتله وهو المالكي، بناء على ما مر من مذهبهم، وكذا على مذهب أبي حنيفة، وكذا على وجه عند الشافعية، وكذا على ما مر عند الحنابلة. فتدبر هذه الواقعة وما سقته لك من كلام العلماء فيها فان فيها أحكاما مهمة، وفوائد جمة، قلما تجدها مجموعة في كتاب، مرفوعا عنها النقاب سالمة من الطعن والريب منزهة عن التعصب والعيب، وقد ذكرت في كتابي الملقب بالأعلام في قواطع الإسلام ما يوضح ما أشرت اليه خلال كلام السبكي مما يفرع ما قاله على اختياره الموافق لغير قواعد مذهبنا فاطلب بيان ذلك من الكتاب المذكور[٢] فانه لم يصنف

---

(١) هذا الحديث أخرجه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات عن ابن عباس وقال ابن حبان لا أصل له وتعقب بأن الحاكم أخرجه من طريق ستة أنفس عن أبي نعيم وقال صحيح ووافقه الذهبي في تلخيصه وقال على شرط مسلم

(٢) ذكر المؤلف في الإعلام أن بعض المتأخرين جزم بتكفير من أنكر وجود أبي بكر أو خلافته حتى إذا لم يتواتر ذلك عند المنكر. ومنكر غيره لا يكفر. لأنه لا يلزم من ذلك تكذيب بأصل من أصول الدين يجب التصديق به. وذكر في محل آخر من هذا الكتاب عن كتاب الأنوار أن من أنكر خلافة الصديق مبتدع لا كافر ومن سب الصحابة أو السيدة عائشة من غير استحلال فاسق. واختلفوا فيمن سب أبابكر وعمر وفي كفر من سب الحسنين وجهان

في بابه مثله، بل لم أظفر بأحد من أئمتنا ألف كتابا في المكفرات وحدها ولا استوعب حكمها على المذاهب الأربعة مع الكلام على كل من مسائله بما ينشرح له الصدر، وتقر به العين، فاستوفيت كل ذلك في دلك المؤلف العديم النظير عند من سلم من داء الحسد والسخيمة، و لم يطول على العناد أديمه، نفعني الله به وبغيره، وأدام عليّ من جوده وفضله وكرمه وخيره إنه الرؤف الكريم، الجواد الرحمن الرحيم.

تَطْهِيرُ الْجِنَانِ وَاللِّسَانِ

عن الخطور والتفوّه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان

تأليف

المحدث الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي المكي

المتوفى سنة ٩٧٤ هـ. [١٥٦٧ م.]

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول–تركيا

تَطْهِيرُ الْجِنَانِ وَاللِّسَانِ

بِسْــــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أوجب على الكافة تعظيم أصحاب نبيهم وآله المصطفين الأخيار لما أن الله سبحانه وتعالى برأهم من كل وصمة وسقطة وعثار، وميزهم بأنهم الحائزون لقصب السبق في كل كمال ومضمار، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له الكريم الغفار، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما يتعاقبان تعاقب الليل والنهار، ما قطعت براهين علومهم وقواطع حججهم نقول المعاندين على أحد منهم في الإيراد والإصدار. وبعد فهذه ورقات ألفتها في فضل سيدنا أبي عبد الرحمن أمير المؤمنين معاوية بن صخر أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي رضي الله عنه وأرضاه، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي مناقبه وحروبه وفي الجواب عن بعض الشبه التي استباح سبه بسببها كثير من أهل البدع والأهواء جهلا واستهتارا بما جاء عن نبيهم صلى الله عليه وسلم من المبالغة الأكيدة في التحذير عن سب أو نقص أحد من أصحابه، لا سيما أصهاره وكتابه ومن بشره بأنه سيملك أمته، ودعا له بأن يكون هاديا مهديا، كما يأتي ذلك وغيره من المزايا الكثيرة. منها أعني تلك المبالغات أن من آذى منهم أحدا فقد آذاه ومن آذاه فقد آذى الله ومن آذى الله أهلكه، وأن من أنفق ما أنفق ولو أمثال أحد ذهبا ما بلغ ثواب مد أحدهم ولا نصيفه، وأن من سب أحدا منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا -أي فرضا ولا نفلا- دعاني إلى تأليفها الطلب الحثيث من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند[١] وأصلحهم وأشدهم تمسكا بالسنة الغراء، ومحبة أهلها وما نسب إليه مما يخالف ذلك فبفرض وقوعه منه تنصل منه

(١) هو همايون بن بابور ويقال بابار المتوفى سنة ٩٦٢ هـ. [١٥٥٥ م.] وترجمته في الشذرات والنور والبدر السافر

التنصل الدافع لكل ريبة وتهمة، كما يقطع بذلك التواتر عنه في أواخر أمره كأوله، بل حكى لي من هو في رتبة مشايخ مشايخنا من بعض أكابر بني الصديق عنه أنه مكث أربعين سنة لا ينظر إلى السماء حياء من الله تعالى وأنه إنما يأكل من كسب يده، وأن من قدم عليه من علماء أهل السنة بالغ في تعظيمه بما لم يسمع عن غيره، ككثرة التردد عليه ومع سعة ملكه، وأبهة عسكره جالسا بين يديه على التراب كصغار طلبته، مطلقا عليه من الأرزاق والإنعام ما يلحقه بأكابر الأغنياء، وسبب طلبه ذلك أنه نبغ في بلاده قوم ينتقصون معاوية رضي الله عنه وينالون منه وينسبون إليه العظائم، مما هو بريئ منه، لأنه لم يقدم على شيء مما صح عنه إلاّ بتأويل يمنعه من الإثم بل ويوجب له حظا من الثواب كما سيأتي. فأجبته لذلك وضاما إليه بيان ما يضطر إليه من أحوال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حروبه وقتاله لعائشة وطلحة والزبير ومن معهم من الصحابة وغيرهم، وللخوارج البالغين في رواية بضعا وعشرين ألفا على الوصف والعلامة اللذين بينهما النبي صلى الله عليه وسلم. ومن كونه الإمام الحق والخليفة الصدق، فكل من قاتله من هؤلاء بغاة عليه لكن من عدا الخوارج –وإن كانوا مخطئين– هم مثابون لأنهم أئمة فقهاء مجتهدون مؤولون تأويلا محتملا، بخلاف الخوارج لأن تأويلهم قطعي البطلان كما سيأتي بيان ذلك بأوضح بيان وأحكم برهان، وإنما ضممت هذا إلى ما سئلت فيه مما ذكر لأن طائفة يسمون اليزيدية[١] يبالغون في مدح يزيد ويحتجون. وممسكا عنان القلم عن أن يسترسل في سعة هذا الميدان لأنه من منح

---

(١) اليزيدية المعروفة في كتب الملل والنحل، فرقة من أهل البدع ينسبون إلى الإسلام وليسوا من زمرة المسلمين ويقال لهم يزيدية الخوارج وينسبون إلى يزيد بن أبي أنيسة وهو غير المحدث فإن هذا من أهل البصرة. وذهب إلى جور فارس وكان على رأي الإباضية كما في التبصير ولسان الميزان وذكر نشوان الحميري أنهم ينسبون إلى يزيد بن أبي أنيسة. وقد بريئ منه الإباضية ويذكر المؤرخون ما حققه المؤرخ أحمد تيمور أن أتباع ابن أبي أنيسة بادوا وبادت آراؤهم في القرن السادس واليزيدية اليوم والتي كانت في عصر ابن حجر هم جماعة انتسبوا لعدي بن مسافر الصوفي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ. [١١٦٢ م.] في بادئ أمرهم وعرفوا بالعدوية وعدي لم يذكره ابن تيمية في رسالته العدوية إلاّ بالخير غير أن هذه الطائفة أخذت تتحول إلى طائفة ثورية نزاعة للملك وظهر فيها التغالي في شيخهم ثم لقبوا باليزيدية أيضا: لقولهم بألوهية يزيد بن معاوية ولا يدرى تاريخ تلقيبهم بذلك. وانظر المقدمة في ذلك

هداية يكفيه أدنى برهان. ومن لا ينجع فيه لا ينجع فيه سنة ولا قرآن وسميته تطهير الجنان واللسان. عن الخطور والتفوه بثلب معاوية ابن أبي سفيان. مع المدح الجلي وإثبات الحق العلي. لمولانا أمر المؤمنين علي. ورتبته على مقدمة وفصول وخاتمة.

(مقدمة) يجب عليك أيها المسلم الممتلئ القلب من محبة الله ورسوله أن تحب جميع أصحاب نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى امتن عليهم بمنة لم يشاركهم غيرهم فيها. وهي حلول نظره صلى الله عليه وسلم وإمداده لهم بما قطع غيرهم من اللحوق بهم في باهر كمالهم وعظيم استعدادهم وسعة علومهم، وحقية وراثته وأن تعتقد أنهم كلهم عدول كما أطبق عليه أئمة السلف والخلف وما حكي عن هفوات لبعضهم كفّرها الله تعالى عنهم بقوله عزّ قائلا (**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** * المائدة: ١١٩)، وباكثار مدحه صلى الله عليه وسلم لهم ونهيه عن انتقاصهم، وترتيبه الوعيد الشديد على نقص أحد منهم، من غير تفصيل، مع كونه في مقام بيان ما نزل إلى الأمة من ربهم فلولا أن المراد العموم لما ساغ ذلك الإجمال.

ولا يشك أحد أنّ معاوية رضي الله عنه من أكابرهم نسبا وقربا منه صلى الله عليه وسلم وعلما وحلما، كما سيتضح ذلك كله لك مما سيُتْلى عليك، فوجبت محبته لهذه الأمور التي اتصف بها بالإجماع.

فمنها شرف الإسلام، وشرف الصحبة، وشرف النسب، وشرف مصاهرته له صلى الله عليه وسلم المستلزمة لمرافقته له صلى الله عليه وسلم في الجنة، ولكونه معه فيها كما يأتي بدليله، وشرف العلم والحلم والإمارة ثم الخلافة، وواحدة من هذه تتأكد المحبة لأجلها فكيف إذا اجتمعت، وهذا كاف لمن في قلبه أدنى إصغاء للحق وإذعان للصدق فلا يحتاج بعد ذلك إلى بسط إلاّ لمزيد التأكد والإيضاح. وتأمل أيها الموفق قوله صلى الله عليه وسلم: (**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**)، رجال سنده رجال الصحيح إلاّ واحدا اختلف فيه وقد وثقه ابن حبان وغيره وقوله: وإن كان في سنده متروك، (**من حفظني في أصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم**

يربِي يوم القيامة إلاّ من بعيد)، وصح أن خالد بن الوليد ذكر عند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما لشيء كان بينهما فقال سعد للمتكلم: مَهْ فإن ما بيننا لم يبلغ ديننا، وجاء بسند متروك، أن عليا لقي الزبير رضي الله عنهما بالسوق فتعاتبا في شيء من أمر عثمان رضي الله عنه ثم أغلظ ابنه عبد الله لعلي فقال ألا تستمع ما يقول، فغضب الزبير وضرب ابنه حتى رجع، وجاء بسند رجاله ثقات أن رجالا من أهل البصرة جاؤا عتبة بن عمير يسألونه عن علي وعثمان فقال لهم: ما أقْدَمَكم غير هذا فقالوا نعم، قال: (**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ** * البقرة: ١٣٤)، وبسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا اختلف فيه أن الزبير قال في قوله تعالى: (**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَآصَّةً** * الأنفال: ٢٥)، كنا نتحدث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم نحسب أنا أهلها حتى نزلت فينا، وفي خبر سنده صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**أريت ما يلقى أمتي بعدي وسفك بعضهم دم بعض وسبق ذلك من الله عز وجل، كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يوليني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل**)، وفي خبر رواته ثقات (**عذاب أمتي في دنياها**). أي أن ما يقع لهم من الفتن والمحن يكون سببا لتكفير ذنوب المعذورين منهم، وصح خبر: (**جعل الله عقوبة هذه الأمة في دنياهم**). وفي خبر رواته ثقات إلاّ واحدا وثقه ابن حبان. (**أمتي أمة مرحومة، قد رفع عنهم العذاب**)، أي فلا يستأصلون بعذاب يترل عليهم إلاّ عذابهم أنفسهم بأديهم. أي يغتال بعضهم لبعض لأنه صلى الله عليه وسلم كما صحّ عنه من طرق، سأل ربه أن لا يجعل بأسهم بينهم فلم يجبه لذلك. وفي خبر ضعيف، (**إن عقوبة هذه الأمة بالسيف، وموعدهم الساعة والساعة أدهى وأمر**)، والحاصل أن ما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من القتال مقصور علي الدنيا فقط، وأما في الآخرة فكلهم مجتهدون مثابون، وإنما التفاوت بينهم في الثواب إذ من اجتهد وأصاب كعليّ كرم الله وجهه وأتباعه له أجران بل عشرة أجور كما في رواية، ومن اجتهد وأخطأ كمعاوية رضي الله عنه له أجر

واحد، فهم كلهم ساعون في رضا الله وطاعته بحسب ظنوهم واجتهاداهم الناشئة عن سعة علومهم التي منحوها من نبيهم ومشرفهم صلى الله عليه وسلم وعليهم، فتفطن لذلك إن أردت السلامة في دينك من الفتن والابتداع والعناد والمحن والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل، وجاء بسندين رجالهما ثقات إلاّ واحدا وثقه ابن معين وغيره، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**تفرقت بنو إسرائيل**) وفي رواية (**اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وأمتي تزيد عليهم بفرقة كلها في النار إلاّ السواد الأعظم**)، وفي رواية في سندها ضعيف جدا (**كلهم على الضلال إلاّ السواد الأعظم**) قالوا يا رسول الله: من السواد الأعظم؟ قال: (**من كان علي ما أنا عليه وأصحابي**)، من لم يمار في دين الله ومن لم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب، ومن هذا أخذ العلماء أن المراد بأهل السنة حيث أطلقوا أتباع أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، لأن هؤلاء هم الذين على ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعوهم فمن بعدهم، مع أنهم السواد الأعظم إذ لا تجد فرقة من الفرق غيرهم اشتهروا شهرتهم ولا كثروا كثرتهم، وإنما هم عند عامة المسلمين كفرقة اليهود والنصارى فهم في غاية الاستخفاف والاحتقار والذلة والاستصغار أدام الله عليهم ذلك آمين.

(**تنبيه**) جاء في الحديث الصحيح إن قوة الجدل بالباطل والقدرة عليه من علامات الضلال، وأصل ذلك قوله تعالى (**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ اِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** * الزخرف: ٥٨) وحينئذ فاحذر أيها الموفق أن تسترسل مع مبتدع في جدل أو خصام فإنك لو أقمت عليه الحجج القطعية والأدلة البرهانية، والآيات القرآنية لم يصغ إليك واستمر على بهتانه وعناده لأن قلبه أشرب حب الزيغ عن سنن أهل السنة وخلفاء التوفيق والمنة، اقتداء بكفار قريش الذين لم ينفع فيهم حجة ولا قرآن. بل عاندوا إلى أن أفناهم العناد والسنان. فكذا هؤلاء المبتدعة الكلام معهم عيّ فأعرض عنهم رأسا وابذل جهدك فيما ينفعك الله به في الدنيا والآخرة.

الفصل الأول

(في إسلام معاوية رضي الله عنه)

على ما حكاه الواقدي بعد الحديبية، وقال غيره بل يوم الحديبية وكتم إسلامه عن أبيه وأمه حتى أظهره يوم الفتح، فهو في عمرة القضية المتأخرة عن الحديبية الواقعة سنة سبع قبل فتح مكة بسنة كان مسلما، ويؤيده ما أخرجه أحمد من طريق محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم. أن معاوية قال قصرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة، وأصل الحديث في البخاري من طريق طاوس عن ابن عباس بلفظ قصرت بمشقص، و لم يذكر المروة في كل من الروايتين، كذا خلافا لمن حصر في الأولى الدلالة على أنه كان في عمرة القضية مسلما، أما الأولى فواضح، لأنه ذكر أن ذلك عند المروة، وهذا يعين أن ذلك التقصير كان في العمرة، لأنه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حلق بمنى إجماعا، وأما الثانية فلأنه صلى الله عليه وسلم لم يقصر في حجة الوداع أصلا لا بمكة ولا بمنى، فتعين أن ذلك التقصير إنما كان في العمرة، فان قلت يحتمل أن ذلك التقصير كان في عمرته من الجعرانة بعد فتح مكة وهزيمة حنين وسبيهم والمجئ بهم وبأموالهم إلى الجعرانة في آخر سنة ثمان، فلا يكون فيه شاهد لما ذكرته، قلت عمرة الجعرانة إنما فعلها صلى الله عليه وسلم ليلا سرا عن أكثر الصحابة، ولذا أنكرها بعضهم، وذلك أنه بعد صلاة العشاء بأصحابه في الجعرانة، دخل على أهله فلما تفرق الناس لمضاجعهم خرج صلى الله عليه وسلم محرما بالعمرة في نفر قليل إلى مكة فقضى نسكه ثم رجع إلى أهله سرا أيضا، ثم عند صلاة الصبح خرج من عند أهله كبائت عندهم، فلم يعلم بتلك العمرة إلاّ بعض خواصه صلى الله عليه وسلم، ومعاوية إذ ذاك لم يكن من أولئك الخواص، فاحتمال كون تقصيره له صلى الله عليه وسلم في هذه العمرة بعيد، فلم ينظروا إليه كما هو شأن الاحتمالات البعيدة في الوقائع الفعلية والقولية، فان قلت كونه أسلم وكتم إسلامه و لم يهاجر للنبي صلى

الله عليه وسلم نقص وأي نقص، قلت ليس الأمر كذلك باطلاقه، كيف وقد وقع ذلك للعباس رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على القول الذي رجحه بعضهم أنه أسلم ببدر وكتم إسلامه إلى فتح مكة، بل هذا أولى لأن مدة كتمه لإسلامه نحو ست سنين ومعاوية أن ما كتمه نحو سنة، ولم يعد أحد ذلك نقصا في العباس لأنه كان لعذر، فكذلك ما وقع لمعاوية على ذلك القول كان لعذر، والهجرة إنما تجب وتتعين حيث لا عذر، ومنه الجهل بوجوبها ممن يعذر فيه، وقد جاء في رواية أن أمه قالت له إن هاجرت قطعنا عنك النفقة وهذا عذر ظاهر، لا يقال يرد ما حكاه الواقدي أنه أسلم قبل الفتح، ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال العمرة في أشهر الحج، فعلناها وهذا -أي معاوية يومئذ- كافر لأنا نقول: ممنوع ذلك بل لا رد فيه، لأن الفرض أنه كتم إسلامه فسعد ممن لم يعلم به فاستصحب حاله إلى يومئذ وقضى عليه بالكفر فيه، باعتبار الظاهر وبالنسبة إلى علمه، أما إسلامه يوم فتح مكة فلا خلاف فيه، كاسلام أمه وأبيه وأخيه يزيد يومئذ، فان قلت ذكر بعض الأئمة في ترجمته أنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وأعطاه من غنائم هوازن مائة بعير وأربعين أوقية من الذهب وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامهما، وهذا يمنع سبق إسلامه على يوم الفتح، إذ لو سبق إسلامه جميع أهله لم يكن كأبيه في عده من المؤلفة، قلت لا يمنعه بوجه، أما أولا فمن عده من المؤلفة إنما جرى على أن إسلامه لم يكن إلاّ يوم الفتح، نظير ما وقع لسعد فما مر عنه آنفا، ويدل لذلك أن من ترجمه بذلك قرنه في ذلك بأبيه، وأبوه لم يسلم إلاّ يوم الفتح اتفاقا، أما من يقول بتقديم إسلام معاوية قبل الفتح بنحو سنة وأنه إنما امتنع من الهجرة للعذر كما مر فلا يعده من المؤلفة ومجرد الإعطاء لا يدل على التأليف، ألا ترى أن العباس رضي الله عنه كتم إسلامه ثم أظهره يوم الفتح كما مر، ثم أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم ما أطاق حمله من النقد الذي جاءه من البحرين؛ فكما أن هذا لا يدل على أن العباس من المؤلفة قلوبهم فكذلك

إعطاء معاوية شيئا له بخصوصه -إن فرض صحة وروده- لا يدل على أنه كان من المؤلفة قلوبهم. أما أولا فلما مر مما يدل على قوة إسلامه. وأما ثانيا فالظاهر بكل فرض قوة إسلامه، وأنه إنما أعطاه زيادة في تأليف أبيه لكونه من أكابر مكة وأشرافهم. ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: (**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**). فميزه صلى الله عليه وسلم بذلك دون غيره زيادة في تأليفه والإعلان بشرفه وفخره لأنه كان يحب الفخر في قومه. وأما أبوه فالظاهر أنه كان منهم. ثم حسن إسلامه وتزايد صلاحه حتى صار من أكابر الصادقين وأفاضل المؤمنين. وإنما يذم بالتأليف من بقي بوصفه. و لم يترق عن كونه ممن يعبد الله على حرف. وحاشا أبي سفيان من ذلك. كما شهدت بذلك آثاره الصالحة في الحروب والمسالك. ومما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم علم قوة إسلامه ومريد استسلامه خضوعه لأوامره صلى الله عليه وسلم وأحكامه فقضى عليه بما لا يلائم ما جبل عليه قبل ذلك من الشح حتى على زوجته وولده معاوية بطعامه. ألا ترى أنه لما أسلم هو وزوجته هند جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم تشكوه فقالت يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح فانه لا يعطيني ما يكفيني وولدي. أي معاوية فقال لها صلى الله عليه وسلم: (**خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف**). فقضى عليه في غيبته بذلك لعلمه برضاه به واستسلامه له. وإن كان فيه غاية المشقة على نفسه باعتبار ما جبل عليه من الشح، وعلى قوة إسلامها إذ من جملة الحامل لها عليه أن مكة لما فتحت دخلت المسجد الحرام ليلا فرأت الصحابة قد ملؤه وأنهم على غاية من الاجتهاد في الصلاة وقراءة القرآن والطواف والذكر وعير ذلك من العبادات. فقالت والله ما رأيت الله عبد حق عبادته في هذا المسجد قبل هذه الليلة، والله إن باتوا إلاّ مصلين قياما وركوعا وسجودا فاطمأنت إلى الإسلام لكنها خشيت إن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يوبخها على ما فعلته من المثلة القبيحة بعمه حمزة رضي الله عنه. فجاءت إليه مع رجل من قومها لتبايعه فوجدت عنده من الرحب والسعة

والعفو والصفح ما لم يخطر ببالها. ثم شرط عليها أن لا تزني فقالت وهل تزني الحرة يا رسول الله فلم تجوز وقوع الزنى إلاّ من البغايا المعدات لذلك ثم شرط عليها أن لا تسرق فأمسكت. وقالت: إن أبا سفيان رجل بخيل ولا يعطيني ما يكفيني إلاّ ما أخذت منه من غير علمه. فقال لها (**خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف**). فلما بلغ ذلك أبا سفيان أظهر غاية الرضا بل زاد فقال: ما أخذت من مالي فهو حلال. وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم استأذنه لها فقال أذنت في أخذ الرطب دون اليابس. ولما أسلمت كانت على غاية من التثبت واليقظة فإنها إثر البيعة ذهبت إلى صنم لها في بيتها فجعلت تضربه بالقدوم حتى كسرته قطعة قطعة وهي تقول: كنا منك في غرور.

(**تنبيه**) جاء بسند حسن أن معاوية كان أبيض طويلا أجلح أبيض الرأس واللحية زاد بعض واصفيه كان أجمل الناس[١].

الفصل الثاني

(في فضائله ومناقبه وخصوصياته وعلومه واجتهاده وهي كثيرة جدا واقتصرت هنا علي غالب غررها)

(**تنبيه**) قيل عبر البخاري بقوله. باب ذكر معاوية. و لم يقبل فضائله ولا مناقبه لأنه لم يصح في فضائله شيء كما قاله ابن راهويه[٢]. ولك أن تقول: إن كان المراد

---

(١) وصفه بالبياض في لحيته وأنه أجلح أي شعره منحسر عن جانبي رأسه ورد عن اسحاق بن يسار من رواية الطبراني بإسناد حسن كما في المجمع ورواية أنه أجمل الناس من قول أسلم مولى عمر أخرجها الطبراني برجال الصحيح غير مسلم بن جندب وهو ثقة

(٢) وذهب كذلك ابن حنبل والنسائي إلى ما ذكر عن ابن راهويه وذكر الحافظ في الفتح أن ما ذكره البخاري مما يشهد لمعاوية بالفقه لا يدل على فضيلة. وان الذي يدل على الفضل الكثير هو الصحبة وما ذكره ابن حجر لا يدل على عدم ثبوت فضائله مع غيره وإنما المنفي ثبوتها له بخصوصه وهذا هو رأي البخاري في معاوية. فإنه علق الصحبة في الصحيح على مجرد الرؤية ولو لحظة كما ذهب إليه شيخه ابن المديني ورجحه ابن حجر ثم ذكر في الصحيح ثبوت الفضل لكل صحابي ومعاوية معهم

من هذه العبارة أنه لم يصح منها شيء على وفق شرط البخاري. فأكثر الصحابة كذلك إذا لم يصح شيء منها، وإن لم يعتبر ذلك القيد فلا يضره ذلك، لما يأتي أن من فضائله ما حديثه حسن حتى عند الترمذي كما صرح به في جامعه وستعلمه مما يأتي. والحديث الحسن لذاته كما هنا حجة إجماعا بل الضعيف في المناقب حجة أيضا، وحينئذ فما ذكره ابن راهويه بتقدير صحته لا يخدش في فضائل معاوية لوجوه: منها ما مر أنه من أشرف الصحابة نسبا جاهلية وإسلاما فإنه من أكابر قريش ومن أقرب بطونهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه يجتمع معه في عبد مناف وكان لعبد مناف أربعة أولاد هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم والمطلب جد الشافعي وعبد شمس جد عثمان ومعاوية رضي الله عنهما، ونوفل. والثلاثة الأول أشقاء لكن بنو الأولين لم يفترقوا جاهلية ولا إسلاما كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (**نحن بنو هاشم وبنو المطلب لم نفترق جاهلية ولا إسلاما**)، ومن ثم لما تمالأت قريش عليه صلى الله عليه وسلم في السب والإيذاء الذي لا أبلغ منه، انفردت بنو المطلب مع بني هاشم فدخلوا معهم شعبهم لما حصرهم قريش فيه وتحالفوا أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم، فاختار بنو المطلب بني هاشم ورضوا بما يحصل لهم من السب والإيذاء منهم، واختار بنو عبد شمس ونوفل قريشا فكانوا معهم على سب أولئك وإيذائهم ولهذا لما قسم صلى الله عليه وسلم الفئ لم يعط هذين شيئا منه وخص به الأولين.

ومنها أنه أحد الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما صح في مسلم وغيره، وفي حديث سنده حسن، كان معاوية يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو نعيم كان معاوية من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الكتابة فصيحا حليما وقورا. وقال المدايني كان زيد بن ثابت يكتب الوحي وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين العرب. أي من وحي وغيره. فهو أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على وحي ربه وناهيك بهذه المرتبة الرفيعة.

ومن ثم نقل القاضي عياض أن رجلا قال للمعافي بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب غضبا شديدا وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله. ويوافق ذلك أن عبد الله بن المبارك المجمع على جلالته وأمانته وتقدمه وأنه جمع بين الفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والفصاحة والشجاعة والفروسية والسخاء والكرم الواسع حتى كان ينفق من تجارته على القراء في كل سنة مائة ألف، والزهد والورع والإنصاف وقيام الليل والاكثار من الحج والغزو والتجارة لله حتى ينفق على أصحابه وغيرهم، ومن ثم كان يقول لولا خمسة ما اتجرت: سفيان الثوري وابن عيينة والفضيل بن عياض وابن السماك وابن علية فيصلهم، وكان يعطي كل واحد من هؤلاء الخمسة الذين هم غرة العلماء العاملين والأئمة الوارثين جميع ما يحتاج إليه لشدة البدن، ليحوز من معالي العبادات ما لا يطيقه غيره. وسأل فقل يا أبا عبد الرحمن أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال والله إن الغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الله لمن حمده فقال معاوية رضي الله عنه ربنا لك الحمد فما بعد هذا الشرف الأعظم. وإذا كان مثل ابن المبارك يقول في معاوية ذلك وأن تراب أنف فرسه فضلا عن ذاته أفضل من عمر بن عبد العزيز ألف مرة فأي شبهة تبقى لمعاند وأي دخل يتمسك به غبي أو جاحد.

(فائدة) من كرامات ابن المبارك أن ابن علية المجمع على تقدمه وجلالته كان من أجل أصحاب ابن المبارك وكان ينفعه كما مر، ولما تولى لهارون الرشيد القضاء هجره ابن المبارك وقطع نفقته فأتى إليه ابن علية معتذرا فلم يعبأ به ولم يرفع إليه رأسه بعد ما كان يبالغ في تعظيمه لأجل شؤم القضاء وشؤم عاقبته ثم كتب إليه أبن المبارك:

يا جاعل العلم له بازيا * يصطاد أموال السلاطين

احتلت للدنيا ولذاها * بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنونا بها بعد ما * كنت دواء للمجانين

أين رواياتك في سردها * لترك أبواب السلاطين

أين رواياتك فيما مضى * عن ابن عوف وابن سيرين

إن قلت أكرهت فذا باطل * زل حمار العلم في الطين

فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات أثرت فيه واشتد ندمه أن تولى القضاء، ثم ذهب للرشيد وبالغ في طلب الاستعفاء منه حتى أعفاه وأنقذه الله من بلائه وعافاه فحينئذ عاد ابن المبارك إلى تعظيمه وأجرى عليه النفقة. وفي إحياء علوم الدين لحجة الإسلام في كتاب آداب السفر قال رجل لابن المبارك: احمل لي هذه الرقعة إلى فلان. فقال: حتى استأمر الجمال فإني لم أشارطه على هذه الرقعة. قال الغزالي: فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء، إن هذا مما يتسامح به ولكن سلك طريق الورع انتهى؛ وإنما سقت ذلك هنا لتعلم أيها الموفق إلى الحق إن شاء الله تعالى. إن من وصل ورعه إلى هذه الغاية ومشاحته لأصحابه على مثل توليته القضاء الذي هو أفضل الوظائف الدينية بعد الخلافة إلى تلك النهاية فكيف يستجيز. أن يقول في معاوية وعمر بن عبد العزيز ما قال من غير دليل وكيف يقدم علي هذا التفضيل. فلولا أن الدلالة على ذلك ألجأته إلى هذه المقالة لما تفوه بها. ولولا أنه رأى أن ذلك من آكد الواجبات عليه لما خاض غمرة هذا الخطر فتيقظ لذلك وفرغ له ذهنك لتسلم من السفساف وترشد وتغنم والله سبحانه بحقائق خلقه أعلم. ومنها وهو من غرر فضائله وأظهرها الحديث الذي رواه الترمذي وقال إنه حديث حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لمعاوية فقال: (**اللّهمّ اجعله هاديا مهديا**)[١] فتأمل هذا

(١) تقدم القول في هذا الحديث وفيما ثبت منه حكاية عن السيوطي وغيره

الدعاء من الصادق المصدوق وأن أدعته لأمته لا سيما أصحابه مقبولة غير مردودة تعلم أن الله سبحانه استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء لمعاوية فجعله هاديا للناس مهديا في نفسه ومن جمع الله له بين هاتين المرتبتين كيف يتخيل فيه ما تقوله عليه المبطلون ووصمه به المعاندون، معاذ الله لا يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء الجامع لمعالي الدنيا والآخرة المانع لكل نقص نسبته إليه الطائفة المارقة الفاجرة، إلاّ لمن علم صلى الله عليه وسلم أنه أهل لذلك حقيق بما هنالك فان قلت هذا اللفظان أعني هاديا مهديا مترادفان أو متلازمان فلم جمع النبي صلى الله عليه وسلم بينهما؟ قلت ليس بينهما ترادف ولا تلازم، لأن الإنسان قد يكون مهتديا في نفسه ولا يهتدي غيره به، وهذه طريق من آثر من العارفين السياحة والخلوة، وقد يهدي غيره ولا يكون مهتديا وهي طريقة كثيرين من القصاص الذين أصلحوا ما بينهم وبين الناس وأفسدوا ما بينهم وبين الله، وقد شاهدت من هؤلاء جماعة لم يبال الله بهم في أي واد هلكوا، وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[١] فلأجل هذا طلب صلي الله عليه وسلم لمعاوية حيازة هاتين المرتبتين الجليلتين حتى يكون مهديا في نفسه هاديا للناس ودالا لهم على معالي الأخلاق والأعمال. ومنها ما جاء بسند ليس فيه علة إلاّ اختلاط حصل لبعض رواته أن عوف بن مالك كان قائلا نائما بمسجد بأريحاء فانتبه فاذا أسد يمشي إليه فأخذ سلاحه فقال له الأسد صه إنما أرسلت إليك برسالة لتبلغها. قلت: من أرسلك؟ قال الله أرسلني إليك لتعلم معاوية أنه من أهل الجنة. قلت: من معاوية؟ قال ابن أبي سفيان[٢] ولا يستبعد ذلك لأن كلام الأسد له كرامة وهي جائزة الوقوع خلافا للمعتزلة وكونه من أهل الجنة شهدت به أدلة كثيرة لو لم يكن إلاّ الدعاء له بأن يكون هاديا مهديا لكفى فليس هنا استغراب يؤدى إلى الطعن في هذه الحكاية

---

(١) الحديث في الصحيحين وأخرجه الطبراني عن عمرو بن النعمان بن مقرن

(٢) رواه الطبراني عن عوف بن مالك والمختلط أبو بكر بن أبي مريم

بوجه. ومنها الحديث الذي خرجه الحافظ الحارث ابن أسامة وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**أبو بكر أرق أمتي وأرحمها**) ثم ذكر مناقب بقية الخلفاء الأربعة ثم مناقب جماعة آخرين من أصحابه وذكر منهم معاوية فقال صلى الله عليه وسلم: (**ومعاوية ابن أبي سفيان أحلم أمتي وأجودها**). فتأمل هذين الوصفين الجليلين اللذين وصفه صلى الله عليه وسلم بهما تعلم أنه حاز بسببهما مرتبة جليلة رفيعة من الكمال لم يحزها غيره. إذ الحلم والجود ينبئان عن انتقاء سائر حظوظ النفس وشهواتها. أما الأول فلأنه لا يحلم لا سيما في مضائق النفس وثوران فورة غضبها إلاّ من لم يبق في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حظ للنفس ومن ثم قال رجل: يا رسول الله أوصني قال (**لا تغضب**) فلا زال يكرر طلب الوصية وهو صلى الله عليه وسلم لا زيده على قوله لا تغضب إعلاما له بأنه إذا وقي شر الغضب وقي شر خبائث النفس وشهواتها ومن وقى ذلك حاز جميع معالم الخير وآدابه وأما الثاني فلأن (**حب الدنيا رأس كل خطيئة**) كما في الحديث فمن وقاه الله حبها ورزقه حقيقة الجود كان ذلك علامة على أنه لم يبق في قلبه مثقال ذرة من حسد ولا يلتفت إلى فان، والاشتغال بقاطع من قواطع الخيرات الظاهرة والباطنة، وحيث خلص القلب من هاتين البليتين القبيحتين بل لا أقبح منهما الغضب والبخل المستتبعان لأمهات النقائص وعظائم الخبائث كان متحليا بكل كمال وخير مطهرا عن كل شر وضير، وحينئذ نتج من هاتين الكلمتين -أحلم أمتي وأجودها- الجامعتين المانعتين كما تقرر -أن الصادق المصدوق شهد لمعاوية بأنه بلغ جميع ما قررته في شرح هاتين بزيادات وأنه لا يتطرق إليه ما انتحله عليه ونسبه إليه ذو البدع والجهالات، فان قلت هذا الحديث المذكور سنده ضعيف فكيف يحتج به، قلت الذي أطبق عليه أئمتنا الفقهاء والأصوليون والحفاظ أن الحديث الضعيف حجة في المناقب كما أنه ثم باجماع من يعتد به حجة في فضائل الأعمال وإذا ثبت أنه حجة في ذلك لم تبق شبهة لمعاند ولا مطعن لحاسد بل وجب على كل من فيه أهلية أن يقر هذا الحق في نصابه وأن يرده

إلى إهابه، وأن لا يصغي إلى ترهات المضلين ونزغات المبطلين. وبعد أن تقرر لك ما ذكر في الحديث الضعيف فليكن ذلك على ذكرك من كل محل من هذا الكتاب وغيره رويت فيه حديثا ضعيفا فيه منقبة لصحابي أو غيره، فاستمسك به لما علمت أنه هنا حجة كافية لكن شرطه على الأصح أن لا يشتد ضعفه بأن لا ينسب لأحد من رواته وضع ونحوه وإلاّ لم يحتج به مطلقا[١]، ومنها الحديث الذي أخرجه الملا في سيرته ونقله عنه المحب الطبري في رياضه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم علي، ولكل نبي حواري وحواريي طلحة والزبير وحيثما كان سعد بن وقاص كان الحق معه وسعيد بن زيد أحد العشرة من أحباء الرحمن: وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن. وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله**) صلى الله عليه وسلم، (**وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان فمن أحبهم فقد نجا ومن أبغضهم فقد هلك**) فتأمل ما خص به معاوية المناسب لكونه كاتبه وأمينه على الأسرار الإلهية والتنزلات الرحمانية. تعلم أن معاوية كان عنده صلى الله عليه وسلم بمكانة علية جدا إذ لا يأمن الانسان على أسراره إلاّ من اعتقده جامعا للكمالات متطهرا عن جميع الخيانات وهذه من أجل المناقب، وأكمل الفضائل والمطالب، ومنها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد استوص بمعاوية فانه أمين على كتاب الله ونعم الأمين هو. رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا ففيه لين والآخر قال الحافظ الهيثمي لا أعرفه، ومثل هذا

---

(١) التسامح في رواية الضعيف في فضائل الأعمال من غير نص على ضعفه منقول عن الإمام أحمد وعبد الرحمن بن مهدي وابن المبارك. كما ذكره ابن عبد البر والعراقي والسيوطي والسخاوي والدواني ومقتضى إفتاء ابن الصلاح والنووي. بل يثبت به الاستحباب عند كثير منهم والعمل به مقدم على العمل بالرأي. وعلى ذلك العمل في الترغيب والترهيب والفضائل. وذكر المناقب ونحوها. كما ذكره السيوطي في طلوع الثريا. والتعظيم والمنة وغيره كما في الأجوبة الفاضلة للكنوي

الذي قاله ابن عباس لا يقال مثله من قبل الرأي فله حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجهالة أحد رواته غايتها أنها توجب ضعف سنده وقد مر آنفا أن الضعيف حجة في المناقب[١] ومنها أنه صلى الله عليه وسلم دخل على زوجته أم حبيبة ورأس معاوية في حجرها وهي تقبله -فقال لها (**أتحبيه**) قالت وما لي لا أحب أخي فقال صلى الله عليه وسلم (**فان الله ورسوله يحبانه**)- قال الحافظ المذكور في سنده من لم أعرفهم أي فهو ضعيف ومر أنه حجة هنا، ومنه فوزه بمصاهرته صلى الله عليه وسلم فان أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها أخته وقد قال صلى الله عليه وسلم. (**دعوا أصحابي وأصهاري فان من حفظني فيهم كان معه من الله حافظ ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه**) رواه الإمام الحافظ أحمد بن منيع. وقال صلى الله عليه وسلم (**عزيمة من ربي وعهد عهده إليّ أن لا أتزوج إلى أهل بيت ولا أزوج بنتا من بنات لأحد إلاّ كانوا رفقائي في الجنة**) رواه الحارث بن أبي أسامة، وقال صلى الله عليه وسلم (**سألت ربي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا أزوج أحدا من أمتي إلاّ كان معي في الجنة فأعطاني ذلك**). رواه الحرث أيضا، فتأمل هذا الفضل العظيم والجاه الجسيم لكل أهل بيت تزوج منهم صلى الله عليه وسلم، فعلم أن الله منح بيت أبي سفيان -وأجلهم معاوية- من الشرف والكمال ومن العز والفخر والجلال ومن العظمة والحفظ والإقبال، ما حصل لهم به التميز الأكبر والقرب الأظهر. وتأمل أيضا قوله صلى الله عليه وسلم (**من حفظني فيهم كان معه من الله حافظ ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى**

---

(١) الضعيف لا يثبت به الحجية إلاّ ما حكي عن ابن الهمام وإلاّ ما حكي عن بعضهم إذا لم يجد في الباب غيره فيكون أولى من الرأي. وهو كذلك مشروط بشروط عند المحدثين منها إذا لم يشتد ضعفه وأن لا يعتقد أنه من السنة وأن يدخل تحت أمر عام. وهذه الأمور هل تشترط في باب الفضائل والمناقب. نعم الضعيف أمارة ضعيفة لا يترتب عليها مفسدة فلا عجب أن يعمل بمفاده للاحتياط في الدين ويستحب العمل بمفاده إذا لم يكن شديد الضعف ويثبت به الاستحباب كما قاله ابن الهمام وصاحب إنموذج العلوم

الله منه يوشك أن يأخذه) -لعلك تنكف أو تكف غيرك عن الخوض في عرض أحد ممن اصطفاهم الله لمصاهرة رسوله وأدخلهم في حيطة قربه وتكميله فإن الخوض في أحد من هؤلاء هو السم الناقع والسيف القاطع ومن تحسى مثل هذا السم كانت نفسه رخيصة عليه وشهوته جارة لكل سوء إليه ومن هو كذلك لا يبالي الله به في أي واد هلك ولا في أي ضلال ارتبك أعاذنا الله من غضبه ونقمه بمنه وكرمه آمين[١].

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم بشره بالخلافة: روى أبو بكر ابن أبي شيبة بسنده إلى معاوية رضي الله عنه أنه قال ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(إذا ملكت فأحسن)** وروى أبو يعلى بسند فيه سويد وفيه مقال لا يؤثر فيه عن معاوية قال نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **(يا معاوية إن وليت أمرا فاتق الله واعدل)**، قال فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لأجله حتى وليت أي الأمارة عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ثم الخلافة الكاملة لما نزل له الحسن عنها كما يأتي. ورواه أحمد بسند صحيح لكن فيه إرسال وصله أبو يعلى بسنده الصحيح ولفظه عن معاوية أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه **(توضؤا)** فلما توضؤا نظر إليّ فقال **(يا معاوية أن وليت أمرا فاتق الله وأعدل)** والثاني بنحو ما مر وفي رواية للطبراني في الأوسط **(فاقبل من محسنهم واعف عن مسيئهم)** وروى أحمد بسند حسن آخر

(١) ولا يجوز الخوض في عرض أحد من الأحياء أو الأموات فانه غيبة محرمة ولا يستثنى من ذلك إلاّ ما نتحقق به مصلحة شرعية مظنونة الوقوع. ويجب على من سمع غيبة مسلم أن يردها ويزجر قائلها. خصوصا إذا كان من أهل الفضل كما ذكره النووي. ففي جامع الترمذي من رد عن أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة. وسب الميت لا تتحقق به مصلحة شرعية إذ لا فائدة فيه لعدم الردع. والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده كما في الحديث. ومن قلمه وكتابه بل ومن قلبه ولا يباح له سوء الظن بالناس فيلزمه حفظ قلبه من الخواطر النفسية فان النفس إذا ركنت لها استحق صاحبها المؤاخذة عند المحققين كما نقله عنهم السبكي والقاضي عياض

يقاربه أن معاوية أخذ الاداوة لما اشتكى أبو هريرة أي لأنه كان هو الذي يحملها وسار معاوية بها مع النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يوضئ رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال (**يا معاوية إن وليت أمرا فاتق الله وأعدل**) قال معاوية فما زلت أظن أني سألي الخلافة حتى وليت. وفي حديث سنده حسن سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم يملك هذه الأمة من خليفة قال: (**اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل**) ومعاوية منهم بلا شك لأن الأئمة قد اتفقوا على أن عمر بن عبد العزيز منهم ومعاوية أفضل منه كما مر عن ابن المبارك وغيره فليكن منهم أيضا فان قلت كيف ذلك وقد جعل صلى الله عليه وسلم ملكه عاضا بدليل ما صح أن حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (**يكون فيكم النبوة ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم ملكا عاضا، ثم ملكا جبرية ثم خلافة على منهاج النبوة**) قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز وكان يزيد بن النعمان بن بشير من صحابته كتبت له بهذا الحديث أذكره إياه فقلت إني لأرجو أن يكون أمير المؤمنين يعني عمر بعد الملك العاض والجبرية فأدخل كتابي على عمر وقرأه عليه فسر به وأعجبه وفي أوائل كتابي مختصر تاريخ الخلفاء في هذا الحديث كلام طويل ينبغي مراجعته وقد عنى صلى الله عليه وسلم الخلافة الأولى بالحسن حيث جعل مدتها بعده ثلاثين سنة وآخر الثلاثين من خلافة الحسن ولم تثبت الخلافة لمعاوية إلاّ بعد أن نزل له الحسن عنها فلزم من هذا التقرير أن خلافة معاوية من الملك العاض وأن معاوية ليس من هؤلاء الاثنى عشر خليفة قلت هي وإن كانت كذلك غير ضارة في معاوية فانه وقع في خلافته أمور كثيرة ولم يؤلف مثلها في زمن الخلفاء الراشدين فسميت لاشتمالها على تلك الأمور ملكا عاضا وإن كان معاوية مأجورا على اجتهاده للحديث (**إن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد**) ومعاوية مجتهد بلا شك فاذا أخطأ في تلك الاجتهادات كان مثابا، وكانت

غير نقص فيه وإن سمي ملكه المشتمل عليهما عاضا، ثم رأيت حديثا مصرحا بأن ملك معاوية وإن كان عاضا من وجه أو وجوه فهو رحمة ولفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أول هذا الأمر نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا ورحمة ثم يكون إمارة ورحمة ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير فعليكم بالجهاد وإن أفضل جهادكم الرباط وإن أفضل رباطكم عسقلان**) رواه الطبراني، ورجاله ثقات وهو صريح فيما ذكرته إذ الملك الذي بعد الخلافة هو ملك معاوية وقد جعله رحمة ففيه عض ورحمة باعتبار لكن الظاهر باعتبار ما وجد من الخارج أن الرحمة في ملك معاوية أظهر والعض فيما بعده أظهر إلاّ ولاية عمر بن عبد العزيز فانها ملحقة بالخلافة الكبرى، ولذا ألحق بالخلفاء الراشدين، وصح حديث (**لا يزال أمر أمتي صالحا حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**) وفي رواية في سندها ضعيف (**اثنا عشر قيما من قريش لا يضرهم عداوة من عاداهم**)، ومنها ما جاء بسند رجاله ثقات على خلاف في بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر في أمر وقال لهما (**أشيرا عليّ مرتين**) ففي كل يقولان الله ورسوله أعلم فأرسل لمعاوية فلما وقف بين يديه قال (**أحضروه أمركم وأشهدوه أمركم فانه قوي أمين**). فتأمل هذين الوصفين الجليلين اللائقين بالخلافة تجد معاوية أهلا لها ولذا لما نزل له الحسن عنها لم يطعن أحد فيه بكلمة وإنما كان العطن عليه قبل ذلك لأن الخليفة الحق علي فولده الحسن كرم الله وجههما. ومنها ما جاء بسند رواته ثقات على خلاف فيه وإرسال فيه أنه صلى الله عليه وسلم دعا لمعاوية فقال (**اللّهمّ علمه الكتاب والحساب ومكن له في البلاد وقه سوء العذاب**). وفي رواية (**اللّهمّ علم معاوية الكتاب والحساب**)[١] ومنها أن

---

(١) الرواية (**اللّهمّ علمه الكتاب والحساب ومكن له في البلاد**) ثم (**اللّهمّ علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب**). فالأولى من رواية البزار وأحمد والطبراني وفيها من لم يوثق ومن اختلف فيه والثانية مرسلة وفي بعض رجالها اختلاف

عمر رضي الله عنه مدحه وأثنى عليه وولاه دمشق الشام مدة خلافة عمر، وكذلك عثمان رضي الله عنه وناهيك بهذه منقبة عظيمة من مناقب معاوية ومن الذي كان عمر يرضى به لهذه الولاية الواسعة المستمرة -وإذا تأملت عزل عمر لسعد بن أبي وقاص الأفضل من معاوية بمراتب وإبقائه لمعاوية على عمله من غير عزل له علمت بذلك أن هذه ينبئ عن رفعة كبيرة لمعاوية وأنه لم يكن ولا طرأ فيه قادح من قوادح الولاية، وإلاّ لما ولاه عمر أو لعزله وكذا عثمان، وقد شكا أهل الأقطار كثيرا من ولاتهم إلى عمر وعثمان فعزلا عنهم من شكوهم وإن جلت مراتبهم، وأما معاوية فأقام في إمارته على دمشق الشام هذه المدة الطويلة فلم يشك أحد منه ولا اتهمه بجور ولا مظلمة، فتأمل ذلك ليزداد اعتقادك أو لتسلم من الغباوة والعناد والبهتان[١]

وسبب ولايته لدمشق أن أبا بكر رضي الله عنه لما استخلف بعث الجيوش إلى الشام وولاها يزيد بن أبي سفيان أخا معاوية فسار معه معاوية فلما مات يزيد استخلف أخاه معاوية على عمله فأقره عمر رضي الله عنه على ذلك مدة خلافته وكذلك عثمان فمكث أميرا نحو عشرين سنة وخليفة عشرين ثم لم يبايع عليا كرم الله وجهه للتأويل الآتي بيانه واستقل في زمن خلافة علي بالشام ثم ضم إليها مصر. ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمين يوم صفين، ثم استقل بها لما صالح الحسن ونزل له الحسن عنها باختياره ورضاه بل مع كثرة أتباعه وأعوانه، ومع غلبة الظن بأنه لو حارب معاوية لغلبه، فلم يكن لنزوله سبب إلاّ خشيته رضي الله عنه على دماء المسلمين، فانه كما قال علم أن الفئتين متكافئتان أو قريبتا التكافئ فلا يقع ظفر واحدة إلاّ بعد فناء معظم الأخرى، والترك لأجل ذلك من أعظم مناقبه رضي الله عنه ولذا أثنى عليه به جده صلى الله عليه وسلم على المنبر على رؤس الأشهاد إعلاما لهم مما سيقع منه لئلا يظن الجاهل أن الحامل له على ذلك الصلح جبن أو نحوه، فقال وقد أمسكه؛ **(إن**

---

(١) ذكر ابن العربي أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها لما رأى من حسن سيرته وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور

ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين). فساوى بينهم في الإسلام ولم يذكر مرجحا لأحدهما إعلاما باستوائهم في أصل الثواب[١] والله المرشد لاعتقاد الصواب، والتخلي عن شئوم العصبية والارتياب.

وبعد نزول الحسن لمعاوية اجتمع الناس عليه وسمى ذلك العام عام الجماعة، ثم لم ينازعه أحد من أنه الخليفة الحق من يومئذ. ومنها أن عمر رضي الله عنه اعترض عليه مرة فبالغ في الرد على عمر حتى استحيى عمر منه، أخرج ابن المبارك بسند قوي أن معاوية في زمن خلافة عمر قدم عليه مع جماعة وهو أجملهم فخرج إلى الحج مع عمر رضي الله عنهما وكان عمر ينظر إليه فيتعجب منه ثم يقول له: بخ بخ إذا نحن خير الناس، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة فقال معاوية يا أمير المؤمنين سأحدثك عن سبب نمو أبداننا وزيادة جمال صورنا إنا بأرض الحمامات والريف فقال عمر كلاما حاصله: بل ما سبب ذلك إلاّ مزيد تنعمك في المأكل والمشرب، والمحتاجون وراء بابك ثم لما وصل إلى ذي طوى أخرج معاوية حلة ريحها طيب فنقم عليه عمر وقال: يخرج أحدكم حاجا تفلا -أي أشعث أغبر- حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبيه كأنهما كانا في الطيب فلبسهما فقال له معاوية إنما لبستهما لأدخل بهما على عشيرتي والله لقد بلغني أذاك ههنا وفي الشام، قال أسلم: تولى عمر فالله يعلم أن لقد عرفت الحياء في وجه عمر فنزع معاوية الثوبين ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما، فتأمل مواجهة معاوية لعمر بقوله لقد بلغني أذاك ههنا وفي الشام، فاستحيا منه -الذي كان لا يخاف في الله لومة لائم ولم يرد على معاوية بنت شفة تعلم أن عمر رجع عن الانكار عليه لأنه بين له عذره في فعله، وهو أنه لم يفعل

---

(١) قال ابن العربي في عارضة الأحوذي: وتزاحف الحسن ومعاوية لمثل ذلك من السعي في لم شعث المسلمين وجمع كلمتهم المفترقة فأصلح الله الحال بالحسن. تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه **(إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين)**. فمدح النبي عليه السلام الحسن بعقله وإصلاح ما بين الفئتين وجعلهم مسلمين

ذلك إلاّ لقصد صحيح؟ وهو التجمل عند الدخول على عشيرته، وذلك في أصله محبوب بل مؤكد، لأنه صلى الله عليه وسلم كما ورد كان إذا جاءه وفد لبس أحسن ثيابه وأنظفها، وتكحل وتعمم ونظر في الماء، وساوى ما يحتاج إلى التسوية. فقالت له عائشة وأنت يا رسول الله فقال: (**وأنا إن الله جميل يحب الجمال**). وفي هذا أحاديث كثيرة استوعبتها مع بيان مراتبها ومعانيها في كتابي در الغمامة في العذبة والطيلسان والعمامة، هذا ما رآه معاوية وأما عمر فنظر إلى الحالة الراهنة وأن المحرم أشعث أغبر كما قال صلى الله عليه وسلم وقصد التجمل لم يطلع عليه عمر، وبفرض الاطلاع عليه يمكنه أن يقول هذا -أعني التجمل للعشيرة- يحصل بعد التحلل من الإحرام، فلا ضرورة إليه قبله وبهذا يعلم أن ما رآه عمر هو الأحق بالسنة والأوفق للحديث المذكور وما رآه معاوية من أنه يستثني من ذلك القدوم على الأهل فينبغي التجمل حينئذ ولو للمحرم، يمكن أن يقال به عملا بالقاعدة المقررة في الأصول انه يستنبط من النص معنى يخصصه، ومع ظهور رأي عمر عذر معاوية فيما رآه أيضا واحتمل قوله: لقد بلغني أذاك إلى آخره نظرا إلى القاعدة المقررة: أن المجتهد لا ينكر على مجتهد ولقد بلغ عمر في الرجوع إلى الحق إذا نبه له ولو من السب المبلغ الرفيع الشأن الذي يبلغه غيره[١].

ومنها ثناء الصحابة رضي الله عنهم الثناء البليغ جدا عليه، أخرج ابن سعد أن معاوية دخل على عمر رضي الله عنهما وعليه حلة خضراء فنظر إليه الصحابة -أي نظر إعجاب به أو منه- فلما رآهم عمر ينظرون إليه جعل يضربه بالدرة ويقول: الله

---

(١) في دراسات اللبيب. في الأسوة الحسنة بالحبيب المعين بن الأمين في الدراسة الثانية: أنه أنكر كثير من الصحابة على معاوية محدثاته: وذكر من ذلك وقائع وفتاوى كثيرة مرجعها ما يقع لكل المجتهدين من الاختلاف في الرأي أو عدم العلم بالنص ومثلها وقع من الصحابة وغيرهم. فلا تنزل بمعاوية عن صف المجتهدين. وقد شهد له بالفقه ابن عباس وبالقضاء سعد بن أبي وقاص كما ذكره البخاري في صحيحه وتاريخه وكان ذلك استجابة لدعاء الرسول له بأن يعلمه الله الفقه كما في تاريخ البخاري وانظر المقدمة في بسط ذلك

الله يا أمير المؤمنين فيم فيم، فلم يكلمه عمر حتى رجع لمجلسه، فقال له الصحابة لم ضربت الفتى ما في قومك مثله، أي عمالك ويحتمل أن يريدوا بالقوم قريشا، وعلى كل فالمثلية نسبية، فقال ما رأيت منه إلاّ خيرا لكني رأيته وأشار بيده إلى فوق فأردت أن أضعه أي رأيت عليه ما يشعر بالتكبر فأردت أن أرشده إلى التواضع ما أمكنه، فان قلت لم قال معاوية فيما مر آنفا إنما لبستهما إلى آخره وسكت هنا قلت لأن ما صدر منه هنا فعل وهو الضرب وبعد وقوعه باجتهاد صحيح لا يمكن اعتراضه ولا الكلام فيه، وبهذا يظهر لك تمام فقه معاوية وبلوغه المرتبة العلية في العلم والأدب، ولذا قابله عمر بما يأتي لا سيما وقد قال له الصحابة رضي الله عنهم الذين هم أهل مجلسه وهم أكابر المهاجرين والأنصار كما دلت عليه الآثار الصحيحة ما في قومك مثله، مشيرين إلى نوع اعتراض عليه فأجابهم بقوله ما رأيت منه وما بلغني عنه إلاّ الخير، وهذا لمن تأمله يدل على منقبة باهرة ومدحة ظاهرة لمعاوية إذ هذه الشهادة من عمر وأهل مجلسه الذين هم أكابر المهاجرين والأنصار. بأنه ما في قومه مثله وبأنه لم ير منه ولم يبلغه عنه إلاّ الخير يقطع أعناق الطاعنين عليه ويقصم ظهور المعاندين والغالين فيما نسبوه إليه.

ومنها أن عمر حض الناس على اتباع معاوية والهجرة إليه إلى الشام إذا وقعت فرقة أخرج ابن أبي الدنيا بسنده أن عمر قال: إياكم والفرقة بعدي فإن فعلتم فاعلموا أن معاوية بالشام، فإذا وكلتم إلى رأيكم كيف يستبزها منكم، كذا رأيت في النسخة التي عندي من الإصابة والظاهر أن كيف معمولة لمحذوف دل عليه السياق وضمير يستبزها للفرقة وحينئذ فالمعنى أنه يحرضهم إذا وقعت فتنة أوجبت افتراق الصحابة لموت الخلفاء الراشدين، أن يخرجوا إلى معاوية ويفوضوا إليه أمر تلك الفتنة لعظيم رأيه وحسن تدبيره لاتفاقهم على أنه كان من دهاة العرب وحكمائهم ولا يعرف الرأي الصحيح عند وقوع الفرقة واصطلاء نار الفتنة إلاّ من أخذ من الحكمة والدهاء الناشئين عن كمال العقل وصحة التجربة بالبر الكلي أو

الأغلبي بالغاية القصوى والمرتبة العليا ومعاوية ممن بلغ هذه المرتبة كما شهدت به أقرانه وأقضيته وتصرفاته وحلمه وحمكه، فلذا أمرهم عمر باللحوق به وأشار اليه أنهم يلقون إليه مقاليد أمور تلك الفتنة فإنه يطفئها برأيه وأنهم إن وكلوا إلى رأيهم بقوا في الفتنة حائرين ولم يحسنوا التخلص منها على الوجه الأكمل والطريق الأقوم الأعدل وهذا من عمر رضي الله عنه كرامة باهرة لتضمنه الأخبار بأن الأمر سيصير إليه وأن مقاليد الأمة لا يعول فيها إلاّ عليه، ومدحة علية لمعاوية وشهادة له بالقوة النفسية وغايتها من الذكاء والدهاء والعلم ببواطن الأمور على ما هي عليه، والحكمة المقتضية لوضع كل شيء في محله والاجتهاد في الفروع والأحكام المنجي من غياهب المشكلات عن مضايق العويصات، وكفى بهذه الأوصاف الجليلة من مثل عمر لمعاوية رفعة في مرتبته وشهادة بكمال منقبته وباهر فطنته.

ومنها ثناء علي كرم الله وجهه عليه بقوله: قتلاي وقتلى معاوية في الجنة رواه الطبراني بسند رجاله موثقون على خلاف في بعضهم، فهذا من علي صريح لا يقبل تأويلا بأن معاوية مجتهد توفرت فيه شروط الاجتهاد الموجبة لتحريم تقليد الغير، إذ لا يجوز لمجتهد أن يقلد مجتهدا بالاتفاق سواء خالفه في اجتهاده وهو واضح أم وافقه لأن كلا إنما أخذ ما قاله من الدليل لا غير، وذلك يسمى موافقا لا تقليدا، ولهذا أول أصحابنا ما أوهمه بعض العبارات أن الشافعي رضي الله عنه أخذ بقول عثمان في شرط البراءة في العيب عن جميع العيوب، وبأكثر أقوال زيد في الفرائض، بأن المراد أن اجتهاده وافق اجتهادهما، لا أنه قلد أحدهما لأن المجتهد وإن تأخر لا يجوز له تقليد مجتهد آخر ولو من الصحابة رضوان الله عليهم، وتصريح لا يقبل تأويلا من علي أيضا، بأن معاوية لأجل اجتهاده وإن أخطأ فيه كما هو شأن سائر المجتهدين بنص الحديث، **(ومن اجتهد وأخطأ فله أجر مأجور هو وأتباعه المقلدون له والموافقون له في الاجتهادات)**. لأن كثيرا من الصحابة وفقهاء التابعين كانوا موافقين له في اعتقاده حقية ما هو عليه حتى مقاتلة علي ففعله لذلك لم يكن عن

حسد لعلي ولا عن طعن حاشاه الله من ذلك وإنما كان عن أمر قام في اعتقاد معاوية باعتبار الدليل الملجئ له إلى ذلك لأن المجتهد أسير الدليل الذي انقدح له فلا يجوز له مخالفته بوجه من الوجوه، فلذا أثيب هو وأتباعه وإن كان الحق مع علي وأتباعه وتأمل كون علي كرم الله وجهه مع اعتقاده حقية ما هو عليه وبطلان ما عليه معاوية حكم مع ذلك بإثابة معاوية وأتباعه، وأنهم كلهم في الجنة فعلم بصحة ما ذكرته أن هذا من علي صريح لا يقبل تأويلا بأن معاوية وأتباعه مثابون غير مأثومين بما فعلوه من قتال علي، وإنما قاتلهم مع ذلك لأن البغاة يجب على الإمام قتالهم وهؤلاء بغاة إذ ليس من شرط البغي الإثم بل من شرطه التأويل الغير القطعي البطلان، ومن ثم قال أئمتنا ليس البغي اسم ذم، وقال الشافعي رضي الله عنه أخذت أحكام قتال البغاة مما فعله علي لما قاتل معاوية، ثم ما ذكر عن علي صريح أيضا في أن قوله عز قائلا: (**وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** * الحجرات: ٩) يشمل معاوية وعليا وأتباعهما.

(**تنبيه**): ينبغي لك إذا باحثت أحدا من أولاد علي الذين يعرفون القواعد الأصولية والحديثية ويذعنون للحق إذا ظهر، أن تذكر له كلام علي هذا ونحوه مما يأتي عن أهل البيت فانه أبلغ عنده من أكثر الأدلة السابقة والآتية. ومنها ثناء ابن عباس رضي الله عنهما على معاوية وهو من أجل آل البيت والتابعين لعلي كرم الله وجهه. ففي صحيح البخاري عن عكرمة قال: قلت لابن عباس إن معاوية أوتر بركعة فقال إنه فقيه وفي رواية أنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم:و هذا من أجل مناقب معاوية، أما أولا فلأن الفقه أجل المراتب على الاطلاق ومن ثم دعا صلى الله عليه وسلم بابن عباس فقال: (**اللّهمّ فقهه في الدين وعلمه التأويل**)، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**). وأما ثانيا فصدور هذا الوصف الجليل لمعاوية من عظم مناقبه كيف وقد صدر له من حبر الأمة وترجمان القرآن وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عم علي رضي الله

عنهما والقائم بنصرة علي في حياته وبعد وفاته، وصح ذلك عنه في البخاري الذي هو أصح الكتب بعد القرآن وإذا ثبت مع هذه الكمالات في الرواة والمروي عنه أن معاوية فقيه فقد أجمعت الأمة أهل الأصول والفروع على أن الفقيه في عرف الصحابة والسلف الصالح وقرون آخرين بعدهم هو المجتهد المطلق وأنه يجب عليه أن يعمل باجتهاد نفسه ولا يجوز له أن يقلده غيره في حكم من الأحكام بوجه كما مر وحينئذ، ينتج من ذلك عذر معاوية في محاربته لعلي كرم الله وجهه وإن كان الحق مع علي كما مر ويأتي، هذا ما يتعلق بقول ابن عباس إنه فقيه وقد سبق آنفا عن عمر في حضه الناس على اتباع معاوية ما هو صريح في أن معاوية مجتهد بل في أنه من أعظم المجتهدين وأجلهم. وسبق عن علي في قوله إن قتلى معاوية في الجنة، ما هو صريح لا يقبل تأويلا في أن معاوية اجتهد.

وإذا تقرر أن عمر وعليا وابن عباس اتفقوا على أن معاوية من أهل الفقه والاجتهاد اندفع ما طعن كل طاعن عليه وبطل سائر النقائص المنسوبة إليه، ومما يتعلق بقول ابن عباس إنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا من ابن عباس وقع زجرا لعكرمة المنكر على معاوية إيتاره بركعة بما حاصله، إن معاوية صحب النبي صلى الله عليه وسلم فحل عليه من لحظه وكماله ما صار به من العلماء الفقهاء الحكماء فهو أعرف بحكم الله فيما يفعله من المعترضين عليه وإذا تأملت هذين الوصفين اللذين صحا في البخاري عن ابن عباس في حق معاوية علمت أنه لا مساغ لأحد في الانكار على معاوية فيما اجتهد فيه فظهر له أنه الحق. ففعله لأنه كبقية مجتهدي الأمة والمجتهد لا ينكر عليه فيما أداه إليه اجتهاده إلاّ أن يخالف الاجماع أو النص الجلي، كما هو مقرر في الأصول، ومعاوية رضي الله عنه لم يخالف إجماعا كيف والإجماع لا ينعقد بدونه وأيضا فوافقه على ما ذهب إليه جمع من مجتهدي الأمة من الصحابة وغيرهم ولا نصا جليا كما هو جلي وإلاّ لم يتبعه ذلك الجمع الجم.

ومما ينبهك على عظيم فقهه ما رواه ابن ماجه: أن معاوية قام خطيبا على منبر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**لا تقوم الساعة إلاّ وطائفة من أمتي ظاهرين على الناس لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم**). أي أين علماؤكم أباحثهم عن معنى هذا الحديث ولا يقول مثل ذلك في ذلك الزمن الغاص بأكابر مجتهدي الأمة من الصحابة ومن بعد إلاّ أفقه الفقهاء وأجل العلماء والمدينة إذ ذاك كانت غاصة بالعلماء من الصحابة والتابعين فلا يتفوه بذلك منهم إلاّ من فيه كفاءة لهم وما رواه البخاري ومسلم أن معاوية قام خطيبا بالمدينة في قدمة قدمها فخطبهم يوم عاشوراء فقال أين علماؤكم يا أهل المدينة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهذا اليوم يوم عاشوراء ولم يكتب عليكم صيامه وأنا صائم فمن أحب منكم أن يصوم فليصم ومن أحب منكم أن يفطر فليفطر، قال النووي رحمه الله تعالى قول معاوية هذا ظاهر في أنه سمع من يوجب صوم يوم عاشوراء أو يحرمه أو يكرهه فأراد معاوية إعلامهم بأنه ليس بواجب ولا حرام ولا مكروه: وخطب به في ذلك المجمع العظيم ولم ينكر أحد منهم عليه، فظهر بذلك عظيم فقهه وقوة اجتهاده بل وبلوغه فيه مرتبة علية جدا، كيف وقد بالغ في التعريض بالمخالفين له ليناظروه في صوم يوم عاشوراء فسكتوا ولم يقدر منهم أحد على مناظرته سرا ولا جهرا، لا يقال إنما سكتوا لأنه الخليفة حينئذ فخافوا أن يغلظ عليهم، لأنا نقول هذا لا يتوهم فيمن قال في حقه صلى الله عليه وسلم (**إنه أحلم الأمة**)، فمن حاز هذا الوصف الأعظم كيف يخشى أحد من الكلام معه في مسألة علمية، طلب هو المباحثة فيها بحضرة أولئك الجمع الكثيرين، وأيضا من يعلم منه أنه تحمل وهو الخليفة الأعظم ممن يبصق على وجهه فيمسحه ويقول طاهر على طاهر، كيف لا يتحمل من يبحث معه في مسألة علمية ليعرف الصواب فيها من غيره. وإن حصل منه مما يقع في المباحثة ما حصل كلا لم يسكتوا إلاّ لعلمهم بأنه الفقيه المجتهد الذي لا يجاري والحبر الذي لا

يماري، ومما يدل على تحقيقه وعظيم اجتهاده أيضا ما أخرجه الفاكهي من رواية ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: لما حج معاوية فحججنا معه فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصفا فقال انزع لي منها دلوا يا غلام، قال فترع له دلوا فأتى به فشرب وصب على وجهه ورأسه وهو يقول: ماء زمزم شفاء وهو لما شرب له. فتأمل كون ابن الزبير عبد الله مع وفور علمه وتقدمه يحتج بأفعال معاوية ويتابعه عليها ثم بأقواله وينقلها عنه تجد الصحابة رضوان الله عليهم متطابقين على الاعتراف بعلمه واجتهاده وأنه غير منازع في ذلك ولا مدافع، وقد استدل بعض المحققين من أكابر الحفاظ بكلام معاوية هذا على ما اشتهر على الألسنة من حديث (**ماء زمزم لما شرب له**)، له أصل أصيل وذلك لأن كلام معاوية جاء بسند حسن وهو مصرح بهذا الحديث فيكون حجة على صحته إذ الصحابي إذا قال شيئا لا مجال للإجتهاد فيه يكون في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقول معاوية هذا حجة في أن حديث (**ماء زمزم لما شرب له**) وفي رواية لأحمد (**لما شرب منه**) حديث حسن وقد كثر كلام المحدثين وغيرهم فيه والحاصل أنه في حد ذاته ضعيف ولكن له شواهد أوجبت حسنه وشواهد أوجبت صحته، منها ما ذكر عن معاوية، ومنها أنه صح عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، نظير ما مر عن معاوية وقد صحح الحاكم إسناد المرفوع لكن قال إن سلم من الجارودي، أحد رواته ولم يسلم منه. وهو صدوق لكن إن لم ينفرد، وقد تفرد بوصله عن ابن عيينة، وهو عند التفرد لا يحتج به، فكيف وقد خالفه الثقات عن ابن عيينة أنه موقوف على ابن عباس لا مرفوع، ومنها حديث الطيالسي عن أبي ذر يرفعه إنها طعام طعم وشفاء سقم وأصله في مسلم ومنها أنه صححه من أكابر الحفاظ المتقدمين ابن عيينة ومن أكابر حفاظ المتأخرين المنذري والدمياطي وجمع فيه جزء ولا تنافي بين القول بصحته والقول بحسنه والقول

بضعفه، وممن صرح به النووي وهو من أئمة الحفاظ المتأخرين في التصحيح والتضعيف، وذلك لأن من أطلق صحته أراد باعتبار شاهده الصحيح المتقدم عن ابن عباس ومن أطلق حسنه أراد باعتبار شاهده الحسن، المتقدم عن معاوية ومن أطلق ضعفه فهو بالنظر إليه خليا عن الشواهد، وجاء من طرق واهية لا يعتد بها ماء زمزم شفاء من كل داء، وجاء من طرق يفيد مجموعها الحسن: (**التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق**)، وفي رواية، (**علامة ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم**)، وفي أخرى (**علامة ما بيننا وبين المنافقين أن يدلوا دلوا من ماء زمزم فيتضلع منها ما استطاع منافق قط يتضلع منها**)، وتوهم من لا علم عنده أن فضيلة ماء زمزم قاصرة على كونه في محله ولا أصل لذلك، كيف وهو صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث له شواهد كان يكتب لسهيل بن عمر وقبل فتح مكة يحثه أن يرسل منه إليه بالمدينة، وكذا كانت عائشة رضي الله عنها تحمله وتخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يفعله وأنه كان يحمله في الأداوي والقرب فيصب منه على المرضى ويسقيهم منه، وكان ابن عباس إذا نزل به ضيف أتحفه من ماء زمزم. وسئل عطاء عن حمله فقال قد حمله النبي صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين رضي الله عنهما.

(**تنبيه**) لهج بعض العوام بحديث (**الباذنجان لما أكل له**)، حتى قال بعض مجازفيهم إنه أصح من حديث (**ماء زمزم لما شرب له**)، وقد كذب في ذلك وضل. كيف وهذا أعني حديث الباذنجان باطل كذب لا أصل له. ومن أسنده فقد كذب وكذا من روى الباذنجان شفاء ولا داء فيه. وقد قال بعض الحفاظ إنه من وضع الزنادقة. ومن الباطل الكذب أيضا كلوا الباذنجان وأكثروا منه فانها أول شجرة آمنت بالله عز وجل، وفي لفظ كلوا الباذنجان فانها شجرة رأيتها في جنة المأوى. فمن أكلها على أنها داء كانت دواء ومن أكلها على أنها دواء كانت دواء. وأخرج البيهقي عن حرملة قال سمعت الشافعي ينهي عن أكل الباذنجان بالليل. وهذا الأخير غير قيد بل هو منهي عن أكله طبا. في سائر الزمن. ومن العجيب أن محقق الأطباء

وفقيههم العلامة العلي ابن النفيس في كتابه الموجز الذي هو العمدة في هذا الفن عند العرب والعجم وأهل الكتابين. ذكر على حروف المعجم كثيرا من المطعومات وما لها من المنافع والمضار إلاّ الباذنجان. فإنه عد مضاره و لم يعد له منفعة أصلا وقد فاوضت بعض الأطباء في ذلك فقال أحفظ له منفعة سهلة. وهو أنه يمسك الطبيعة المسترسلة[١] وهذا كله استطراد جر إليه ذكر ما وقع لمعاوية في ماء زمزم سهله كثرة فوائده وندرة فرائده فقيدها هنا لتحفظ وتعلم والله سبحانه وتعالى أعلم.

ومنها أنه ظهر لأبيه وأمه في صغره مخايل نجابته وأنه لابد أن يسود الناس كلهم ويملكهم أخرج أبو سعيد المدايني قال نظر أبو سفيان إلى ولده معاوية وهو غلام فقال: إن ابني هذا لعظيم الرأس وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت أمه هند قومه فقط؟ ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة، وأخرج البغوي عن ابان بن عثمان رضي الله عنهما قال: كان معاوية وهو غلام مع أمه إذ عثر فقالت له قم لا رفعك الله، فقال لها أعرابي لم تقولين هذا والله إني لأراه يسود قومه فقالت لا رفعه الله إن لم يسد إلاّ قومه، وكأنها أخذت ذلك من أخبار بعض الكهان. ومنها قول ابن عباس في حقه ما رأيت للملك أعلى من معاوية رواه البخاري في تاريخه ويوافق ذلك ما ذكروه أن عمر لما دخل الشام ورأى معاوية وكثرة جنوده وأبهة ملكه أعجبه ذلك وأعجب به ثم قال: هذا كسرى العرب، أي في فخامة الملك وباهر جلالته وعظمة أبهته، فتأمل هذه الشهادة له من عمر مع الرضى بما هو فيه والإعجاب به، وتلك الشهادة له من ابن عباس مع أنه كان من فئة علي كرم الله وجهه والمحاربين معه لمعاوية رضي الله عنهم ومع ذلك لم ينقص معاوية شيئا من حقه ولا أنقصه، بل بالغ في الثناء عليه وانه فقيه مجتهد، وهذا مما ينبهك على أن الصحابة رضوان الله عليهم

---

(١) أجمع المحدثون على وضع حديث الباذنجان وألف فيه المحدث إبراهيم بن محمد الناجي جزء سماه قلائد المرجان في الوارد كذبا في الباذنجان وموجز قانون ابن سينا شرحه الأقصرائي وذكر فيه من مضاره أنه يهيج أمراض السوداء من الجنون والحكة والوسوسة والبهق الأسود وغيره وأنه ردئ الخلط سئ الكيموس

وإن تحاربوا وتقاتلوا باقون على محبة كل للباقين وإبداء عذر الخارجين منهم على بقيتهم، وقد سبق عن علي رضي الله عنه قوله على قتلى معاوية إنهم في الجنة وسيأتي عنه أنه قال إخواننا بغوا علينا. وقال في حق طلحة وقد حاربه حربا شديدا أنا وهو كما قال الله تعالى (**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ اخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** * الحجر: ٤٧)، وبعد أن أحاط خبرك هذا كله من علي لم يبق لك عذر بوجه في الاعتراض على أحد من الصحابة فيما وقع منه مع البقية فتنبه لذلك ونبه الناس عليه فانه لا أنفع في المعترضين من كلام علي هذا، ومنها ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا منهم فثقة أنه قال: ما رأيت أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من أميركم هذا، يعني معاوية فتأمل شهادة هذا الصحابي الجليل بهذه المنقبة العظيمة لمعاوية رضي الله عنه وأنها تدل على عظيم فقهه واحتياطه وتحريه لما كان عليه صلى الله عليه وسلم لا سيما في الصلاة التي هي أفضل العبادات البدنية وأقرب الوصلات الرحمانية. ومنها ما جاء بسند فيه متروك أنه لما وصل رابغا متوجها لمكة من الشام أطلع في بئر عادية فأصابته لقوة فاستتر إلى أن دخل مكة فجاءه الناس فلف رأسه وشق وجهه بعمامة ثم خرج فخطب وقال من خطبته: إن أعافي فقد عوفي الصالحون قبلي، وإني لأرجو أن أكون منهم وإن ابتليت فقد ابتلى الصالحون قبلي وما أيأس أن أكون منهم وإن كان مرض مني عضو فما أحصي صحيحي وإن كان وجد -أي غضب- مني بعض خاصتكم فقد كنت وصولا لعامتكم فما لي أن أتمنى على الله أكثر مما أعطاني، فرحم الله رجلا دعا لي بالعافية فارتجت الأصوات بالدعاء له فاستبكى وبكى فقال له مروان ما يبكيك قال ما -أي شيء- كنت عنه عزوبا كبرت سني ورق عظمي وكثرت الدموع في عيني ورميت في أحسن ما يبدوا مني، ولولا هواي في يزيد أبصرت قصدي[١] فتأمل هذا الكلام البليغ

---

(١) الرواية أخرجها الطبراني وفيها محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني وهو متروك كذاب ولفظها محرف جدا في مجمع الزوائد المطبوع فلتصلح بما هنا

منه الدال على ما عنده من العلم والمعرفة لا سيما قوله أولا وإني لأرجوه ثانيا وما أيأس فان فرقه بين هذين المقامين مبني على غاية الرجاء والخوف وأنهما مستويان عنده كما هو الأصح عندنا في حق الصحيح، وأما المريض فالأولى له تغليب رجائه على خوفه لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (**أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي إلاّ خيرا**) وفي رواية (**لا يموتن أحدكم إلاّ وهو يحسن ظنه بربه**)، أي يظن أنه سيغفر له ويرحمه، وتأمل قوله وان كان مرض مني عضو إلى آخره، تجده أصلا عظيما في الرضا بالقضاء بل وفي الشكر لأن الإنسان إذا نزل به مرض في عضو من أعضائه فينبغي له الرضا بذلك والشكر لربه به، لأنه وإن ابتلاه بمرض عضو فقد أبقى له أعضاء لا تنحصر سالمة من المرض، وهذه نعم كثيرة لا تحصى في مقابلة بلية واحدة فليرض بهذه البلية ويشكر على تلك النعم ليكون من جملة الراضين الشاكرين، الذين هم أفضل العارفين، وأعلم العلماء العاملين وقوله وجد مني بعض خاصتكم إلى آخره: تجده غاية في التسليم والتسلي أي أن فرض أن بعض خاصتكم غضب عليّ فلا يؤثر غضبه فيّ لأنه إن كان عن غير موجب فظاهر أو عن موجب فينبغي أن أسامح في ذلك لأني تكررت مني الصلات الكثيرة لعامتكم فتلكن هذه بتلك وقوله فما لي أن أتمنى الخ فيه الاعتراف بتوالي نعم الله عليه وأنه قانع بما وصل اليه من النعم، ساكت عن تمني أكثر من ذلك فانه قد يكون للنفس فيه حظا وكل ما لها فيه حظ ولو بالقوة ينبغي تركه والإعراض عنه، قوله فرحم الله الخ فيه غاية التواضع وإظهار الافتقار والاحتياج إلى دعاء الرعية وأنه واحد من جملتهم محتاج اليهم وقوله كبرت سني الخ فيه إظهار الافتقار إلى الله تعالى وأنه بعد أن وصل إلى هذه الأمور وصار ضعيفا عاجزا لا قوة له على الملك وما يحتاج اليه إلاّ بمعونة عظيمة من ربه وقوله ولولا هواي الخ فيه غاية التسجيل على نفسه بأن مزيد محبته ليزيد أعمت عليه طريق الهدى وأوقعت الناس بعده مع ذلك الفاسق المارق في الردى لكنه قضاء الحتم، وقدر انبرم فسلب عقله الكامل، وعلمه الشامل ودهاءه الذي كان

يضرب به المثل وزين له من يزيد حسن العمل وعدم الانحراف والخلل كل ذلك لما أشار اليه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم من أنه (**إذا أراد الله إنفاذ أمره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ ما أراده تعالى**)، فمعاوية معذور فيما وقع منه ليزيد لأنه لم يثبت عنده نقص فيه، بل كان يزيد يدس على أبيه من يحسن له حاله حتى اعتقد أنه أولى من أبناء بقية أولاد الصحابة كلهم فقدمه عليهم مصرحا بتلك الأولوية التي تخيلها ممن سلط عليه ليحسنها له واختياره للناس على ذلك إنما هو لظن أنهم إنما كرهوا توليته لغير فسقه من حسد أو نحوه، ولو ثبت عنده أدنى ذرة مما يقتضي فسقه بل وإثمه لم يقع منه ما وقع، وكل ذلك دلت عليه هذه الكلمة الجامعة المانعة وهي قوله: ولولا هواي في يزيد أبصرت قصدي، فتأمل ذلك لتحيط منه بما ذكرته وفتحت لك باب ما بقي في كلامه من الاشارات والاعتبارات والله سبحانه الهادي إلى سواء السبيل ونسأله أن لا يزين لنا ما يكون سببا للانحراف عن سنن البرهان والدليل ومنها أنه حاز شرف الأخذ عن أكابر الصحابة والتابعين له وشرف أخذ كثيرين من أجلاء الصحابة والتابعين عنه، وذلك أنه روى عن أبي بكر وعمر وأخته أم المؤمنين أم حبيبة وروى عنه من أجلاء الصحابة وفقهائهم، عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير وجرير البجلي ومعاوية بن خديج والسائب بن يزيد والنعمان بن بشير وأبو سعيد الخدري وأبو أمامة بن سهل، ومن كبار التابعين وفقهائهم عبد الله بن الحرث بن نوفل وقيس بن أبي حازم وسعد بن المسيب وأبو إدريس الخولاني، وممن بعدهم عيسى بن طلحة ومحمد بن جبير بن مطعم وحميد بن عبد الرحمن بن عوف وأبو مجلز وحمران مولى عثمان، وعبد الله بن محيريز، وعلقمة بن أبي وقاص وعمير بن هانئ وهمام بن منبه وأبو العريان النخعي ومطرف بن عبد الله بن الشخير وآخرون، فتأمل هؤلاء الأئمة أئمة الإسلام الذين رووا عنه تعلم أنه كان مجتهدا أي مجتهد وفقيها أي فقيه.

(تنبيه) عن شيخ الإسلام والحفاظ من جملة من روى عنه من أكابر التابعين

وفقهائهم مروان ابن الحكم، وقد يشكل على ذلك ما جاء عنه في إيذائه الشديد لأهل البيت وسبه لعلي كرم الله وجهه على منبر المدينة في كل جمعة، وقوله للحسن والحسين أنتم أهل بيت مهونون ونحو ذلك مما يأتي عنه وجوابه أنه لم يصح عنه شيء من ذلك كما ستعلمه مما سأذكره، أن كل ما فيه نحو ذلك في سنده علة ولهذا روى له البخاري وغيره ولم يخرجه المحدثون، ولو صح عنه شيء من ذلك لنقله الحفاظ وتكلموا عليه، وبتسليم أنه قال ذلك فغايته أنه مبتدع والمبتدع غير الداعية تقبل روايته وقد روى البخاري في صحيحه عن جماعة مبتدعين ولم يؤثر ذلك فيه.

ومنها أنه أخبر عن أمور مغيبة فوقع الأمر بعده كما أخبره، وذلك كرامة، فمن ذلك ما جاء عنه بسند رجاله ثقات أنه قال إن أهل مكة أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تكون الخلافة فيهم أبدا، وأن أهل المدينة قتلوا عثمان فلا تعود الخلافة فيهم أبدا. فتأمل هذا الحكم منه رضي الله عنه على أهل مكة بأنهم جوزوا على ما فعلوه من إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بينهم، بأن محلهم لا تكون فيه الخلافة أبدا فوقع الأمر كما أخبر. ولا يرد عليه خلافة ابن الزبير، فانها كانت بمكة لأنها لم تتم، إذ الشام ومصر وغيرهما كانت كلها خارجة عن ولايته، وأيضا فكانت منازعا فيها من أولها، إلى آخرها فلم يصف له يوم من الدهر وعلى أهل المدينة. أي من كان فيها. حين قتل عثمان بأن الخلافة لا تعود إليهم، أي لا تعود إلى المدينة فلا تكون مستقرا للخلافة أبدا مجازاة لهم بما فعلوا بعثمان رضي الله عنه، فوقع الأمر هنا أيضا كما أخبر معاوية، بل هنا لم يقع صورة خلافة ولا ادعاؤها بخلاف مكة، فانها وقع فيها نوع من صورة الخلافة ولا عبرة بها، لأنها لم تسم خلافة على الإطلاق، فعلم بر معاوية فيما قاله وأن الأمر وقع بعد كما أخبر، وهذه كرامة جليلة لمعاوية رضي الله عنه، وليست الخوارق والكرامات ببعيدة على من حل عليه نظر ممد العالم بأسره في سره وجهره صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، ومنها ما جاء بسند في رجاله خلاف أن ابن عمر قال: ما رأيت أحدا من

الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية، وهذه شهادة من هذا الإمام الجليل بأن معاوية بلغ من السؤدد والسيادة غايتها، وأنه جمع صفات الكمال لتوقف ذلك عليها وهي الحلم والعلم والكرم وكان معاوية بالغا في كل من هذه الثلاثة مبلغا عظيما. ومنها ما جاء عن الأعمش بسند فيه ضعف أنه قال لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي، والأعمش من أجلاء التابعين وعلمائهم فشهادته بذلك لمعاوية تستدعي مدحا عليا لمعاوية وثناء جليلا عليه وإخبارا بأنه كان ماشيا في جميع أموره على الحق المزيد بحسب ما أداه اليه اجتهاده، وأنه عم الناس بره ونواله. كما أن المهدي كذلك في جميع هذه الأمور. ومنها ما جاء بسند رجاله ثقات أنه خطب يوم جمعة فقال: إنما المال مالنا والفئ فيئنا فمن شئنا منعناه، فلم يجبه أحد. ثم خطب يوم الجمعة الثانية فقال ذلك فلم يجبه أحد أيضا، ففعل في الثالثة كذلك فقام إليه رجل فقال: كلا إنما المال مالنا والفئ فيئنا فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله تعالى بأسيافنا، فمضى في خطبته ثم لما وصل مترله أرسل للرجل، فقالوا هلك، ثم دخلوا فوجدوه جالسا معه على سريره، فقال لهم إن هذا أحياني أحياه الله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**سيكون من بعدي أمراء يقولون فلا يرد عليهم، يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة**)، وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد عليّ أحد فخشيت أن أكون منهم ثم في الجمعة الثانية فلم يرد عليّ أحد فقلت إني منهم، ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد عليّ فأحياني، أحياه الله تعالى. فتأمل هذه المنقبة الجليلة التي انفرد بها معاوية إذ لم يرد عن أحد مثلها فانك إن أخلصت قصدك وتحقق توفيقك حملك على أنك تعتقد كماله، وترضى عنه وتعلم أنه كان حريصا على العمل لما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمكنه وأنه كان من الخائفين على نفسه أن توجد منه أدنى فرطة فحماه الله وآمنه رضي الله عنه. ومنها أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وثلاثة وستين حديثا اتفق البخاري ومسلم منها على أربعة وانفرد البخاري بأربعة ومسلم

بخمسة[١]. ومنها أنه لما حضرته الوفاة أوصى أن يكفن في قميص كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه إياه وأن يجعل مما يلي جسده. وكانت عنده قلامة أظفار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوصى أن تسحق وتجعل في عينيه وفمه. وقال افعلوا ذلك بي وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين ولما نزل به الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى وإني لم آل من الأمر شيئا. وهذا شأن الكمل رضي الله عنهم. فهنيئا له أن يسر له مماسة جسده لما مسه جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم. واختلاط باطن فمه وعينيه بما انفصل من بدن النبي صلى الله عليه وسلم واتفقوا على أنه توفي بدمشق والمشهور أن وفاته كانت لأربع خلون من رجب سنة ستين من الهجرة النبوية وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين سنة وقيل ست وثمانين سنة[٢].

الفصل الثالث

في الجواب عن أمور طعن عليه بعضهم بها، وبعضها قابل لأن يطعن بها عليه من لم يحط بما ذكرناه أو سنذكره

وقد علمت أجوبتها بما قدمته لكنها هنا موضحة مبسوطة مشتملة على زيادات لم تسبق[٣]. روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يلعب مع الصبيان فجاء له النبي صلى الله عليه وسلم فهرب. وتوارى منه فجاء له وضربه ضربة بين كتفيه ثم قال (**اذهب فادع لي معاوية**). قال فجئت فقلت هو يأكل ثم قال (**اذهب فادع لي معاوية**) قال فجئت فقلت هو يأكل؛ فقال (**لا أشبع الله**

([١]) ذكرنا في المقدمة أن ابن الوزير سرد في الروض الباسم مروياته في الكتب الستة من أحاديث الأحكام

([٢]) رواه الطبراني عن أبي نعيم بسند صحيح

([٣]) قال ابن العربي في عارضة الأحوذي: تباينت مذاهب الناس في معاوية فمنهم من هداه ومنهم من ضلله وذلك لخوضهم في الفتن بغير سفن وكلامهم بغير تحصيل ثم قال وتلك المعاني التي جرت من معاوية منها صحيح له مخرج سليم ومنها أمور باطلة ذكرها التاريخيون ليغيروا قلوب الناس على الصحابة بكونهم من أهل البدع ضالين مضلين

بطنه)، ولا نقص على معاوية في هذا الحديث أصلا، أما الأول فلأنه ليس فيه أن ابن عباس قال لمعاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فتباطأ، وإنما يحتمل أن ابن عباس لما رآه يأكل استحيى أن يدعوه فجاء وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يأكل، وكذا في المرة الثانية وحينئذ فسبب الدعاء بفرض أن يراد به حقيقته، أن طول زمن الأكل يدل على الاستكثار منه وهو مذموم على أن ذلك ليس فيه الدعاء عليه بنقص ديني وإنما هو للدعاء عليه بكثرة الأكل لا غير. وهي إنما تستدعي المشقة والتعب في الدنيا دون الآخرة. وكل من لم يضره نقص أخروي لا ينافي الكمال. وأما ثانيا فبفرض أن ابن عباس أخبر معاوية بطلب النبي صلى الله عليه وسلم، يحتمل أنه ظن في الأمر سعة وأن هذا الأمر ليس فوريا، على أن الأصح عند الأصوليين والفقهاء أن الأمر لا يقتضي الفورية إلاّ أمره صلى الله عليه وسلم لأحد بشيء، كأن دعاه الله إليه فانه تجب إجابته فورا وإن كان في صلاة الفرض، وكأن معاوية لم يستحضر هذا الاستثناء أو لا يقول به. وحينئذ فهو معذور، وأما ثالثا فيحتمل أن هذا الدعاء جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم من غير قصد، كما قال لبعض أصحابه (**تربت يمينك**)، ولبعض أمهات المؤمنين (**عقري حلقي**) ونحو ذلك من الألفاظ التي كانت تجري على ألسنتهم بطريق العادة من غير أن يقصدوا معانيها. وأما رابعا فأشار مسلم في صحيحه إلى أن معاوية لم يكن مستحقا لهذا الدعاء، وذلك لأنه أدخل هذا الحديث في باب من سبه النبي صلى الله عليه وسلم أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة، وما أشار إليه ظاهر لما قدمته، أنه يحتمل أن معاوية لم يخبر بطلب النبي صلى الله عليه وسلم له، أو أنه أخبر ولكنه ظن أن في الأمر سعة. أو كان معتقدا أنه لا يجب الفور كما هو رأي جماعة من أئمة الأصول، وعند هذه الاحتمالات اللائقة بكمال معاوية وفقهه ومكانته، يتعين أن يكون هذا الدعاء عليه هو وليس له بأهل فيكون له زكاة وأجرا ورحمة، كما قال صلى الله عليه وسلم (**اللّهمّ إني أغضب كما يغضب البشر فمن سببته أو**

لعنته أو دعوت عليه ولس هو أهلا لذلك فاجعل اللّهمّ ذلك له زكاة وأجرا ورحمة). وأما خامسا فهو نتيجة ما قررته في الرابع، فهو أن هذا الحديث من مناقب معاوية الجليلة لأنه بان بما قررته أنه دعاء لمعاوية لا عليه، وبه صرح الإمام النووي. الثاني زعم بعض الملحدة الكذبة الجهلة الأغبياء الأشقياء إخوان الضلالة والعناد والبهتان والفساد، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه**)، وأن الذهبي صحح هذا الحديث وليس الأمر كما زعم. بل ضل وافترى و لم يصححه الذهبي. إنما ذكره في تاريخه ثم بين أنه كذب موضوع لا أصل له، على أنه يلزم على فرض ذلك نقيصة سائر الصحابة إن بلغهم ذلك الحديث، أو نقيصة من بلغه منهم وكتمه لأن مثل هذا يجب تبليغه للأمة حتى يعلمون به، على أنه لو كتمه لم يبلغ التابعين حتى نقلوه لمن بعدهم وهكذا، فلم يبق إلاّ القسم الأول وهو أن يبلغهم فلا يعملون به، وهو لا يتصور شرعا إذ لو جاز عليهم ذلك جاز عليهم كتم بعض القرآن أو رفض العمل به وكل ذلك محال شرعا، لا سيما مع قوله صلى الله عليه وسلم (**تركتكم على الواضحة البيضاء**): الحديث. ومما يصرح بل يقطع بكذب ناقل هذا الحديث تولية عمر له دمشق الشام مدة ولايته، وثناؤه وثناء من مر من الصحابة عليه حتى علي رضي الله عنهم، وأخذهم العلم عنه ومما يقطع بمثل كذبه أيضا، أن مثل هذا الحديث مما تتوفر الدواعي على نقله وإظهاره، لا سيما عند وقوع تلك الحروب والفتن، وكونه حارب الخليفة الحق الذي معه أكثر الصحابة وقاتله، بل واحتال عليه حتى خلع نفسه بخلع نائبه له عند تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص. بل بعد موت علي سعى مع الحسن الذي هو الخليفة أيضا باجماع أهل الحل والعقد عليه حتى نزل له عن الخلافة أيضا باجماع. فسمى يومئذ بأنه الخليفة الحق، ووافقه كل الصحابة على ذلك و لم يطعن أحد من أعدائه فضلا عن أصدقائه بقدح في خلافته بشيء مطلقا. بل كلهم اتفقوا وأجمعوا على أنه الخليفة الحق حينئذ فهل بقى مع هذا كله -فضلا عن بعضه تردد في كذب هذا الحديث-

ووجوب الإعراض عنه وأنه لا يحل روايته إلاّ لتبين أمره وإظهار كذب ناقله[١]، وأنهم كالأنعام بل هم أضل، إذ لا يروج أن هذا حديث إلاّ على أحمق عدم حسه وحقق الله خذلانه وأظهر على رؤوس الخلائق كذبه وتعسه، فتفطن لذلك فإن بعض ذاكريه ممن يدعي علما جما، وعير من يبرهن على بطلانه أذنا صما، تحقيقا لعناده وترويجا لفساده فقبحه الله وخذله وأخمله وأخبله إنه الجواد الكريم الرؤف الرحيم، وتأمل حديث (**عمار تقتله الفئة الباغية**)، تجد لما كان له أصل اتفق على روايته كل الصحابة، ثم استدل علي وأتباعه على أن معاوية باغ خارج على الإمام الحق، وأوله معاوية وأتباعه بما ليس بقطعي البطلان مما يقتضي عذرهم، فلو كان هذا الحديث له أصل لوقع الاحتجاج به أو الجواب عنه، ولو من واحد منهم، الثالث في الحديث المروي بسند حسن أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**شر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف**)، وفي الحديث الصحيح قال الحاكم على شرط الشيخين عن أبي برزة رضي الله عنه، كان أبغض الأحياء أو الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو أمية ومعاوية من بني أمية فهو من الأشرار، ومضر كانوا أبغض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أهلية فيه لإمارة ولا لخلافة، وجوابه أن هذا الاستنتاج أعني قول المعترض فهو الخ دليل على جهل مستنتجه وأنه لا دراية له بمبادئ العلوم، فضلا عن غوامضها، لأنه يلزم على هذه النتيجة لو سلمت أن عثمان وعمر بن عبد العزيز كليهما لا أهلية فيهما للخلافة وأنهما من الأشرار، وذلك خرق لإجماع المسلمين، وإلحاد في الدين. وإنما المراد من الحديث أن أكثر بني أمية موصوف

---

(١) ورد هذا الحديث من طريق فيه الحكم بن ظهير وعباد بن يعقوب عن ابن مسعود ومن طريقين عن أبي سعيد في أحدهما مجالد بن سعيد وفي الآخر علي بن زيد بن جدعان وليسا بشيء قال الذهبي: هذا الحديث موضوع على مجالد ولا معنى لصرفه إلى معاوية بن السابوت فإنه يحتاج لنقل وما ذكره الجوزقاني بأنه مردود برواية جابر: إذا (**رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه فإنه أمين مأمون**) كما رواه الخطيب ورواه الحاكم أيضا عن ابن مسعود: فسند رواية جابر كلها ظلمات كما قال الذهبي ورواية ابن مسعود فيها الحكم بن ظهير وهو متروك كما قال السيوطي. وفي تنزيه الشريعة: قال يحيى: كذاب. وقال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقات

بالشرية والأبغضية، فلا ينافي أن أقلهم ليسوا أشرارا ولا مبغوضين بل هم من خيار الأمة وأكبر الأئمة، كيف وعثمان قد أجمعوا على صحة خلافته وكذا عمر بن عبد العزيز، وكذا معاوية بعد نزول الحسن له، وقد صح فيه من الأحاديث السابقة ما أوجب كالإجماع خروجه عن ذلك العموم، وسيأتي أننا فرقنا بينه وبين ولده وأعطينا كلا ما يستحقه لأنا متعبدون بالأدلة من غير عصبية ولا علة، ولو كان الأمر بالتعصب والمحاباة لما خالفنا معاوية في ولده الذي قال فيه: لولا هواي فيه لرأيت قصدي أي لهديت إلى أوسط الأمور وأعدلها من استخلاف غيره، فبطلت تلك النتيجة وبان أن قائلها جاهل أو معاند فلا يرفع إليه رأس ولا يقال له وزن ولا يعبأ بما يلقيه ولا يعتد بما يبديه لقصور فهمه وتحقق كذبه ووهمه، وسيأتي آخر الكتاب أنه صلى الله عليه وسلم لعن الحكم وما يخرج من صلبه، ووصفهم بأنهم ذو مكر وخديعة. ثم حدث ذلك كله إلاّ الصالحين منهم، وقليل ما هم، فهذا صريح فيما قلناه أن المراد ببني أمية من ذينك الحديثين أكثرهم فتأمله ولا تغفل عنه لتنجو من سفاسف الملحدين وشقائق المعاندين.

(**تنبيه**) صرح ائمتنا وغيرهم في الأصول، بأنه يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، فلا يشكل ذلك على ما قدمته كما هو واضح من تفرق الخلف والسلف، وذكرهم جميع ما وقع بينهم وبيان ما صح بينهم، مما لم يصح والكلام على معاني ما وقع لهم في فتنتهم وحروبهم مما ظواهره مشكلة، واستنباطهم أحكام البغاة وغيرهم مما وقع بينهم، وقد مر عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: أخذت أحكام البغاة والخوارج من مقاتلة علي لأهل الجمل وصفين وللخوارج؛ وكذا غير الشافعي رضي الله عنهم، وقد ذكر أئمتنا من الأصوليين وغيرهم شبه المبتدعة التي أخذوها تارة عن كذبهم على علي وأصحابه، وتارة عن بقية الصحابة ثم ردوها عن آخرها، حتى لم يبق لهم شبهة يستندون إليها ولا حجة يعتمدون عليها، وبين أئمتنا المحدثون أن كثيرا مما نقل عنهم، إما كذب وإما في سنده علة أو علل،

كما أشرت إلى كثير من ذلك في هذا الكتاب بقولي رجاله ثقات أو رجال الصحيح أو فيهم ضعيف أو مجهول أو إرسال أو وقف، أو نحو ذلك مما رأيته وسترى بقيته، إنما المراد أنه لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا مما وقع بينهم يستدل به على بعض نقص من وقع له ذلك والطعن في ولايته الصحيحة، أو ليغري العوام على سبهم وثلبهم ونحو ذلك من المفاسد، ولم يقع ذلك إلاّ للمبتدعة وبعض جهلة النقلة الذين ينقلون كل ما رأوه ويتركونه على ظاهره، غير طاعنين في سنده، ولا مشيرين لتأويله، وهذا شديد التحريم. لما فيه من الفساد العظيم وهو إغراء العامة ومن في حكمهم على تنقيص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يقم الدين إلاّ بنقلهم إلينا كتاب الله وما سمعوه وشاهدوه من نبيه من سنته الغراء الواضحة البيضاء، وما بينوه لنا من الأحكام التي لا يحيط بها سواهم، لتميزهم بالبرهان والعيان، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير جزاء، وبالجملة أما ذكره لبيان الحق فيه على مقتضى الواقع بحسب ما قضت به الأدلة وإجرائه على قواعد أهل السنة فهو من آكد الواجبات، وأجل الطلبات لأنه يعلم به نزاهتهم وبراءتهم كيف وكلهم على هدى من ربهم، لأن ما صدر منهم لم يكن إلاّ عن اجتهاد وقد بين الصادق صلى الله عليه وسلم أن (**من اجتهد وأصاب فله أجران**) وفي رواية (**فله عشرة أجور ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد**)، فمخطئهم كمصيبهم في أصل الثواب وتحري الصواب، لأن تأويل المؤولين منهم غير قطعي البطلان بل ربما كان واضح البرهان، ولهذا أوجب الله ورسوله على الكافة المبالغة في تعظيمهم وإجلالهم والثناء عليهم ومعرفة آثارهم الحميدة في الإسلام وإعطاء كل منهم ما تقتضيه مرتبته وتشهد به خصوصيته ويقضي به على غيره منقبته مما بينه مشرفهم بأقواله فيهم وأفعاله معهم إذ لا يحيط بمراتبهم كغيرهم على ما هي عليه عند الله أحد سواه. لما أن ذلك من العلوم التي أتحف بها أمته إلى يوم تلقاه، فعليك باتباع ما قررناه واعتقاد ما حررناه فان فيه إدحاضا للمبتدعين وإخمادا للمعاندين وتعليما للجاهلين وإرشادا للمتعلمين.

(تنبيه) إن قلت جاء أن عليا كرم الله وجهه قال: يؤتى بي وبمعاوية يوم القيامة فنختصم عند ذي العرش. فأينا أفلح أفلح أصحابه، وهذا ينافي ما تقرر من أن كلا منهما مأجور لا إثم عليه ولا ذنب، قلت لا ينافيه، وأما أولا فلأن سنده منقطع، فلا حجة فيه، وأما ثانيا فالمراد بغرض صحة ذلك عن علي فأينا بان أن ما فعله هو الحق في نفس الأمر أفلح أصحابه، أي ضوعفت أجورهم، وإطلاق الفلاح على تضاعف الأجور شائع سائغ، الرابع في الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر: (**تقتلك الفئة الباغية**)، فقاتل عسكر معاوية حتى قتلوه، فهذا إخبار من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن معاوية باغ على علي وأن عليا هو الخليفة الحق، وجوابه أن غاية ما يدل عليه هذا الحديث، أن معاوية وأصحابه بغاة، وقد مر أن ذلك لا نقص فيه وأنهم مع ذلك مأجورون غير مأزورين بنص قوله عليه الصلاة والسلام (**إن المجتهد إذا اجتهد وأخطأ فله أجر**)، ومر مستوفى مبسوطا أن معاوية مجتهد أي مجتهد، وقد أول هذا الحديث بما لا يقطع ببطلانه كما هو شرط الباغي الذي لا يفسق ولا يؤثم، وقد جاء تأويله من طرق كثيرة، منها ما جاء بسند رجاله ثقات أن عليا كرم الله وجهه يوم صفين كان يدخل عسكرهم فيرجع وقد خضب سيفه دما، ويقول لأصحابه: اعذروني اعذروني، وكان عمار علما لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، لا يسلك واديا من أودية صفين إلاّ تبعوه ثم حرض عمار هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وذكر له الحور العين وأن حزبهم الذي هو حزب علي في الجنة مع محمد وحزبه في الرفيق الأعلى، فقاتلا حتى قتلا، فقال عبد الله بن عمرو لأبيه قد قتلنا هذا الرجل، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال، فقال وأي رجل؟ قال عمار: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم بناء المسجد ونحن نحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين، فمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: (**يا أبا اليقظان تحمل لبنتين؟ وأنت ناقه من مرض، أما إنه ستقتلك الفئة الباغية وأنت من أهل الجنة**)، فقال عمرو نعم، ثم قال عمرو ذلك

لمعاوية فقال له اسكت أنحن قتلناه إنما قتله من جاؤا به، فألقوه بين رماحنا فصار من عسكر معاوية؛ إنما قتل عمارا من جاء به وفي رواية عند أحمد وغيره. أنه صلى الله عليه وسلم جعل ينفض التراب عن عمار ويقول له (**تحمل لبنتين وأنت ناقه أما إنه ستقتلك الفئة الباغية**)، وجاء أيضا بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا فثقة أنه لما قتل عمار قيل لعمرو الحديث فذكره لمعاوية، فقال له: دحضت من قولك إنما قتله علي وأصحابه جاؤا به حين قتلوه فألقوه بين رماحنا أو قال بين سيوفنا. وبسند فيه لين أن خزيمة بن ثابت لم يزل كافا سلاحه حتى قتل عمار بصفين فسل سيفه وذكر الحديث ثم قاتل عسكر معاوية حتى قتل، وبسند رجاله رجال الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لم آس على شيء إلاّ أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه، وبسند رجاله ثقات أن عمارا حلف أن قوم معاوية لو قاتلوا قوم علي حتى بلغوا بهم شعفات هجر لما شكوا أن عليا إمامهم على الحق وضده على الباطل، وبسند رجاله رجال الصحيح أن عمارا يوم صفين طلب شربة من لبن وأخبر أنه صلى الله عليه وسلم أخبره أن آخر شربة من الدنيا يشربها شربة لبن فأتى بها فشربها، ثم تقدم فقتل، ولما نظر راية معاوية قال: قاتلت صاحب هذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي قبل إسلامه. وبسند رجاله ثقات أن رجلين اختصما في قتل عمار عند معاوية لأجل سلبه. وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حاضر فقال عبد الله لهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**تقتله الفئة الباغية**)، فأنكر كل منهما أنه قتله، فقال له معاوية فما بالك معنا فقال، إن أبي شكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل**)، وفي رواية سندها صحيح أن معاوية قال لعمرو ألا تكف عنا مجنونك فما له معنا، فقال عبد الله ما ذكر. وفي رواية عند أبي يعلى أن عمرا لما ذكر الحديث لمعاوية فقال معاوية له أعندك بالله الثلث في الثلث أنت! أنحن قتلناه، إنما قتله من جاء به، وبسند رجاله ثقات أن رجلين اختصما عند عمرو فروى لهما

الحديث، فقيل له كيف تقاتل عليا؟ فقال: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**قاتله وسالبه في النار**). وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا فانه سيء الحفظ وقد يحسن حديثه. أن عليا كرم الله وجهه أكثر يوم صفين من ذكر الله سبحانه وتعالى، وصدق الله ورسوله، فسئل أعهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا في ذلك فأعرض فألح عليه فحلف بالله لم يعهد إليه إلاّ ما عهده للناس، قال ولكن الناس قد وقعوا في عثمان، فكان غيري فيه أسوأ حالا وفعلا مني، ثم رأيت أني أحقهم لهذا الأمر فوثبت عليه فالله أعلم، أصبنا أم أخطأنا، فتأمل قول علي هذا الذي صح عنه، وهو فالله أعلم أصبنا أم أخطأنا مع علمه بحديث عمار: (**تقتله الفئة الباغية**)، تجده كرم الله وجهه مصرحا مع علمه بأن معاوية وعسكره بغاة عليه بجواز وقوع الخطإ منه في وثوبه على ذلك الأمر الذي هو الخلافة، وبأن تأويل معاوية السابق ليس بقطعي البطلان، بل يحتمل أنه الحق وإلاّ لم يقل على ذلك، فان قلت قول علي ذلك إنما هو من باب التواضع واعتراف الكامل بما ليس فيه إظهار لذلته وافتقار لربه قلت: قولك إنما هو الخ مجرد دعوى لا دليل عليها، والصواب أن هذا محتمل، كما أن قوله ذلك لتجويز حقية تأويل معاوية محتمل أيضا، فلما أمكنت حقية كل من الاحتمالين ولم يقطع ببطلان أحدهما عذر كل من علي ومعاوية، كما يصرح به قول علي السابق قتلاي وقتلى معاوية في الجنة[١] لكن لما كان الدليل الظاهر مع علي كان هو الإمام الحق ومعاوية باغيا عليه؛ وإن كان معذورا، فتأمل هذا المحل واعتن بحفظه وتحقيقه فانه يذهب عنك شكوكا كثيرة وتخيلات شهيرة أوجبت لكثيرين الخطأ والضلال والانحراف عن جادة الصواب والكمال. فإن قلت يقوي تأويل معاوية أنه صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بمطاوعة أبيه في كل ما يأمره به مع علمه صلى الله عليه وسلم بأن أباه سيكون مع معاوية وأنه

(١) رواه الطبراني عن يزيد بن الأصم عن علي قال الهيثمي رجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف

سيأمره بالقتال مع معاوية، لأنه صلى الله عليه وسلم أطلعه ربه على ما يقع في أمته بعده وبين له جميع ذلك مما يقع بعده من أصحابه كما دلت عليه الأحاديث فهذا يقوي ما عليه معاوية كما تقرر، قلت: نذكر حديث عبد الله ثم نتكلم عليه، وهو أنه صلى الله عليه وسلم دخل على أم عبد الله فلم يجده فسألها عنه فأخبرته أنه يصوم فلا يفطر ويسهر ولا ينام ولا يأكل اللحم ولا يؤتي أهله حقهم، فأمرها أن تحبسه إذا جاء ثم خرج ثم رجع وقد جاء فرد عليه ذلك كله بأنه خلاف السنة، وأمره بأن يصوم ويفطر ويقوم وينام ويأكل اللحم ويؤتي أهله حقهم ثم قال (**كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس**)، قد ضعيت عهودهم ومواثيقهم وكانوا هكذا وخالف بين أصابعه، قال فما تأمرني به حينئذ، قال (**تأخذ بما تعرف وتدع ما تنكر وتعمل بخاصة يقينك وتدع الناس وعوام أمورهم**). ثم أخذ بيده وأقبل يمشي به حتى وضع يده في يد أبيه فقال (**أطع أباك**) فلما كان يوم صفين قال له أبوه اخرج فقاتل فقال يا أبتاه تأمرني أن أخرج فأقاتل وقد سمعت ما سمعت يوم يعهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعهد قال أنشدك بالله ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آخذ بيدك فوضعها في يدي ثم قال (**أطع أباك**) قال بلى قال فإني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل مع معاوية فخرج متقلدا السيف هذا حاصل حديث عبد الله وفي سنده مختلف فيه: فابن حبان وثقه وأبو حاتم وغيره ضعفه ولا شك أن أبا حاتم أحفظ من ابن حبان بل ابن حبان معروف بالتساهل في التوثيق فضعف الاستدلال بهذا الحديث، وبتسليمه فطواعية عبد الله لأمر أبيه إنما هو من حيث كون معاوية هو الإمام الحق. غاية ما فيه أنه يدل على أن أمر عمرو لابنه ليس متعديا به فوجبت طاعته. ووجه عدم تعديه أنه مجتهد وهو عن قضاء اجتهاده بأن معاوية على الحق. وهو الذي دل عليه الحديث غير ما ادعاه السائل. أن أمره صلى الله عليه وسلم لعبد الله بمطاوعة أبيه يشمل مطاوعته له في أمره له بالقتال مع معاوية فيدل ذلك على حقية ما عليه معاوية. ووجه عدم دلالة الحديث على هذا الأخير ما تقرر

أن الذي دل عليه هذا الحديث أنه يجب على عبد الله مطاوعة أبيه فيما لم يتعد به. وأن أمره له بالخروج مع معاوية لا تعدي منه به. بمقتضى ما دل عليه اجتهاده. ولا دلالة في الحديث لأمر زائد على هذا بوجه من الوجوه فتأمل.

الخامس: قوله صلى الله عليه وسلم في عمار: (**إنه يدعوهم إلى الجنة وهم يدعونه إلى النار**)، وبالضرورة أن الذين دعاهم عمار إلى ذلك، هم فئة معاوية، فحكمه صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعونه إلى النار، صريح في أنهم على الضلال. وجوابه أن ذلك إنما يتم لو صح الحديث ولم يمكن تأويله، أما إذا لم يصح فلا يستدل به، والأمر كذلك، فإن في سنده ضعيفا، يسقط الاستدلال به، وتوثيق ابن حبان لا يقاوم تضعيف من عداء له، لا سيما وهو -أعني ابن حبان- معروف عندهم بالتساهل في التوثيق، سلمنا صحته فالداعون له إلى النار، وهو القتال مع معاوية، يحمل على أخلاط من فيه مع معاوية، وليسوا مجتهدين؛ فقولهم له اترك عليا وقاتل مع معاوية، غير جائز لهم فهو نار لأنه يجر إليها فتأمل؟

السادس: خروجه على علي كرم الله وجهه ومحاربته له؛ مع أنه الإمام الحق بإجماع أهل الحل والعقد، والأفضل الأعدل الأعلم، بنص الحديث الحسن لكثرة طرقه خلافا لمن زعم وضعه ولمن زعم صحته ولمن أطلق حسنه: (**أنا مدنة العلم وعلي بابها**)، قال الأئمة الحفاظ لم يرد لأحد من الصحابة رضي الله عنهم من الفضائل والمناقب والمزايا ما ورد لعلي كرم الله وجهه وسببه أنه رضي الله عنه وكرم وجهه لما استخلف كثرت أعداؤه وساوره المتقولون عليه فأظهروا له معايب ومثالب زورا وبهتانا وإلحادا وعدوانا، وورث ذلك من تبعهم على ضلالتهم، فلما رأى الحفاظ ذلك نصبوا نفوسهم لبيان الباطل من ذلك، وإظهار ما يرده مما ورد عندهم في حقه، فبادر كل أحد إلى بث جميع ما عنده من فضائله ومناقبه، والجواب أن ذلك لا يكون قادحا في معاوية إلاّ لو فعله من غير تأويل محتمل، وقد تقرر المرة بعد المرة أنه لتأويل محتمل، بنص كلام علي كرم الله وجهه وأنه من أهل الاجتهاد،

وغايته أنه مجتهد ومخطئ وهو مأجور غير مأزور، على أن تخصيص معاوية بهذا تحكم غير مرضي لأنه لم ينفرد به، بل وافقه عليه جماعات من أجلاء الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، كما يعلم من السير والتواريخ، وسبقه إلى مقاتلة علي من هو أجل من معاوية، كعائشة والزبير وطلحة ومن كان معهم من الصحابة فقاتلوا عليا يوم الجمل، حتى قتل طلحة، وولى الزبير ثم قتل وتأويلهم من كون علي منع ورثة عثمان من قتل قاتليه وهو تأويل معاوية بعينه فكما أن أولئك الصحابة الأجلاء استباحوا قتال علي رضي الله عنه بهذا التأويل فكذلك معاوية رضي الله عنه وأصحابه استباحوا قتاله يعني بهذا التأويل, ومع استباحتهم لقتال علي اعتذر علي عنهم نظرا لتأويلهم الغير القطعي البطلان، فقال: إخواننا بغوا علينا أخرجه ابن أبي شيبة بسنده ولفظه إن عليا كرم الله وجهه سئل يوم الجمل عن أهل الجمل المقاتلين له أمشركون هم؟ فقال من الشرك فروا. قيل أمنافقون هم؟ قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلاّ قليلا قبل فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا فسماهم إخوانه فدل على إبقاء إسلامهم بل كمالهم وأنهم معذورون في مقاتلتهم له، وقد قال علي لطلحة والزبير يوم الجمل ألا تبايعاني فقالا تطلب دم عثمان فقال ليس عندي دم عثمان، وروى عبد الرازق عن الزهري أنه قال وقعت الفتنة فاجتمعت الصحابة وهم متوافرون وفيهم كثيرون ممن شهد بدرا، على أن كل دم أريق بتأويل القرآن فهو هدر وكلما أتلف بتأويل القرآن فلا ضمان فيه؛ وكل فرج استحل بتأويل القرآن فلا حل فيه وما كان موجودا بعينه يرد على صاحبه. وأخرج ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور والبيهقي أن عليا كرم الله وجهه قال لأصحابه يوم الجمل؛ لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ومن ألقى سلاحه فهو آمن؛ وفي رواية أنه أمر مناديه ينادي، لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح ولا يطلق أسير؛ ومن أغلق بابا آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن؛ وفي أخرى ولا يقتل مقبل إلاّ إن صال و لم يمكن دفعه إلاّ بقتله، ولا مدبر، ولا يستحل فرج، ولا يفتح باب ولا يستحل مال، وأخرج ابن منيع والحرث بن أبي أسامة

والبزار والحاكم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**هل تدري حكم الله فيمن بقي من هذه الأمة؟**) قلت الله ورسوله أعلم قال (**لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يكتم فيئها**)؛ وأخرج أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال للخوارج الحرورية الذين خرجوا على علي لأمور رموه بها، منها أنه يوم الجمل لم يسب ولم يغنم: وأما قولكم إنه قتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم أي عائشة فانها القائمة بوقعة الجمل والداعية إليها، أم تستحلوا منها ما يستحل من غيرها؟ لئن فعلتم لقد كفرتم، وإن قلتم ليست أمنا فقد كفرتم، قال الله تعالى: (**اَلنَّبِيُّ اَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ اَنفُسِهِمْ وَاَزْوَاجُهُ اُمَّهَاتُهُمْ** * الأحزاب: ٦)، وأنتم بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم؛ فتأمل أيها الموفق حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على البغاة، وحكم علي على مقاتليه وحكم ابن عباس رضي الله عنهما على من ذكر، تعلم أن ذلك كله صريح لا يقبل تأويلا في إسلام أولئك المقاتلين لعلي غير الخوارج، وأنهم باقون على كمالهم وأنهم معذورون في اجتهادهم الحامل لهم على قتال علي وأنهم كانوا مخطئين فيه ولو اقتضى قتالهم هذا إثما عليهم ونقصا في رتبتهم لعاقبهم علي عليه بعد انقضاء القتال، وليس الأمر كذلك بل لم يتعرض بعد القتال لأحد من مقاتليه بوجه من الوجوه، بل قابلهم بغاية الحلم والإحسان ونهاية السلم والامتنان، ومما يصرح أيضا بمدح معاوية الحديث الصحيح الآتي في القواعد عن علي في صفة الخوارج فان فيه تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق، فهذا مثبت لطائفة معاوية قربا إلى الحق، فانهم غير ملومين على قتالهم لعلي، وإن كانوا بغاة عليه، نظرا لاجتهادهم وتأويلهم، وذلك صريح في الاعتداد منهم بكل هذين، على أنه يأتي، ثم إن الحسن رضي الله عنه لما نزل لمعاوية رضي الله عنه لم يكن له هم إلاّ الخوارج فله حظ من قوله، تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق، لكن هذا إنما حصل له بعد قتل علي ونزول الحسن له، ولا شك حينئذ أنه الإمام الحق من غير مدافع ولا مشارك، وأما تكفير طائفة من

الرافضة لكل من قاتله فأولئك كالأنعام، بل هم أضل سبيلا، فلا يتأهلون لخطاب ولا يوجه إليهم جواب، لأنهم معاندون وعن الحق ناكثون، بل أشبهوا كفار قريش في العناد والبهتان، حتى لم تنفع فيهم معجزة ولا قرآن، وإنما النافع لهم القتل والجلاء عن الأوطان كيف وهم لا يرجعون لدليل، وشفاء العليل منهم كالمستحيل وقد صح في الأحاديث الكثيرة أنه صلى الله عليه وسلم قال بحضرة الجم إظهارا لمنقبة ولده الحسن رضي الله عنه وعن أهل بيته، (**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**)، وهما فئة الحسن وأبيه وفئة معاوية فحكم صلى الله عليه وسلم على كل من الفئتين بالإسلام. وذلك صريح في بقائهم أجمعين على كمالهم وأنهم معذورون فيما صدر عنهم وان كان الإمام الحق هو علي كرم الله وجهه، وأهل الجمل وصفين استندوا في مقاتلته إلى ما توهموه من منعه لقتلة رضي الله عنه وهو برئ من ذلك حاشاه الله عنه، ومع ذلك عذرهم لعلمه بأنهم أئمة فقهاء وبقوله صلى الله عليه وسلم (**إذا اجتهد الحاكم وأصاب فله أجران وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد**) فعلي رضي الله عنه مجتهد مصيب فله أجران بل عشرة أجور كما في رواية. ومقاتلوه كعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تبعهم من الصحابة الكثيرين من أهل بدر وغيرهم مجتهدون غير مصيبين فلهم أجر واحد وهم بغاة على علي لكن البغي ليس أسم ذم كما مر المرة بعد المرة ومن ثم قال الشافعي رحمه الله تلقيت أحكام البغاة من مقاتلة علي الخارجين عليه في حال الحرب وبعده معاوية وغيره فسماهم بغاة وليس ذلك تنقيصا لهم لما علمت أن لهم تأويلا أي تأويل وأنهم بسببه معذورون وأي معذورين لأن المجتهد ملجأ إلى العمل بما ظهر له من الدليل لا يمكنه التخلف عنه أصلا كما مر مبسوطا ولأجل ذلك أثيب وإن أخطأ كما عليه إجماع من يعتد به، فان قلت جاء في الأحاديث الكثيرة كما مر بيانها أن عمارا تقتله الفئة الباغية وقاتلوه من فئة معاوية فلزم أنهم الفئة الباغية قلنا نحن لا ننكر ذلك كما قررناه وبيناه مع بيان أنهم مؤولون وأن البغاة المجتهدين الذين

لهم تأويل غير قطعي البطلان لا حرج عليهم بل هم مأجورون يثابون وإن كان تأويلهم فاسدا ومر أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما استدل على أبيه ومعاوية رضي الله عنهما بهذا الحديث لما أمره أبوه بالمقاتلة معه. قال عمرو لمعاوية ألا ترى ما يقول ابن أخيك وذكر له الحديث فبادر له معاوية إلى تأويله. فقال وهل قتله إلاّ من خرج به لأنه تسبب في قتله بإخراجه معه وأخرج لفظ الحديث عن حقيقته إلى مجازه. لما قام عنده من القرائن المقتضية لذلك، فهو تأويل يمكن على المجتهد أن يقول به لما قام عنده من القرائن الصارفة له عن حقيقته إلى مجازه، وإن كان الحق أن الحديث ظاهر بل صريح في أن قاتله إنما هو من باشر قتله، وأقرب من تأويل معاوية هذا تأويل عمرو بن العاص فإنه جاء في رواية أن قاتل عمار في النار فالفئة الباغية محمولة على مباشر قتله والمعين عليه، والحكم على قاتله ومعينه بذلك لا يقتضي الحكم على جميع الفئة به للفرق الواضح فانهم مجتهدون مؤولون وقاتله ومعينه ليسا مجتهدين فلا ينظر لتأويلهما. وقد مر أن مدعيي قتله تخاصما وأن عبد الله بن عمرو روى لهما الحديث فأنكر كل أنه قتله ولما توقف عبد الله هذا لكونه من فقهاء الصحابة وزهادهم وعبادهم في تأويل معاوية وتأويل أبيه المذكورين جاهر معاوية بالحديث وأشار إليه إلى أن فئته هي الفئة الباغية. فقال له معاوية فما بالك معنا قال إني معكم ولست أقاتل إن أبي شكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه)**. فأنا معكم ولست أقاتل، ومر الكلام على ذلك مستوفى، ومن تأمل دقة نظر معاوية وعمرو علم أنهم لم تصدر منهم تلك الأفعال والحروب إلاّ بعد مزيد التحري والبحث، لكن بالنسبة لما ظهر لهم فلذلك عذرهم فيما فعلوه من تلك الحروب أئمة المسلمين سلفا وخلفا لأن عليا ومن معه عذرهم أيضا، وحينئذ فلا مساغ لأحد من المسلمين في الاعتراض على أحد من الفئتين بل الواجب على كل مسلم أن يعتقد أن عليا هو الإمام الحق وأن مقاتليه بغاة عليه وأن كلا من الفئتن معذور مثاب مأجور،

ومن تشكك في شيء من ذلك فهو ضال جاهل أو معاند فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه.

ومما يفصح لك عذر معاوية أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلاّ رجل يموت كافرا أو يقتل مؤمنا متعمدا**). فلولا أن عند معاوية أن المراد قتله بغير حق وأنه إنما قتل من قتل بحق، لم يسمح بمقاتلة المؤمنين مع علمه بهذا الحديث الذي لا يرويه ويخالفه إلاّ جاهل مغرور. وحاشا معاوية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وكاتبه وأمين وحيه والمدعو له على لسانه صلى الله عليه وسلم بكونه هاديا مهديا وبأن الله يعلمه الكتاب والحساب ويقيه العذاب، والمتفق على كونه عالما فقيها مجتهدا، أن يكون جاهلا أو مغرورا، فإن قلت في هذا الحديث دليل للمعتزلة والخوارج قبحهم الله تعالى على أن الكبيرة لا تغفر، فاذا مات فاعلها ولم يتب كان من أهل النار المخلدين فيها أبدا، قلت: لا دليل لهم فيه أبدا، لقوله تعالى: (**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا** * النساء: ٩٣) لوجوب حملها على المستحل، بدليل قوله تعالى: (**اِنَّ اللّٰهَ لاَ يَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشآءُ** * النساء: ١١٦)، وهو مخصص أيضا بقوله تعالى: (**اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** * الزمر: ٥٣)، والحاصل أن هذا، أعني ويغفر ما دون ذلك، مبين فيقضى به على المجمل، وهو هذا الحديث وآية القتل، وعلى العام وهو يغفر الذنوب جميعا، وقد ضل في هذا المقام فرق من فرق الضلالة القائلون بأن مرتكب الكبيرة إذا مات بلا توبة يخلد، وهؤلاء المعتزلة والخوارج، والفرق بينهما، إنما هو من حديث إن الميت مؤمنا فاسقا، هل هو كافر أو لا مؤمن ولا كافر. فالخوارج على الأول، والمعتزلة على الثاني، والقائلون بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهؤلاء هم المرجئة، ومتمسكهم (**يغفر الذنوب جميعا**) ولا متمسك لهم فيه، لما تقرر من الآية الأخرى، ومما هو معلوم من السنة بل والإجماع، والتواتر المعنوي. أنه لا بد من دخول طائفة من عصاة

هذه الأمة النار. ثم تقع فيهم شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم فيخرجون ويدخلون الجنة.

السابع: جاء في غير حديث أن عليا كرم الله وجهه قال: لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فهذه الأوصاف الثلاثة في معاوية وأصحابه وهذا قادح وأي قادح، وجوابه أن الحديث يأتي بطرقه أول الفائدة المتعلقة بوقعة صفين مع بيان مخرجه وأنه ضعيف أو في حكمه، وأنه بتقدر صحته مؤول، فراجعه. ومما يناسب هذا أن عليا كرم الله وجهه قاتل عائشة وطلحة والزبير وأصحابهم الكثيرين الذين أكثرهم صحابة. وقاتل الخوارج وقاتل معاوية وأصحابه. فحمل الحديث على معاوية فقط تحكم غير مرضي بل يصح حمله على جميع من قاتل عليا. وتؤول تلك الألفاظ كما أنقله في أول تلك الفائدة فتأمل ذلك واستحضره فانه مهم.

(**تنبيه**) استدل أهل السنة بمقاتلة علي لمن خالفوه من أهل الجمل والخوارج وأهل صفين مع كثرتهم، وإمساكه عن مقاتلة المبايعين لأبي بكر والمستخلفين له مع عدم إحضارهم لعلي وعدم مشاورتهم له في ذلك مع أنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج بنته والمحبو منه بمزايا ومناقب لا توجد في غره مع كونه الشجاع القرم والعالم الذي يلقى كل منهم إلى علمه السلم. والفائق لهم في ذلك والمتحمل عنهم مشقة القتال في أوعر المسالك. وبإمساكه أيضا عن مقاتلة عمر المستخلف له أبو بكر ولم يستخلف عليا، وعن مقاتلة أهل الشورى ثم ابن عوف المنحصر أمرها إليه باستخلافه عثمان، على أنه لم يكن عنده علم ولا ظن بأنه صلى الله عليه وسلم عهد له صريحا ولا ايماء بالخلافة. وإلاّ لم يجز له عند أحد من المسلمين السكوت على ذلك لما يترتب عليه من المفاسد التي لا تتدارك، لأنه إذا كان الخليفة بالنص ثم مكن غيره من الخلافة، وكانت خلافة ذلك الغير باطلة وأحكامها كلها كذلك. فيكون إثم ذلك على علي كرم الله وجهه وحاشاه من ذلك. وزعم أنه إنما سكت

لكونه كان مغلوبا على أمره. يبطله أنه كان يمكنه أن يعلمهم باللسان ليبرأ من آثام تبعة ذلك، ولا يتوهم أحد أنه لو قال عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلافة. فان أعطيتموني حق وإلاّ صبرت أنه يحصل بسبب ذلك الكلام لوم من أحد من الصحابة بوجه. وإن كان أضعفهم فاذا لم يقل ذلك كان سكوته عنه صريحا في أنه لا عهدة عنده ولا وصايا إليه بشيء من أمور الخلافة. فبطل ادعاء كونه مغلوبا. ومما يبطله أيضا أنه لو كان عنده عهد في ذلك وقام في طلبه لم يثبت في مقابلته أحد منهم. بل كان وحده أو مع قومه بني هاشم منه مع كثرتهم ومزيد شجاعته قادرا على أخذ حقه. وقتل من منعه كائنا ما كان. لا سيما وقد قال له أبو سفيان ابن حرب رئيس قريش: إن شئت لأملأنها عليهم خيلا ورجلا فأغلظ عليه في الرد، ولما اعتقد بعض أكابر الرافضة أنه الموصى له بالخلافة وأنه عالم بذلك ولم يجد له عذرا في تركه لطلبها ولا في مقاتلته عليها حتى ذهب –قاتله الله– إلى تكفير علي كرم الله وجهه زاعما أنه ترك الحق مع قدرته عليه. قال الأئمة: وبما تقرر أن عليا لم يحتج قط بأنه الوصي فعلم افتراء الشيعة وعظيم بهتانهم وكذبهم في زعمهم أنه الوصي بالنص المتواتر. ورووا في ذلك أحاديث كلها كذب وزور وبهتان اخترعوها من عند أنفسهم لترويج اعتقادهم الفاسد. فلا يحل روايتها ولا الإصغاء إليها. بل جاء في روايات ما هو ظاهر في خلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان حتى على لسان علي كرم الله وجهه. من ذلك ما جاء عن علي بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا فلم يسم. أنه قال يوم الجمل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا عهدا نأخذ به في إمارة ولكن شيء رأيناه من قبل أنفسنا، ثم استخلف فاقام واستقام. وفي رواية عن علي أيضا رجالها ثقات. استخلف أبو بكر فعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بسيرته حتى قبضه الله. ثم استخلف عمر فعمل بعملهما وسار بسيرتهما حتى قبضه الله.

وفي رواية أخرى من طرق أحدها رجالها ثقات أن عليا قال: يا رسول الله

من يؤمر بعدك، قال (**هو أن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا، زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا تأخذه في الله لومة لائم. وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ لكم الطريق المستقيم**). فتأمل هذا التردد منه صلى الله عليه وسلم تجده صريحا أي صريح في حقية الخلافة التي اتفق الصحابة رضوان الله عليهم على ترتيبها، وأن من توقف في ذلك فضلا عن أن يطعن فيه فإنما هو بمجرد خداعه وعناده، وأن قوله: ولا أراكم فاعلين من غير اعتراض عليهم، فيه إذن منه لهم في العمل بما أطبق عليه اجتهادهم، على أن تقديم أبي بكر للصلاة بهم في أيام مرضه فيه أصرح دليل كما أشار إليه علي نفسه في روايات متعددة منه على تقديم أبي بكر على كل من الصحابة في الخلافة، والأفضلية وغيرهما، ولهذا ادعى جميع العلماء أن خلافته منصوص عليها. وفي رواية أخرى عن علي أيضا لكن في سندها ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم بين لهم عذره في عدم استخلاف أحد بعينه بأنه خشي أن يعصوا خليفته فيترل عليهم العذاب، وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا لم يسم أنه صلى الله عليه وسلم لما أسس مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه ثم أبو بكر بحجر فوضعه ثم عمر بحجر فوضعه ثم عثمان كذلك، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هكذا أمر الخلافة من بعدي. وفي رواية سندها صحيح كما في اتحاف المهرة، لما بنى النبي صلى الله عليه وسلم المسجد وضع حجرا ثم قال (**ليضع أبو بكر حجره إلى جنب حجري ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء من بعدي**). وجاء في رواية لها طرق بعضها موضوع وبعضها رواته ثقات إلاّ واحدا لكن وثقه ابن حبان وغيره بما حاصله أنه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بستان ووكل إنسانا بالباب فجاء أبو بكر فدق الباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**قم يا أنس افتح له وبشره بالجنة وبالخلافة من بعدي**) ففعل أنس، فجاء عمر فقال له ذلك إلاّ أنه قال (**وبالخلافة من بعد أبي بكر**) فجاء عثمان فقال له

ذلك إلاّ أنه قال (**وبشره بالخلافة من بعد عمر وأنه مقتول**). وجاء عن عمر بسند رجاله رجال الصحيح، كنا نقول في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان يعني في الخلافة. وهو في الصحيح وفي رواية، قالوا من أولى الناس بهذا الأمر فقال صلى الله عليه وسلم (**أبو بكر**)، فأعادوا فقال (**عمر**) فأعادوا، فقال (**عثمان**) لكن في سندها كذاب فلا يحتج بها.

وفي أخرى في سندها الواقدي قال الحافظ الهيثمي وفيه أيضا من لا أعرفه، أنه صلى الله عليه وسلم وعد حراش بن أمية فقال له إن لم أجدك يعني الموت، قال (**ائت أبا بكر**) قال فإن لم أجده، قال (**ائت عمر**) قال فإن لم أجده قال (**ائت عثمان**)، قال فإن لم أجده فسكت فأعاد مرتين أو ثلاثا فسكت فقال في نفسه: (**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ** * الحديد: ٢١).

وجاء بسند قال الحافظ المذكور فيه من لم أعرفه أنه صلى الله عليه وسلم خط قبلة مسجد قباء بعترته، ثم وضع حجرا ثم أمر أبا بكر بوضع آخر بجنبه ثم عمر بوضع آخر بجنب حجر أبي بكر ثم عثمان بوضع حجر بجنبه ثم أشار إلى الناس أن يضع كل حجرا حيث أحب على ذلك الخط، وجاء بسند رجاله ثقات إلاّ واحدا فاختلف فيه لكن صححه الحاكم، أن رجلا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى في نومه ميزانا نزلت من السماء فوزنت أبا بكر فرجحت ثم بعمر فرجح به ثم بعثمان فرجح عثمان بعمر، ثم رفع الميزان فقال صلى الله عليه وسلم. خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء، وبسند رجاله موثوقون إلاّ واحدا قال ابن عدي في حقه لم أر له منكرا غير حديث واحد غير هذا، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**يكون من بعدي اثنا عشر خليفة منهم أبو بكر الصديق لا يلبث بعدي إلاّ قليلا وعمر يعيش حميدا ويموت شهيدا**)، ثم قال (**يا عثمان إن ألبسك الله قميصا فأرادك الناس على خلعه فلا تخلعه فو الله لئن خلعته لا ترى الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط**) وجاء بسند فيه انقطاع وضعيف لكن وثقه ابن حبان عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: (**وَاذْ**

اَسَرَّ النَّبِيُّ اِلىَ بَعْضِ اَزْوَاجِهِ حَدِيثًا * التحريم: ٣) ذلك الحديث هو أنه صلى الله عليه وسلم أسر إلى حفصة أن أبا بكر يلي بعده وأن عمر يلي بعد أبي بكر. وبسند فيه ضعيف جدا. أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم إلى من يدفع إليه زكاته من بعده فقال. (**إلى أبي بكر**) قال ثم من؟ قال (**عمر**) قال ثم من؟ قال (**عثمان**). قال ثم من؟ قال (**انظروا لأنفسكم**). وفي رواية بهذا السند. أن عليا أمر من يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن نحو ذلك فقال: (**أبو بكر**) ثم أمره فسأل فقال (**عمر**)، ثم سأل فقال (**إذا مات عمر فان استطعت أن تموت فمت**).

وصح أنه صلى الله عليه وسلم أخذ حصيات فسبحن ثم أعطاهن لأبي بكر فسبحن ثم لعمر فسبحن ثم لعثمان فسبحن ثم لعلي فخرسن. وجاء عن الزهري بسند ضعيف أن هذا إشارة للخلافة. وجاء مطولا ومختصرا باسنادين أحدهما رجاله ثقات. أن زيد بن حارثة مات فجأة وغطي بكساء فسمعوا بين المغرب والعشاء صوتا من تحت الكساء يستصعبه الناس. ثم جر عن وجهه وصدره. فقال محمد رسول الله ومدحه. أبو بكر خليفة الله ومدحه عمر أمير المؤمنين ومدحه، عثمان أمير المؤمنين ومدحه وفي كل واحد. فقال لسانه صدق صدق. وجاء بسند قال الحافظ المذكور فيه من لا أعرفه. قالت حفصة يا رسول الله إنك حين اعتللت قدمت أبا بكر، فقال (**لست أنا الذي أقدمه، ولكن الله الذي قدمه**). وجاء بسند كالذي قبله أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**ائتوني بدواة وكشف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا**) ثم ولانا قفاه ثم أقبل علينا فقال (**يأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر**). وجاء بسند ضعيف جدا. أنه: صلى الله عليه وسلم رجع من صلح بين الأنصار فوجد أبا بكر يصلي بالناس فصلى خلفه. وصح على انقطاع فيه أنه قيل لأبي بكر يا خليفة الله فقال أنا خليفة رسول الله وأنا راض به. وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا فوثق. أنه صلى الله عليه وسلم قال لعثمان: (**إن الله عز**

وجل مقمصك قميصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه ولا كرامة). قالها مرتين أو ثلاثا. وجاء بسند فيه انقطاع وفيه رجل ضعفه الجمهور ووثقه غير واحد أن عمر قال للستة التي جعل الأمر شورى بينهم: بايعوا لمن بايع له عبد الرحمن بن عوف. فمن أبى فاضربوا عنقه. وبسند فيه ضعيف جدا أنه قيل لابن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا فاعتذر بأنه بدأ بعلي فقال له أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر فقال فيما استطعت فعرضها على عثمان فقبلها و لم يشترط فيما استطاع. وبسند رجاله ثقات إلاّ واحدا فحسن الحديث أن عليا كرم الله وجهه مرض خارج المدينة فأشير عليه بدخولها لئلا يموت خارجها فيعسر نقله إليها فقال: عهد إلى النبي صلى الله عله وسلم أن لا أموت حتى أؤمر ثم تخضب هذه -يعني لحيته- من هذه -يعني هامته- وكان كذلك فقتله اللعين عبد الرحمن بن ملجم الخارجي. وبسند رجاله ثقات إلاّ واحدا فمختلف فيه: أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**يا علي إن وليت أمرا من بعدي فاخرج إلى نجران من جزيرة العرب**). وبسند فيه كذاب أنه صلى الله عليه وسلم قال (**نعيت إلى نفسي**)، فقال ابن مسعود استخلف قال من؟ قال أبا بكر فسكت ثم كذلك في عمر ثم كذلك في علي لكنه حلف هنا لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين. الثامن جاء أن شداد بن أوس دخل على معاوية وعمرو معه على فراشه فجلس بينهما، قال أتدرون ما أجلسني بينكما إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (**إذا رأيتموهما جميعا ففرقوا بينهما**)، فما اجتمعا إلاّ على غدر فأحببت أن أفرق بينكما. وهذا فيه غاية الذم لمعاوية فما جوابه -أما الأول فالحديث لم يثبت لأن في سنده من قال الحافظ الهيثمي فيه من لا أعرافه، وأما ثانيا فكل من معاوية وعمرو كان داهية من دهاة العرب. فبفرض صحة الحديث أحب النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمعا فإن اجتماعهما ربما جر إلى أمر دنيوي فيه ضرر للغير كما أشار إليه بالغدر. وهذا لا يقتضي ذما لمعاوية فيما وقع منه من الاجتهاد في قتاله لعلي كرم الله وجهه ويدل

لذلك أنه صلى الله عليه وسلم صح عنه ثناء ومدح لكل من الرجلين فوجب تأويل هذا الحديث إن صح بنحو ما ذكرته و لم يصح والحمد لله.

(**خاتمة**) نسأل الله تعالى حسنها في ذكر أمور وفوائد مبددة لأكثرها تعلق بما نحن بصدده. والحامل على ذكرها عدم وجودها مجموعة كما هي هنا في الكتب المشهورة وغيرها، وإنما هي ملتقطة كأكثر ما قدمته من كتب غير مشهورة، لكنها جليلة جدا لكمال مؤلفيها وكونهم من حفاظ السنة الذين يرجع إليهم في تصحيح الحديث وتحسينه وتضعيفه وبيان علله وما يتبع ذلك، مما لا يعرفه إلاّ المحدثون والأئمة الفقهاء المجتهدون. وما وجدته فيها قد سبق فليس من المكرر المحض بل ذكره ثانيا لغرض غير ما سبق يعرفه المتأمل من السياق تارة ومن المعنى الخارجي أخرى. فلا تنكر شيئا قبل تأمله، على أن التكرار في مثل هذه الكتب غير معيب، وإنما يعاب في مثل الكتب المقصود منها الاختصار.

فمن تلك الأمور أن ذكر هذه المباحث السابقة واللاحقة لا ينافي ما أطبق عليه أئمة الأصول وغيرهم أن يمسك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم لما مر في معناه مبسوطا مستوفى فراجعه، فإنه مهم وبهذا يجاب عن قول الحافظ النور الهيثمي لولا أن الإمام أحمد بن حنبل وبقية أصحاب المسانيد التي حكى عليها في كتابه مجمع الزوائد، ذكروا ما كان بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجوه في كتبهم مع كونهم حفاظ الإسلام ما ذكرتها، وقد علمت مما قدمته في معنى الإمساك عن ذلك، أن عدم الإمساك إما أن يكون واجبا لا سيما مع ولوع العوام به، ومع تآليف صدرت من بعض المحدثين كابن قتيبة مع جلالته القاضية بأنه كان ينبغي له أن لا يذكر تلك الظواهر، فإن إلاّ أبى ذكرها فليبين جريانها عل قواعد أهل السنة حتى لا يتمسك مبتدع أو جاهل بها، فإنهم ذكروا في تلك التآليف كل ما وقع من صحيح وغيره، وأبقوها على ظواهرها فأضر بمن عدا أكابر علماء السنة ممن ليس له قدم راسخ في العلوم، لاعتقاده تلك الظواهر المستلزمة لترتيبه آثارها عليها

من نقص كثيرين من الصحابة وما يتبع ذلك مما يخل بكمال الإيمان ويوجب التمادي في الغي والبهتان[١]، ومنها أنه يتعين عليك حتى لا يبقى في قلبك حزازة على صحابي قط أن تتأمل ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الصفاء والإنصاف والمبالغة في تعظيم بعضهم لبعض، وإن وقع بينهم ما وقع فهم كما قال الله تعالى: (**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ اخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** * الحجر: ٤٨)، ومما يدل لذلك ما صح أن سعد ابن أبي وقاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما كان بينهما شيء، فأراد إنسان أن يذكر خالدا عند سعد فقال له مه، فإن ما بيننا لم يبلغ ديننا، ومن هذا ما جاء بسند قال الحافظ المذكور الهيثمي فيه من لم أعرفهم. إن عثمان رضي الله عنه صلى بالناس ثم تنحى فاضطجع ومعه الدرة فأقبل علي ومعه عصاه حتى وقف على رأسه، فأخبر به عثمان، فجلس فقال له اشتريت ضيعة آل فلان، ولوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائها حق، فجرى بينهما كلام كثير فجاء العباس ودخل بينهما ورفع عثمان على علي الدرة، ورفع علي على عثمان العصا، فجعل العباس يسكتهما ويقول لعلي، أمير المؤمنين، ويقول لعثمان ابن عمك فلم يزل حتى سكتا، فلما كان من الغد رآهما الناس وكل واحد آخذ بيد صاحبه وهما يتحدثان، فتأمل ما اشتملت عليه هذه القصة لتعلم نزاهة الصحابة رضي الله عنهم عن كل ما نسبه إليهم المبتدعون، وتقول به عليهم الوضاعون. وانتقصهم بسببه المفترون. ومنها قضية قتل عثمان وهي عجيبة مبسوطة في كتب

---

(١) قال ابن العربي في العواصم: ومن أشد شيء على الناس جاهل عاقل أو مبتدع محتال. فأما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما في كتاب الإمامة والسياسة إن صح عنه جميع ما فيه. وكالمبرد في كتابه الأدبي. وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدم في أماليه فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة. وأما المبتدع فالمسعودي. فإنه يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روي من ذلك أما البدعة فلا شك فيه. هذا وقد ذكر العلماء أن الإمامة والسياسة ليست لابن قتيبة لأنه يروي فيه عن عالمين كبيرين من مصر ولم يدخلها ولم يأخذ عنهما والمعروف عن المبرد أن يترع إلى رأي الخوارج بشيء وأما المسعودي فهو من كبار الشيعة وله في نحلتهم مؤلفات

السير والتواريخ وفيها أشياء كثيرة لم تصح فلا تغتر بها وحاصل ما جاء في ذلك باختصار أن عثمان زور عليه الأمر بقتل محمد بن أبي بكر وجماعة آخرين. فاجتمعوا إليه لحصاره حتى قتلوه، وأنه علم أنه مقتول لإخباره صلى الله عليه وسلم له بذلك في روايات كثيرة و لم يعزل نفسه كما طلبوه منه ورضوا منه به. لأنه صلى الله عليه وسلم توعده عليه أنه إن فعله لا يرى الجنة بعدها أبدا. كما مر ويأتي، وحاصل تلك القضية أنه جاء بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا فثقة، أن عثمان بلغه أن وفد أهل مصر أقبلوا فتلقاهم في قرية له خارج المدينة ثم أقبلوا عليه وطلبوا منه أن يحضر المصحف فأحضره فلما انتهى القارئ إلى قوله عز قائلا: (**قُلْ اَرَاَيْتُمْ مَآ اَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللهُ اَذِنَ لَكُمْ اَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ** * يونس: ٥٩) فقالوا له آلحمى، آلله إذن لك أم على الله تفترون. فبين سبب نزول الآية. وأنه اقتدى في الحمى لا بل الصدقة بفعل عمر ثم سألوه عن أشياء بعضها أجاب عنه، وبعضها استغفر منه. ثم قال: ما تريدون؟ قالوا نريد أن لا يأخذ من هذا المال إلاّ المقاتلة والشيوخ من الصحابة، فأجابهم لذلك وشرط عليهم أن لا يشقوا عصا ولا يفارقوا جماعة فرضوا وكتبوا بذلك كتابا. ثم أقبلوا إلى المدينة فخطب عثمان وأثنى عليهم بأنه لم ير وفدا خيرا منهم، ثم أخبر أهل المدينة أنه لا يعطى من مال بيت المال إلاّ من ذكر فغضب الناس. وقالوا: هذا مكر بني أمية. ثم رجع الوفد راضين. فلما كانوا ببعض الطريق إذ راكب يتعرض لهم ويسبهم ثم يفارقهم. ويعود إليهم وهكذا فأخذوه وقالوا إن لك لشأنا فقال: رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا معه كتاب على لسان عثمان عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يضرب أعناقهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فرجعوا وقالوا قد نقض العهد وأحل الله دمه، فقدموا المدينة فأتوا عليا فقالوا ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا وكذا وأن الله تعالى قد أحل دمه، قم معنا إليه فقال لا والله لا أقوم معكم إليه، قالوا فلم كتبت إلينا؟ قال والله ما كتبت لكم كتابا قط، ثم خرج علي فترل

قرية خارج المدينة فأتوا عثمان فقالوا كتبت فينا بكذا وكذا وإن الله قد أحل دمك، فقال إنما لكم عليّ شيئان أن تقيموا شاهدين أو أحلف لكم بالله ما كتبت ولا أرسلت ولا علمت وقد تعلمون أن الكتب قد تكتب على لسان الرجل، وقد ينقش الخاتم، قالوا فو الله لقد أحل الله دمك ينقض العهد والميثاق، فحينئذ حصروه في داره التي قرب المسجد المسمى بباب جبريل، فأشرف يوما وسلم عليهم فلم يسمع أن أحدا رد عليه، وروى أبو يعلى وغيره بإسناد رجاله ثقات إلاّ واحدا، فمختلف فيه، أنه لما حوصر في موضع في الجنائز، أشرف من الخوخة التي على مقام جبريل. فقال أيها الناس أفيكم طلحة فسكتوا، ثم أعلاه فقام طلحة فقال ما كنت أرى أنك تسمع نداء آخر ثلاثا ثم لا تجيبني؛ أنشدك بالله يا طلحة أتذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع كذا ليس غيري وغيرك، قال نعم فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يا طلحة إنه ليس من نبي إلاّ ومعه من أصحابه رفيق من أمته في الجنة، وأن عثمان هذا بعينه رفيق في الجنة**)، قال اللّهمّ نعم، ثم انصرف وجاء عنه بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا، وهو ثقة أنه قال وهو يخطب. إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويشيع جنائزنا ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناسا يعلمون به عسى أن يكون أحدهم رآه قط. وجاء عنه بسند رواته ثقات أنه قال لابن مسعود: هل أنت منته عما بلغني منك، فاعتذر إليه بعض العذر فقال له ويحك إني قد سمعت، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ستقتل أمتي أميري، ومنبري يثب عليه ظالم له**)، وإني أنا المقتول وليس عمر، وإنما قتل عمر واحد وأنه يجتمع عليّ. وصح عنه أنه لما أكثر الناس الاعتراض عليه في إيثاره لبني أمية أقاربه دعا جمعا من الصحابة ليصدقوه، ثم أنشدهم بالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤثر قريشا على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على قريش. فسكتوا فقال: لو أن بيدي مفاتيح الجنة أعطيتها بني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم. وأنه قال إن وجدتم في كتاب الله أن

تضعوا رجلي في القيد فقيدوها وجاء من طرق أحدها ثقات، أن المغيرة بن شعبة دخل عليه وهو محصور فخيره بين أن يخرج لقتالهم، وقال له إن معك عددا وقوة وإنك على احق وهم على الباطل، أو تخرج إلى مكة أو الشام فإنها مأمن منهم، فاعتذر عن المقاتلة بأنه لا يكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء، وعن الخروج إلى مكة بأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم**)، فلن أكون أنا إياه وإلى الشام بأنه لا يفارق دار هجرته ومجاورة النبي صلى الله عليه وسلم. وروى الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح عن النعمان بن بشير قال: مات رجل منا يقال له خارجة بن زيد فسجيناه بثوب وقمت أصلي إذ سمعت صوتا فأبصرت فاذا أنا به يتحرك فقال: أجلد القوم أوسطهم عند الله، عمر أمير المؤمنين القوي في أمره القوي في أمر الله عز وجل. عثمان أمير المؤمنين العفيف المتعفف الذي يعفو عن ذنوب كثيرة، خلت ليلتان وبقيت أربع، واختلف الناس ولا نظام لهم يا أيها الناس أقبلوا على إمامكم هذا واسمعوا وأطيعوا، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه، ثم قال وما فعل زيد بن خارجة يعني أباه، ثم قال أخذت بئر أريس ظلما ثم هدأ الصوت، وسألت طلحة أمه أن عثمان قد اشتد حصره فلم يجبها، فأخرجت ثديها وقالت أسألك بما حملتك وأرضعتك إلاّ فعلت، فأتى عليا فكلمه في ذلك، قال الحافظ السابق في هذا من لم أعرفهم والظاهر أنه ضعيف، لأن عليا كرم الله وجهه لم يكن بالمدينة حين حصر عثمان ولا شهد قتله انتهى، وقوله أن عليا الخ لا يوجب ضعف الحديث لأن الراوي لم يقل إن طلحة أتاه وهو بالمدينة بل يحتمل أن أمه لما أكدت عليه بما فعلته، ركب لعلي إلى محله فاستأذنه، ويحتمل أيضا أن عليا وإن كان مقيما خارج المدينة قد يدخلها بعض النهار ثم يرجع لمنزله خارجها، وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد، أن عثمان أرسل إلى الأشتر فقال: ما يريد الناس مني، قال: يخيرونك بين ثلاث، إما أن تدع

لهم أمرهم ليختاروا من شاؤا أو تقتص لهم من نفسك أو يقتلونك، فاعتذر بأنه لا يخلع سربالا سربله النبي صلى الله عليه وسلم، وقال لأن أقوم فيضرب عنقي أحب إليّ من أن أخلع أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يترو بعضها على بعض، وقال إن يقتلوني لا تقتلون بعدي عدوا جميعا أبدا. فلما أخبرهم الأشتر بذلك دخل عليه محمد بن أبي بكر رضي الله عنه في ثلاثة عشر رجلا فأخذ بلحيته وهزها حتى سمع وقع أضراسه، ثم قال ما أغنى عنك فلان وفلان فقال: أرسل لحيتي يا ابن أخي. فأشار محمد لرجل، فقام بمشقص حتى وجأه به في رأسه ثم تعاونوا عليه حتى قتلوه. وجاء بسند قال الحافظ الهيثمي فيه من لم أعرفهم أنه رضي الله عنه استيقظ فقال ليقتلني القوم، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، فقالوا تفطر عندنا الليلة، وفي رواية في سندها مجهول؛ أنه يوم قتل وهو يوم الجمعة نام ثم استيقظ وذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: قم إنك شاهد معنا، وفي أخرى سندها كذلك: أنه رأى ذلك ليلا وأنه صلى الله عليه وسلم قال له يا عثمان أفطر عندنا فأصبح صائما وفي رواية رجالها ثقات أنه رآهم ليلا قائلين له اصبر فإنك عندنا القابلة فلما أصبح أعتق عشرين عبدا وتسرول و لم يلبس السراويل جاهلية ولا إسلاما إلاّ يومئذ لأنه أبلغ في الستر من غيره، كما في حديث بينته في كتابي (**در الغمامة في فعل العذبة والطيلسان والعمامة**)، ثم دعا بمصحف فنشره فقتل وهو بين يديه؛ وفي رواية رجالها ثقات سمع بعضهم من بعض أنه لما رأى ذلك المنام، فتح بابه ووضع المصحف بين يديه فدخل عليه محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما فأخذ بلحيته. فقال لقد أخذت مني مأخذا وقعدت مني مقعدا ما كان أبوك ليأخذه أو يقعده. فتركه وخرج. فدخل عليه رجل فقال له الموت الأشد فخنقه ثم خنقه ثم خرج. واعتذر بأنه لم ير شيئا قط ألين من حلقه. ثم دخل آخر فقال له بيني وبينك هذا الكتاب كتاب الله. فخرج ثم دخل آخر فضربه بسيف فتلقاه في يده فقطعها والمصحف بين يديه؛ وفي رواية أن الدم وقع على قوله: ﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ**

وَهُوَالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ * البقرة: ١٣٧). قال راويه: وهي في المصحف كذلك ما جليت بعد. ولما قتل انكبت عليه زوجته، فقالوا قاتلها الله ما أعظم عجيزتها، قال راويه: فقلت إن أعداء الله لم يريدوا إلاّ الدنيا، وصح أن قتله في عشر الأضحى وفي رواية سندها منقطع قتل لثمان مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلاّ اثنى عشر يوما، وفي أخرى أنه دفن ولم يغسل. وصح على انقطاع فيه أن الزبير رضي الله عنه صلى عليه ودفنه وكان أوصى اليه بذلك وصح أنه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فمر رجل مقنع أي متطيلس. فقال (**هذا وأصحابه يومئذ على الحق**) فأخذ رجل بمنكبي عثمان وأقبل بوجهه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا يا رسول الله فقال (**هذا**)، وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال (**ستلقون بعدي فتنة واختلافا**). قيل فدلنا يا رسول الله: قال (**عليكم بالأمير وأصحابه**). وصح عن عبد الله بن سلام الصحابي المشهور أعلم علماء بني إسرائيل. ومثل ذلك لا يقال إلاّ بتوقيف. أنه أخبرهم لما حصر عثمان. أن المدينة لم تزل محتفة بالملائكة. من الهجرة إلى اليوم. وإن هم قتلوه ذهبت الملائكة فلا تعود أبدا وأن السيف لم يزل مغمودا عنهم فان هم قتلوه سل فلا يغمد عنهم أبدا وأنه ما قتل نبي إلاّ قتل به سبعون ألفا وما قتل خليفة إلاّ قتل به خمسة وثلاثون ألفا وفي رواية رجالها ثقات. (**ما قتلت أمة خليفة فأصلح الله ذات بينهم حتى يهريقوا دم أربعين ألفا**) ثم لما ولى علي جلس عبد الله على طريقه. فقال له أين تريد؟ قال: العراق قال عليك بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزمه ولا أدري هل ينجيك الله لئن تركته لا تراه أبدا فقال من حوله دعنا فلنقتله فقال إن عبد الله بن سلام منا رجل صالح. هذا ما يتعلق بقتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه[1] وبما تقرر فيه تعلم أنه الخليفة الحق

([1]) تقدم في التعليق على الصواعق: الاختلاف في قاتله وفي مصره. فقيل يناز بن فياض الأسلمي. وقيل جبلة بن الأيهم. وقيل سودان بن حمران. وقيل دومان اليمان وقيل الأسود التجيبي في سنة ٣٥ وما ذلك الاختلاف إلاّ لأن الأمر كان قد خرج من يد المسلمين بدسائس اليهود الذين تستروا بالإسلام فأوقعوا هذه الفتنة وتمت على أيديهم

وأنه مات على الحق وأن قاتليه بعضهم فسقة ملحدون وبعضهم بغاة لهم تأويل باطل وأنه مات مظلوما شهيدا وأن سبب ذلك وجود ذلك الكتاب. وأنه رضي الله عنه بريئ منه بكل وجه. وإنما زوره بعض جماعة من بني أمية الملعونين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحذر أن تخوض مع الخائضين بل متى طرقك في عثمان أدنى ريبة فاستغفر الله وتب وانظر كتب الأئمة أهل السنة لتكون ممن سلم دينه وتقواه. و لم يغلب عليه تعصبه وهواه.

ومنها ذكر خلاصة ما وقع بالجمل ومناسبة ذكر ذلك وأن عليا فيه على الحق ومقاتلوه بغاة عليه فكل ما يقال فيهم يقال بمثله في معاوية ويأتي في عائشة رضي الله عنها أحاديث مصرحة بأن عليا كرم الله وجهه على الحق دونها ودون من معها لكنهم معذورون فكذا يقال في معاوية ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم[1] واعلم أنه قد روي هنا أيضا أمور لا أصل لها فلا تقنع لشيء مما تراه في كتب السير والتواريخ إلاّ أن رأيته في كلام حافظ وقد بين سنده ونقله ثقة عنه وخلاصة المهم من ذلك أنه جاء بسند فيه متروك أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**كيف أنتم بأقوام يدخل قائدهم الجنة ويدخل أتباعه النار**)، قالوا يا رسول الله وإن عملوا بمثل أعمالهم قال (**وإن عملوا بمثل أعمالهم وأنى يكون ذلك؟**) ثم قال (**يدخل قائدهم**

([1]) في تنقيح الأنظار وفي العواصم لابن الوزير وثمرات النظر وتوضيح الأفكار للأمير الصنعاني: حكاية الإجماع على قبول فساق التأويل والبغاة وأهل الابتداع ممن لا يستجيز الكذب، فان مدار القبول على الصدق وأن القدح في الديانة من المتأولين لا يقدح في عدالة الرواية ولا استلزام بينهما. وهذا مبني على تجزئ العدالة وعليه عمل العلماء: فقد روى البخاري وأصحاب السنن عن جماعة من الروافض والشيعة والخوارج وفي بعضهم غلو. فقد روى البخاري عن عمران بن حطان في المتابعات وأبو داود والترمذي عن عمران بن مسلم القصير القدري وعن الفضل بن دكين وهو شيعي وعن أبي معاوية الضرير وعن عدي بن ثابت الرافضي وأخرج البخاري لإبراهيم بن طهمان. وأيوب بن عائذ من المرجئة، ولإسماعيل بن أبان الشيعي وغيرهم وأما من استجاز الكذب كالخطابية فلا تقبل لهم رواية. وكل الصحابة معدلون بتعديل الله كما ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وتقدم القول فيه، وانظر كتابنا (**المختصر من مصطلحات أهل الأثر**)

الجنة مما سبق لهم ويدخلوا النار بما أحدثوا) ومعنى ذلك والله أعلم، أن المتبعين مجتهدون فأثيبوا و لم يقل فيهم أحدثوا لأن ما وقع بالاجتهاد يثاب عليه المجتهد، فليس من المذموم المحدث، والتابعون غير مجتهدين فما أوجدوه من آرائهم مذموم محدث مبتدع، فأثموا عليه و لم ينفعهم اتباعهم لأولئك في هذا الذي أحدثوه بآرائهم الفاسدة وبهذا يتضح ما مر في حديث عمار أنه يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، فهو محمول على بعض أتباع معاوية رضي الله عنه الغير المجتهدين، فإذا دعاهم عمار إلى ما هم عليه مما أحدثوه بآرائهم الفاسدة دعاه إلى ما يكون سببا لدخول النار حيث لم يقع عفو منه تعالى، إذ المقرر عند أهل السنة وبه تجتمع الآيات والأحاديث، والاجماع أن من مات مؤمنا فاسقا يكون تحت مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة مع الداخلين وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه أو ببعضها ثم أدخله الجنة. ومن مات مشركا لا يغفر له ويكون خالدا في النار. وبسند فيه من يروي المناكير أنه صلى الله عليه وسلم قال (**يكون لأصحابي زلة يغفرها الله لهم وسيأتي قوم بعدهم يكبهم الله على مناخرهم في النار)**، ومعناه بفرض صحته -و إلاّ فوجود من يروي المناكير في سنده يبطل الاحتجاج به، أن هذا من باب قولهم حسنات الأبرار سيئات المقربين فالمراد بالزلة خلاف الأكمل. لا ما فيه إثم لأن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول مجتهدون على الصواب[١] الذي لا يجوز لأحد أن يعتقد غيره، لكنهم مع ذلك قد يقع من أحدهم ما لا يليق بمقامه، فيعذر له بالنسبة إليه. كاستخلاف معاوية لولده يزيد فإن مزيد محبة الولد زين له رؤية كماله. وأعمى عنه رؤية عيوبه،

---

(١) تقدم القول على عدالة جميع الصحابة وأنه مذهب الأكثر بل حكي الإجماع عليه وأنه مذهب البخاري وابن المديني ورجحه الحافظ ابن حجر خلافا لمن اشترط الملازمة او جعل ذلك حكما غالبا وجعل العموم على معنى أنه لا يسأل عمن جهل حاله منهم حملا على الغالب وأما من وقع منه فسق بالتأويل فالجميع على قبوله بخلاف من وقع منه فسق بالتصريح فإنه محل الخلاف وكل ما نسب إلى الصحابة فهو بالتأويل. وانظر كتابنا (**المختصر في علم رجال الأثر**)

التي هي أوضح من الشمس في رابعة النهار، فهذا بحسب كمال معاوية زلة يغفرها الله له، ولا يجوز التأسي به فيها فمن تأسى به فيها كب على منخريه في النار، لأنه غير معذور لعدم فقهه واجتهاده، ولأجل ذلك قال أئمتنا لا يجوز لأحد أن يتبع زلات العلماء. أي أن بعض العلماء قد يؤدي اجتهاده إلى أمر بعيد جدا من الأدلة والقواعد، فيعد ذلك كالزلة، ويمنع غيره من تقليده فيها، كما نقل عن بعض السلف أنه لا يحرم لناوي الصوم تعاطي مفطر في الفرض إلاّ بعد طلوع الشمس، وفي النفل إلاّ بعد الزوال، وقس على ذلك. وبسند موقوف على حذيفة رجاله رجال الصحيح ومرفوع لكن فيه ضعف جدا أنه صلى الله عليه وسلم قال (**ليدخلن أمير فئة الجنة، وليدخلن من تبعه النار**)، والحجة في الموقوف بصحة سنده، وكون مثله لا يقال من قبل رأي، وحذيفة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالفتن. فقوله ذلك لا يكون إلاّ عن الصادق صلى الله عليه وسلم، ومعناه ما مر أن الأمير مجتهد، وتابعيه غير مجتهدين، وقد أحدثوا بآرائهم الفاسدة ما كان سببا لنقصهم وعذابهم. وبسند فيه من قال الذهبي: إن هذا الحديث من منكراته، ومن قال فيه أبو نعيم إنه لم يكن بالكوفة من هو أكذب منه لكن وثقه الإمام الحافظ الجليل أبو حاتم، أنه قيل لأبي بكر رضي الله عنه: ما منعك أن لا تكون قاتلت يوم الجمل؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**يخرج قوم هلكوا لا يفلحون، قائدهم امرأة وقائدهم في الجنة**)، وشاهده الخبر الصحيح، (**هلك قوم ولّوا أمرهم امرأة**)، وهذا على وزان ما قدمته، لأن عائشة رضي الله عنها مجتهدة فهي من أهل الجنة، وأتباعها فيهم من هو مجتهد، وهم كل من كان معها من الصحابة فهم مثلها في الجنة، ومن ليسوا كذلك فهم بما يحدثونه في النار. وبسند رجاله ثقات أنه صلى الله عليه وسلم قال: (يا علي إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر) قال أنا يا رسول الله قال (**نعم**). قال أنا أشقاهم. قال (**لا ولكن إذا كان كذلك فارددها إلى مأمنها**). فتأمل هذا الحديث فإن فيه قطعا لكل ريب وشبهة لأنه صريح في أنّ الله أطلعه صلى الله عليه

وسلم على ما يقع بين علي وعائشة، وفي أن عليا على الحق، وعائشة مؤولة فبتأويلها كانت مثابة، ووصاه صلى الله عليه وسلم بها. وإنما لم ينهها صلى الله عليه وسلم ولا بين لها لأنه علم أن هذا الأمر لابد من وقوعه، فلم يبق إلاّ التنبيه على عذر من سيقع منه، وكذا يقال في جميع ما وقع بين الصحابة، هو صلى الله عليه وسلم أعلم به، ولم ينه عنه، وإنما أشار إلى عذر فاعليه من أصحابه، وستأتي أحاديث أخر تدل لذلك، وبسند رجاله رجال الصحيح أن عائشة لما نزلت على الحوأب - بضم أوله المهمل وفتحه- سمعت نباح الكلاب، فقالت ما أظنني إلاّ راجعة. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا (**أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب**)، فقال لها الزبير: لا ترجعين عسى الله أن يصلح بك الناس، وبسند رجاله ثقات أنه صلى الله عليه وسلم قال لنسائه، (**أيتكن صاحبة الجمل الأزيب**) -أي بزاي فتحتية فموحدة- (**الطويل أو الضامر، تخرج فتنبحها كلاب الحوأب تقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثيرة ثم تنجو بعد ما كادت تهلك**)، وصح أنها مرت بماء لبني عامر يقال له الحوأب فنبحها الكلاب فقالت ما هذا قالوا ماء لبني عامر، قالت ردوني، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**تنبح لها كلاب الحوأب**). وبسند رجاله ثقات أن عليا رضي الله عنه مر على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في نفر من المهاجرين والأنصار فقال (**ألا أخبركم بخياركم**). قالوا بلى. قال (**خياركم الموفون المظنون، إن الله يحب الخفي التقي**)، فلما مر علي قال (**الحق مع ذا**)، فإن قلت كيف يسمع علي هذا ويقول ما مر عنه، فالله أعلم أصبنا أم أخطأنا، قلت ليس في هذا الحديث أن عليا سمع ذلك. وبفرض أنه سمعه. فقوله أم أخطأنا من تواضعه الكامل، أو مراده أخطأنا في قضية قريبة بالنسبة لنفس الأمر. فان المجتهد يثاب، وإن أخطأ كما مر، ويقال في حقه من حيث الإطلاق، إنه على الحق، وأما النظر لكل حكم على حدته فيجب أن يعتقد فيه أن اجتهاده يحتمل أنه وافق الحق عند الله تعالى فيثاب الثواب المتضاعف، وإن لم يوافقه فيثاب أصل الثواب بلا مضاعفة، وبسند فيه

من قال البخاري لا يصح حديثه، أن عليا والزبير رضي الله عنهما لما تواقفا بالجمل قال له: يا زبير أنشدك بالله أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك (**إنك تقاتلني وأنت ظالم لي**). قال نعم، و لم أذكره إلاّ في موضعي هذا، ثم انصرف فتبعه من قتله، وإثبات الظلم للزبير مع أنه من أكابر المجتهدين ومع تأويله، ما أباح له الخروج على عليّ اتفاقا مشكل، إلاّ أن يجاب بأن المراد وأنت ظالم لو أمعنت النظر في الدليل المجوز له الخروج على علي، إذ المراد كان ظالما أي مرتكبا خلاف الأكمل، على حد قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (**فيمن زاد في الوضوء على الثلاث أو نقص منها فقد أساء وظلم**)، أي ترك الأكمل.

وبسند فيه رجل قال الحافظ الهيثمي لا أعرفه وبيقة رجاله رجال الصحيح عن سعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**علي مع الحق والحق مع علي حيث كان**). فقيل له من سمع ذلك معك قال أم سلمة فأرسل لها فقالت نعم، فقال رجل لسعد ما كنت عندي قط ألوم منك الآن فقال و لم قال: لو سمعت أنا هذا من النبي صلى الله عليه وسلم، لم أزل خادما لعلي حتى أموت وبسند رواته ثقات، أن حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم فرقتين، أي عائشة وعليّ، فيضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف، فقيل له: كيف نصنع إن أدركنا ذلك، قال انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر عليّ فالزموها، فالها على الهدى، وهذا لا يقال من قبل الرأي، فحذيفة إنما قاله بعد سماعه له من النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه التصريح الواضح بأن عليا على الحق وعائشة ومن معها مؤولون لا غير، كما كان علي ومعاوية رضي الله عنهم. وبسند فيه من قال فيه الحافظ المذكور لا أعرفهم، أن ابن عباس قال في سمر. إني أحدثكم بحديث ليس بسرّ ولا علانية، إنه لما كان من أمر عثمان ما كان قلت لعلي: أعتزل فلو كنت في حجر طلبت حتى تستخرج فعصاني، فو الله ليتأمرن عليكم معاوية لأن الله تعالى يقول: (**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ انَّهُ كَانَ**

مَنْصُورًا * الإسراء: ٣٣). ولتحملنكم قريش على سنة فارس والروم ولتؤتمنن عليكم اليهود والنصارى والمجوس، فمن أخذ منكم بما يعرف فقد نجا. فتأمل هذه الشهادة من ابن عباس رضي الله عنهما لمعاوية رضي الله تعالي عنه، إنما مكنه من الإمارة التابعة لها الخلافة، لأن قريبه عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما، فجعل له سلطانا ظاهرا ونصره نصرا دائما –و بسند ضعيف عن ابن عباس رض الله عنهما، أن أصحاب عليّ لما سار بهم إلى البصرة أبلغهم أن أهلها اجتمعوا لطلحة والزبير أي ليحاربوا معهم عليا. فشق ذلك عليهم ووقع في قلوبهم، فحلف لهم علي ليظهرن على أهل البصرة وليقتلن طلحة والزبير وليخرجن اليهم من الكوفة ستة آلاف رجل وخمسمائة وخمسون، أو خمسة آلاف وخمسمائة وخمسون، شك الراوي، قال ابن عباس فوقع ذلك في نفسي، ثم خرجت لأنظر ما يكون، فان كان الأمر كما يقول علي فهو أمر سفه وإلاّ فهو خديعة الحرب، فرأيت رجلا من الجيش فسألته فقال ما قاله علي هذا؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا أي كون علي يخبر بالأشياء المغيبة فيقع كما أخبر. لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر –أي بالمغيبات فيخبر بها كما أخبره صلى الله عليه وسلم ومن استند إخباره إلى إخبار الصادق صلى الله عليه وسلم لا يكون إلاّ صادقا. وفي هذا منقبة علية جدا لعلي. لما أتحفه صلى الله عليه وسلم به من العلوم المغيبة. ولذا كان مدينة العلم النبوي وأمين السر العلوي. وبسند فيه متروك أن عليا قال يوم الجمل أحلف بالله ليهزمن الجمع وليولن الدبر. فقيل له استعذ به أن تقول ما لا علم لك به فقال: لأنا أشر من جمل يجر بخطامه بين نجد وتهامة إن كنت أقول ما لا علم لي به. وبسند فيه رجلان قال الحافظ الهيثمي لا أعرفهما وبقية رجاله ثقات أن عمار بن ياسر أقبل يوم الجمل فنادى عائشة فلما عرفته قالت لهم قولوا له ما تريد؟ قال أنشدك بالله الذي أنزل الكتاب على رسوله في بيتك أتعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عليا وصيا على أهله وفي أهله قالت اللّهمّ نعم قال فما بالك؟ قالت أطلب بدم عثمان

أمير المؤمنين، ثم جاءها علي فقالت: سلوه ما يريد. فذكر لها ما ذكر عمار. ثم قالت أطلب بدم عثمان. قال لها أريني قتلة عثمان، ثم انصرف والتحم القتال. والوصاية المذكورة وصاية خاصة وليست الوصاية العامة التي هي الخلافة كما هو واضح من قوله على أهله وفي أهله. وبسند رجاله ثقات إلاّ واحدا فضعيف. ومع ذلك يكتب حديثه، أنه ذكر لعائشة يوم الجمل فقالت والناس يقولون يوم الجمل قالوا نعم، قالت وددت أني كنت جلست كما جلس صواحبي فكان أحب إليّ من أن أكون ولدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر ولدا كلهم مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام أو مثل عبد الله بن الزبير. وبسند رواه اسحاق بن راهويه عن الأحنف بن قيس أنه استشار عائشة والزبير وطلحة فيمن يبايع إن قتل عثمان وكل واحد يقول بايع عليا فبايعه، ثم لما رجع إلى البصرة إذ بالثلاثة جاؤا لقتال علي فذكر لهم ما أشاروا به عليه فقالوا جئنا نستنصر على دم عثمان قتل مظلوما، فحلف الأحنف لا يقاتلهم ولا يقاتل عليا.

(**تنبيه**) ذكرت في مواضع أخر ما له مناسبة بما هنا فأحببت أن أذكره وإن كان متداخلا مع ما مر كثير منه لأن فيه زيادات حسنة، وهو لما التقى الجمعان يوم الجمل نفض الزبير الخيل نفضا فناداه علي حتى التقت أعناق دوابهما. فقال له علي نشدتك الله أتذكر يوما قال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أناجيك وأناجيه (**والله ليقاتلنك وهو لك ظالم**). فقال نعم والله ما ذكرت قبل موقفي هذا، رواه أبو بكر بن أبي شيبة واسحق بن راهويه وأبو يعلى. فعلم من هذا وغيره أنه صلى الله عليه وسلم علم ما يقع بعده من تقاتل الصحابة رضي الله عنهم وأخبر ما يصرح بأن عليا على الحق بخلاف الذين قاتلوه أي فانهم متأولون فهم محقون أيضا كما مر، ومع ذلك أمره بالرفق بعائشة رضي الله عنها وردها إلى مأمنها. وفيه أظهر دليل على عذرهم بالتأويل وأنه الإمام عليهم بهذا القتال وإلاّ لأخبر صلى الله عليه وسلم بتعديهم ومخالفتهم له صلى الله عليه وسلم وإنما أشار لبعض تفريط من بعضهم بقوله

للزبير وأنت ظالم له، على أن الظلم قد يستعمل في وضع الشيء في غير محله وإن لم يكن إثم ومنه فمن زاد على الثلاثة في الوضوء فقد أساء وظلم، فاستعمل صلى الله عليه وسلم الإساءة والظلم في غير الحرام وتأمل ما بين هذا، أعني سكوته صلى الله عليه وسلم عن عائشة ومن تبعها، وما صح أنه صلى الله عليه وسلم لعن الحكم[١] وبنيه، إلاّ الصالح منهم كعمر بن عبد العزيز الملحق بالخلفاء الراشدين في حكمه وعدله وتحريه وعروضه عن الدنيا بكل وجه على أنه مر أن لعنه صلى الله عليه وسلم لمن لا يستحق اللعن من أمته طهارة ورحمة، ولعله المراد من لعن الحكم وبنيه المسلمين، وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم رأى ثلاثين منهم يترون على منبره نزو القردة فغاظه ذلك وما ضحك بعده إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى، ولعله هؤلاء ويزيد بن معاوية فانه من أقبحهم وأفسقهم بل قال جماعة من الأئمة بكفرهم[٢] وهو لمراد من قوله صلى الله عله وسلم في الحديث الصحيح: (**يكون خسار أمتي على يد أغيلمة من سفهاء قريش**) فهؤلاء كانوا ظلمة فسقة في غاية النقص والجور بينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بهم وأعلم أمته بعظيم قبحهم بخلاف المقاتلين لعلي من عائشة رضي الله عنهما والزبير وطلحة ومعاوية وعمرو بن العاص ومن معهم من أكابر الصحابة رضي الله عنهم، بل من أهل بدر فلم يذكر صلى الله عليه وسلم نقصا فيهم ولا أعلم يوما ربما يدل على ذلك، إنما أشار لعذرهم وكمالهم كما مر. وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم ذكر لعلي

---

(١) الحكم بن أبي العاص: عم سيدنا عثمان. ووالد مروان: أسلم يوم الفتح. وسكن المدينة ونفاه النبي عليه السلام إلى الطائف ثم رجع إلى المدينة في خلافة عثمان ومات بها وذكر الحافظ في الإصابة عن ابن السكن أنه لم يثبت دعاء النبي عليه السلام على الحكم وتوفي سنة ٣٢ هـ.

(٢) قال السعد: والحق أن رضاء يزيد بقتل الحسين وإهانته أهل البيت مما تواتر معناه وإن كانت تفاصيله آحادا فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه. فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه وفي المسايرة: واختلف في كفر يزيد. فقيل نعم. وقيل لا. وقيل بالتوقف. وقد أجاز لعنه أحمد بن حنبل والقاضي أبو يعلى وحرمه الغزالي وابن العربي وتقدم ذكر أدلتهم

الخوارج وصفاتهم والرجل الذي فيهم وأنه يقتلهم كما يأتي ذلك مبسوطا مبينا، فتأمل هؤلاء لما كانوا على الضلال عرفه بهم التعريف الكامل بخلاف غيرهم لعذرهم كما مر، ويأتي وسيأتي أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال في الخوارج: (**تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق**). وأن هذا فيه شهادة لمعاوية وأصحابه بأنهم على حق أيضا، لكن باعتبار ظنهم وتأويلهم. ومنها ذكر خلاصة ما وقع في صفّين، واعلم أنه روي هنا أمور كثيرة لا أصل لها كما مرت الإشارة إلى ذلك من وقعة الجمل بزيادة: اعلم أنه جاء بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا وثقه ابن حبان. أن عليا قال لقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين وهؤلاء هم الخوارج الآتي بيان قصتهم لا معاوية وأتباعه بحق من الصحابة، ومن هو على سنتهم. لأن عليا وإن أذن له في قتال هؤلاء أيضا، لكنهم لا يسمون قاسطين ولا مارقين، نعم جاء عن عمار ما يخالف هذا الحمل لكن سنده ضعيف، أن عمارا قال وهو يريد صفين أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. وحينئذ فبتقدير صحة هذا كالأول يؤول كون معاوية وأصحابه كذلك بأنهم ناكثون عن متابعة علي ومارقون من طاعته وقاسطون بانفرادهم عنه وإن كان لهم تأويل منع إثمهم، نظير ما مر آنفا في الظلم والإساءة أن كلا منهما أطلق في الحديث الصحيح على الزيادة في الوضوء على الثلاث والنقص عنها. وبسندين في أحدهما لين والآخر ضعيف أن عليا قال: انفروا إلى بقية الأحزاب انظروا إلى ما قال الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إنا نقول صدق الله ورسوله، ويقولون كذب الله ورسوله، ومراد ببقية الأحزاب معاوية لأن أبا سفيان كان رئيس الأحزاب المجمع لهم، ومعنى إلى ما قال الله الخ انفروا قائلين هذا القول الذي قاله الصحابة لما نفروا إلى الأحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الذي قاله المنافقون، قال تعالى حاكيا عن الفريقين «ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله» وقال تعالى: (**وَاِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ**

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ اِلاَّ غُرُورًا * الأحزاب: ١٢). ومنها ما يتعلق بالحكمين يوم صفين أبي موسى الأشعري من جهة علي وعمرو بن العاص من جهة معاوية رضي الله عنهم.

جاء بسند قال الطبراني هو عندي باطل، أن أبا موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**يكون في هذه الأمة حكمان ضالان ضال من تبعهما**) فقيل له يا أبا موسى انظر لا تكون أحدهم، وبسند فيه متروك أن عمارا قال لأبي موسى ألم تسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**)، ثم سأله عن حديث (**إنها ستكون فتنة في أمتي**) أنت يا أبا موسى فيها قائم خير منك فيها قاعدا، وقاعد خير منك قائما وقائم خير منك ماشيا فخصك و لم يعم الناس، وكأن عمارا أشار بذلك إلى الاعتراض على أبي موسى فيما وقع له من التحكيم، أن عمرا احتال على أبي موسى حتى خلع عليا ثم برز عمرو وولى معاوية، وذلك لأن عمرا كان داهية من دهاة العرب وأبو موسى كان غرابا لأمور فراج عليه دهاء عمرو حتى برز وخلع عليا فبرز عمرو حينئذ وولى معاوية، ولأجل هذا الخداع لم يعتد علي وأصحابه بذلك الخلع ولا بتلك التولية وأجروا الأمور على ما كانت عليه قبل التحكيم وبسند فه رجلان قال الحافظ الهيثمي لا أعرفهما أن عليا رضي الله عنه قام على منبر الكوفة حين اختلف الحكمان، فقال كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فعصيتموني، فقام اليه فتى وغلظ الكلام ثم قال: بل أمرتنا وإنما تبرأت لما كان فيها ما تكره، فأغلظ له علي في الجواب وقال له، ما أنت وهذا الكلام قبحك الله ثم قال والله إن كان ذنبا إنه لصغير مغفور ولئن كان حسنا إنه لعظيم مشكور، وضمير كان إما لخصوص التحكيم الذي الكلام فيه أو لعموم قتال علي لمن خالفه من عائشة وطلحة والزبير ومعاوية –وتجويز كون ذلك ذنبا إنما هو على جهة إرخاء العنان مع الخصم، لما علمت من تصريح الحديث الصحيح بأن المجتهد المخطئ مأجور مثاب لا إثم عليه ولا تبعة. ومنها ذكر

ما يتعلق بالصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، اعلم أنه يأتي بسط ذلك في أثناء التي بعد هذه، وأنه صح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**تدرون رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو لست وثلاثين فإن تهلكوا فبسبيل من هلك وإن لم يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما**)، فقال لهم عمر بما مضى أو بما بقي قال بما بقي، وفي رواية (**ستدرون رحى الإسلام بعد خمس وثلاثين سنة فإن أصلحوا بينهم على غير قتال أكلوا الدنيا سبعين عاما**)، ويصح تتريل هذا على صلح الحسن ومعاوية فإنه بعد هذه المدة إن اعتبرت أولها من الهجرة، إذ ما بعدها يصدق بما وقع على رأس الأربعين، وكان حكمة عدم ذكر خلافة علي، وهو نحو أربع سنين أنه لم يصف له يوم واحد لاشتغاله بقتال أولئك الفرق الكثيرين الخارجين عليه، والمراد يأكلوا الدنيا تلك المدة، أن أكثر تلك المدة كان فيها من العلماء والمجتهدين وقيام الدين ما لم يكن فيما بعده، وسبق أنه صح عن عبد الله بن سلام أنه بالغ في نهي الناس عن قتل عثمان رضي الله عنه وبين لهم أنهم إن قتلوه لم تصح أمورهم حتى يقتل منهم أربعون ألفا، وأنه نهى عليا أن يخرج للعراق بل يلازم منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين له إن خرج لا يعود إليه أبدا، ولما قتل علي قيل رأس هذه الأربعين أي من الهجرة سيكون بعدها صلح أي فكان صلح الحسن ومعاوية رضي الله عنهما بتروله عن الخلافة. وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا فمختلف فيه لكن قواه الذهبي بقوله إنه أحد الاثبات وما علمت فيه جرحا أصلا، أن عمرا صعد المنبر فوقع في علي ثم فعل مثله المغيرة ابن شعبة، فقيل للحسن اصعد المنبر لترد عليهما فامتنع إلاّ أن يعطوه عهدا أنهم يصدقوه إن قال حقا ويكذبوه إن قال باطلا فأعطوه ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أنشدك الله يا عمرو ويا مغيرة أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن السائق والقائد أحدهما فلان قالا بلى، ثم قال أنشدك بالله يا معاوية ويا مغيرة ألم تعلما أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن عمرا بكل قافية قالها لعنة، قالا اللّهمّ بلى ثم قال، أنشدك بالله يا عمرو ويا معاوية ألم تعلما

أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن قوم هذا قالا بلى، قال الحسن فإني أحمد الله الذي جعلكم فيمن تبرأ من هذا، أي علي مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يسبه قط وإنما كان يذكره بغاية الجلالة والعظمة. وبسند رجاله ثقات إلاّ واحدا قال فيه الحافظ السابق لا أعرفه أن شداد بن أوس دخل على معاوية وعمرو معه على فراشه فجلس بينهما وقال أتدريان ما أجلسني بينكما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إذا رأيتموهما جميعا ففرقوا بينهما فو الله ما اجتمعا إلاّ على غدر**). فأحببت أن أفرق بينكما ومر الكلام على هذا الحديث، وجاء بسند فيه ضعيف جدا (**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة**). ومنها مقاتلة علي كرم الله وجهه للخوارج وأنه الإمام العدل بنص ما أخبر به الصادق صلى الله عليه وسلم في هذه القضية مما لا يحتمل التأويل. أخرج أبو يعلى بسند صحيح أن أبا وائل سئل من هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، قال لما استحر القتل في أهل الشام بصفين اعتصم معاوية وأصحابه بجبل فقال له عمرو أرسل لعلي المصحف واسأله الصلح فو الله لا يرده عليكم فأرسل له رجلا يحمله وينادي بيننا وبينكم كتاب الله: (**اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ اُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ** * آل عمران: ٢٣) فقال نعم بيننا وبينكم كتاب الله وأنا أولى به منكم فجاءت الخوارج وكنا نسميهم يومئذ القراء أسيافهم على عواتقهم وقالوا يا أمير المؤمنين لا يمشي لهؤلاء القوم حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقام سهل بن حنيف ونهاهم عن رد الصلح واستدل بقصة الحديبية أن النبي صلى الله عليه وسلم مال إلى الصلح دون كثيرين من الصحابة، وكان الخير كل الخير في الصلح ولما لم يسمع لهم علي في رد الصلح خرجوا عليه فارسل يناشدهم الرجوع إليه فأتوا بضعة عشر ألفا أي وسيأتي في رواية أنهم كانوا أكثر وأخرى أنهم كانوا أقل ولعل كلا من الرواة قال ذلك بحسب علمه وناشدهم غير علي فقالوا إن قبل الصلح علي قاتلناه وإن نقضه قاتلنا معه ثم افترقوا فخطب علي مستشيرا أنه يسير لمعاوية أو يرجع للخوارج الذين خلفوا إلى ديار بكر، قالوا بل نرجع لهم فروى علي الحديث

المورد فيهم وهو: إن فرقة تخرج عند اختلاف من الناس تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق علامتهم رجل بينهم يده كثدي المرأة، ثم قاتلهم علي بالنهروان واشتد قتالهم له، فجعلت خيل علي لا تثبت فنادى فيهم إن كنتم تقاتلون لي فو الله ما عندي ما أجزيكم وإن كنتم تقاتلون لله فلا يكون هذا فعلكم. فحمل الناس حملة واحدة فانجلت الخيل عنهم وهم منكبون على وجوههم. فأمر علي بطلب ذلك الرجل فلم ير، فقال بعضهم غرنا علي بن أبي طالب من إخواننا حتى قتلناهم. فدمعت عين علي فدعا بدابته فأتى وهدة فيها قتلى بعضهم على بعض، فجعل يجر بأرجلهم حتى وجدوا الرجل فيهم، فأخبروه فقال الله أكبر وفرح وخرج الناس، ورجعوا، فقال علي: لا أغزو العام ورجع إلى الكوفة، فقتل علي كرم الله وجهه واستخلف الحسن رضي الله عنه، وسار سيرة أبيه ثم بعث بالبيعة إلى معاوية.

وفي رواية صحيحة وبعث الحسن بالبيعة إلى معاوية وكتب بذلك إلى قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج فقام قيس في الصحابة فقال يا أيها الناس أمران لابد لكم من أحدهما، دخول في عصبة أو قتل مع غير إمام، فقال الناس ما هذا، قال الحسن بن علي قد أعطى معاوية البيعة. فرجع الناس فبايعوا معاوية، ولم يكن لمعاوية هم إلاّ الذين هم بالنهروان، فجعلوا يتساقطون عليه فيبايعون حتى بقى منهم ثلاثمائة ونصف. وينبغي لك أن تتنبه لقول علي كرم الله وجهه في الحديث الذي رواه، (**تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق**). وفي رواية سندها ضعيف، (**تقتلهم أولى الطائفتين بالله وأقواهم إلى الله عز وجل**)، فإنه أثبت لطائفة معاوية قربا إلى الحق. لكون فعلهم ناشئا عن الإجتهاد المثاب عليه، لا عن العبث المعاقب عليه، وحينئذ ففيه مدحة كثيرة لمعاوية، واعتداد باجتهاده. وإن كان باغيا، كما صرح به حديث عمار تقتله الفئة الباغية، بل يأتي قريبا أن معاوية لما نزل له الحسن لم يكن له هم إلاّ الذين هم بالنهروان، وأن معاوية شارك عليا فيهم، فهو بعد علي أقرب إلى الحق، لأنه كان الخليفة إلى أقرب الطائفتين إلى الحق المقتضى لمدح كل منهما بأنه قريب

من الحق، وإنما طائفة علي أقرب إليه موافقة لقوله تعالى (**وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** * الحجرات: ٩). فسماهم مؤمنين مع قتالهم ردا على من سيزعم أن كل من قاتل عليا كافر وقد أتى صلى الله عليه وسلم في إعلانه بمدح الحسن رضي الله عنه على المنبر بأن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فأثبت لكل منهما الإسلام كما أثبت تعالى لكل منهما الإيمان وهما أعني الإيمان والإسلام متلازمان، من حيث الاعتداد بهما في الآخرة وبالجملة فلا يمكن شرعا أن يوجد مسلم غير مؤمن ولا عكسه، ومن آمن بقلبه و لم يتلفظ بلسانه مع قدرته كان كافرا اتفاقا بل قال النووي إجماعا لكن نوزع فيه، وجاء بسند فيه مختلط أن عائشة رضي الله عنها قالت من قتل الخوارج؟ قالوا علي قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**يقتلهم خيار أمتي وهم شرار أمتي**) وجاء بسند رجاله ثقات أنها سألت شداد بن الهادي ليالي قتل علي عن قصة الخوارج الذين قتلهم علي، لكون أن أهل العراق ذكروا لها عن علي أشياء، كذبوا فيها عليه فأحبت أن تنظر هل الأمر كما زعموا، ولذا كان شداد كلما حدثنا عن شيء حلفته فيحلف لها، وحاصل ما ذكره شداد أنه لما كاتب على معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حرراء من جانب الكوفة قائلين، إن عليا انسلخ من قميص كساه الله، واسم سماه الله به لكونه حكم في دين الله ولا حكم إلاّ الله، فلما بلغه ذلك أمر أصحابه القراء دون غيرهم بالدخول عليه فلما امتلأت الدار بهم، دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه، ثم طفق يصكه بيده ويقول أيها المصحف حدث الناس، أي إنما فعل ذلك زيادة في تسفيه الخوارج وإشارة إلى رد قولهم، بيننا وبينه كتاب الله، بأن الكتاب لا ينطق وإنما الرجوع إلى العلماء به لا غير فنادوه يا أمير المؤمنين ما تسأل منه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما رأيناه فيه، فقال أصحابكم أوليائي الذين خرجوا أي علي، لاعتراضهم ما فعلته من التحكيم، وقد كانوا من الموالين والنائين لي، بيني وبينهم كتاب الله يقول الله تعالى في كتابه في امرأة

ورجل، (**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا** * النساء: ٣٥)، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم حرمة أو ذمة من رجل وامرأة ونقموا على أبي كاتبت معاوية، ثم رد عليهم بكتابته الصلح يوم الصلح بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أهل مكة، وقد قال تعالى (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَة حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ** * الأحزاب: ٢١)، ثم أرسل إليهم ابن عباس، قال شداد وأنا معه، فلما توسطنا عسكرهم قام فلان فخطبهم، فقال يا حملة القرآن، هذا عبد الله بن عباس، ثم حذرهم من اتباعه -بأنه ممن نزل فيه هو وقومه- قوم خصمون، فمكث عندهم ثلاثة أيام ينصحهم حتى رجع منهم أربعة آلاف رجل، وجاؤا إلى علي بالكوفة فأرسل علي إلى بقيتهم قد كان من أمرنا وأمر الناس، ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتم بيننا وبينكم، أن لا تسفكوا دما حراما، أو تقطعوا سبيلا أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم قد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنن، ثم لم يقاتلهم حتى فعلوا ذلك كله، ثم سألته عن الرجل الذي أخبر صلى الله عليه وسلم أنه يوجد فيهم واسمه ذو الثدية، فقال قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى، فدعا الناس فقال تعرفون هذا فقال كثيرون نعم رأيناه في مسجد بني فلان يصلي، قالت فما قال حين قام عليه، قال سمعته يقول صدق الله ورسوله، قالت فهل قال غير ذلك قال لا، قالت أجل صدق الله ورسوله، وذهب أهل العراق يكذبون عليه يزيدون عليه في الحديث، وصح أن عليا سئل لما قدم البصرة لقتال طلحة وأصحابه أهو بوصية أو عهد من النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك أو من رأيه حيث تفرقت الأمة واختلفت كلمتها، فبين أنه من رأيه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوصه بذلك، أي لم يجعله خليفة بفعل ذلك وغيره، فلا ينافيه الحديث السابق عنه أنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، مع أنه لم يمت فجأة وإنما جلس في بيته أياما يراسل، فأمر بتقديم أبي بكر لكونه يرى

مكانه، وأن المسلمين بايعوا أبا بكر وأنه بايعه أيضا قال فكنت أغزو إذا أغزاني وآخذ إذا أعطاني وكنت سوطا بين يديه في إقامة الحدود فلو كانت محاباة عند حضور موته لجعلها في ولده فأشار لعمر فبايعه الناس وبايعته معه وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وكنت سوطا بين يديه في إقامة الحدود فلو كانت محاباة عند حضور موته لجعلها في ولده وكره أن يتخير منا معشر قريش رجلا فيوليه الأمر، فلا يكون فيه إشارة الأحقية من غيره فاختار ستة أنا منهم فلما اجتمعنا وذهب عبد الرحمن بن عوف يزعمون نصيبه فيها على أن نعطيه مواثيقنا ليختار من الخمسة رجلا يوليه أمر الأمة، فأعطيناه مواثيقنا فأخذ بيد عثمان فبايعه، ولقد عرض في نفسي عند ذلك فلما نظرت في أمري فإذا عهدي قد سبق بيعتي -فبايعت وسلمت- فكنت أغزو إذا أغزاني وآخذ إذا أعطاني، وكنت سوطا بين يديه في إقامة الحدود فلما قبض وثب إليها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي، فكنت أحق بها منه، ثم سئل عن مخالفة الزبير وطلحة فقال، بايعاني بالمدينة وخالفاني، ولو أن وجلا بايع أبا بكر وعمر ثم خالفهما لقاتلناه. وصح أن الخوارج لما اعتزلوا عليا فعزم على مقاتلتهم استأذنه ابن عباس في الذهاب إليهم لينظر ما ينقمونه على علي، فأذن له فجاءهم فناظرهم حتى رجع منهم عشرون ألفا وبقى منهم أربعة آلاف فقتلهم عن آخرهم. فلم ينج منهم إلاّ دون العشرة والذي نقموه عليه أمور: الأول تحكيمه مع قوله الحكم لله، فرد عليهم ابن عباس بنظير ما مر عن علي، بأن التحكيم قد جاء في الصيد في الإحرام وفي الصلح بين الرجل وامرأته فالدنيا أولى -فسلموا الثاني كونه قاتل عائشة وغيرها- ولم يسب ولم يغنم، فرد عليهم بأنها أمهم بالنص، فان أنكروا ذلك كفروا، وإن استحلوا منها ما يستحلونه من غيرها كفروا فسلموا، الثالث كونه محا نفسه في الصلح من إمارة المؤمنين. فرد عليهم بأنه صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وافق المشركين في أنه يمحو ما كتبه علي في كتابه. وهو رسول الله، فأمر بمحوه وقال أنا رسول الله وإن

كذبتموني، فكذلك علي لا يضره ذلك. فسلموا إلاّ أولئك الأربعة آلاف، فعزم على قتالهم، فتوقف بعض أصحاب علي، من كثرة عبادتهم وأن لهم دويا كدوي النحل، من قراءة القرآن، فقال علي عله لا ينجو منهم عشرة، أي بل دونها كما مر مبينا، ولا يقتل منا عشرة - فكان الأمر كما قال علي رضي الله عنه. وقال أيضا عند عزمه على قتالهم لا يعين لهم من يدعوهم إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم فيقتلونه، ثم أعلم الناس بذلك فلم يخرج اليهم إلاّ شاب فأعاد فلم يخرج إلاّ هو. فأعاد فلم يخرج إلاّ هو، فأعطاه المصحف فذهب به اليهم فقتلوه. ولما فرغ من قتالهم قال أطلبوا الرجل فاستقصوا في طلبه حتى وجدوه في وهدة في مستنقع ماء. وهو أسود منتن، وله في موضع يده كالثدي عليه شعرات، فلما نظر اليه قال صدق الله ورسوله، فسمع الحسن أو الحسين يقول: الحمد لله الذي أراح أمة محمد صلى الله عليه وسلم من هذه المعضلة. فقال علي لو لم يبق من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلاّ ثلاثة لكان أحدهم على رأي هؤلاء. إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء. وقد صدق فان منهم إلى الآن كثرين بل لا يحصون بعمان على سعة إقليمها وقرية من بلاد المغرب، وكثير من بلاد الهند جزيرات وغرها وروى أحمد وغيره خبر: (**إن الخوارج كلاب أهل النار**)، فقيل للصحابي راويه الأزارقة وحدها أم الخوارج كلها قال بل الخوارج كلها، ومن أعظم ذنوبهم أنهم أفرطوا في بغض علي[١] وعنه بسند رجاله ثقات أنه قال على المنبر هلك في رجلان محب غال ومبغض قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (**مثلك مثل عيسى ابن مريم أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه**

---

(١) الخوارج عشرون فرقة ومنها الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق وهم أكثر الخوارج عددا وأشدهم شوكة وهم يكفرون مخالفيهم ويجوزون قتل أطفالهم ونسائهم ولهم أمور تخالف المسلمين مما جعل أهل السنة يقولون بكفرهم. وقد بايعوا ابن الأزرق على الخلافة. وكانوا أكثر من عشرين ألفا ومعهم خوارج اليمامة وعمان فاستولوا على الأهواز وما وراءها من أرض فارس وكرمان وحاربهم ابن الزبير على يد المهلب بن أبي صفرة فهزم وقتل نافع ابن الأزرق سنة ٦٥ ويكفرون عليا وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل. وكل من أذنب ذنبا فهو عندهم كافر مخلد

وأحبته النصارى حتى تركوه بالمترلة التي ليست له)، ثم قال هلك في رجلان محب مطر مفرط بما ليس فيّ ومبغض مفتر يحمله شنآني على أن بهتني، ألا إني لست بنبي ولا يوحى إليّ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت، فما أمرتكم بطاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم[١] ومنها ذكر أمور وفتن تبعث ما سبق، واحتيج إلى معرفتها لعزة وجودها وخلو الكتب المشهورة عنها.

فمن هذه أنه جاء بسند رجاله رجال الصحيح: أن معاوية رضي الله عنه لما أراد أن يستخلف ولده يزيد كتب إلى عامله بالمدينة أن أوفد إلى من تشاء، فوفد إليه عمرو بن حزم الأنصاري رضي الله عنه. فاستأذن علي معاوية فلم يأذن له وأمر حاجبه أن يقول له اطلب ما شئت. فأبى إلاّ الاجتماع. فاجتمع به بعد أيام فقال له معاوية ما حاجتك؟ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: لقد أصبح ابن معاوية غنيا عن الملك غنيا عن كل خير وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن الله لم يسترع عبدا برعيته إلاّ وهو سائله عنها)**، ثم أجابه معاوية ما بك امرؤ ناصح قلت برأيك وإنه لم يبق إلاّ ابني وأبناؤهم وابني أحق من أبنائهم. ثم قال له ما حاجتك قال ما لي إليك حاجة. وبسند فيه رجل ضعفه أبو زرعة ووثقه ابن حبان وغيره ورجل. قال الحافظ الهيتمي لا أعرفه: أن معاوية لما حضره الموت قال ليزيد، قد وطأت لك البلاد وفرشت لك الناس. ولست أخاف عليك إلاّ أهل الحجاز فان رابك منهم ريب فوجه اليهم مسلم بن عقبة المري فاني جربته، فلما بلغ يزيد خلافة ابن الزبير قال لمسلم وقد أصابه الفالج ما ذكره أبوه فقاد له الجيوش، ثم لما قدم المدينة أباحها ثلاثة أيام ثم دعا إلى بيعة يزيد وأنه أعبد له في طاعة الله ومعصيته، فأجابوه إلاّ واحدا من قريش فقتله، فأقسمت بالله أمه لئن أمكنها الله من مسلم حيا أو ميتا لتحرقنه بالنار، فلما

---

(١) وقد قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم. وكان شغف بحب قطام بنت أخضر التيمية وكان الخليفة قد قتل أباها وأخاها بالنهروان عام ٣٨. وكانت جميلة فلما سألها ابن ملجم الزواج بها اشترطت في صداقها قتل سيدنا علي فأجابها وقتله عام ٤٠ كما تقدم في الصواعق من شعر ابن جرير

خرج مسلم من المدينة مات قريبا منها فأتت قبره بأعبد لها فأمرهم بنبشه من عند رأسه. فلما وصلوا إليه إذا ثعبان قد التوى على عنقه قابضا بأرنبة أنفه يمصها، فخافوا وأخبروها وقالوا قد كفاك الله شره، فأبت وأمرهم بنبشه من عند رجليه ففعلوا فإذا الثعبان لاويا ذنبه برجليه، فصلت ركعتين ودعت اللّهمّ إن كنت تعلم إني لما غضبت على مسلم اليوم لك فخل بيني وبينه، ثم تناولت عودا فمضت إلى ذنب الثعبان فانسل من مؤخر رأسه فخرج من القبر، ثم أمرت فأخرج من القبر ثم أحرقته بالنار. وبسند فيه متروك أن بعض أولئك العسكر الفسقة دخلوا زمن الحرة على أبي سعيد الخدري فأخذوا ما في البيت ثم دخلت طائفة أخرى فلم يجدوا شيئا فأضجعوه. ثم جعل كل يأخذ من لحيته خصلة. وبسند فيها جماعة قال الحافظ المذكور لا أعرفهم أن ابن الزبير كتب إلى ابن عباس رضي الله عنهم ليبايعه فأبى فظن يزيد أن ذلك رعاية له فكتب إلى ابن عباس بذلك وبخذلان ابن الزبير وتنفير الناس عنه وأنه أعني يزيد يحسن جائزة ابن عباس، فكتب اليه ابن عباس وأطال في سبه وتقبيحه وأنه لم يمتنع من مبايعة ابن الزبير لرجاء جائزة يزيد ولا معرفة لحقه وأنه لا يدعو أحدا إلى يزيد ولا يخذل أحدا عن ابن الزبير، وأن يزيد يحبس عنه بره وصلته لكون ابن عباس حابسا عنه وده ونصره، ثم أطال في الحط على أبيه بما صنع في استلحاق زياد وعلى يزيد بما استباح به حرمة آل البيت حتى قتل حسينا وكثيرين من أهل البيت وسبى ذراريهم واستباح حرمة المدينة المكرمة المعظمة وحرمة أهلها حتى أباح العظائم فيها بالقتل والنهب فيها أياما[١] وبسند

---

(١) ذكر أبو بكر ابن العربي في العواصم أن معاوية ترك الأفضل في أن يجعل الخلافة شورى وعدل إلى ولاية يزيد وعقد له البيعة فبايعه الناس وانعقدت بيعته، لأنها تنعقد بواحد وقيل باثنين. ويزيد أهل لذلك. وليس للخلافة سن مخصوص. وهو رجل ليس مسلوب العدالة. وإن كان هناك من هو أحق بالإمامة من يزيد. فان إمامة المفضول جائزة على الاختلاف فيها. ثم ذكر ما رواه البخاري: عن ابن عمر، أنه لما خلع أهل المدينة يزيد جمع حشمه وولده وقال: إني سمعت رسول الله يقول (**ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة**) وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله. وإني لا أعلم عذرا أعظم من أن نبايع رجلا على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال. والحق كما قال سعد. أن خروج الحسين عليه لجور يزيد وقبحه وأنه كان محقا فيه، فانه لا يحرم الخروج على الإمام الجائر إلاّ بعد استقرار الأحكام

فيه من وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أبو زرعة وغيره، أن معاوية رضي الله عنه لما مات أظهر ابن الزبير سب يزيد، ثم دعا لنفسه فوجه يزيد مسلم بن عقبة في جيش وأمره بقتال أهل المدينة ثم أهل مكة فساروا واستباح المدينة أياما ثم سار لمكة فأحس بالموت فاستخلف حصيبا الكندي وقال له، يا ابن برذعة الحمار احذر خداع قريش ولا تعاملهم الاّ بالنفاق، فوصل مكة ثم قاتل ابن الزبير بها أياما وضرب ابن الزبير فسطاطا في المسجد فيه نساء يداوين الجرحى ويقمن بمصالحهم، فقال حصين لا يزال خرج علينا من هذا الفسطاط أسد كأنما يخرج من عرينه فمن يكفينيه؟ فقال رجل من أهل الشام أنا فلما جن الليل وضع شمعة في طرف رمحه ثم طعن بها الفسطاط فاحترق ثم احترقت الكعبة وما فيها. قرنا كبش إسحاق أي بناء على أنه الذبيح وهو ما عليه الأكثرون، لكن صح الخبر بأنه اسماعيل، ثم بلغ قوم يزيد موته فهربوا، ولما مات دعا مروان إلى نفسه فأجابه أهل حمص والأردن فسير اليه ابن الزبير جيشا حافلا مائة ألف، ومروان يومئذ في فئة قليلة من بني أمية ومواليهم فكثر خوفهم فقال مروان لمولى له: هؤلاء بين مكره ومشاجر، ولا يقفون للقتال فاحمل عليهم فانكسروا وقتل أميرهم، ثم مات مروان فدعا ولده عبد الملك لنفسه فأجابه أهل الشام فخطب ثم قال من لابن الزبير منكم، فقال الحجاج أنا يا أمير المؤمنين فاني رأيت أني انتزعت جبة فلبستها، فعقد له وجاء مكة وقاتل ابن الزبير بها، وكان ابن الزبير قال لأهل مكة احفظوا هذين الجبلين. فانكم لن تزالوا أعزة ما حفظتموهما فقصروا فلم يلبثوا أن ظهر الحجاج بمن معه على أبي قبيس فنصب عليه المنجنيق ورمى به ابن الزبير في المسجد فلما كان يوم قتله دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وهي يومئذ بنت مائة سنة ولم يسقط لها سن ولا فسد لها بصر، فسألته عن القوم فبين لها محلهم وقال: إن في الموت لراحة فذكرت إن الأحب اليها أن لا يموت حتى يملك فتقر عينها أو يقتل فتحتسبه عند الله، ثم ودعها فوصته على أن لا يعطي تهاونا مخافة القتل، فخرج عنها ودخل المسجد فقيل ألا نفتح لك

الكعبة فأبى ثم دخلت عليه فرق من أبواب المسجد يتعاقبون، فذهب إلى كل منهم وأخرجهم ثم وقع فتمالؤا عليه وحزوا رأسه رضي الله عنه. وصح ما حاصله أنه قال ما شيء كان يقوله كعب إلاّ رأيناه إلاّ قوله إن فتى ثقيف يقتلني، فهذه رأسه بين يديه، يعني المختار ثم قتله الحجاج فكان كما قال كعب وفي رواية في سندها من قال الحافظ الهيثمي لا أعرفهم أن سبب قتله أنه توجه لإخراج فرقة من أولئك الفرق فوقعت شرافة من شراريف المسجد على رأسه فصرعته فتمكنوا منه حينئذ وصح أن الحجاج صلبه لتراه قريش فصارت قريش يمرون عليه فلا يقفون إلاّ ابن عمر فوقف وسلم وذكر أنه كان ينهاه عن أن يؤول به الحال إلى هذا، ثم قال لقد كان صواما قواما يصل الرحم فبلغ ذلك الحجاج فأمر بانزاله وأن يرمى في قبور اليهود. وكان مراده باليهود مطلق المشركين أو أنه كان يمر بالحرم يهود فمات بعضهم ودفن فيه؛ ثم أرسل لأمه وقد عميت أن تأتيه فأبت، فأرسل يغلظ عليها فأبت فقام اليها وهو يتوقد فقال، كيف رأيت صنع الله بعده، ولدك وقالت رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، ثم ذكرت له أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن في ثقيف مبيرا وكذابا**) فأما الكذاب أي وهو المختار فقد رأيناه وأما المبير فأنت ذاك فخرج. وفي رواية إنها قالت له بعد ثلاثة أيام أما آن لهذا الراكب أن يترل، قال هذا المنافق، قالت لا والله ما كان منافقا ولقد كان صواما قواما. قال اسكتي فإنك عجوز قد خرفت، قالت ما خرفت وذكرت الحديث. وفي رواية قال (**أنا مبير للمنافقين**).

وصح أنه لما قتل الزبير مثل به ثم دخل على أمه فأنكرت عليه، فنال منه قالت كذبت يا عدو الله وعدو المسلمين لقد قتلت صواما قواما برا بوالديه حافظا لهذا الدين ثم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يخرج من ثقيف كذابان الآخر أشر من الأول وهو المبير**) وما هو إلاّ أنت يا حجاج فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقت أنا المبير أبير المنافقين. ومنها جاء بسند حسن عن

عمر رضي الله عنه قال قال ولد لأخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام سموه الوليد. فقال صلى الله عليه وسلم سميتموه بأسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو أشر على هذه الأمة من فرعون لقومه، ورواه الحرث بن أبي أسامة مرسلا إلى سعيد بن المسيب: ولفظه ولد لأخي أم سلمة غلام فسموه الوليد فدخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال (**أسميتموه**)، قالوا نعم سموه الوليد فقال (**مه مه اسمه عبد الرحمن سميتموه باسم فراعنتكم ليكونن في أمتي رجل يقال له الوليد لهو أشر لأمتي من فرعون لقومه**) قال عبد الرحمن بن عمرو فقلت لسعيد بن المسيب، أي الوليد هو، قال ان استخلف الوليد بن يزيد فهو هو وإلاّ فالوليد بن عبد الملك وبسند فيه راو لم يسم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**ليرعفن على منبري هذا جبار من جبابرة بني أمية فيسيل رعافه**)، فحدثني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سال رعافه على درج المنبر وبسند فيه عطاء بن السائب وقد تغير أي اختلط، أن مروان سب الحسين بن علي رضي الله عنهما وكرم الله وجههما سبا قبيحا حتى قال والله انكم أهل بيت ملعونون، فغضب الحسين وقال لئن قلت هذا فو الله لقد لعنك الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وأنت في صلب أبيك، فسكت مروان.

وبسند رجاله رجال الصحيح عن ابن الزبير رضي الله عنهما أنه قال: ورب هذه الكعبة لقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانا وما ولد من صلبه. وفي رواية للبزار لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. وبسند رجاله ثقات أن مروان لما ولى المدينة كان يسب عليا على المنبر كل جمعة ثم ولى بعده سعيد بن العاص فكان لا يسب ثم أعيد مروان فعاد للسب وكان الحسن يعلم فسكت ولا يدخل المسجد إلاّ عند الإقامة، فلم يرض بذلك مروان حتى أرسل للحسن في بيته بالسب البليغ لأبيه وله، منه ما وجدت مثلك إلاّ مثل البغلة يقال لها

من أبوك فتقول أبي الفرس، فقال للرسول ارجع اليه فقل له والله لا أمحو عنك شيئا مما قلت بأبي أسبك ولكن موعدي وموعدك الله فان كنت كاذبا فالله أشد نقمة، قد أكرم جدي أن يكون مثلي مثل البغلة، فخرج الرسول فلقي الحسين فأخبر بذلك السب بعد مزيد تمنع وتهديد من الحسين إن لم يخبره فقال بل!!! ويتأمل بأبيك وقومك وآية ما بيني وبينك أن تمسك منكبيك من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية أنه اشتد جدا على مروان قول الحسين أن تمسك منكبيك الخ، وجاء بسند حسن أنه صلى الله عليه وسلم قال (**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون رجلا منهم مسيلمة**)، أي تنسب دعوته النبوة إلى دعوته، وهذا إنما كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا في حياته، والعنسي والمختار، وشر العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف. وصح قال الحاكم على شرط الشيخين عن أبي برزة رضي الله عنه قال: كان أبغض الأحياء أو الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو أمية. وبسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا ففيه ضعف أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا بلغ بنو فلان**) وفي رواية عند البزار إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا كان دين الله دخلا ومال الله دولا وعباد الله خولا وبسند رجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال (**ليدخلن الساعة عليكم رجل لعين**) فو الله ما زلت أتشوف داخلا وخارجا حتى دخل فلان يعني الحكم كما صرحت به رواية أحمد. وبسند قال الحافظ الهيثمي فيه من لم أعرفه، أن الحكم مر على النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر فقال (**ويل لأمتي بما في صلب هذا**)، وبسند حسن أن مروان قال لعبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما، أنت الذي نزل فيك والذي قال لوالديه أف لكما الآية، فقال له عبد الرحمن كذبت ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وبسند رجاله رجال الصحيح إلاّ أن فيه انقطاعا أنه صلى الله عليه وسلم قال (**لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يثلمه**) وفي رواية

(**حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد**). نعم روى أبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلى أن يزيد لما كان أمير الشام غزا المسلمون فحصل لرجل جارية نفيسة فأخذها منه يزيد فاستعان الرجل بأبي ذر، فمشى معه اليه وأمره بردها ثلاث مرات وهو يتلكأ، فقال أما والله لئن فعلت فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**أول من يبدل سنتي لرجل من بني أمية**)، ثم ولى فتبعه يزيد فقال أذكرك بالله أنا هو فقال لا أدري وردها يزيد، ولا ينافي هذا الحديث المذكور المصرح بيزيد، إما لأنه بفرض كلام أبي ذر على حقيقته، لكون أبي ذر لم يعلم بذلك المبهم، فقوله لا أدري أي في علمي، وقد بين إبهامه أي في الرواية الأولى والمفسر يقضي على المبهم، وإما لأن أبا ذر علم أنه يزيد، ولكنه لم يصرح له بذلك خشية الفتنة لا سيما وأبو ذر كان بينه وبين بني أمية أمور تحملهم على أنهم ينسبونه إلى التحامل عليهم -وبسند ضعيف عن عبد الله قال لكل شيء آفة وآفة هذا الدين بنو أمية. وبسند فيه رجل قال الحافظ الهيثمي لا أعرفه أنه صلى الله عليه وسلم قال يكون خليفة هو وذريته من أهل النار.

وبسند فيه ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم سار عليا ثم رفع رأسه كالفزع فقال: (**قرع الخبيث الباب بسيفه**)، فقال (**انطلق يا أبا الحسن فقده كما تقاد الشاة إلى حالبها**)، فذهب اليه وأخذ بأذنه ولهازمه جميعا حتى وقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فلعنه نبي الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا، ثم قال (**لعلي أجلسه ناحية**) حتى راح إلى النبي صلى الله عليه وسلم ناس من المهاجرين والأنصار، ثم دعا به صلى الله عليه وسلم فقال (**إن هذا يخالف كتاب الله وسنة نبيه ويخرج من صلبه من يبلغ دخانه**) -أي الفتنة على حد. (**حتى توارت**) أي الشمس، كناية عن اتحاد فتن يعم العالم ضررها- فقال رجل من المسلمين صدق الله ورسوله هو أقل من أن يكون منه ذلك، قال بلى وبعضكم يومئذ من يتبعه، وبسند فيه مستور وبقية رجاله ثقات أن الحكم استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فعرفه فقال (**ائذنوا له فعليه**

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وما يخرج من صلبه يشرفون في الدنيا ويترذلون في الآخرة وذوو مكر وخديعة إلاّ الصالحين منهم وقليل ما هم). وبسند فيه ابن لهيعة وحديثه حسن أن مروان دخل على معاوية في حاجة وقال إن مؤنتي عظيمة أصبحت أبا عشرة وأخا عشرة وعم عشرة، ثم ذهب فقال معاوية لابن عباس، وكان جالسا معه على سريره: أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إذا بلغ بنو أبي الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا آيات الله بينهم دولا وعباد الله خولا، وكتابه دخلا، فاذا بلغوا سبعة وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من كذا**)، قال اللّهمّ نعم، ثم تذكر مروان حاجة فأرسل لها ولده عبد الملك لمعاوية فلما كلمه فيها فأدبر، قال معاوية لابن عباس، أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال، (**أبو الجبابرة الأربعة**) قال اللّهمّ نعم. وبسند رجاله رجال الصحيح إلاّ واحدا فثقة أنه صلى الله عليه وسلم رأى كأن بني الحكم يترون على منبره ويترلون، فأصبح كالمتغيظ وقال (**ما لي رأيت بني الحكم يترون على منبري نزو القردة**)، قال أبو هريرة فما رؤي صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى لقي الله. وبسند فيه متروك أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**رأيت بني الحكم يتعاورون منبري فساءني ذلك فأوحى الله إليّ إنما هي دنيا أعطوها فسرني ذلك**). وبسند فيه مختلف فيه أن عليا كرم الله وجهه قال في غلام ثقيف أي الحجاج، إنه لا يبقي بيتا من العرب إلاّ أدخله ذلا، قيل كم يملك قال عشرين إن بلغ -أي أطيلت إمارته- فكان الأمر قريبا من ذلك، فهذا من كرامات علي الباهرة، وبسند فيه من نسب للوضع وقال ابن عدي لا بأس به، إن لبني العباس رايتين إحداهما كفر والأخرى ضلالة فان أدركتهما فلا تضل -وبسند فيه ضعيف- أنه صلى الله عليه وسلم قال (**ما لي ولبني العباس شقوا على أمتي، وسفكوا دماءهم وألبسوهم ثياب السواد ألبسهم الله ثياب النار**). وبسند فيه من اهم

بالكذب. (**سيخرج رايتان من قبل المشرق لبني العباس أولهما مثبور وآخرهما مثبور لا تنصروهم لا نصرهم الله من مشي تحت راية من راياتهم أدخله الله تعالى جهنم؛ ألا إنهم شرار خلق الله وأتباعهم شرار خلق الله، يزعمون أنهم مني، ألا إني برئ منهم، وهم مني برآء. علامتهم يطيلون الشعور ويلبسون السواد فلا تجالسوهم في الملإ ولا تبايعوهم في الأسواق، ولا تهدوهم الطريق، ولا تسقوهم الماء**). وبسند فيه من وثقه أحمد وضعفه النسائي وغيره أن أبا أيوب وضع وجهه على القبر المكرم فأنكر عليه مروان، فقال له أتدري ما تصنع قال نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**لا تبكوا على الدين إذا وليه غير أهله**)، أي يعرض بذلك لولاية مروان المدينة. وبسند صحيح (**إني أتخوف على أمتي ست خصال إمارة الصبيان**) الحديث -وفي رواية (**إمارة السفهاء**).- وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة (**أعاذك الله من إمارة السفهاء**) قال (**أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي**) الحديث. وصح بلفظ (**هلاك أمتي على يد أغيلمة من سفهاء قريش**). وفي رواية عند أبي بكر ابن أبي شيبة أن مروان سأل ابا هريرة أن يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته يقول: (**يوشك يتمنى رجل آل اليه هذا الأمر أنه خر من الثريا وأنه لم يل منه شيئا**). فقال زدنا فقال (**هلكة هذه الأمة على فئة من قريش**)، فقال مروان بئس الغلمان هؤلاء -ومنها صح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (**طوبى لمن قتلهم**) أي الخوارج أو قتلوه- وروى أبو يعلى أنه قال لعبد الله بن أبي أوفى الصحابي رضي الله عنه، السلطان يظلم الناس ويفعل بهم فغمزت القائل غمزة شديدة وقال عليك بالسواد الأعظم إن كان السلطان الأعظم يسمع منك فأخبره في بيته، فان قبل منك وإلاّ فدعه، لأنك لست بأعلم منه. وروى الحرث بن أبي أسامة أن أبا أمامة لما رأى سبعين رأسا من رؤس الحرورية منصوبة بدرج دمشق بكى، فقيل له ما يبكيك قال

رحمة الله لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام. وما يصنع إبليس بأهل الإسلام ثلاثا ثم قال كلاب جهنم ثلاث مرات، ثم شر قتلى قتلت تحت أديم السماء ثلاث مرات، ثم روى قوله صلى الله عليه وسلم (**إن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ السواد الأعظم**). فقيل له يا أبا أمامة ألا ترى ما يصنع السواد الأعظم أي ولاة الإسلام، قال عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم، وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغ، ثم قال السمع والطاعة خير من المعصية والفرقة، ثم بين أنه سمع ذلك كله من النبي صلى الله عليه وسلم -وروى أبو يعلى والبزار أن عليا قال على المنبر، عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. وهؤلاء هم الخوارج لأنهم كانوا من عسكره، ثم استولى عليهم الشيطان حتى خرجوا عليه ونقموا عليه أشياء هم كاذبون مفترون عليه فيها. فقتلهم أشر قتلة. ومنها صح أنه صلى الله عليه وسلم قال (**تدرون رحى الإسلام لخمس وثلاثين**) الحديث.

ومر مع الكلام عليه، وصح عن علي كرم الله وجهه قال؛ سبق النبي صلى الله عليه وسلم وثنى أبو بكر وثلث عمر ثم خطبتنا فتنة فما شاء الله. وفي رواية في سندها ضعيف وانقطاع أنه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه ثم أبا بكر فأثنى عليه ثم قال: بعد الثلاثين اصرف وجهك حيث شئت فانك لن تصرفه إلاّ على عجز أو فجور، وصح حديث (**تنقض عرى الإسلام عروة عروة فكلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة**)، وفي حديث رواته ثقات، (**نعوذ بالله من رأس الستين**)، وفي رواية (**من سنة ستين ومن إمارة الصبيان، ولا تذهب الدنيا حتى تصير للكع بن لكع**) وفي حديث سنده حسن (**إلى مائة سنة يبعث الله ريحا باردة طيبة يقبض بها روح كل مؤمن**) واستدل به على أن الصحابة لا يبقى منهم أحد بعد مائة سنة، وفي رواية في سندها ابن لهيعة وحديثه

حسن. (**لكل أمة أجل وإن أجل أمتي مائة سنة فاذا مر على أمتي مائة سنة أتاها ما وعدها الله**). أي من الفتن والبدع العظام -وكان الأمر كذلك- وفي حديث رواه أبو يعلى (**لا تذهب الليال والأيام حتى يقوم القائم فيقول: من للعاونية بكف من الدراهم!!!**) وعنده أيضا أن معاوية رضي الله عنه جاءه كتاب عامله يخبره بأن أكثر القتل في الترك. والقسمة منهم فغضب، ثم أرسل إليه أن لا يعود لذلك حتى يأمره، فقيل له لم يا أمير المؤمنين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**إن الترك تجلى العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم فأكره قتالهم لذلك**) -وجاء بسند رواته ثقات أن أبا رماثة مولى عبد العزيز توكأ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجلين عظيمين زيد بن حسن وأبي بكرة بن الجهم، فأنكر ذلك بعض الصحابة، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم (**لن تذهب الدنيا حتى تكون للكع بن لكع**)، وفي خبر رواته ثقات (**ألا ليمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول الحلق إذا رآه وشهده، فانه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق**)، قال أبو سعيد فحملني ذلك على أن ركبت إلى معاوية فملأت أذنيه ثم رجعت- وروى أبو يعلى أن أبا ذر كان نائما بالمسجد، فضربه صلى الله عليه وسلم برجله، ثم قال له (**كيف تصنع إذا أخرجوك منه**)، قال ألحق بأرض الشام فأنها أرض المحشر والأرض المقدسة، قال (**كيف تصنع إذا أخرجوك منها**)، قال أرجع إلى مهاجري قال (**وكيف تصنع اذا أخرجوك منه**)، قال آخذ بسيفي فأضرب به، قال (**أفلا تسمع خيرا من ذلك، تسمع وتطيع وتنساق حيث ساقوك**)، ثم قال والله لألقين الله وأنا سامع مطيع لعثمان، وإنما قال ذلك لأنه كان بينه وبين عثمان شيء- وفي حديث ضعيف، الأمر بالعزلة إذا بايع الناس لأمرين لأن الزمن حينئذ زمن فتنة وقد أمرنا في زمن الفتنة أن نعتزل عنها ما أمكننا، ولأجل هذا اعتزل جماعة من الصحابة عليا ومعاوية، لكن بعض معتزلي على ظهر لهم من الأحاديث أنه الإمام الحق فندموا على التخلف عنه، كما مر ومنهم سعد بن أبي وقاص فانه اعتزل بأهله واشترى ماشية فأنكر عليه ولد

عمر. فروي له حديث (**أنها ستكون فتنة خير الناس فيها التقي الخفي**). فكن يا بني كذلك، ثم ذهب عنه وطلب مروان بعض بني الصحابة أن يقاتل معه فقال، إن أبي وعمي شهدا بدرا فعهدا إليّ أن لا أقاتل مسلما وإن جئتني ببراءة من النار قاتلت معك، فقال اذهب ووقع فيه وسبه، وهذا آخر ما تيسر إيراده ممن أرجو أن ينفع الله به المسترشدين، ويهدي به الحائرين، والحمد لله ربّ العالمين وصلاته وسلامه على خير خلقه أجمعين وآله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين آمين.

المحدث ابن حجر الهيتمي

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي السعدي[١] الأنصاري الشافعي المحدث الفقيه الصوفي ينسب إلى محلة أبي الهيتم من مديرية الغربية بمصر وقال الأمير في فهرسته بالمثناة الفوقية نسبة إلى الهياتم من قرى مصر.

ولد رحمه الله تعالى ببلدته المذكورة سنة ٨٩٩ هـــ. ومات أبوه وهو صغير فكفله الإمامان الكاملان شمس الدين بن أبي الحمائل وشمس الدين الشناوي ثم نقله الشمس الشناوي من محلة أبي الهيتم إلى مقام سيدي أحمد البدوي بطنطا فقرأ هناك مبادئ العلوم وحفظ القرآن ثم نقله في سنة ٩٢٤ إلى كعبة العلوم الجامع الأزهر فأخذ عن علماء مصر وقتئذ.

شيوخه في العلم والرواية:

أخذ العلم وروى عن أجلة العلماء منهم الشهاب الرملي والشمس اللقاني والشمس السمهودي والشمس المشهدي وعن الطبلاوي والشهاب بن النجار الحنبلي والشهاب بن الصائغ وروى عن القاضي زكريا والمعمر الزين عبد الحق السنباطي والأمين الغمري تلميذ ابن حجر العسقلاني وروى عن السيوطي وأبي الحسين البكري – وله معجم وسط ومعجم صغير لمشايخه واجازاتهم له والكتب التي رواها عنهم والوسط موجود بدار الكتب المصرية ومن بين هذه الشموس ومن

(١) نسبة لبني سعد كما في النور السافر

مدرسة هؤلاء الفحول تخرج ونضج العلامة ابن حجر في علوم كثيرة في الفقه والأصول والحديث والتفسير والكلام والتصوف والفرائض والنحو والصرف والمعاني والمنطق والحساب وساعده على التحصيل والإتقان موهبته في الحفظ فإنه كان حافظا وكان من محفوظاته المنهاج الفرعي حتى إن نبوغه كان مبكرا فأذن له شيوخه في الإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين وكان رحمه الله متقللا من الدنيا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر شأن السلف الصالح قدم مكة حاجا سنة ٩٣٣ فحج وجاور بها ثم عاد إلى مصر ثم حج ثانية بعياله سنة ٩٣٧ ثم انتقل إلى مكة للإقامة بها سنة ٩٤٠ وكان فيها أماما للحرمين يدرس ويفتي ويؤلف وذكر الشوكاني[١] في سبب انتقاله إلى مكة أنه كان اختصر الروض للمقري وشرع في شرحه فأخذه بعض الحساد وفتته وأعدمه فعظم عليه الأمر واشتد حزنه فانتقل بسبب ذلك إلى مكة انتهى. ومؤلفاته في مصر ومكة كثيرة نافعة محررة تدور على كتب الفقه منها فتاوى الشافعية في الحجاز واليمن ومصر وغيرها - وكان كعبة العلماء يقصدونه للاغتراف من بحره الزخار الصافي والاقتطاف من روضه الناضر ولقد صدق فيه قول الشهاب الخفاجي[٢] إنه علامة الدهر خصوصا الحجاز. فكم حجت وفود الفضلاء لكعبته. وتوجهت وجوه الطلب إلى قبلته. إن حدث عن الفقه والحديث لم تتقرط الآذان بمثل أخباره في القديم والحديث. وقد ذكر الخفاجي ان له ابنا اسمه محمد وكنيته أبو الخير يروي عنه بعض اليمنيين.

وللمحدث ابن حجر ترجمة في النور السافر للعيدروس وريحانة الألباء للخفاجي وشذرات الذهب لأبي الفلاح ابن العماد والبدر الطالع للشوكاني وتاج العروس لمرتضى الزبيدي وفهرس الفهارس للكتاني وفي فارس المحدثين ومشيختهم وأثباتهم ومعاجمهم. توفي رحمه الله في رجب من سنة ٩٧٣ كما في الشذرات والبدر

---

(١) البدر الطالع

(٢) ريحانة الألباء

الطالع وفي سنة ٩٧٤ كما في المشرع الروي وتاج العروس للزبيدي وفي سنة ٩٦٤ كما في فهرست الدمنتي الكبير وفي سنة ٩٩٥ عند المحبي[١] والصحيح أنه توفي سنة ٩٧٤ والقطع بأن تاريخ الدمنتي والمحبي لوفاته خطأن كما ذكره الكتاني[٢] واختاره.

وكانت وفاته بمكة ودفن بالمعلاة في تربة الطبريين روح الله روحه، وأفسح ضريحه، وقدس سره، وأنار رمسه، وأدخله الجنة في عليين، مع الأنبياء والشهداء والصدقين.

اَلْقَصِيدَةُ الهَائِيَةُ لِمُحَمَّدٍ الْحَنَفِي وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِلإِمَامِ الْبُوصِيرِي

بِسْـــــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلصُّبْحُ بَدَا مِنْ طَلْعَتِه * وَاللَّيْلُ دَجَى مِنْ وَفْرَتِه

فَاقَ الرُّسُلاَ فَضْلاً وَعُلاَ * اَهْدَى السُّبُلاَ لِدَلاَلَتِه

كَنْزُ الْكَرَمِ مَوْلَى النِّعَمِ * هَادِي الْأُمَمِ لِشَرِيعَتِه

اَزْكَى النَّسَبِ اَعْلَى الْحَسَبِ * كُلُّ الْعَرَبِ فِي خِدْمَتِه

سَعَتِ الشَّجَرُ نَطَقَ الْحَجَرُ * شَقَّ الْقَمَرُ بِاِشَارَتِه

جِبْرِيلُ اَتَى لَيْلَةَ اَسْرَى * وَالرَّبُّ دَعَا لِحَضْرَتِه

نَالَ الشَّرَفَا وَاللهُ عَفَا * عَمَّا سَلَفَا مِنْ اُمَّتِه

فَمُحَمَّدُنَا هُوَ سَيِّدُنَا * فَالْعِزُّ لَنَا لِاِجَابَتِه

---

(١) فهرس الفهارس

(٢) خلاصة الأثر في ترجمة عبد العزيز الزمزمي المكي

فهرست الكتاب

دُعَاءُ التَّوْحِيدِ

يَا اَللهُ يَا اَللهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوُّ يَا كَرِيمُ فَاعْفُ عَنِي وَارْحَمْنِي يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اللّهمّ اغْفِرْ لِي وَلآبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَلآبَاءِ وَاُمَّهَاتِ زَوْجَتِي وَلأَجْدَادِي وَجَدَّاتِي وَلأَبْنَائِي وَبَنَاتِي وَلإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَلأَعْمَامِي وَعَمَّاتِي وَلأَخْوَالِي وَخَالاَتِي وَلأُسْتَاذِي عَبْدِ اْلحَكِيمِ اْلآرْوَاسِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَلاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَاْلاَمْوَاتِ «رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاْلحَمْدُ للهِ رَبِّ اْلعَالَمِينَ

دُعَاءُ اْلاسْتِغْفَارِ

اَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ اِلَهَ إِلاَّ هُوَ اْلحَيَّ الْقَيُّومَ وأَتوُبُ إِلَيْهِ

إن ناشر كتب -**دار الحقيقة للنشر والطباعة**- هو المرحوم حسين حلمي ايشيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـ. [١٩١١ م] بمنطقة -**أيوب سلطان إستانبول**- وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصنفا من العربية وأربع وعشرون مصنفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإلى لغات أخر بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في -**دار الحقيقة للنشر والطباعة**- وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد تتلمذ للعلاّمة الحبر البحر الفهامة الولي الكامل المكمل ذي المعارف والخوارق والكرامات عالي النسب السيد عبد الحكيم الارواسي عليه رحمة الباري وأخذ منه وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد لبى نداء ربه المتعال وتوفي ليلة ٢٥ على ٢٠٠١/١٠/٢٦ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقبرة أيوب سلطان تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين

اسماء الكتب العربية التي نشرها مكتبة الحقيقة

اسماء الكتب **عدد صفحاتها**

اسماء الكتب	عدد صفحاتها

اسماء الكتب	عدد صفحاتها

اسماء الكتب الفارسية التي نشرها مكتبة الحقيقة

الكتب العربية مع الاردوية و الفارسية مع الاردوية و الاردية